

وزارة المعارف العمومية

القائمين على وأعمال السياسة والدينية بوجه خاص

وضعه بالانجليزية وترجمه الى العربية

الدكتور حسن ابراهيم حسن

دبلوم المعلمين العليا

وليساقيه في العلوم التاريخية والجغرافية ، ودكتور في الآداب (الجامعة المصرية)
ودكتور في الفلسفة (Ph. D.) ، ودكتور في الآداب (D. Litt.) (في التاريخ الاسلامي) جامعة لندن
وعضو الجمعية الاسيوية الملكية باجتياز (M. R. A. S.)
وأستاذ التاريخ المتكامل بكلية الآداب بالجامعة المصرية

اعتمدت جامعة لندن هذه الرسالة لدرجة الدكتوراه في الآداب

راجع الترجمة

حضرتنا محمد أحمد حسونة افندي وزكي محمد المهندس افندي

المفتش بوزارة المعارف

حقوق الترجمة ونشرها محفوظة للوزارة

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٣٢

وزارة المعارف العمومية

الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص

وضعه بالإنجليزية وترجمه الى العربية

الدكتور حسن ابراهيم حسن

دبلوم المعلمين العليا

وليسانسيه في العلوم التاريخية والجغرافية ، ودكتور في الآداب (إبلاحة المصرية)
ودكتور في الفلسفة (Ph. D.) ، ودكتور في الآداب (D. Litt.) (في التاريخ الاسلامي) جامعة لندن
وهو أستاذة الاسوية الملكية باثملترا (M. B. A. B.)
وأستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بالجامعة المصرية

اعتمدت جامعة لندن هذه الرسالة لدرجة الدكتوراه في الآداب

رابع الترجمة

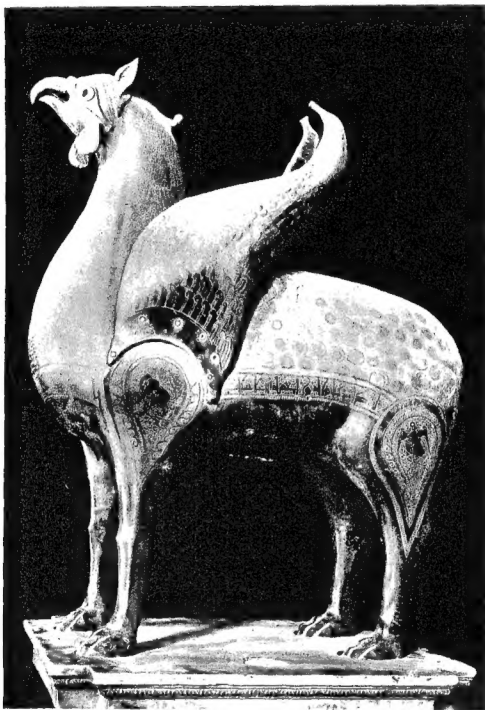
حضرتا عبد أحمد حسونة افندي وزكي عبد المهندس افندي

المفتشان بوزارة المعارف

حقوق الترجمة ونشرها محفوظة للوزارة

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٣٢



تمثال للعنقاء من الشبان (البرونز)

تصدير الكتاب

من كلمة للرحوم السير توماس أرنولد

إن الرسالة التي تقدم بها الدكتور حسن إبراهيم حسن لامتياز درجة الدكتوراه في الآداب (D. Litt.) بجامعة لندن ، أكسبته أقصى ما يمكن من إطراء المحتجين الميتين من قبل الجامعة ، الذين عدوها مجهوداً نادر النظر . وقد اشتملت هذه الرسالة على بحث تام مفصل عن الدولة الفاطمية ، وأسياب قيامها وسقوطها ، وأعمالها السياسية والدينية ، وكذا نظام الحكومة والإدارة ، ولموارد المالية ، وحكامها ، ونسبها وشرفائها . وقد انضمت إلى دراسة صحيحة للمصادر الأصلية الكثيرة التي لا توجد أحياناً إلا بخطوطه . وتحقيق الغاية المنشودة من جمع مصادر هذه الرسالة ، كان وأنا على الدكتور حسن أن يطلع على المخطوطات بمكتاب برلين ، والقاهرة ، ولندن ، وكنيسة ، واكسفورد ، وباريس . ولا يكاد يخلو أى باب من أبواب هذا الكتاب من إضافة مباحث علمية طريفة ، تضيء الطريق للباحثين في آثار الدولة الفاطمية . ولا ريب في أن الكتاب يعتبر أعظم وثيقة ظهرت في هذا الموضوع إلى الآن . وتحيل فيه قدرة المؤلف العلمية ومثله الأدبية الثابتان امتازهما في كل كتابه ، كما تظهر أحكامه السديدة بأجلى بيان في كشف كثير من المسائل الخفية المعقدة .

لندن في ١٤ مارس سنة ١٩٢٨

كلمة شكر

إلى مدين بالشكر الجزيل لأستاذى الجليل المرحوم السير توماس أرنولد (Sir Thomas W. Arnold) ، طيب الله ثراه . فقد حظيت بالانتماء اليه والسير وراء إرشاداته العملية أشياء وجودى بالبحر . وكان غفر الله له عمدة المستشرقين الانجليز فى التاريخ الاسلامى . فلا غرو إذا أحدث موته الفجائى فى شهر يونيه سنة ١٩٣٠ خسارة فادحة للعلم والمشتغلين باللغة العربية والتاريخ الاسلامى بوجه خاص .

كذلك أوجه خالص شكرى لحضرة صاحب السعادة عبد الفتاح صبرى باشا وكيل وزارة المعارف الذى يرجع اليه الفضل فى نشر هذا الكتاب ، وإلى حضرة الأستاذ الدكتور أحمد ضيف وحضرة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار لتفضلهما بقراءته ، وحضرة الأستاذ حسن المواري أمين دار الآثار العربية لما قدمه من المساعدة فى اختيار ووصف صور الكتاب .

القاهرة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣١

محتويات الكتاب

صفحة	
ج	تصدير الكتاب
د	كلمة شكر
ك	تحليل الكتاب
ص	مقدمة الكتاب
ث	الملقاء القاطنون مرتبة اسمائهم حسب بلد حكمهم
١	بحث في مصادر الكتاب
٢	١ — المصادر التاريخية التي ألفت في عصر القاطنين
٢	(١) العصر الأول
١٣	(ب) » الأخير
١٥	٢ — عصر الأربعين
١٦	٣ — » الممالك

الباب الأول

حركة الشيعة في قيام الدولة القاطنية

٢١	١ — الدعوة الشيعية في عهد الملقاء الراشدين
٢٧	استيلاء الولايات الاسلامية
٣٠	عقيدة ابن سبأ الشيعية والوعية على
٣١	٢ — الدعوة السرية للهاشميين أمام بني أمية
٣٣	ابن الزبير وابن الحنفية
٣٤	الختار والكوساني
٣٨	٣ — الدعوة السرية للعباسيين أمام بني أمية
٤٣	٤ — » العلويون أمام الدولة العباسية
٤٤	الامامية والاسماعيلية
٤٥	ثورة محمد وأبيهم في الجزائر والعراق
٤٧	٥ — فشل هذه الدعوة في الشرق وانتقالها الى الغرب (شمال افريقية)
٥٠	٦ — الأسباب التي مهدت السبيل لتبليغ الدعوة الشيعية في المغرب
٥٠	(١) البعد عن السلطة المركزية في بتداد
٥١	(ب) جهل البربر وعدم استعدادهم الحضارة الاسلامية في بتداد
٥٢	(ج) بنس الدولة قرضهم الشرابي القاحلة

- ٧ — نجاح هذه الدعوة في شمال افريقية ... ٥٣
- (أ) رحيل أبي عبد الله الشيبلى الى بلاد المغرب ... ٥٣
- (ب) رحيل عبد الله المهدي الى بلاد المغرب ... ٥٧
- (ج) أبو عبد الله ونجاحه في قرويه ... ٥٩
- (د) إطلاق عبد الله من سجنه ... ٦٠
- (هـ) قتله المهدي زمام الحكم ... ٦٠
- (و) أبو عبد الله يلاقى بالآباء أبو مسلم ... ٦١

الباب الثاني

وصول الفاطميين الى مصر

- ١ — من هم الفاطميون ؟ ... ٦٣
- (أ) آراء طائفة من مؤرخي القروية ... ٦٣
- (ب) رأى الطائفتين في حصة النسب ... ٦٥
- تأييد القروس للفاطميين ... ٦٦
- كيف سارع عبد الله بن ميمون في تحقيق أغراضه ؟ ... ٦٧
- (ج) أهوال المجنين لصحة النسب ... ٧٠
- ٢ — أهمية مصر للدعوة الشيعية ... ٨٠
- (أ) موقع مصر الجغرافي بين الشرق والمغرب ... ٨٠
- (ب) صلاح مصر للدعوة الشيعية ... ٨٨
- قولة كافور بحكم مصر ... ٩٢
- حمالة الخنزير الاستيلاء على مصر - على الأهلين دعاة بالقبول ... ٩٤
- الاضطراب والقوضى في عهد كافور ... ٩٥
- مصر بعد وفاة كافور ... ٩٦
- عجز بغداد عن إرسال الجيوش ... ٩٧
- (١) الهجوم على بغداد من الشرق ... ٩٧
- (٢) إعادة البيزنطيين على الولايات الباسية ويقيمهم بها ... ٩٩
- هجرة الإغريق القرات ... ١٠١
- ٣ — الأحوال التي ساعدت على استقرار سلطان الفاطميين في مصر وفي الشرق عقب غزوهم مصر ... ١٠١
- إعداد الخزانة لفتح مصر ... ١٠١

١٠٤	اختيار مصر مقر الدعوة الشيعية لوفرة ثروتها وقربها من الأصوات الإسلامية
١٠٥	رحيل جومر الى مصر
١١١	تأسيس القاهرة
١١٢	استقرار سلطان القاطنين في الشام والحجاز
١١٤	رحيل الخزالي مصر

الباب الثالث

تنظيم الدعوة القاطنية في مصر : الحقبة الثانية

١١٧	شطوط القاطنين لشردعهم
١١٩	١ — الدعوة القاطنية في المساجد
١١٩	(أ) الدعوة القاطنية في الجامع العتيق
١٢٣	(ب) » في جامع ابن طولون
١٢٤	(ج) » في الجامع الأزهر
١٢٩	(د) » في المساجد الأخرى
١٢٩	(١) في مسجد الحاكم
١٣٠	(٢) في جامع راشدة
١٣٠	(٣) » في القصر
١٣٣	٢ — الدعوة القاطنية في مكتبة قصر
١٣٧	دار العلم
١٤٢	العالم القاطنية في القصر

الباب الرابع

الحياة الأدبية

١٥٠	تجميع الشعراء والعلماء والكتاب بالصلوات والمناصب
١٥١	١ — الكتاب والعلماء
١٥٢	٢ — الشعراء
١٥٢	(أ) الشعراء في العهد الأول من عهد القاطنين (٣٦٢-٤٤٦٦-٩٧٢-١٠٧٣ م)
١٥٢	(١) للشعراء في عهد المر ٣٤١-٣٦٥ (٩٥٢-٩٧٥ م)
١٥٧	(٢) » » في عهد الحاكم ٣٦٥-٤١١ (٩٧٥-١٠٢١ م)
١٦٠	(٣) » » في الظاهر ٤١١-٤٢٧ (١٠٢١-١٠٣٥ م)
١٦٧	(ب) الشعراء في النبط الأخر من أيام القاطنين ٤٦٦-٥٦٧ (١٠٧٣-١١٤٧ م)
١٦٤	(١) الشعراء بين ٤٨٦-٥٤٩ (١٠٩٣-١١٥٤ م)
١٦٩	(٢) » » ٥٤٩-٥٦٧ (١١٥٤-١١٧١ م)
١٧٤	عمارة عتيق

(ج)

الباب الخامس

الحماية السياسية

صفحة	
١٧٩	استاد المناصب إلى المنتسبين خاصة - عمل القاطنين على حل المصريين على احتياق المنصب القاطنى
١٨١	١ - استاد المناصب العالية لقتبيين
١٨٣	٢ - حيازة التفرج
١٨٤	٣ - الوزير
١٨٥	٤ - حالة مصر الداخلية
١٨٨	٥ - لاقى القضاء
١٩٠	٦ - تنازل قوذ القاضى
١٩٣	٧ - قانون الوراثة في عهد القاطنين

الباب السادس

سياسة القاطنين المصريين

١٩٩	١ - سياسة القاطنين المصريين والصارى واليهود
٢١٨	٢ - > > مع أهل السنة
٢٢٥	٣ - > > مع المصريين خاصة

الباب السابع

ثروة مصر - صلات الخلفاء

٢٣٣	١ - صادر ثروة مصر
٢٣٤	٢ - عرش الخلفاء القاطنين
٢٣٤	٣ - حبة جوهر لفر
٢٣٥	٤ - الكسوة التي عليها المعز الكلمة
٢٣٦	٥ - حاد الوزير ابن كلس وثروة
٢٤٠	٦ - ثروة الوزراء في العهد الأخير من أيام القاطنين
٢٤٤	٧ - ثروة الخلفاء القاطنين ورسومهم
٢٤٥	(أ) جامع القراة
٢٤٧	(ب) الثروة التي خلفها الحاكم
٢٤٨	(ج) زيارة قاضى غسر مصر
٢٤٩	(د) جبر الخليج
٢٥١	(هـ) القاضى التي كان يحوزها الخلفاء القاطنين في عهد المستنصر
٢٥٣	(و) القاضى التي كان يحوزها المستنصر

(ط)

٢٦٠	٨	حيات المساجد والمكاتب
٢٦٠		(أ) حيات المساجد
٢٦١		(ب) » المكاتب
٢٦٢	٩	حيات انطلاقا...

الباب الثامن

مظاهر الأبهة والجلال للخطبة في صلاة الجمعة والأعياد والولائم

٢٦٩	١	قاعة القعب وعيسى الملك
٢٧١	٢	المنظر وبالي الوتود
٢٧٣	٣	توديع الحملات الحربية
٢٧٣	٤	العقائد الفاطمية
٢٧٧	٥	دعوى الحاكم الأيوبي
٢٧٩	٦	سياسة الفاطميين الدينية في عهد الأمر
٢٨١	٧	صلاة الجمعة
٢٨٤	٨	الأعياد والولائم
٢٨٤		(أ) الأعياد
٢٨٦		(ب) الولائم
٢٨٦	٩	مطاط العيدين
٢٨٦		(أ) عيد القطر
٢٨٨		(ب) » الأضحية
٢٨٩	١٠	الأضحية الأخرى

الباب التاسع

سقوط الفاطميين وأسبابه

٢٩٢	١	حالة مصر عند عزل رضوان الى مقتل ابن التلاز
٢٩٧	٢	مقتل الخليفة الناصر
٣٠١	٣	حالة شيكو الأول على مصر
٣٠٣	٤	» الثانية »
٣٠٥	٥	» الثالثة »
٣٠٧	٦	مقتل شاور وثقه شيكو الوزارة

٣٠٨	٧ — صلاح الدين وسقوط القاطمين
٣٠٩	(أ) غزو الفرنجة مصر
٣١٠	(ب) غزو صلاح الدين مملكة الفرنجة في فلسطين
٣١١	(ج) حلف أمم الخليفة القاطم من الخليفة - وفاة المعتمد وسقوط القاطمين

الباب العاشر

الخاتمة

٣١٣	مقدار نجاح أعمال القاطمين السياسية والدينية
٣١٧	مصادر الكتاب

فهارس الكتاب

١ — الأعلام :

٣٣١	(أ) أسماء الرجال
٣٤٣	(ب) أسماء النساء
٣٤٤	٢ — الأماكن
٣٤٩	٣ — المصادر
٣٥٣	٤ — النبات والحيوان والمعادن - ويشمل الكلمات التي تدل على حوادث تاريخية عامة
٣٥٩	٥ — الآيات القرآنية
٣٦٠	٦ — الشرائع التاريخية
٣٦١	٧ — الصور
٣٦٣	ذيل بوصف صور الكتاب

الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص

تحليل الكتاب

الباب الاول :

بحث في تاريخ الدعوة الشيعية إلى قيام الدولة الفاطمية في شمال إفريقية : ابتداء الدعوة الشيعية في خلافة عثمان بن عفان ، ومتابعة انتشارها أيام الدولة الأموية ، وتحويل حق الإمامة من العلويين إلى العباسيين ، وما كان هنالك من العداء المشترك بين هؤلاء وأولئك بسبب قيام الدولة العباسية ، فشل الدعوة الشيعية وعجزها عن تأسيس إمبراطورية مستقلة للمسلمين في الشرق . إنتقال هذه الدعوة إلى الغرب (شمال إفريقية) ، والأسباب التي أدت إلى نجاحها في هذه البلاد . كلمة موجزة عن الفتح التي قام بها أبو عبد الله الشيعي في شمال إفريقية حتى تأسيس الخلافة الفاطمية .

الباب الثاني :

بحث في نسب الفاطميين ، أهمية مصر لفاطميين باعتبارها ميدانا للشرعائير المذهب الفاطمي ، متوخين في ذلك الكلام على النقط الآتية :

(أ) مركز مصر الجغرافي بين الشرق الذي فشلت فيه الدعوة الشيعية ، والغرب الذي نجحت فيه هذه الدعوة في تكوين إمبراطورية مستقلة .

(ب) ثروة مصر وهندوء الأمر فيها ، مع فقر غيرها من الولايات الإسلامية في الشرق ، واضطراب أمورها .

(ج) الأحوال التي ساعدت على استقرار سلطان الفاطميين في مصر وفي الشرق عقب غزومهم لمصر .

(د) ولأجل هذا عني الفاطميون عناية خاصة يجعل مصر موطن الدعوة الشيعية بدلا من إفريقية الشمالية .

الباب الثالث :

الدعاية العلمية : الفاطميون وتنظم الدعوة الشيعية - الدينية والسياسية - في المساجد والمكاتب ، حتى أصبح قصر الخليفة الفاطمي مركزا لهذه الدعوة التي قامت تحت إشراف داعي الدعاة وتابعيه من الدعاة ، يؤيد في ذلك الخلفاء الفاطميون أنفسهم .

الباب الرابع :

الدعاية الأدبية : الدور الذي لعبه الشعراء والكتاب والعلماء في نشر الدعوة الفاطمية ، وتأثير العطايا التي كان يحزها الخلفاء الفاطميون ووزرائهم وغيرهم من رجال دولتهم في نفوس العلماء وبخاصة الشعراء . وسفر لكل عصر من عصور الخلفاء الفاطميين بابا خاصا ، ثم نتناول الكلام على كل باب من هذه الأبواب تفصيلا .

الباب الخامس :

الدعاية السياسية : قصر أمور الولاية على المتشيعين ، الطرق التي سار عليها الفاطميون لتحويل المصريين إلى المذهب الفاطمي ، فشل هذه الدعوة المحتوم ، وعلى الأخص في بداية حكم الفاطميين ، زوال معالم المذهب السني وتحاليله تدريجيا . قانون الوراثة في عهد الفاطميين .

الباب السادس :

سياسة الفاطميين المصريين :

(أ) سياسة الفاطميين مع النصارى واليهود .

(ب) سياسة الفاطميين مع أهل السنة ، تحول طائفة الموظفين المصريين إلى المذهب الفاطمي ، حتى لقد آتت رغبة الناس في الحصول على المناصب وخوفهم من القوانين الجائرة التي سنّها الفاطميون ضد غير الشيعيين إلى تحول بعض أهل السنة وجماعة من غير المسلمين إلى المذهب الفاطمي .

(ج) سياسة الفاطميين مع الأهلين عامة .

الباب السابع :

ثروة مصر ، صلات الخلفاء : مصادر ثروة مصر ، مرور الخلفاء الفاطميين ، هدية جوهري للظيفة المزم ، كسوة الكعبة ، وصف قصر الوزير ابن بكس ومقدار الثروة التي خلفها (باعتبارها مثلاً من أمثلة الوزراء في الصدر الأول من أيام الفاطميين) . الدور الذي لعبه الوزراء في الأعمال السياسية والدينية زمن الفاطميين . وصف الثروة التي خلفها الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (باعتبارها مثلاً من أمثلة الوزراء في العهد الأخير من أيام الفاطميين) . وصف ثروة الخلفاء الفاطميين وما تمتعت به البلاد في عهدهم من يسر ورخاء : مسجد القروافة ، الثروة التي خلفها الخليفة الحاكم ، ناصري خسرو ووصفه رخاء مصر في عهد الفاطميين ، ناصري خسرو ووصف الاحتفال بوفاء النيل في عهد الخليفة المستنصر ، ممتلكات الخلفاء الفاطميين ، ممتلكات المستنصر ، ممتلكات العاضد آخر الخلفاء الفاطميين ، هبات الخلفاء للمساجد ودور الكتب ، عطايهم لكبار رجال الدولة .

الباب الثامن :

مظاهر الأبهة والجلال لخليفة الفاطمي في صلاة الجمعة والأعياد والولائم . علامات الإكبار نحو الخلفاء ، ما كان يحاط به شخص الخليفة من مظاهر العظمة والإكبار إذا ما تصدر مجلس الدولة أو جلس في منظرته . عقائد المذهب الفاطمي ، وما كان من ادعاء الخلفاء الإحاطة ببعض صفات الله ، أو بأن الطبيعة الإلهية قد حلت فيهم . صلاة الجمعة . كلمة عن مظاهر الجلال التي كانت تحيط بالخلفاء وميلهم إلى الجود والكرم رغبة في جذب الناس إلى اعتناق مذهبهم . الاحتفال بأعياد الدولة والاشادة بذكرها بأقامة الولائم الفخافة ، وإجرائ المسابقات من الملابس والمال والطعام .

الباب التاسع :

سقوط الدولة الفاطمية وأسبابه : وصف مجمل لمركز مصر في عهد الخلفيتين الأخيرين من خلفاء الفاطميين ، بحث في الأحوال التي أدت إلى تدخل نور الدين والصلبيين في أمور مصر الداخلية ، وما تبع ذلك من تأسيس الدولة الأيوبية .

الباب العاشر :

مقدار نجاح الدعوة الفاطمية — السياسية والدينية — في مصر والشرق . كيف أدت هذه السياسة إلى إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي في بغداد .

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد تناولت في بحثي هذا وعنوانه :

الفاطيون في مصر ، وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص

The Fatimids in Egypt, considered chiefly
in connection with their Politico-Religious Activities

الأعمال التي قامت بها هذه الأسرة لنشر فروع الشيعة من هذه النواحي وهي : تنظيم الطقوس الدينية ، وإمداد دور الكتب الشعبية بوسائل التشجيع والتعزيد ، ونشر تعاليم الفاطميين ، ونصرة من في جانبهم من الشعراء والعلماء ، وما أدخلوه من الأنظمة في دور الحكومة ، والقوانين الشرعية ، وكذلك الأموال التي بذلوها للمساجد ودور الكتب ، ومدد الأمثلة ، بصورة تتطوى على شيء غير قليل من الإسراف والتبذير .

وليس هناك — فيما أعلم — تاريخ خاص بتعاليم الشيعة — هذه التعاليم التي قامت على يد الفاطميين في مصر — لا في العربية ، ولا في غيرها من اللغات . ومع أن هناك شواهد لذلك في كتب التاريخ العام ، فلم يحاول أحد من المؤرخين أن يبين لنا الأمور الآتية :

أولاً — كيف قام الفاطميون بتأسيس دهرتهم وتنظيمها ، وتعهدها نشرها في المساجد ودور الكتب وفي القصور ؟

ثانياً — كيف ساعدوا على نشر هذه الدعوة بتشجيعهم الشعراء والعلماء والكتاب ، باستاد مناصب الدولة إليهم وإعزال المطايا لهم ؟

ثالثاً — كيف كانت إدارة الشؤون العامة يهد بها للتشجيع خاصة ، ويفصل في جميع القضايا طبقاً لأحكام مذهب الشيعة ؟

رابعاً — كيف ساعدت ثروة مصر الخلفاء الفاطميين على اكتساب عاطفة الأهلين ، بفضل هذه الصلات والمطايا التي كانوا ينفقونها عليهم : من ملابس ومطعم وأموال توزع عليهم ، على ما جرت به العادة في ذلك العصر .

(ع)

كل هذه مسائل لم يتناولها أحد بالبحث ، ولم تجمع في كتاب واحد .

قال رينى ديسو (René Dussaud) في كتابه " تاريخ النصيرية ومذهبهم الديني " (1) (Histoire et Religion des Nosairis) : " كان عهد الفاطميين عهد رخاء لمصر ، كما كان عهد تساع ديني لم يمثله الا في القليل من عصور التاريخ الاسلامي " .

ولقد اخترت هذا العصر من عصور تاريخ مصر ، لأثبت بالدليل القاطع ما تتنازبه مظاهر العهد الفاطمي في مصر . ولتحقيق الغاية المرجوة من هذا البحث ، أجهدت نفسي في مراجعة المواد المتعددة التي بها استطعت أن أوضح بعض المسائل النامضة ، بفضل هذه المادة الغزيرة التي اهتمت اليها ، ولم تتناولها يد الطباعة بعد . يضاف الى ذلك ما وصلت اليه من المعلومات التي استقيتها من المصادر الأصلية الأخرى : تلك المصادر التي ظهرت في عالم الكتابة منذ عهد قريب .

الباب الأول :

ويتناول الكلام على تاريخ الدعوة الشيعية الى قيام الخلافة الفاطمية وتأسيسها في شمال افريقية . وقد استعنت على بحثه بشيء غير قليل من الكتب التي لم تطبع بعد ، والتي توجد في تآليف ابن المرزقي لدين الله أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ - ٩٣٧ م) ، ويحيى بن الحسين المتوفى سنة ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) ، وشرف الدين الحنوي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) ، وفي كتاب " المغنى الكبير " لثقي الدين المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) . هذا صدى المصادر الأخرى المطبوعة .

الباب الثاني :

ويبحث عن نسب الفاطميين ، وعن أهمية مصر لهم لنشر عقائد مذهبهم . وقد عالجت هذا الموضوع ، مستعينة بالمعلومات التي أوردها ثقي الدين المقرئ في كتابه " أتماع الحنفا بأخبار الخلفاء " ، وفي " التاريخ الكبير " . كما أتتني حصلت على فوائد تذكر من غير هذين المصدرين من كثير من المصادر الهامة ، من أمثال ما كتبه أوتيتا (أويحيى بن البطريق المتوفى سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) ، وأبي عمر الكتندى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) ، وعريب بن سعيد القرطبي المتوفى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ - ٩٧٧ م) ، ومسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣١ م) ، وابن سعيد المتوفى سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٥ م) .

(1) (Fuchs, 1900, p. 42.)

(ف)

الباب الثالث :

ويبحث عن تاريخ الدعوة الفاطمية — السياسية والدينية — في الماسجد والمكتب وفي القصر .
ولهذه الرسائل التي يطلق عليها "رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بأمر دعوته" أهمية خاصة في بحث
هذا الموضوع . هذا ، وإن تلك المعلومات التي أمدنا بها المقرئى ودى ساسى (De Sacy) لا تقل
أهمية عما جاء في "رسائل الحاكم بأمر الله ... الخ" .

الباب الرابع :

ويناول الكلام على أثر الشعراء والكاتب والعلماء في نشر الدعوة الفاطمية ، والعطايا التي
كان ييئها الخلفاء في نفوس هؤلاء الكُتاب . وقد استعنت ببعض المباحث التي لم تنشر بعد
عن شعراء مصر في عهد الفاطميين ، والتي وردت في كتاب "تريدة القصر" لمعاد الدين الأصفهاني
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠١ م) . بيد أن ما كتبه الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ،
وأبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) ، وعمرارة النجى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) ،
وياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢١ م) ، وابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨١ م) :
ليس أقل شأنًا مما كتبه عماد الدين الأصفهاني في هذا الموضوع .

الباب الخامس :

وفيه نوضح بالدليل كيف كانت أمور الدولة تُحصر على المتشيعين . وانتفعت في بحثه بشئ كثير
من المباحث التي في مخطوطات ابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) ، والقضاى المتوفى
سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) ، والمقرئى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) ، وابن حجر العسقلانى المتوفى
سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) . ولقد استطعت بفضل هذه المباحث أن أوضح بعض المسائل ، كحالة
أهل السنة بالنسبة الى المتشيعين ، والفصل في القضايا وما يتعلق منها بقانون الوراثة في العهد
الفاطمى وفق نظام منذهب الشيعة .

الباب السادس :

وقد تصديت فيه للكلام على "سياحة الفاطميين للصيرين" . وحصلت في استقصائه على
آراء جديدة مستمدة من مؤلفات ابن زولاق ، والنهجى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ — ١٣٤٨ م) ،
ولاسميا ما يتعلق بهذا الباب من الاحتفال بعيد "النفطاس" ، وما كان من لبن الصبابة على المنابر
في أيام الجمع ، وما أحله الفاطميون بمن يذكر اسم صحابي من الصبابة ، وما حدث في عهد
الحاكم من تحريم الخروج على النساء .

الباب السابع :

وفيه بحث عن ثروة مصر ، تلك الثروة التي أعانت الخلفاء الفاطميين على أن يعطوا عطاء من لا يخشى فقرا ، لاكتساب عاطفة الناس ومودتهم . ولقد أمدتني هذه المعلومات التي دونتها الذهبي ولم تظهر في عالم النشر بعد ، بصحيفة دون فيها شوارد الأشياء التي اشتملت عليها هدية صلاح الدين الأيوبي لمتبوعه نور الدين . ومن هذه الصحيفة نقبين مقدار الثروة التي خلفها العاضد آخر الخلفاء الفاطميين . وهي بهذا الاعتبار أشبه بهاتين الصحيفتين اللتين دونهما ابن ميسر والمقرئ عن الثروة التي خلفها اثنان من الخلفاء الفاطميين غير العاضد .

الباب الثامن :

وموضوعه "مظاهر الأبهة والجلال للخليفة في صلاة الجمعة والأعياد والولائم" . وقد أمدتني الكتب التي ألّفها ابن زولا ، والرسائل المسماة "رسائل الحاكم بأمر الله" ، وكذا ما كتبه القضاعي وابن الجوزي والذهبي بمادة جديدة استعنت بها فيما كتبه عن عقائد مذهب الفاطميين . وإننا نقين من استقصاء هذه المصادر ، كيف أن الشعراء المتشيعين نسبوا الى الخلفاء الفاطميين منذ تأسيس دولتهم القوى التي فوق الطبيعة ، تلك القوى التي لا تكون الا لله جلت قدرته . وقد بقي هذا الاعتقاد الى عهد الخليفة المعز . ثم جاء حفيده الحاكم فاشتط فيه . وقد أمدنا المقرئ في كتابه "المقفي الكبير" بمعلومات طريفة عن السباط الذي كان يقام في عيد الفطر وعيد الأضحى .

الباب التاسع :

وفيه بحث مستفيض للأحوال التي حلت بنور الدين والصليبيين الى التدخل في أمور مصر الداخلية ، وللاسباب التي أدت الى سقوط الدولة الفاطمية . ولقد استعنت في هذا البحث بما كتبه ابن الجوزي والذهبي ، كما اننى استعنت بما جاء في هذه المصادر الهامة ، من أمثال المؤلفات التي خلفها لنا عمارة ابنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) ، وأسامة بن مقصد المتوفى سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) ، وأبو صالح الأرميني المتوفى سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م) ، وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) وابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، وأبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ - ١٢٦٧ م) .

(د)

الباب العاشر :

وعنوانه " مقدار نجاح أعمال الفاطميين السياسية والدينية " . وهو بيان موجز للنتائج التي احدثت اليها في هذا البحث . والفرض منه الوقوف على ما كان يرى اليه الفاطميون من أعمالهم السياسية والدينية .

ولكى تكون هذه الرسالة طريقة في الموضوع الذي نحن بصدد الكلام عليه ، قمت ببحوث جمة بغية الاهتداء الى كشف حقائق طريقة في مادة التاريخ ، متوخيا في ذلك طريقة النقد البعيد عن الأغراض . فدرست كثيرا من مخطوطات المتحف البريطاني بلندن ، والمكتبة الأهلية بباريس ، والمكتبة الملكية بالقاهرة ، والمكاتب الملحقة بجامعة برلين ولندن (في هولنده) و أكسفورد .

وكان من أثر هذا البحث والاستقراء ، أن أتبع قل مقدار غير قليل من مسائل التاريخ أدمجته في هذه الرسالة . على أن هذا القدر ليس إلا قليلا من كثير مما نسخته من المخطوطات الكثيرة ؛ لأن بعض هذه المخطوطات لم يمدني إلا بالتزوير اليسير الذي يمكن أن نسميه جديدا .

هذا ما قمت به من بحث واستقصاء للصادر الأصلية التي لا توجد إلا مخطوطة . أما عن غير هذه من المصادر المطبوعة ، فيحسن بي أن أشير الى ما طبع منها حديثا ، ولم ينل بعد كل عناية المؤرخين . أذكر من هذه " ديوان ابن هاني الأتلمسي " المتوفى سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) ، وكتاب " الإشارة الى من نال الوزارة " (طبع سنة ١٩١٩) لابن منجب الصيرفي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) ، و " تاريخ مصر " (طبع سنة ١٩٢٣) لابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧ هـ (١٢٧٨ م) ، و " اعطاء الحقا بأخبار الخلفاء " (طبع سنة ١٩٠٨) لثقي الدين المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) .

أما مؤلفا الكتابين الأول والثاني فكانا ، على ما سنوضحه بعد ، من الكلاب المعاصرين للدولة الفاطمية . ولقد كان كل من ابن ميسر الذي مات بعد سقوط الفاطميين سنة ٥٧٧ هـ (١١٧١ م) بمائة وعشرين سنة ، والمقرئ الذي مات بعد ابن ميسر بنحو قرنت ونصف قرن حجة دامغة في هذا الموضوع . يضاف الى ما تقدم أن المقرئ نفسه كان شييا متحمسا للمذهب الشيعي ، كما أنه كان ينسب الى الفاطميين ؛ وقد وصل الى يده عدد غير قليل من كتب ألفها بعض الكلاب المعاصرين للفاطميين أنفسهم .

(د)

أما عن الكتب المحدثين الذين كتبوا عن العصر الفاطمي ، فيجب أن نذكر كتب دى ساسي (De Sacy) وكترير (Quatremère) ووستنفلد (Wiistenfeld) ودى غويه (De Goeje) وستانلي (Stanley Lane-Poole) وأوليري (O'Leary) .

ولقد أمدنى دى ساسي في كتابه المسمى "استعراض لديانة الدروز" (Exposé de la Religion des Druzes) الذى صدره بمقدمة عن حياة الخليفة الحاكم ، وكتاب المسمى "مذكرات لغوية عن العرب" (Uhistomathie Arabe) بشروح مستوفاة للنصوص الخاصة بمذهب الدروز ، سهلت على الموضوع الذى تمت بحثه عن القصر واتخاذه مركزاً للأعمال السياسية والدينية التى قامت على يد الفاطميين ، ذلك الموضوع الذى بنيت على أساس كتاب "رسائل الحاكم بأمر الله" .

أما كتاب وستنفلد المسمى "تاريخ الخلفاء الفاطميين" (Geschichte der Fatimiden - Khalifen) ، وهو أول ما كتب من المؤلفات الحديثة عن الفاطميين ، وما كتبه كترير في المجلة الآسيوية الفرنسية في أغسطس سنة ١٨٣٦ (Journal Asiatique, Août, 1836) ، تحت عنوان "مذكرات تاريخية عن أسرة الخلفاء الفاطميين" (Mémoires historiques sur la dynastie des Khalifes Fatimites) ، حيث تناول هذا الكتاب الكلام على أصل الفاطميين ، وكذا كتاب دى غويه المسمى "مذكرات عن قرامطة البحرين والفاطميين" (Mémoire sur les Charmates du Bahrain et les Fatimides) ، وقد اعتمد مؤلفه على مصادر عديدة ، وإن كان قد اقتصر في كلامه على الأسرة التى نشأ عنها الفاطميون من حيث اتصالهم في النسب بالقرامطة — كل هذه الكتب مصادر تاريخية لا شك في أنها تسهل على الباحثين البحث في تاريخ الفاطميين .

والآن نأخذ في الكلام على ما كتب بالانجليزية عن تاريخ الفاطميين فأقول : إن هذه البهارات التى أوردها ستانلي لين پول في كتبه "تاريخ مصر في العصور الوسطى" (A History of Egypt in the Middle Ages) و"سيرة القاهرة" (The Story of Cairo) و"صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس" (Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem) ، وإن كانت قد كتبت بأسلوب مؤثر رائع ، فإنه مما يجب ملاحظته أن هذا المؤرخ قد استقى معلوماته من مصادر قليل عددها ، من أمثال ما كتبه أبو صالح الأرمي ، وابن الأثير والمقرئ في الخطط .

(ش)

هنا فضلا عن أن بعض ما في كتب لين بول ذكر في بعض الكتب الأخرى . ومع ذلك ، فإن ما كتبه هذا المؤرخ لا يتعرض إلا لعدد قليل من المسائل التي تناولتها بالبحث ، وليس له صلة بغير البابين السابع والتاسع . وقد آتحت لي الفرصة فأدجبت معلومات أكثر تفصيلا استقيتها من مصادر يلوح لي أن ستانلي لين بول لم يكن له بها علم .

ولا يفوتني أن أذكر كتاب "مختصر تاريخ الدولة الفاطمية" (A Short History of the Fatimid Khalifate) للدكتور دى ليمى أوليرى (Do Lucy O'Leary) . طبع هذا الكتاب في سنة ١٩٢٣ ؛ ولم يزد فيه مؤلفه شيئا جديدا على ما كتبه من سبقه من الباحثين في تاريخ الشرق في المصور الوسطى . ذلك أن عدم معرفة الدكتور أوليرى العربية معرفة صحيحة قد وقف عقبة في سبيل دراسته للمصادر العربية دراسة واقية ، مما جرّه إلى الوقوع في أغلاط لا تدخل تحت حصر . يضاف إلى ذلك أنه لم يقف على ما كتبه بعض المعاصرين للفاطميين ، من أمثال ابن منجب الصيرفي ، وعماد الدين الأصفهاني ، وابن ميسر ، ولا على ما خلقه لنا المقرئ في كتاب "أناضل الحفا" .

وعلى الجملة ، فإن بحث هذا الكتاب الذي يتناول فيه مؤلفه الكلام على تاريخ الفاطميين بحثا دقيقا ، يوصلنا إلى غاية واحدة : هي أنه يحتوي على الحوادث التاريخية الخاصة بالظلاء الفاطميين في شمال إفريقية ومصر ، تلك الحوادث التي أخذها إما عما ترجم من الكتب العربية ، أو عن المصادر العربية التي اعتمد عليها دى سامى وستانلي لين بول وغيرهما ، أو مباشرة عن بعض الكتب العربية التي لم يوفق إلى بحثها بحثا كاملا .

وقد قدمت رسالة تستعمل على الأبواب الأربعة الأولى من هذا الكتاب لامتحان درجة الدكتوراه في الفلسفة قسم التاريخ الإسلامى (Doctor of Philosophy in History) بجامعة لندن ؛ وقدمت هذا الكتاب ، بما فيه هذه الرسالة ، بعد أن قمت بتهديب بعض موضوعاتها وأدجبت فيها معلومات أخذتها عن كتب الخوارزمي (أو الخوارزمي) والتونسي والمحماني ومسكويه ، وكتاب "المقفى الكبير" ، وكذا عن الكتب الخطية التي ألفها الشافعي والنهجي وابن الجوزي ، في مكاتب برلين وأكسفورد ، وقدمته لدرجة الدكتوراه في الآداب قسم التاريخ الإسلامى (Doctor of Literature) بالجامعة المذكورة .

(ت)

الخلفاء الفاطميون

مرتبة أسماؤهم حسب مدة حكمهم

- (١) المهدي : عبيد الله أبو محمد ، (٢٩٧-٣٢٢ هـ و ٩٠٩-٩٣٤ م)
- (٢) القائم : محمد أبو القاسم ، (٣٢٢-٣٣٤ هـ و ٩٣٤-٩٤٥ م)
- (٣) المنصور : اسماعيل أبو طاهر ، (٣٣٤-٣٤١ هـ و ٩٤٥-٩٥٢ م)
- (٤) المعز : محمد أبو تميم ، (٣٤١-٣٦٥ هـ و ٩٥٢-٩٧٥ م)
- (٥) العزيز : نزار أبو منصور ، (٣٦٥-٣٨٦ هـ و ٩٧٥-٩٩٦ م)
- (٦) الحاكم : المنصور أبو علي ، (٣٨٦-٤١١ هـ و ٩٩٦-١٠٢٠ م)
- (٧) الظاهر : علي أبو الحسن ، (٤١١-٤٢٧ هـ و ١٠٢٠-١٠٣٥ م)
- (٨) المستنصر : محمد أبو تميم ، (٤٢٧-٤٨٧ هـ و ١٠٣٥-١٠٩٤ م)
- (٩) المستمل : أحمد أبو القاسم ، (٤٨٧-٤٩٥ هـ و ١٠٩٤-١١٠١ م)
- (١٠) الأمر : المنصور أبو علي ، (٤٩٥-٥٢٤ هـ و ١١٠١-١١٣٠ م)
- (١١) الخافض : عبد المجيد أبو الميمون ، (٥٢٤-٥٤٤ هـ و ١١٣٠-١١٤٩ م)
- (١٢) الظافر : اسماعيل أبو المنصور ، (٥٤٤-٥٤٩ هـ و ١١٤٩-١١٥٤ م)
- (١٣) الفائز : عيسى أبو القاسم ، (٥٤٩-٥٥٥ هـ و ١١٥٤-١١٦٠ م)
- (١٤) الماضد : عبيد الله أبو محمد ، (٥٥٥-٥٦٧ هـ و ١١٦٠-١١٧١ م)

بحث في مصادر الكتاب

أرى من الواجب أن تدرس أولاً عند بحث تاريخ الفاطميين ، ابتداء الدعوة الشيعية وتطورها قبل أن يظهر الفاطميون في عالم التاريخ .

وقد بنى القمم التمهيدى من رسالتى التى يبحث فى الدعوة الشيعية حتى قيام الحكم الفاطمى فى القيروان على المصادر الآتية : ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م)^(١) ، الذى أخذ عن ابن اسحق المتوفى سنة ١٥١ هـ (٧٦٨ م)^(٢) ، وابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) فى "الطبقات الكبير" ، واليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥ م) فى تاريخه المسمى "تاريخ اليعقوبى" وفى "كتاب البلدان" ، والدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ أو ٢٩٠ هـ (٨٩٥ أو ٩٠٣ م)^(٣) فى كتابه "الأخبار الطوال" ، والطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م)^(٤) فى "تاريخ الأمم والملوك" ، والمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م)^(٥) فى كتابيه "مروج الذهب" و"التلخيص والإشراف" . ومؤلفات الطبرى والمسعودى من أقدم وأفضل المصادر التى تكلمت عن تاريخ العالم باللغة العربية^(٦) .

"والثنية والأمل" مكتبة المتحف البريطانى ، القمم الشرق ٣٧٧٢ ، لأحمد بن يحيى (بن المرتضى المتوفى سنة ٣٢٥ هـ ، ٩٣٦-٩٣٧ م) ؛ والقسم الأول من هذا الكتاب المسمى "غايات الإنكار" مكتبة المتحف البريطانى ، القسم الشرق ٣٩٣٧ تاريخ مفصل للمذهب الزيدية . وهو شرح منبع

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٢٦٥) وساجى خليفة رقم ٧٣٠٨ ومستفاد (Wüstenfeld : Die Geschichtsschreiber der Araber und ihre Werke, No. 48)

(٢) هذا التاريخ ذكره ساجى خليفة تحت رقم ٧٣٠٨ ، ومستفاد (Gesch. der Araber, No. 28) . ولكن ابن النديم فى "الفهرست" (ج ١ ص ٩٢) قد ذكر سنة ١٥٠ هـ ، فى حين أن ياقوت فى كتابه "إرشاد الأديب" (ج ١ ص ٩٩) قد أتى بهذه السنين ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ .

(٣) ابن النديم فى "الفهرست" (ج ١ ص ٧٨) ، ومستفاد (Gesch. der Araber, No. 79) .

(٤) أورد ابن النديم فى "الفهرست" (ج ١ ص ٢٢) أن الطبرى توفى فى شوال سنة ٢١٠ هـ ، وذكر ياقوت فى "الإرشاد" (ج ١ ص ٥٧٨) أن هذه الرواية كانت فى ٢٦ شوال . وقد أورد ياقوت فى أماكن أخرى (ج ١ ص ٤٢٧ ، ص ٤٦٢) تواريخ عدة : ٢٦ شوال سنة ٣١٠ هـ ، وسنى ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٦ هـ . يده يأخذ بالتاريخ الأول على ما يظهر . انظر مستفاد (Gesch. der Araber, No. 94) .

(٥) ذكر أبو الحسن قلا عن المسجى (طبعة Jaynaboli) (ج ٢ ص ٣٤٢) ، جمادى الآخرة سنة ٣٤٥ هـ على أن الكتبى (ج ٢ ص ٥٧) ذكر أنه توفى سنة ٣٤٦ هـ .

(٦) انظر (Nicholson : Literary History of the Arabs, p. 472) .

لتاريخ المذهب الشيعي، وخاصة لما ورد في هذا الكتاب عن الأحاديث التي نسبت إلى النبي - عن إمامة علي بعده . ولسوء الحظ أن أحمد بن يحيى وغيره من كتاب تاريخ الشيعة على المذهب الزيدي ، وغيرهم ممن عاش في عصرهم أو جاء بعد زوال دولتهم ، لم يمتنعوا بذكر شيء عن الطائفة الاسماعيلية ، اللهم إلا أخو عمن الذي عاش في القرن الرابع للهجرة ، والذي تعرض لنفي صحة نسب الفاطميين إلى علي وفاطمة . على أننا لا نجد الآن من كتابه شيئاً إلا هذه الشذرات التي نقلها النويري المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) والمقريري المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) .

١ - المصادر التاريخية التي ألقت في عصر الفاطميين

تنقسم هذه المصادر التي وصلت إلى أيدينا إلى قسمين بالنسبة إلى العصر الفاطمي الذي كتبت فيه :

(١) في الصدر الأول من أيام الفاطميين في مصر : أعني من سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) إلى نحو سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) .

(ب) في أواخر أيام الفاطميين : أي من سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) إلى نحو سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) .

(١) العصر الأول

من الكتب التي كتبها مؤلفوها في العصر الفاطمي كتاب "الإفادة في تاريخ الأئمة السادة" ليحيى بن الحسين المتوفى سنة ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) ، من سلالة زيد بن علي ، الذي أتى فيه يبحث مسبب عن مذهب الزيدية (مكتبة الجامعة بليدن ، مخطوط ١٩٤٧) .

ومن المصادر الأخرى التي تناولت الكلام على تاريخ المذاهب الدينية كتاب "الفرق بين الفرق" لأبي منصور عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م)^(١) ، وكتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م)^(٢) ، وكتاب "الملل والنحل"

(١) انظر تاريخ حياة البغدادي في "وفيات الأعيان" لابن خلكان (ج ١ ص ٣٧٥) .

(٢) انظر ياقوت "إرشاد الأريب" (ج ٥ ص ٨٦-٩٧) ، وابن خلكان (ج ١ ص ٤٢٨-٤٣١) ، و"فتح الطب" لقرى (طبعة بروكس سنة ١٨٦٢ م - ج ١ ص ٣٦٤-٣٦٨) ، وروستفيلد (Wüstenfeld, Gesch. der Araber

للشهرستاني^(١) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) ؛ وهي ذات قيمة خاصة بالنسبة إلى تاريخ الشيعة في مبدأ أمرهم وطوائفهم الدينية . وهناك مصادر أخرى ليست بأقل أهمية وإستقاماً مما سبق الكلام عليها ، نخص بالذكر منها كتاب "بحث عن سيادة العرب وعن الشيعة والمعتقدات المسيحية في عهد خلافة بني أمية"^(٢) (Recherches sur la Domination Arabe, le Shitisme et les croyances messianiques sous le Khalifat des Omayyades).
لمؤلفه فان فلوتن (Van Vloten) الذي اعتمد فيه على تاريخ الطبري ، و"تشنع الشيعة" على ماجاء في كتاب "الملل والنحل" لابن حزم ، لاسرائيل فريد ليندر (The Heterodoxies of the Shi'ites in the Presentation of Ibn Hazm, Israel Friedlaender, Journal of the American Oriental Society, vols. XXVIII & XXIX.) وكتاب "الشريعة الإسلامية" للأستاذ جولد زهر I. Goldziher الذي ترجمه إلى الفرنسية المسيو فليكس أران (Félix Arin) بعنوان (Le Dogme et la Loi de l'Islam.)

على أن هناك كتاباً آخر كتبه رجل تقدم البغدادى وابن حزم والشهرستاني ، لا يخاضرنا شك في صحة المعلومات التي أوردناها فيه عن تاريخ الشيعة : وهو كتاب "البده والتاريخ" الذي نسب في وقت ما إلى أبي زيد البلخي ، والذي كشف البحث الآن أن مؤلف هذا الكتاب هو مطهر بن طاهر المقدسي الذي لا يعرف عن حياته إلا شيء قليل ، فیر أنه عاش حول منتصف القرن الرابع الهجري^(٣) .
ولسوء الحظ لم يطبع المسيو هو يار (Huart) من هذا الكتاب إلا النص العربي للأبواب الأحد عشر الأولى من مجموع أبواب هذا الكتاب — وعددها اثنان وعشرون — التي ترجمها إلى الفرنسية . ولم يطبع بعد كل أجزاء هذا المخطوط الموجود الآن بمكتبة القسطنطينية ، والذي يتناول الباب التاسع عشر منه الكلام على تاريخ الفرق الدينية ؛ ومن بينها فرقة الشيعة ؛ ولهذا لم تصل إليه يدى بعد .

ومن بين الكتب الأخرى التي تعرضت للكلام عن هذا العصر كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه^(٤) المتوفى سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) ، وكتاب "الأغانى" لأبي الفرج الأصفهاني^(٥)

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٦١٠ - ٦١١) ، وروستفد (Gesch. der Araber No. 247) ؛ انظر قسطنطين شهرستان في "مسجد البلدان" لياقوت .

(٢) J. R. A. S. vol. XXXVI, 1904, p. 671 - ولا بد أن تكون وفاة تد وقت في سنة ٣٥٥ هـ ، وهي السنة التي آلت فيها كتابه ، أو بعد هذه السنة .

(٣) ياقوت "إرشاد الأديب" (ج ٢ ص ٦٧ - ٧٢) ، وابن خلكان (ج ٢ ص ٣٩ - ٤١) ، وساجي خليفة رقم ٨٢٠ . وروستفد (Gesch. der Araber No. 107)

(٤) ياقوت : إرشاد الأديب (ج ٥ ص ١٤٩ - ١٦٨) .

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) ، و "رسائل" الخوارزمي^(١) المتوفى سنة ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) ، و "رسائل" بديع الزمان الهمداني^(٢) المتوفى سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧-١٠٠٨ م) — وهذه الرسائل تصف لنا العلماء بين السنين والشمسين — وكتاب "الفهرست" لابن النديم^(٣) المتوفى سنة ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) ، و "نُسُور المحاضرة"^(٤) للتونسي^(٥) المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) .

وبالرغم مما لكتاب الفهرست من مكانة عظيمة ، فإن مؤلفه لم يتحرقة البحث في بعض مسائله ، بليل ما كان من نسبته عبارة الشريف أحمى عمن إلى ابن رزاق . وهذه النسبة خطأ واضح سيئين للقارئ فيما بعد ، بليل ما أورده النويري والمقرزي الذي وصل إلى يد كتاب أحمى عمن ونقل عنه .

ويحدر بنا أن نذكر أيضا كتاب "صلة تاريخ الطبري" لعريب بن سعد^(٦) المتوفى سنة ٣٩٦ هـ (٩٧٦-٩٧٧ م) ؟ قيمة هذا الكتاب في أن عريب بن سعد قد أضاف كثيرا إلى تاريخ الأندلس وشمال إفريقية (بلاد المغرب) . ولم يمدنا الطبري بشيء يستحق الذكر عن الفاطميين ، مع أنه هتمم عريب بن سعد ، لأن كلامه عنهم يحوطه شيء من الغموض والإبهام غير قليل .

أما عن العلاقات التي كانت بين الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر إلى أن تم فتح مصر على يد جوهر الصقلي قائد الفاطميين (سنة ٣٥٨ هـ) ، فإننا نذكر من بين المؤرخين الذين اعتمدنا عليهم في بحثنا لتاريخ مصر في هذا العصر وماشوا في الصدر الأول من أيام الفاطميين ،

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٤٧-٤٨) .

(٢) التالبي ، "قيمة الدهر" (ج ٣ ص ١١٤ و ١٢٥ و ١٢٦) والسعدي "تجيب الأنساب" ورقة ٢٠٩ ب ، وابن خلكان (ج ١ ص ٦٢٢-٦٢٣) .

(٣) ياقوت "أرشاد الأديب" (ج ٦ ص ٤٠٨) ، وابن خلكان (ج ١ ص ١٠-١١) .

(٤) ياقوت "أرشاد الأديب" (ج ١ ص ١٤٦) . قال الأستاذ مرجولوت في مقدمته لكتاب "تجارب الأمم" لسكويه (ص ٨) إنه لم يكشف لأن الأجزاء واحد من أجزاء هذا الكتاب الأحد عشر .

(٥) التالبي (ج ٢ ص ١٠٥ و ١١٥) ، ياقوت "أرشاد الأديب" (ج ٦ ص ٢٥١-٢٦٧) ، وابن خلكان (ج ١ ص ٥٦٣-٥٦٥) .

(٦) لا يعلم عنه شيء ، غير أنه شغل منصب الكتابة في بلاط الحكم الثاني ٣٥٠-٣٦٦ هـ (٩٦٦-٩٧٦ م) في قرطبة ؛ وفق حكمة ألف عريب هذا مختصرا لتاريخ الطبري . انظر ما ذكره دوزي (Doy) عن عريب في كتاب "اليان المغرب" لابن خلدون (ص ٤٣-٦٣) و (Brookelmann, Geschichte der Arabischen Literatur, I, 184, 236, and note ; Wustenfeld, Gesch. der Arab., No. 136; Encyclopaedia of Islam, a.v.)

وكتبوا عن تاريخ هذه البلاد في هذا العهد: ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ (٩٢٢م)، وأوتينا^(١) (سعيد بن البطريق) المتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م)، وأبا عمر الكندي^(٢) المتوفى سنة ٣٥٠هـ (٩٦١م)، وعرب بن سعد المتوفى سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦ — ٩٧٧م ؟)، وأبا علي مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ (١٠٣١م). وقد اقتصر الطبري في تاريخه الذي ينتهي في عام ٣٠٢هـ، على ذكر المجهولات الأولى التي بلغها المهدي في سبيل غزو مصر. أما عربي بن سعد ومسكويه فقد تناولوا الكلام على هذه الفترات بنىء من الإسباب. وقد أمدنا أوتينا والكندي، وهما مصريان المولد والدار وأقدم هؤلاء المؤرخين بسد الطبري، بمعلومات أكثر تفصيلا وإسبابا في هذا الموضوع. وكتاب "المغرب في حلّ المغرب" لابن سعيد المتوفى سنة ٦٧٣هـ (١٢٧٥م)^(٣) قد تضمن جزءا من كتاب ابن زولاق^(٤) المتوفى سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م)، المسمى "كتاب العيون الدّيج في حلّ دولة بني طنج"^(٥). وهذا الكتاب يتناول سيرة الأخشيدي، كاتب مؤلفه في سنة ٣٥٠هـ بأمر أبي الحسن علي بن الأخشيدي، ثم أم ابن زولاق أيضا كتاب الكندي الذي يتناول الكلام على ولاية مصر إلى سنة ٣٣٤هـ، وهي السنة التي مات فيها الأخشيدي. أضف إلى ما تقدم، أن ابن زولاق ذيل كتاب الكندي^(٦) منذ وفاة الأخشيدي إلى أن وصل المزعز الفاطمي إلى مصر وأسس الخلافة الفاطمية باسمه سنة ٣٦٢هـ^(٧).

وفضلا عما تقدم فإن ابن هاني^(٨) الأتلمسي المتوفى سنة ٣٦٢هـ (سنة ٩٧٣م) يشير في ديوانه إلى الدخوة الفاطمية في أيام الخليفة المزعز (٣٤١ — ٣٦٥هـ) (٩٥٢ — ٩٧٥م)، ويشيد بمآثر

(١) Winternitz, Gesch. der Arab. No. 108

(٢) Ibid. No. 124

(٣) ورد هذا التاريخ في كتاب "غرات الفرات" للكني (ج ١ ص ١١٢)؛ أما السيوطي فقد ذكر في كتابه "حسن الحاضرة" طبعة القاهرة سنة ١٢٩٩هـ (ج ١ ص ٢٢٠) أنه توفي سنة ٦٨٥هـ

(٤) ذكر ياقوت: إرشاد الأديب (ج ٣ ص ٧) أنه توفي في يوم الأربعاء ٢٦ أيلول سنة ٣٨٧هـ، وذكر ابن خلكان (ج ١ ص ١٦٧) أن وفاة وقعت في يوم الثلاثاء ٢٥ من الشهر نفسه، وذكر السيوطي (حسن الحاضرة ج ١ ص ٣١٩) أنه توفي شهر ذي القعدة من هذه السنة.

(٥) ابن سعيد: كتاب المغرب (ص ٤٥ — ٤٥).

(٦) الكندي: كتاب الولاية والقضاء (ص ٢٩٣ — ٢٩٨).

(٧) ابن سعيد: كتاب المغرب (ص ٥).

(٨) ياقوت: إرشاد الأديب (ج ٧ ص ١٢٦ — ١٢٧)، ابن خلكان (ج ٢ ص ٦) والقرطبي (ج ٢ ص ٢٦٤).

هذا الخليفة ويعد أعماله ، حتى وصل به هذا إلى الغلو فنسب إلى مولاه بعض صفات النبوة والالوهية ؛ وبهذا مهد ابن هاني طريق الإلحاد لمن أتى بعده من الشراء .

ومن الكتب المعاصرة للدولة الفاطمية تاريخ ابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) ، المسمى "فضائل مصر وأخبارها وخواصها" ؛ أتى فيه مؤلفه على تاريخ مصر منذ عصورها الأولى . وابن زولاق حجة لا يستهان به في تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين : أولاً لأنه كان مصري الجنس ومن أهلها ، وثانياً لأن شهرته قد ذاعت لسعة اطلاعه في مادة التاريخ . وقد ألف ابن زولاق سلسلة من الكتب الأصلية عن تاريخ مصر ، من أمثال كتاب "فضائل مصر" ، وهو عبارة عن خطط أو وصف "طوبوغرافي" لمصر القديمة ، تناول فيه مؤلفه — على ما ذكر ابن خلكان^(١) — الكلام على هذا الموضوع من جميع نواحيه ، وكذا كتاب "قضاة مصر" الذي جعله مؤلفه ديلاً لكتاب القضاة لأبي عمر الكندي إلى سنة ٢٤٦ هـ ، وأتمه فيما بعد ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) .

وعدا هذه الكتب التي ألفها ابن زولاق في تاريخ مصر^(٢) سير كافور وجوهر والمز والمزيز . بيد أنه لسوء الحظ قد تلاشت معظم تصانيف ابن زولاق ؛ ولا يعرف عنها شيء إلا ما أخذه منها غيره من الكتاب الذين جاءوا بعده . هذا ، وتصانيف ابن زولاق التي بقيت إلى اليوم هي^(٣) تاريخ قضاة مصر^(٤) وسيرة الأخشيذ المسماة "العيون الدبع" ... الخ التي نقلها ابن سعيد في كتاب "المغرب"^(٥) ، وكتاب فضائل مصر ، وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٨١٧ ، ويختصر لهذا السفر الكبير الذي ألفه صاحبه عن تاريخ مصر . أما هذا المخطوط فقد أمدنا بمعلومات صحيحة عن تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين إلى عام ٣٨٦ هـ . ولقد أتم هذا المؤلف الذي وضع أساسه ابن زولاق رجل من الأتراك ، يلوح لنا أنه أدخل عليه معلومات استقاها مما كتبه بعض المؤرخين الذين جاءوا بعد ابن زولاق ، من أمثال أبي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠١ م) ، الذي عرف حفيده باسم سبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٧ م) ، وكذا الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٨ م) .

(١) (ج ١ ص ١٦٧)

(٢) أن ياقوت في كتابه إرشاد الأديب (ج ٣ ص ٧) على أسماء الكتب التي صنفها ابن زولاق .

ويبين أن نذكر فضلا عما تقدم من المصادر المعاصرة للفاطمين كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للقمي (أو المقيسي على الأصح) المتوفى سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) ، وهو كتاب قيم من ناحيتين الجغرافية والتاريخية ، وكتب "الديارات" لأبي الحسن علي الشافعي (١) المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) (٢) (برلين مخطوط فيمار ١١٠٠) . وقد اتصل الشافعي بخدمة العزيز ، فولاه خزانة كتبه واتخذ له مجلسا له وتديبا ، وذكر في كتاب "الديارات" أخبارا عن الأديرة في العراق والموصل ومورية والجزيرة ومصر ، وما قيل عن كل منها من الأشعار ، وما جرى فيه من حوادث وأمور . على أن هذا الكتاب على نفاسته لم يمدد بمعلومات كافية عن العصر الفاطمي ، اللهم إلا ما يتفق بمجلة زواج الخليفة المأمون العباسي بآبنة وزيره الحسن بن مهمل ، على ما سأتى بيانه في الباب السابع .

وهناك كتاب آخر هو كتاب "كنايس وأديرة مصر" لأبي صالح الأرمي المتوفى سنة ٦٠٥-٦٠٦ هـ (١٢٠٨ م) ، وقد ألفه عقب غزو الأكراد وألغز هذه البلاد تحت قيادة شيرويه . كتب أبو صالح جزءا لا يستهان به من مؤلفه ، اعتمد فيه على ما سمعه ورآه هو بنفسه في زيارته للكنايس والأديرة في القاهرة وضواحيها . والكتاب مملوء بأمشلة كثيرة عن الأخبار التي أعدها الخلفاء الفاطميون والموظفون الكبار من الماسمين على القبط (٣) . وكان لهذه المعلومات فوائد عظيمة في الباب الذي أفردته لبحث سياسة الفاطمين للتصاري واليهود .

وهناك أيضا كتابان من الكتب التي ألغت في عهد الفاطمين : وهما "ديوان الشريف الرضي" المتوفى سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) ، والرسائل التي يطلق عليها "رسائل الحاكم بأمر الله والفتايمين بأمر دهرته" ، كتبتها في سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧-١٠١٨ م) كثيرون من الدعاة تحت إشراف الخليفة الحاكم ٣٨٦-٤١١ هـ (٩٩٦-١٠٢١ م) .

(١) ذكر ابن خلكان قسلا عن كتاب (التاج) لأبي إسحاق الصافي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ أن الشافعي حاجب وشيخه بن زيار الديلمي ، قتل في سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٧-٩٣٨ م) بالقرب من أسياف . وزاد ابن خلكان ما لا تقدم فقال: يظهر أن الشافعي اسم ديلي شبه النسبة ، ويحتمل أن يكون أبو الحسن علي الشافعي من أبناء هذا الريل نسب إليه وبين النسب في أولاده . ابن خلكان (ج ١ ص ٤٢٦-٤٢٧) .

(٢) ذكر ابن خلكان (ج ١ ص ٤٢٦) ثلاثة تواريخ لوفاة الشافعي ، وهي سنة ٣٩٠ هـ وصفر سنة ٣٨٨ هـ و ١٥ صفر سنة ٣٨٨ هـ ، وذكر هو أقارب الأول . أما الثاني فقد هقه عن المسجي ، وذكر الثالث قسلا عن شخص لم يذكر اسمه .

(٣) رجم إيفنس (R. T. A. Brown) في مقدمته لكتاب أبي صالح أن كتاب الديارات للشافعي قد ضاع ، ولا يعرف لدينا إلا عن طريق البارات التي اقتبسها منه غيره من الكتاب .

ويصير المؤرخون قصيدة الشريف الرضى ذات شأن في هذا الموضوع ^(١) . وبالرغم من انها لم تظهر في ديوانه بادئ بدء ، فقد أجمع كثير منهم على صحة نسبتها اليه — على ما سيظهر بعد — بدليل إسنادها اليه في كثير من المصادر التي عاش كاتبوها بعد الشريف الرضى .

أما كتاب رسائل الحاكم بأمر الله . . . الخ فهو من مخطوطات المكتبة الملكية في القاهرة (رقم ٢٠ مخطوطات الشيعة) ، ويشتمل على عشرين رسالة كتبها كثيرون من الدعاة . وهذا الكتاب يصف لنا الأساليب التي بها نشر الخلفاء الفاطميون وأنصارهم دعوتهم السياسية والدينية ، ويمد القارئ ببيان مسبب لدعوى الخليفة الحاكم الألوهية ^(٢) .

وهناك مؤرخ آخر هو الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم المعروف بالمسبجي ^(٣) المتوفى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ، الذي كتب عن مصر كتابا مسميا هو " تاريخ مصر " يقع في ستة وعشرين ألف صفحة ^(٤) ، ولا يوجد منه إلا الجزء الأربعون بمكتبة الأسكوريال بالاندلس ، وهو واحد من جملة تصانيفه التي بلغت الثلاثين ولم يعد لها الآن وجود ، اللهم الا في هذه المقتنسات التي نجدها في المصادر الأخرى .

وقد كان المسيحي رجل فضل وعلم ، وكان على زى الأحناف . اتصل بخدمة الخليفة الفاطمي الحاكم ٣٨٦ — ٤١١ هـ (٩٩٦ — ١٠٢١ م) ، وتقلد في أيامه القيس والهنسا من أعمال الصعيد ، ثم تقلد " ديوان الترتيب " ^(٥) . ولا غرو فان المسيحي حجة دامغة في تاريخ مصر في الصدر الأول من أيام الفاطميين ^(٦) .

(١) ٩٧٢ — ٩٧٣

(٢) أنظر كتب الأمان التي أصلاها الحاكم لأهل مصر في كتاب يحيى بن سيد (ص ٢٣٠ — ٢٣٣) .

(٣) ابن خلكان (ج ١ ص ٦٥٣ و ٦٥٤) والسيرى طبعه القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ (ج ١ ص ٣١٩) .

(٤) يقول ابن خلكان (ج ١ ص ٦٥٣) انها وقعت في ثلاثة عشر ألف ورقة .

(٥) زم دى ملين (De Sime) في ترجمة كتاب وفیات الأعيان لابن خلكان (ج ٣ ص ٩٠ حاشية رقم ١) أدب هذا الديوان كان في نفس المكان الذي يوجد فيه ديوان الرواتب ، وهو المحل الذي تنظم فيه الرواتب وتدفع لمنسوبيها .

(٦) ذكر تصانيف المسيحي من جاء بعده من المؤرخين ، كلبن منجب ، وابن ميسر ، وابن خلكان ، والقرطبي ، وأبي الحاتم ، والسيرى .

هذا ، ويجب ألا ننسى أيضا ما كتبه ثلاثة من الكتاب المعاصرين للفاطميين ، وهم مسكويه^(١) المتوفى سنة ٤٤١ هـ (١٠٣١ م) ، وهلال الصائغ^(٢) المتوفى سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) ، وأبو شجاع المتوفى سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م)^(٣) .

أما تاريخ مسكويه المسمى "تجارب الأمم" فهو "على وجه العموم من أهم الكتب العلمية في اللغة العربية"^(٤) . ويتناول جزء من هذا الكتاب الكلام على الحوادث التي أعقبت ما دونه الطبري في تاريخه (ويتهى في سنة ٣٦٩ هـ)^(٥) . وقد استلهد أبو شجاع في سرد الحوادث (وتتهى في سنة ٣٨٩ هـ) ، وتلاه هلال الصائغ في تاريخه الذي ذيل به أمدرود (Amedroz) كتاب الوزراء وقوله عنه الأستاذ مرجوليوت (Prof. Margoliouth) .

ولقد استمد مسكويه معلوماته التاريخية شفوياً عن تولوا الزعامة في هذه الحوادث ، فخص بالذكر منهم الوزير المهمل في بغداد المتوفى سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) ، وأمين خزانته^(٦) ، وهو أبو الفضل بن العبد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠-٩٧١ م) في الرى . وكان لمسكويه ضلع في كثير من الحوادث الهامة ، كما كان لهارة البني وأسامة بن منقذ من بعده .^(٧) وهذا من الأهمية بمكان لمؤرخ مثله ، وصل الأخص لأن المناصب التي تقلدها كانت تلقى على طاقه كثيراً من المسؤولية ؛ كما أنه كان في استطاعته الوقوف على أسرار الدولة من غير أن تكون له بها علاقة شخصية ذات شأن عظيم^(٨) .

(١) انظر الكتاب في صفة نبوت القبط له أولاً به ؛ فيعظم كالتونى (نشوار المحاضرة ص ١٧٢) وحاجى خليفة (رق ٢٤٣٠) يزم أن القبط متصل بأبيه ، في حين يقول غيرهم من أمثال بدیع الزمان المسنانى (ص ١٥٧) ، وقد سماه بشكويه) وياقوت (إرشاد الأديب ج ٢ ص ٨٨) وابن خلكان (ج ٢ ص ٩٢) والقنطلى (ص ٢٢١) وابن أبي أصمية (ج ١ ص ٢٤٥) بأن القبط متصل به هو .

انظر المائنة التي أوردها الأستاذ مرجوليوت (Prof. Margoliouth) عن هذا القبط في مقدمة لكتاب مسكويه (ص ١١) وروستفد في كتابه (Gesch. der Ar. No. 183) .

(٢) نشر مسر أمدرود (Mr. Amedroz) ترجمة حياة هلال الصائغ عن تاريخ سبط بن الجوزى ، وتناول في جلها الكلام بوجه الفضيل عن احتكاك هلال الاسلام .

انظر أيضا ياقوت (إرشاد الأديب ج ٧ ص ٢٥٥) وابن خلكان (ج ٢ ص ٢٦٧) وروستفد : Wüstenfeld (Gesch. der Ar. No. 183)

(٣) ابن خلكان (ج ٢ ص ٩١-٩٢)

(٤) Prof. Margoliouth : Preface to Makawiah, p. VI

(٥) يقول القنطلى (ص ٢٢١) إن تاريخ مسكويه يتهى الى سنة ٣٧٢ هـ .

(٦) ياقوت : إرشاد الأديب (ج ٢ ص ٩٥)

(٧) Prof. Margoliouth : Preface to Makawiah, p. VI

وقد أصعب مسكويه في تاريخ الصلح الأول من أيام بنى بويه ، ولكنه لم يغفل أيضا أن يمدنا بتاريخ للأحوال الخارجية للعباسيين ، مما له صلة بالجهود التي قام بها الفاطميون لنزع مصر ، وكذلك العلاقات التي كانت بين العباسيين والبيزنطيين في ذلك الوقت .

وقد أعقب ظهور الدين محمد بن الحسين الرونداروى وزير الخليفة العباسى المقتدى ٤٧٦ هـ — ٤٨٧ هـ (١٠٨٢ — ١٠٩٣ م) المعروف بأبي شجاع ، تاريخ مسكويه بتاريخه الذى تناول فيه الكلام على المدة التى بين سنتي ٣٦٩ و ٣٨٩ هـ .

ولقد وقع أبو شجاع عند كلامه على حوادث سنة ٣٨١ هـ فى أغلاط لم يشر إليها الأستاذ مرجوليوت عند نشره تاريخ مسكويه ؛ ذلك أن أبا شجاع قد دقن فى هذه السنة حوادث وقعت بعدها بخمس سنين أو عشرين . ومن الأمثلة التى تؤكد صحة هذا القول مسألة موت الخليفة الفاطمى العزيز وتولية ابنه الحاكم^(١) التى حلت فى سنة ٣٨٦ هـ ، وما يتعلق أيضا بقتل برجوان وإسناد منصبه^(٢) إلى الحسين بن جوهر فى شهر ربيع الثانى سنة ٣٩٠ هـ^(٣) .

هذا ، ولم يظهر لآثن من تاريخ هلال إلا جزء واحد ذيل به مستر أندروز "كتاب الوزراء" ، ونقله عنه الأستاذ مرجوليوت . وقد أمدنى كتاب الوزراء بفوائد عظيمة عن التعديلات التى أدخلت على قانون الوراثة فى عهد الفاطميين منذ ابتداء عهدهم^(٤) . كما أمدنى كتاب "قيمة الدهر" لأبى منصور التتالي^(٥) المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م)^(٦) ، وكتاب "سقط الزند" و"اللزوميات" لأبى العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) يمثل هذه الفوائد . أما تصانيف أبى العلاء ، و"معجم البلدان" لياقوت ، فهى ذات قيمة خاصة فيما يتعلق بالعبارة التى كتبها عن الفقيه الشاعر عبد الوهاب بن نصر المالكن .

(١) (ج ٣ ص ٢٢١)

(٢) (ج ٣ ص ٢٣٠ — ٢٣٢)

(٣) أنظر الحاشية التى كتبها فى الباب السادس .

(٤) أنظر الباب الخامس .

(٥) ذكر السنانى (كتاب الأنساب رقة ١١٥ أ) أن التتالي كان يخط جلد الكتاب ، فاشتق اسمه من هذا الفعل .

أنظر أيضا ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٥ — ٣٦٦) ما بالقفا (ج ٢ ص ١٧٠) .

(٦) وردت هذه السلة فى ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٦) وأبى القفا (ج ٢ ص ١٧٠) . وذكر وستفيلد فى كتابه

(Gesch der Ar.) رقم ١٩١ : سنة ٤٢٩ أو ٤٣٠ هـ .

وكتب " الآثار الباقية " لليرونى ^(١) المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) ^(٢) يتناول الكلام عن نظم الطوائف والجماعات المختلفة . وهو حجة اعتمدت عليه في البحث عن الاحتفال بالأعياد القومية والدينية في عهد الفاطميين .

أما عن النظم الإدارية ، فقد اعتمدت على ما كتبه المسوردي ^(٣) المتوفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) في كتاب " الأحكام السلطانية " . وهو أول ما كتب بالعربية عن هذه النظم في الاسلام ، ويعد من أعظم المصادر لما كتبه عن ادارة الشؤون العامة في أيام الفاطميين . على أن التعموض الذى يحيط بأسلوب المسوردي ، مما يزيد في قيمة ما كتبه المتأخرون عن هذا الموضوع ، من أمثال ابن طباطبا الذى ألف كتاب " الفخرى في الآداب السلطانية " ^(٤) سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) ، والقلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) ، بل وما كتبه ابن خلدون والمقريزى ، بالرغم مما يعيب أسلوب هذين في كثير من الأحيان من ركافة وعموض .

(١) " من أهلى خوارزم أو خوارزميا وهي كذا الحكاية في عبارة أدق ، أحد مواطني (Berlin) من أحياء جامعة هذه البلاد . وكان يطلق على كل منهما (على والحاضرة) اسم خوارزم ، أو أحد مواطني أحد أعمال الحاضرة ، ويسمى (Berlin) أيضا " (Shaban's Preface to Bertrani's Chronology of Ancient Nations, English Translation, p. vii)

ومن أراد التوسع فليرجع الى ما جاء في مقدمة النسخة العربية (ص ١٧ و ١٨) ، وكتاب الأنساب السلطاني ورة ٩٨ ب (طبعة Gibb Memorial) حيث نقلت النسخة الأصلية "Ritini" خطأ .

(٢) يقول حاجي خليفة (دم ٩٣٥٩) انه نقله ونسخت في سنة ٤٣٠ هـ ، بحلاف ابن أبي أصيبعة (ج ٢ ص ٢٢) فانه ذكر أن ذلك كان في سنة ٤٤٠ هـ .

(٣) كان المسوردي على ما ذكر السلطاني (كتاب الأنساب ورة ١٥٤) يبيع ماء اللورد ، ومنه عرف بهذا القرب . انظر أيضا ارشاد الأديب لياقوت (ج ٥ ص ٤٠٧ - ٤٠٩) وابن طلكان (ج ١ ص ٤١٠ - ٤١١) وبالقياس (ج ٢ ص ١٨٨) .

(٤) وصف الأستاذ نيكسون في كتابه " تاريخ العرب الأدبي " (ص ٤٥٤) حاشية (١) (Prof. Nicholson : Literary History of the Arabs, p. 454, No. 1) كتاب ابن طباطبا في العبارة الآتية : " وهو كتاب مجمع من السياسة الاسلامية . وان ما يمتاز به أسلوبه من سهولة ، ومعاراته على اختلاطها من تشويق وإمتاع ، كل ذلك يجعله جديرا بما يستحقه من إعجاب واستصان . وإذا صرفنا النظر عن القرآن ، فاني لا أعرف كتابا غير هذا يصلح لأن يكون مقدمة للأدب العربي " .

"..... a delightful manual of Muhammadan politics. The simplicity of its style and the varied interest of its contents have made it deservedly popular. Leaving the Quran out of account, I do not know any book that is better fitted to serve as an introduction to Arabic literature."

ومما نأسف له أشد الأسف ما كانت من ضياع مؤلفات القضاة المتوفى سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) ؛ ومن بينها كتاب "عيون المعارف وفتون أخبار الخلايف" ؛ وهو مختصر كتاب "الإنباء عن الأتباء وتواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين" . وهذا الكتاب مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٤٩١ ؛ وهو عبارة عن خلاصة الكتاب الأصل الذى لعبت به يد الضياع . ومع ذلك فقد خلف لنا من جاء بعد القضاة من الكتاب ، من أمثال الفلقشندى والمقرئى وأبى الحسان ، بعض شذرات نقلوها من هذا الكتاب . وجاء رجل من الأتراك - مجهول الاسم - فاختصر كتاب القضاة الذى أخذ عنه مؤلف المخطوط الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس ؛ واستمر يسرد لنا الحوادث حتى عام ٩٢٦ هـ (١٥١٩ - ١٥٢٠ م) . وهذا المختصر يوجد بالمكتبة الأهلية بباريس ؛ ويحتوى الجزء الذى ينحصر بين ورقى ١١٥ و ١٢٦ من هذا الكتاب المنسوب الى القضاة ، والموجود الآن بباريس ، على معلومات ذات غناء عن الخليفة الحاكم الفاطمى . أما مؤلفات القضاة فقد صنفها ابن خلكان^(١) ؛ فذكر منها كتاب "مناقب الامام الشافعى" ، "وكتاب "تواريخ الخلفاء" ، وكتاب "خطط مصر" . ويظهر أن المقرئى نقل هذا الكتاب برمته وأودعه كتابه الذى يعرف بهذا الاسم .

والقضاة ثقة في تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين . وكان من النابغين في الكتابة ، حتى صار من كتاب البلاط ، مما جعل الوزير أبا القاسم الجرجاني (تقلد الوزارة في سنة ٤١٨ هـ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ)^(٢) يهد إليه في أن يكتب العلامة^(٣) .

ولا يفوتنا أيضا أن نذكر صلة كتاب أوتينا المسمى "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق" ، الذى كتبه يحيى بن سعيد المتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) ؛ فقد تصدى للكلام عن المئة التى بين سنتي ٣٢٦ و ٤١٧ هـ (٩٣٨ - ١٠٢٦ م) . ولما كان من المحتمل أن يحيى بن سعيد مصرى المولد ، وأنه قضى من حياته في هذه البلاد مدة تتراوح بين خمسمائة وخمسين وأربعمائة عاما - كان ذلك كله مما يجعل لكتابه فائدة خاصة بالنسبة الى الزمان الذى عاش فيه والمكان الذى قضى فيه هذه الحقبة من عمره ، وهو مصر^(٤) .

(١) ج ١ ص ٥٨٥

(٢) ابن منجب : كتاب "الإشارة إلى من نال الوزارة" (ص ٣٥ و ٣٧) .

(٣) كانت العلامة أو الإشارة التى يذكرها القضاة الأوراق الرسمية لإحالتها الصفة الرسمية تشمل هذه الكتابات ؛

"الحمد لله شكر الله" .

(٤) أنظر لفظ أنطاكى (Antak) في دائرة المعارف الإسلامية

(ب) العصر الأخير

الآن نتحدث إلى القارئ عن قيمة المصادر التي عاش مؤلفوها في الأيام الأخيرة من عهد الفاطميين ؛ فنذكر منها كتاب سفرنامه (Safar Nāmah) ^(١) لناصرى خسرو المتوفى سنة ٤٨١ هـ (١٠٠٨ م) ، وهو كتاب ذو أهمية في تاريخ الفاطميين ؛ لأنه فضلا عن أن ناصرى خسرو كان إسماعيليا يتنصر للذهب الإسماعيلي ، فإن هذا الوصف المبني الذي كتبه عن زيارته لمصر (٤٣٩ - ٤٤١ هـ) في عهد الخليفة المستنصر ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) يعدنا بمعلومات صحيحة عن مصر ومبلغ رخاها وثروتها في العصر الفاطمي ^(٢) .

ولا ينبغي ما لكتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" ^(٣) لأبي عيسى البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) ، وكتاب "الإشارة إلى" ^(٤) من نال الوزارة " لابن منجب الصيرفي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) ^(٥) ، و"ذيل تاريخ دمشق" لابن القلانسي المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) - وهو بمثابة ذيل لتاريخ هلال المصافي - وكتاب "الانساب" للسمااني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ - ١١٦٧ م) - وهو كتاب جليل أيضا من ناخبي النسب والجغرافيا - وتاريخ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) - لا ينبغي ما لكل هذه الكتب من أهمية خاصة لاستقصاء بحث تاريخ الفاطميين .

ويظهر أن ابن القلانسي قد قل كتاب أبي شجاع وكتاب هلال المصافي ، إذا جاز لنا أن نقول إن تاريخ أبي شجاع قد بنى على تاريخ هلال . ويلوح لنا أن كتاب ابن القلانسي مما يمكن صده من المصادر الأصلية منذ ابتداء القرن السادس من الهجرة ، كما يظهر من وصفه للأحوال التي أدت إلى قتل الوزير الأفضل بن بدر الجبالي . أما كتاب "الإشارة" لابن منجب ، فقد أمدنا بمادة لا يستهان بها عن تاريخ الفاطميين ؛ لأن ابن منجب كان من أعيان زمانه ، وقد تقلد ديوان الرسائل

(١) طبع المسيو شيفر (Schefver) منه بالقاهرة وترجمته الفرنسية مع الحواشي والتعليقات

(٢) استضاف ستانلي لين بول Stanley Lane-Poole وأولوى O'Leary من وصف ناصرى خسرو لمصر فاكثاء من الدولة الفاطمية في مصر .

(٣) هذا الكتاب - بن من أجزاء الكتاب المعروف "الممالك والممالك" .

(٤) ذكر ياقوت (إرشاد الأديبة) هذا القيد "في" .

(٥) أورد ياقوت سيرة ابن منجب في كتابه "إرشاد الأديب" (ج ٥ ص ٤٢٢) ، حيث ذكر أنه توفي سنة ٥٥٩ هـ وأغفر له أيضا ابن ميسر (ص ٨٧) ونحوه ترجمة خاصة به .

سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) في عهد الخليفة الآمر ، وظل فيه الى سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) ؛ وكان من البارزين في طبقة البلاط والمؤرخين^(١)

هذا ، ويجب أن نشير في هذا المقام الى ما كتبه عمارة اليني المتوفى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) ، وأسامه بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) . فقد شاهد كل منهما بنفسه ما وقع في مصر من الحوادث في أواخر أيام الفاطميين . فلك أن عمارة كان شاعرا نابه الذكر بين شعراء البلاط في عهد الخليفة الفائز والخليفة العاضد ، وهما آخر من تولى عرش مصر من الفاطميين ؛ وقد أمدنا في ديوانه وكتابه المسمى "النكت المصرية" بفوائد عظيمة عن هذين الخلفيتين والوزراء ، وغيرهم من علية القوم الذين رتع عمارة في بحبوحة كرمهم وفسيح عطفهم . فقد أتحفنا بمعلومات صحيحة عن الدور الذي لعبه الشعراء في نشر تعاليم الفاطميين ومعتقداتهم ، وكذلك عن سقوط الدولة الفاطمية^(٢) .

أما أسامة بن منقذ فكان من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشيخانهم ، وله تصانيف عدة في فنون الأدب . رحل عن بغداد كمعظم شعراء عصره يريد مصر ، فأقام فيها مؤمرا الى أيام الوزير الصالح بن رزيك سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، ثم عاد الى الشام . وأخبار أسامة جليلة الخطر ، لأنه شاهد بنفسه حال مصر في زمنه ، وما وقع فيها من حوادث . منحس منها بالذكر المعركة التي دارت بين جند الخليفة الفاطمي وأنصار الوزير رضوان سنة ٥٤٢ هـ ، والموقعة التي دارت رحاها بين أتباع الوزيرين ابن السلار وابن مصل سنة ٥٤٤ هـ ، والموقعة الفاصلة بين أتباع هذين الوزيرين في السنة نفسها . كذلك قتل الوزير ابن السلار سنة ٥٤٨ هـ ، والخليفة الحافظ وأخوته وبني عمه سنة ٥٤٩ هـ ، والثورة التي أثارها الأهليون على قتلة الخليفة وبعض أهل بيته : وهما الوزير عباس وابنه نصر اللذان لقيا حتفهما بعد ذلك بقليل — كل هذه المعلومات العظيمة خاصة بما يتعلق بسقوط الخلافة الفاطمية وأسبابه^(٣) .

(١) يمكن الرجوع الى كتاب "ارشاد الأديب" لياقوت (ج ٥ ص ٤٢٢ و ٤٢٣) لمرة حياة ابن منجب .

(٢) أنظر ابن خلكان (ج ١ ص ٤٧٥ و ٤٧٧) .

Dorenbourg, tome. II. Notices en Arabe par 'Ousama et sur 'Ousama (Paris, 1808).

(٣) أنظر إرشاد الأديب لياقوت (ج ٢ ص ١٧٣ و ١٧٦) ، وابن خلكان (ج ١ ص ٧٨ و ٨٠) .

Dorenbourg, Anthologie des textes arabes, inédites par 'Ousama et sur 'Ousama (Paris, 1808).

٢ - عصر الأيوبيين

أما عن المؤلفات التي كتبت في عصر الأيوبيين ٥٦٧-٦٤٨هـ (١١٧١-١٢٥٠م) ، فينبغي ان نذكر من بينها ما كتبه عماد الدين الأصفهاني^(١) المتوفى سنة ٥٩٧هـ (١٢٠١م) ، وأبو الفرج ابن الجوزي^(٢) المتوفى سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠-١٢٠١م) ، وياقوت الحموي^(٣) المتوفى سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) ، وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٢م) ، وابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢هـ (١٢٣٤م) ، والفطحي المتوفى سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٧م) ، وبكتابه شذرات متفرقة عن الخلفاء الفاطميين ربما لا توجد في كتب أخرى؛ وقد أودع هذا الشذرات ثانيا السطور عند كلامه على الأطباء والحكام والمتجمين والمهتسمين .

ومن الكتب التي كتبت في هذا العصر أيضا "معجم البلدان" و"إرشاد الأديب" و"مرامد الاطلاع"^(٤) لياقوت ، و"تاريخ مصر" لعبد اللطيف البندادي ، وكتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير .

وقد اهتمت أيضا عند بحث موضوع سقوط الدولة الفاطمية على كتاب "الوادئ السلطانية والحاسن اليوسفية" لابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢هـ (١٢٣٤م) ، وهو يوجه عام أدق وأفصح ما كتب عن تاريخ حياة صلاح الدين . وقد بنى ابن خلكان الذي سمحت له الفرصة بقاء ابن شداد الذي كان قد طعن في السن ، سيرة هذا الرجل على المعلومات التي استلها من ابن شداد . ومن هذا نعلم أنه اتصل بخدمة صلاح الدين ؛ فكان قاضي السكر ، ثم تقلد الوزارة وقضاء القضاة معا في عهد الملك الظاهر بن صلاح الدين حين تقلد ولاية حلب^(٥) .

(١) انظر إرشاد الأديب لياقوت (ج ٧ ص ٨١-٩٠) ، وابن خلكان (ج ٢ ص ٩٧-١٠٠) .

Wüstenfeld (Gesch. der Arab. No. 284).

(٢) ابن خلكان (ج ١ ص ٣٥٠-٣٥١) . Wüstenfeld (Gesch. der Arab. No. 240).

(٣) "اغريق المولد" أمر صغيرا ربيع لأحد تجار بغداد ، قام مولاه بتخليه وبعث به في تجارة الى الخليج الفارسي

وفيه ؛ وبرت يده وبين مولاه ثيرة أوجبت عنه ، ففاح من بيع الكتب وفنسخها .

"A Greek by birth; he was enslaved in his childhood and sold to a merchant of Baghdad. His master gave him a good education and frequently sent him on trading expeditions to the Persian Gulf and elsewhere. After being emancipated in consequence of a quarrel with the benefactor, he supported himself by copying and selling manuscripts." (Prof. Nicholson, Literary History of the Arabs, p. 307).

انظر ابن خلكان (ج ٢ ص ٢٧٧) ، وراجع حاجي خليفة : كشف القنون ٤٧٢ و ١٢٦٧ و ٢٠٤٧ و ١١١٨ و ١٢٣٧ و ١٢٤٠ لمررة تصانيف ياقوت .

(٤) اختصر عبد الرحمن بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩هـ (١٣٣٨م) كتاب "معجم البلدان" لياقوت .

(٥) ابن خلكان (ج ٢ ص ٤٦٦-٤٧٥) .

٣ - عصر المماليك

أما كتب الأدب التي دوت في عصر المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) فانها تمدنا بمعلومات نفيسة عن الفاطميين ؛ تخص بالذكر منها ما كتبه حسام الدين المحلى المتوفى سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ م) ، في كتابه "الخصائص الوردية" ، وهو مخطوط في المتحف البريطاني (القسم الشرق رقم ٣٧٨٦) . ويتناول الكلام بوجه خاص على "الأئمة الزيدية" ، ولكنه يذكر أخبارا عن تاريخ الشيعة بوجه عام ؛ وما كتبه أيضا سبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٧ م)^(١) ، في كتابه "مرآة الزمان" . وقد اطلعت مما كتبه على مخطوطين رقم ١٥٠٥ و ١٥٠٦ بالمكتبة الأهلية ببغداد ، ومخطوط رقم ٥٥١ بالمكتبة الملكية بالقاهرة ، ومخطوط رقم ٣٧٠ (القسم الشرق بمجموعة بوكوك ، Pouchk, Or. مكتبة بوليان (Bollean) بأكسفورد .

وكتب "الروستين في أخبار الدولتين" (أو تاريخ عهد نور الدين وصلاح الدين) لأبي شامة^(٢) المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) ، مع أنه يعد كل البعد عن أن يكون مصدرا أصليا لتاريخ العالم الاسلامي لمدة ثمان وأربعين سنة (أي منذ وفاة الأتابك زنكي سنة ٥٤١ الى أواخر سنة ٥٨٩ هـ) ، فإنه بمجموعة تعد سفرا مطولا ، استقى من الوثائق الرسمية الموجودة في الكتب التي ألفها القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) وعماد الدين الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠١ م) ؛ فقد تقلد كل منهما منصب الوزارة في عهد صلاح الدين - كما أخذ أيضا عما كتبه غيره من الكتاب المعاصرين ، من أمثال يحيى بن أبي طي^(٣) المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ - ١٢٣٢ م) ، وابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) ، إذ يظهر غالبا في كل صحيفة من كتاب أبي شامة ما أورده كل منهما من حقائق تاريخية .

وقد تقلد القاضي الفاضل منصب الوزارة في عهد صلاح الدين وولديه من بعده ؛ وتاريخه شائق يمتع في سلامة الأسلوب ووضوحه^(٤) .

(١) قل حاجي خليفة عند كلامه على ابن الجوزي (رقم ١١٧٢) من القبي ، أن أخبار ابن الجوزي لا يمكن الاعتماد عليها لصحة ما للشيعة ؛ وهذا يحتمل على القول بأن القبي طعن في معلومات ابن الجوزي ، لأنه كان من غلاة السنة .

(٢) الكتي (ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٦) ، حاجي خليفة ٥٤٦ و ٢٢١٨ و ١٠٧٥٣ وانظر .
Wüstenfeld, Gesch. der Arab., No. 428.

(٣) كتاب ابن أبي طي هذا يسمى "كتّار المرحلين في سيرة صلاح الدين" .
انظر الحاشية التي كتبها عن حياة ابن أبي طي في الباب التاسع من هذا الكتاب (ص ٢٩٩) .

(٤) Recueil des Histoires des Croisades, Historiens orientaux, tome IV. p. 14

وقد استقى أبو شامة تاريخه من كتابي "الفتح القُدسي" و"البرق الشامي" (١١) لمعاد الدين الأصفهاني . وقد اخضت معالم الحقائق التاريخية تحت بروق ما فيه من الاستعارات والتشبيهات ، وما يشير اليه ضمنا مما وقع من الحوادث أيام الجاهلية ؛ حتى اذا ما أخذ أبو شامة عن هذا الكتاب وفطن الى ما فيه من قصص وعيوب ، حذف تلك العبارات المجازية التي جعلت أسلوبه غاطا بالنموض والابهام ، وسهل بذلك ما في هذا الكتاب من حقائق تاريخية .

ومن أمهات الكتب التي يرجع تدوينها الى العصر الذي نحن بصدد الكلام عليه كتاب "طبقات الأبطال" (١٢) لابن أبي أصيبعة (١٣) المتوفى سنة ٦٦٨ هـ (١٢٧٠ م) ، وكتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي (١٤) المتوفى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠-١٢٧١ م) ، و"كتاب أنوار اليقين" لشرف الدين المدهوي المتوفى سنة ٦٧٠ هـ (١٢٧١-١٢٧٢ م) مكتبة المتحف البريطاني ، القسم الشرق ، مخطوط ٣٨٦٨ (ويتناول الكلام على أئمة الزيدية ، وقد كتبه صاحبه انتصارا لعلّ أولاده وتأييدا لدعواهم في الإمامة) وكتاب "المغرب في حل المغرب" لابن سعيد المتوفى سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٥ م) (١٥) .

وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨١ م) لا غنى عنه لطلاب التاريخ الاسلامي . أما ما يتعلق بأواخر الفاطميين وانحلال دولتهم ، وقيام الدولة الأيوبية ، فان ما كتبه ابن خلكان في تراجم صلاح الدين الأيوبي وأسد الدين شيركوه والعاقد الفاطمي من

(١١) توجد نسخة من الحوادث التاريخية التي وقعت بالشام بين سنتي ٥٧٨ و ٥٨٠ هـ (١١٨٢ — ١١٨٤ م) في مكتبة بروديان بأكسفورد .

(١٢) يبحث هذا الكتاب عن الحكاء الذين كانوا بإفريقية ومصر ، ويتكلم استطرادا عما يتعلق بالفاطميين .

(١٣) صاحب خليفة رقم ٧٨٨٣ و ٨٤٦٠ (Wienerfeld (Geogr. der Arab. No. 260)

(١٤) لا تعرف شيئا من حياة عبد الواحد بن علي المراكشي من أهالي بلقسية ، إلا ما ذكره هو عن نفسه في سياق كلامه من أنه ولد بمراكش سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) ، ثم طأ بعد ذلك في الأندلس ومصر . عل أن الة التي توفي بها ، والمكان الذي وقعت فيه هذه الوفاة ، أمران يجهلها التاريخ . هذا ، وقد كتب المراكشي كتابه عن تاريخ "المسلمين" ، وهو "ما يسمى" "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" في سنة ٦٦١ هـ وما قبله لنا القزويني في قمع الطيب (ج ١ ص ٥٥٠) من المراكشي حادثة وقعت في سنة ٦٦٩ هـ ، بظاهر أن تكون وفاته في هذه الة أو بعدها . انظر فقط عبد الواحد المراكشي في دائرة المعارف الاسلامية .

(١٥) الكتيبي : فوات الوفيات (ج ٢ ص ١١٢)

ذكر السيوطي : حسن الحاضرة ، طبعة القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ (ج ١ ص ٣٢٠) أن وفاته كانت في سنة ٦٨٥ هـ

أحسن ما كتب في هذا الصدد . وكتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧-١٢٩٨ م) مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٧٠٢ ، وقد أمدني بمقتضى تاريخية جديدة ، وعلى الأخص في البحث الذي أفردته للأعمال الدينية والسياسية التي قام بها الفاطميون في القصر ، مركز حركة الشيعة .

هذا ، وغير خاف ما لغير ما ذكرنا من الكتب من جليل الفائدة لهذا البحث ، مثل تاريخ أبي القلا صاحب حماد المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م) ، و "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري المتوفى سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٢ م) ، وهو دائرة معارف جلية (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٥٧٦) ، ويطبع الآن بدار الكتب الملكية بالقاهرة ، و "تاريخ الإسلام" للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٨ م) ، و "نوات الوفيات" لابن شاكر الكتي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٢-١٣٦٣ م) ، وهو مجموعة تراجم بمثابة تكملة لكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان ، وكتاب "المقدمة" لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٤-١٤٠٥ م) ، وتاريخه المسمى "العبر وديوان المبتدا والخبر" ، وكتاب "الاتصار لواسطة عقد الأمصار" (١) لابن دقاق (٢) المتوفى سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦-١٤٠٧ م) (٣) .

أما عن النهي ، فقد اطلمت من بين مؤلفاته على ثلاثة مخطوطات :

(١) مخطوط ١٥٥١ بالمكتبة الأهلية بباريس ، ويتناول الكلام عن المسلة التي تتحصر بين سنتي ٣٠١ و ٤٠٠ هـ (٩١٣-١٠٠٩ م) .

(ب) مخطوط ٤٢ (تاريخ) بالمكتبة الملكية بالقاهرة ، يحتوي على معلومات هامة عن الفاطميين في مصر .

(ج) مخطوط (Isud. Or. 304) بمكتبة بوليان (Bodleian) بكسفورد ، وقد أمدني بمقتضى تاريخية جديدة عن الخلافة الفاطمية في مصر الأخير ، وعلى الأخص ما يتعلق بمجموعة الهدايا التي قدمها صلاح الدين لنور الدين ، والتي ترسم لنا صورة عن مبلغ ثروة الفاطميين في عهد انحلال دولتهم .

(١) ظهر الجزآن الرابع والخامس من مجموع أجزاء هذا الكتاب المشتر ، وهو يتضمنان معلومات خاصة لجغرافية مصر والاسكندرية لم يذكرهما القريري في خطه .

(٢) هذا المخطوط بالتركية عثمانية - انظر حاجي خليفة رقم ٢٠٨٩ ، (Wüstenfeld (Gesch. der Arab. 467)

(٣) ذكر السيوطي : (حسن المحاضرة ، طبعة القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ (ج ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢) أن ابن دقاق مات سنة ٨٧٠ هـ ، وله من المصنفات سنة . وذكر حاجي خليفة (١٣١٦ و ٢٠٨٩ و ٢٨٩٧) نفس هذه السنة ، ولكنه ذكر في مكان آخر (٢٣١٢ و ١٣٦٦) أنه توفي سنة ٨٠٩ هـ .

ومن أهم المصادر وأمتها في هذا البحث كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنسان" لأبي العباس أحمد الفلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) . وفي هذا السفر الطويل ، وخاصة الجزء الثالث ، كلام مسهب عن الفاطميين ، ومواسمهم وأعيادهم ، ومراسمهم وعاداتهم ، ومنهم ومنهم ونظم الحكم عندهم . وفضلا عن أن الفلقشندى قد أخذ معلومات عن مصادر عاش مؤلفوها في عهد الفاطميين أنفسهم ، مما جعل لها قيمة كبيرة من هذه الناحية بحيث تصور لنا مبلغ الثروة والرخاء في مصر الفاطمية وما أحاط الخلفاء من أبهة وجلال ، فإن أسلوبه يمتاز بشيء كثير من الوضوح والدقة والاعتقان .

وربما كان تقي الدين المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) أهم من ذكرنا من المؤرخين ؛ لأنه فضلا عن كونه من أحفاد الفاطميين ، مما حدا به إلى الاهتمام العظيم بتاريخهم وأسابهم وكل ما يتعلق بأحوالهم ، فإنه قد وقف نفسه على تاريخ مصر "وطبوغرافيتها" ، وكتب فيه سلسلة من الكتب الثمينة ؛ وأكثرها نفعاً كتابه المسمى "الخطوط" (١١)

ويجب ألا يغيب عن بالنا من كتب المقرئ كتاب "اعتاظ الحفا بأخبار الخلفاء" ؛ وهو مصدر جليل الفائدة في تاريخ أوائل الفاطميين إلى وفاة المعز (١٢) . والنسخة الفلدة الموجودة من هذا الكتاب بخط المقرئ نفسه ؛ غير أنه مما يؤسف له أن هذا الجزء ليس إلا جزءا يسيرا من الكتاب الأصلي . وكتاب "المقفى" سفر طويل للتراجم (١٣) وله أهمية عظيمة . وهناك أجزاء منه في مختلف دور الكتب ؛ وقد سئحت لي الفرصة للاطلاع على أحد مجلدات هذا السفر (مخطوط ٢١٤٤) بالمكتبة الأهلية ببغداد ؛ وهو الجزء الذى اعتمد عليه كترير (Quatremère) (١٤) في البحث الذى كتبه عن أصل الفاطميين ، كما اطلعت أيضا على غير هذا من المخطوطات في مكتبة الجامعة بليدن . ونضيف إلى ما ذكرنا من كتب المقرئ كتاب "السلوك في معرفة دول الملوك" ، وهو مخطوط موجود بالمكتبة الأهلية ببغداد تحت رقم ٢٠٦٩ ؛ ترجمه إلى الفرنسية كترير (Quatremère) ،

(١) ذكر حاجى خليفة (٢٣١١ و ٢٣١٢) جمع الكتب التى ألقت عن تاريخ مصر ونظمها .

(٢) بحث الكتاب الأصل في تاريخ العصر الفاطمى بأكمله . على أهم يظهر منه الا هذا الجزء . أما الأجزاء الأخرى فيظهر أنه قد حيث بما يداهم .

(٣) مات المقرئ قبل أن يكمل كتابه هذا .

(٤) Journal Asiatique, Avril, 1838

وذي له بذكرات " فيلولوجية " وتاريخية وجغرافية . وهو مما لا يستغنى عنه طلاب البحث في عصر
الحاليك خاصة (١١) .

وكتاب " الإصابة في تمييز الصحابة " لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) ، وكتاب " رفع
الإصر عن قضاة مصر " — وهو مخطوط بالمكتبة الملكية بالقاهرة تحت رقم ٢١١٥ — لها أهمية عظمى
في هذا البحث . والكتاب الأخير أخذ أكثره من مصدرين متقدمين : هما كتاب " القضاة والولاة "
لأبي عمر الكندي ، و " تاريخ قضاة مصر " لابن زولاق . أما كتاب " رفع الإصر " الذي أدمج بعضه
في كتاب " القضاة والولاة " للكندي (Gibb Memorial Series, Vol. XIX.) ، فقد أعانني على
معالجة أحد مواضيع هذا البحث وهو " إسناد المناصب الى المتشيعين خاصة " (١٢)

هذا ، وليس " كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " (١٣) لأبي المحاسن المتوفى
سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) ، وكتاب " حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة " للسيوطي المتوفى
سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) ، و " نفع الطيب " للقرى المتوفى سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٣ م) بأقل نفعا
مما ذكرنا من المصادر .

وغير هذا وذلك من المصادر التي أشرفنا اليها كتاب " بدائع الزهور " لابن إياس المتوفى
سنة ٩٣٠ هـ (١٥٣٣ — ١٥٣٤ م) ، وهو أحد تلاميذ جلال الدين السيوطي . ويظهر أنه نقل تاريخ
أستاذه ؛ غير أنه كان عديم الحرص في بحثه للمصادر المتقدمة مما أوقفه في الخطأ في غير موضع .

(١١) ذكر السيوطي : (في حسن المحاضرة) ، طبعة القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ (ج ١ ص ٣٢١) ، وحاجي خليفة (٢٣١٢ ر ٦٢) ٢٣١٢ ر ٦٢
وه ١٤٥٣ ر ٤٧٣ (انظر مؤلفات القرطبي .

(١٢) سألني الكلام على هذا الموضوع في الباب الخامس من هذا الكتاب .

(١٣) بالرغم من أن أبا المحاسن جاء متأخرا فان كتابه هذا من أمث الكتاب وأقساها . ولا غرو فقد جمع في كتابه
كل ما وصل الي يده من المصادر التي تشتتل على معلومات خاصة بالقاطنين مما لا توجد في كتاب أصلا . وهذا فان كتابه
في الترتيب والنظام من أحسن ما كتب في التاريخ .

الباب الأول

حركة الشيعة إلى قيام الدولة الفاطمية

١ - الدعوة الشيعية في عهد الخلفاء الراشدين

لما كان من غرضنا الابحاث بتاريخ مذهب الشيعة ، وجب علينا هنا أن نتبع أصل هذه الطائفة التي كان يطلق عليها منذ الصدر الأول للإسلام اسم الشيعة ، أو العلويين ، أو أهل البيت ، وأن نقف على ما قامت به هذه الطائفة في سبيل نشر دعوتها إلى أن تأسس سلطانهم في القيروان .

والعلويون — كما نعلم — هم أولاد عليّ من فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم . وقد اعتقد أنصار الشيعة أنهم وحدهم أهل للخلافة ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان ، وكلنا الخلفاء من بني أمية وبني العباس ، قد اقترعوا حق الإمامة المقدس من عليّ . وقد صنف العلماء المتشيعون من المؤرخين الأسفار الطوال في تأييد هذه المقالة ، وذهب بهم الاعتقاد إلى القول بأن الخلافة سلخت من بيت عليّ ، أو بجارية أخرى اختصت من بيت النبي .

ولم يقف الحال عند هذا الحد ، فقد اشتط الغلاة من الشيعة فقالوا إن الإمامة في بيت عليّ ، وإن الأئمة معصومون ، وإن صفات الله سبحانه قد حلت فيهم وتعمصت أجسامهم ، وإن من قال بغير ذلك من الفرق الإسلامية — حتى بعض فرق الشيعة منهم — خارجون على الدين . ودلّوا على صحة هذا القول بأن عليا كان أول من اعتنق الإسلام من الرجال ، وأن ما قام به في سبيل رفع منار هذا الدين لا يستطيع أن يذمه فيه أحد من المسلمين بعد النبي . ولقد أسند هؤلاء الغلاة من الشيعة إلى النبي أحاديث تشهد بما لآل عليّ من حرية ، وبما لعلّ من حق في الإمامة بعد الرسول عليه السلام .

على أن هذه الأحاديث التي وصلت إلينا كانت — على ما هو مشهور — موضع جدل عنيف بين فقهاء المسلمين والمحدثين وقدة الحديث . وقد جمع البخاري — على ما نعلم — نحو ستة آلاف حديث ،

اختارها — على ما قيل — من ستمائة ألف . ومع ذلك فإن الإمام أبا حنيفة لم يثق إلا بستة عشر منها . ومن هنا يتبين لنا ما وصل إليه اختلاق الأحاديث في هذا الموضوع . فما هو السبب إذن ؟

ذلك أنه عند وفاة النبي عليه السلام ، لم يكن السواد الأعظم من العرب يعرف القراءة والكتابة ؛ فلم يدون تاريخ هذه الأمة إلا بعد زمن غير قصير . ولقد تناول العرب الحوادث التاريخية المشهورة والأحاديث النبوية بعضهم عن بعض ؛ فاثرت هذه الحوادث بشيء غير قليل من التبديل والتحريف ، مما أدى بها إلى الغموض والإيهام في معانيها والأحوال التي أحاطت بوقوعها .

حتى إذا ما جاء القرن الثاني للهجرة ، أخذ العرب يبحثون تاريخهم ؛ ولم يكن أكثره إلا شذرات مبهمّة وحوادث متفرقة أو مدونة بطريقة تتشى مع ميول الفرق الدينية المختلفة ، وقد آلى كل منها إلا إكثار أنصار مذهبه ولعن أعدائه ، مستندا إلى ما يؤولونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فن ذلك ما عُرِى إلى النبي أنه قال : "أهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن عدل منها غرق" (١) . وقوله أيضا : "من مات على حب آل محمد مات شهيدا ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ؛ ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ، ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة" (٢) . فهذان حديثان لا شك مطلقا في أن الشيعة قد اخترعوهما بعد موت النبي ، تأييدا لمقيدتهم التي كان مبنياها على خلفائه من بعده .

ونحن نعلم أن النبي قد ترك مسألة الخلافة من غير أن يت في أمرها . ولست نجهل أيضا أن النبي في مرضه الأخير ندب أبا بكر ليصلي بالناس بدلا منه (٣) ، وأن السبق والإخلاص للدين صفتان بارزتان قد عرفهما النبي لأبي بكر ، وقد أشررت نفس الرسول حب هذه الروح الديمقراطية التي سادت لدى العرب منذ أيام الجاهلية . فرأى عليه السلام أن يترك الأمر شورى للعرب ليختاروا من أحبوا .

(١) أورد هذا الحديث أبو حاتم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عند استيلائه على صنعاء في الثالث من رمضان سنة ٤٢٦هـ (١٠٣٥ م) : مكتبة المتحف البريطاني . مخطوط ٣٧٨٦ ، ورقة ١٠٠ ب .

(٢) حسام الدين المحل ، مكتبة المتحف البريطاني ، مخطوط ٣٧٧٢ ، القسم الشرق ، ورقة ٢٨٠ ب .

(٣) سيرة ابن هشام طبعه وستفد (ج ٢ ص ١٠٠٨ — ١٠٠٩) .

على أن إجابة النبي أبا بكر للصلاة ، جلي في أن النبي كان بعيدا كل البعد عن التحيز والميل لذوى قريبه ، حاملا على تأييد قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة)^(١) ، وعلى ما أشرحه من قوله عليه السلام " لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى " .

وبخلاصة القول إن مسألة الخلافة قد تركت بدون أن يُت في أمرها . فكان من جراء ذلك أن حل الانقسام بين المسلمين في أول نشأة الاسلام ، ذلك الانقسام الذي انقضت جنوده في اليوم الذي انتقل فيه الرسول الى جوار ربه .

ومع أن استخلاف أبي بكر قد تم بطريقة ديمقراطية ، على ما كان مألوفاً لدى قبائل العرب في الجاهلية (Patriarchal State) : ذلك النظام الذي يقضي بأن تكون السن والفضائل أساسا لاختيار شيخ القبيلة ، فاة امتناع كثيرين من طلبة العرب ، كالعباس عم النبي ، وطلحة والزيبر ، وهم من السابقين الى الاسلام^(٢) الذين اتحدوا مع عليّ بن أبي طالب ، ثم ما كان أيضا من عدم إجابة فاطمة الى ما طالبت به من استيلائها على ميراث أبيها^(٣) — كل هذه الأمور أذنت بانقسام الأمة العربية الى سنيين وشيعيين .

ولقد أشار أبو بكر الخوارزمي (+ ٣٨٣ ٩٩٣ م) الكاتب المشهور والشيعي المتحمس لهذا المذهب الى هذا الانقسام في إحدى رسائله (ص ١٣٠ — ١٣٩) ، وقد بحث بها الى أهل نيسابور حين جارت عليهم طغما محمد بن ابراهيم وأوقع بهم لاعتناقهم مذهب الشيعة . فأتى لنا في هذه الرسالة بوصف يثير النفوس لهذه الأعمال التي أوقع لأجلها أهل السنة بالشيعية منذ وفاة النبي عليه السلام^(٤) .

على أن هذا الشعور العدائى نحو عليّ قد وُجد — على ما ذكره كاتب آخر من الكتاب الذين سبقوا الخوارزمي ، وهو يحيى بن الحسين الزيدى (+ ٣٩٠ ٩٧١ م) — حتى في حياة النبي . فقد عرّى اليه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعليّ بن أبي طالب : " أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ؟ " . ولهذا الحديث علاقة برحيل النبي الى تبوك^(٥) ،

(١) القرآن الكريم سورة ٤٩ آية ١٠ .

(٢) ابن هشام (ج ٢ ص ١٠١٣) .

(٣) فرجه — يشير الخوارزمي (ص ١٣٠) الى ذلك في إحدى رسائله .

(٤) رسائل الخوارزمي (ص ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٤) .

(٥) أنظر لفظ تبوك في سبم البلدان لأفريت .

الواقعة على بعد اثني عشر فرسخاً من المدينة . وقد استخلف علياً على المدينة ؛ ففعل ذلك على أهلها ؛ فخرج على النبي وشكا إليه ، واعتذر عن العودة إلى المدينة ؛ فقال له النبي : " ارجع يا أباي إلى مكائك ، فإن المدينة لا تصلح إلا بك ، فانت خليفتي في أهل ودار هجرتي (يعني المدينة) وقومي ؛ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي " (١)

ولو أراد عليه السلام أن يستخلف علياً ، فإنه لم يكن يرى من الصواب ذلك ، لمخالفته لروح العرب الديمقراطية .

وبينا الخوارزمي يوجه حملته ضد أعمال العنف الذي حل بأهل منعبه ، نرى كتاباً سنياً معاصراً ، وهو ديع الزمان الحمداني صاحب المقامات والرسائل المشهورة (+ ٣٩٨ هـ ١٠٠٧ - ١٠٠٨ م) ، يتلمس العاذر لما أتاه العمال السنيون الذين قضت سياستهم بالقضاء على ما يعبرون عنه بمخروج أهل الشيعة على الدين (٢) .

هذا ، وقد تمت بيعة أبي بكر رغم هذا الخلاف العنيف الذي احتدم بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في المدينة في أمر الخلافة . بيد أن هذه السياسة الرشيدة التي نهجها أبو بكر وعمر ، قد ساعدت على كبح جماح الأمة العربية .

ثم جاءت بعد ذلك سياسة عثمان ، في تفضيل أقاربه ومن ينهم وبينه صلة ؛ فأصبحت هذه السياسة مشاركة للسلطة في جميع الولايات الإسلامية ، وأتاحت لأنصار علي فرصة لتحويل الخلافة إلى أهل البيت .

ولقد أذكرى نيران هذه الثورة صحابي قديم ، اشتهر بأنه أول من حيّا النبي بحجة الإسلام (٣) ، وبأنه رابع (أو خامس على رواية أخرى للطبري) من اعتنق هذا الدين (٤) ، واشتهر بالورع والتقوى ، وكان من كبار أئمة الحديث (٥) ، وهو أبو ذر الغفاري .

(١) يحيى بن الحسين ، مكتبة الجلالة بدمشق ، مخطوط ١٦٤٧ ورقة ٥٥ (أ) و(ب) .

(٢) رسائل ديع الزمان الحمداني (ص ٤٢١ - ٤٢٧)

(٣) صحيح مسلم (ج ٧ ص ١٥٤)

(٤) الطبري (١ : ١١٦٨) مأساة الغابة لابن الأثير (ج ٥ ص ١٨٦) .

(٥) الطبري (١ : ٢٨٥٩)

محمدي أبو نذر سياسة عثمان ومعاوية عاملة على الشام ، بتحريض رجل من أهل صنعاء ، هو عبد الله بن سبأ (ويسمى أيضا ابن السوداء) . وقد روى لنا الطبري أن ابن سبأ هذا كان يهوديا فأسلم في السنة السابعة من خلافة عثمان : أي سنة ٢٩ أو ٣٠ هـ . وسرعان ما ظهر ابن سبأ بعد إسلامه في ثوب الفيلسوف على الدين ، مما أدخل الشك على المؤمنين ، ولا سيما العرب منهم ، وجعلهم يعتقدون أنه إنما اعتنق الإسلام ليضل المسلمين ويكيد للإسلام ، وأنه كان أقوى العوامل لإثارة الناس على عثمان .

أخذ ابن سبأ بعد إسلامه يتنقل في البلاد الإسلامية ؛ فبدأ بالبحر ، ثم بالبصرة ، فالكوفة ، ومنها إلى الشام ، فصر . ولما وفد على الشام لقي أبا نذر ، فوجد فيه الرجل الذي يشده ، لما فيه من البصرة وطيب القلب . فجاءه من ناحية الدين ، وشكا إليه من معاوية وما أتاه في سياسته ، وقال " يا أبا نذر ! ألا تعجب إلى معاوية يقول : المال مال الله ، ألا إن كل شيء لله ، كأنه يريد أن يمتحنه ^(١) دون المسلمين ، ويحواسم المسلمين ^(٢) (من ديوان العطاء) ؟ "

لهذا لا تعجب إذا رأينا أبا نذر يشمر عن ساعد الجسد في إعلان اسنيائه من سياسة معاوية ، ووجدناه يحض الأغنياء على الرحمة بالفقراء وعلى الاقتلاع عن اختار أموالهم وكثرة ، محتجا بقوله تعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله نبذهم بمذاب أليم ، يوم يحى عليها في نار جهنم فكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ؛ هذا ما كترتم لأفئسكم ، فلو قوا ما كنتم تكثرزون) . وكذلك لا تعجب إذا ألقينا الفقراء يشفون حوله ويسبون إلى الأغنياء ، مما أوجب شكائهم إلى معاوية ليرفع الأمر إلى عثمان . وقد أيقن الخليفة أن الفتنة قد أخرجت جملتها ^(٣) .

بحث عثمان في طلب أبي نذر ، وقد ألى على نفسه أن يواصل حملاته على هذه السياسة . فلما دخل المدينة ووجد المجتمعات تصفد بها للتأمر على عثمان ، نادى في المجتمعين : " بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكارة " . وكان أبا نذر تلبأ بتلك الثورة التي ذهب عثمان ضحيتها ^(٤) .

(١) اخبرني المال أي ضمه واحواه .

(٢) الطبري (١ : ٢٨٥٩)

(٣) ولعل من ماء مقدم الألف والهم من العاية ، والمراد بها بدأت أراقل الفتنة .

(٤) الطبري (١ : ٢٨٥٩)

وقد أذن عثمان لأبي ذر بالاقامة في الربتة ، وهي قرية صغيرة على مقربة من المدينة - أونفاه
اليها على ما ذهب اليه ابن هشام ^(١) والخوازمي ^(٢) - ولكنه واصل حملته العنيفة على سياسة عثمان
الى أن مات وهو كاره لما سنة ٣١ هـ .

هذا ، ولقد وجد ابن سبأ - وهو أول من حرض الناس على كره عثمان على ما تقدم - الطريق
ممهدة أمامه لإسقاط عثمان . ولستأ تشك في حسن نية أبي ذر ، وما كان من أمر امتيائه من عثمان
ومن سياسته . ولكنا نرى أن مصدر امتيائه الرضاة في التمسك بالدين وأحكامه ، بخلاف ما كان
عليه ابن سبأ . ولقد أصاب المؤرخ الهولندي فان فلوتن (Van Vloten) ^(٣) حيث يقول : " إن
هذه الطوائف التي نشأت بين العرب في الولايات التي فتحتها ، وعلى الأخص في البصرة والكوفة
ومصر ، كانت مطلوبة في بادئ الأمر على غرض سياسي محض ، رغم ظهورها بهذا المظهر الديني " .

"ces factions nées parmi les Arabes dans les pays conquis, poursuivent d'abord
un but, purement politique, quoique sous une apparence religieuse".

لم يلق ابن سبأ من أهل الشام أدنا صاخية ، اللهم الا من أبي ذر . ولقد قيل إن عبادة بن
الصامت - وهو من أكابر الصحابة ، ومن شهد فتح مصر ، ومن قوى الرأي والجاه في دمشق -
ساق ابن سبأ الى معاوية وقال له : " هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر " ^(٤) .

وإن الاهتداء لرأي قاطع في هذه المسألة ، وهي ما إذا كان أبو ذر أو ابن سبأ هو المؤسس
الحقيقي للمذهب الشيعة في الاسلام ، ليس من الأمور السهلة ؛ لأن هذا الموضوع لم يزل موضع جدل
عنيف بين المؤرخين . على أنه وإن استحال هنا معالجة هذه المسألة بوجه التفصيل ، فلا يمتنعنا
ذلك من أن نلقى بالرأى الذي نراه : وهو أن ابن سبأ هو أول من وضع عقائد مذهب الشيعة الغالية
في الاسلام ، وأن أعمال أبي ذر لا تنطوي على محاولة ما لصحويلا الخلافة الى علي ، وإنما أدت
الى توطيد دعائم هذا المذهب الذي غرسه بلوهر ابن سبأ .

وقصارى القول ، أنه لم يكن لأبي ذر عمل في توطيد ذلك المذهب ؛ ولكن نفيه الى الربتة
قد اتخذه خصوم عثمان والشيعة من بعدهم تكة للعب في حق عثمان والتشهير به وبإله .

(١) سيرة ابن هشام (٢ : ٩٧١)

(٢) رسائل الخوارزمي (ص ١٣١)

(٣) La Domination Arabe, le Chritisme et les Croyances Manichéennes, p. 34

(٤) الطبري (١ : ٢٨٥٩)

استيلاء الولايات الاسلامية :

لقد تولد الاستيلاء وفشا السخط في الولايات الاسلامية بعد أن ولي عثمان الخلافة ، لاشتطاط عماله في جمع الضرائب : ففى البصرة صادفت دعوة ابن سبأ مرعى خصيما ؛ بيد أن عبد الله بن عامر وإلى عثمان طرده من هذه البلاد ، فرحل إلى الكوفة^(١) ، حيث تقام استيلاء الناس من عثمان وواليه ، ومن قريش الذين استولوا على سوادهم واتخذوه بستانا لهم ؛ وواصل الثائرون الاجتماعات في منازلهم ، ولعن عثمان على ملائمة الناس ، ولج هؤلاء فيما ارتكب من عظام الامور^(٢) .

ثم طرد ابن سبأ من الكوفة أيضا ، فقصده الشام — على ما تقدم — فلم يلق من أهلها ما لقي في البصرة والكوفة ، فرحل إلى مصر . وهنا أخذ ينشر دعوته التي ألبسها لباس الدين ، واتصل بالثائرين في البصرة والكوفة ، وتبادل معهم الكتب والرسل^(٣) ؛ وبعت بالدعاة إلى هذه البلاد يدعون لعل ؛ واستطاع أن يؤثر في نفوس الناس ، فوضع مذهب الرجعة : أى رجعة عهد صل الله عليه وسلم ، وقال في ذلك : " إني لأعجب ممن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة عهد ، وقد قال الله عز وجل : (إن الذى فرض عليك القرآن لراكك إلى معاد)^(٤) " . وزاد ابن سبأ أن عهدا أحق بالرجوع من عيسى . ومن هنا نشأ في الاسلام مذهب تنازع الأرواح ، وهو خروج الروح من جسد وحلولها في جسد آخر . ونشر ابن سبأ بعد ذلك مذهب الوصاية الذى أخذه عن اليهودية دينه القديم ، بمعنى أن عليا وصى عهد ، وأنه خاتم الأوصياء بعد عهد خاتم النبيين ، واتهم من قاوموا عليا وتعلوا على حقه في الإمامة : كما أخذ عن الفرس — الذين كانوا يحتلون في صدر الاسلام بلاد اليمن موطنه الأصلي — نظرية الحق الإلهي ، بمعنى أن عليا هو الخليفة بعد النبي وأنه يستمد الحكم من الله . وبذلك هيا العقول إلى الاعتقاد بأن عثمان أخذ الخلافة بنيرحق من علي وصى رسول الله . وبهذا أيضا استطاع ابن سبأ أن يولب الناس على عثمان وصل ولاته فقال لهم : " إن عثمان أخنعا بنيرحق ، وهذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانفضوا في هذا الأمر لحركوه ، وابدعوا بالظعن على أمركم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتستميلوا الناس ، وادعهم إلى هذا الأمر^(٥) " .

- (١) الطبرى (١ : ٢٩٢٢) ، يقول هذا المؤرخ : ان هذا كان بعد ولاية ابن طاهر ثلاث سنين ، وأن توليه كانت سنة ٢٩ هـ (١ : ٢٨٢٨) . وعلى ذلك يكون إبعاد ابن سبأ في سنة ٣٢ هـ (١ : ٢٩٢٢)
(٢) الطبرى (١ : ٢٩١٦) وما يقعها من حوادث سنة ٣٢ هـ .
(٣) الطبرى (١ : ٢٩٢٢)
(٤) سورة ٢٧ آية ٨٥
(٥) الطبرى (١ : ٢٩٤٢)

هذا ، ولم يكن يصعب على ابن سبأ أن يقوم بتنفيذ سياسته في مصر ، حيث اشتد ضغط الناس على عثمان وعلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامله على مصر ومن ذوى قرياه . ولقد ساعد على إذكاه نيران السخط في مصر عاملان قويان : هما محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر . ولا غرو فقد ساعد انضمامهما لهذه الحركة على نجاح ابن سبأ في سياسته .

أما السبب في انضمام محمد بن أبي بكر ، فهو ما كان من صلة النسب بينه وبين علي بن أبي طالب وابنه الحسين بن علي . فقد تزوج علي بأسماء بنت عميس أم محمد بن أبي بكر بعد وفاة أبيه ، فكان ابن أبي بكر رئيساً في بيت علي ، ولأن الحسين بن علي ومحمد بن أبي بكر كانا زوجي ابني يزيد جرد الثالث آخر ملوك بني ساسان من الفرس .

وأما مسلك ابن أبي حذيفة العدناني لعثمان ، فقد ظهر أثره فيما شجر بينه وبين ابن أبي سرح في غزوة السواري — أو ذات السواري — التي قُتلت بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٣١ هـ (٦٥١ م) . واتفاً سميت بهذا الاسم لكثرة سواري السفن التي اشتبكت في المعركة ، حتى قيل إنه اشتبك فيها ألف سفينة ، منها مائتان للمسلمين . فقد اختلف معه في هذه الواقعة على التكبير في الصلاة حين صلى ابن أبي سرح العصر بالناس ، فرفع ابن أبي حذيفة صوته بالتكبير ، فنهاه ابن أبي سرح فلم يفته . ولما أقيمت صلاة المغرب رفع صوته بالتكبير ثانية ، فنهزه ابن أبي سرح وهم بطرده من جيشه . ومن ثم أخذ ابن أبي حذيفة في إثارة الناس على عثمان وعلى ولاته . ولما وضعت الحرب أوزارها ، رجع هو ومحمد بن أبي بكر إلى القسطنطينية ، وهنا انضموا إلى ابن سبأ^(١) .

ولقد أدلى لنا المقرئ بالمسبب الذي حدا بابن أبي حذيفة أن يسلك هذا المسلك العدناني نحو عثمان ، فقال إن ابن أبي حذيفة تربى في كنف عثمان بعد وفاة أبيه ، فلما ولي عثمان الخلافة ، طلب إليه أن يولي بعض أمور المسلمين ، فأبى ذلك عليه ، إذ نعى إليه أنه شرب الخمر^(٢) ، فقال له :
”لو كنت رضا لوليتك ، ولكلك لست هناك“ .

ولقد وافانا المقرئ^(٣) بشيء من سيرة ابن أبي حذيفة في مصر ، ننقله للقارئ فيما يلي : ”اتيز محمد بن أبي حذيفة في شوال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن نافع خليفة ابن أبي سرح ، وأخرجه

(١) الطبري : طبة مصر (ج ٥ ص ٧٠ — ٧١) .

(٢) الحق الكير قهرزي ، مكتبة الجامعة بليدن ، مخطوط ١٣٦٦ ، المجلد الأول ، ورقة ٢٠٦ (١) .

(٣) مخطوط (ج ٢ ص ٢٣٥) . وقد وردت هذه العبارة أيضاً بتصرف في كتاب الحق الكبير الموجود بمكتبة الجامعة

بليدن ، مخطوط ١٣٦٦ ، المجلد الأول ، ورقة ٢٠٥ (ب) .

من الفسقاط ؛ ودعا إلى خلع عثمان من البلاد ، وأسر البلاد . فكان يكتب الكتب على لسان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يأخذ الرواسل فيضمرها ، والرجال فيجعلهم على ظهور البيوت ، فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوحيهم تلويح المسافر ، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة ومصر ، ثم يرسلون رسلا يخبرون الناس ليقيمهم ؛ وقد أمرهم إذا لقينهم الناس أن يقولوا : ليس عندنا خبر ، الخبر في الكتب ، ثم يتقاهم ابن أبي حذيفة فيقرأ عليهم كتب أزواج النبي .

وقد حاول عثمان أن يصلح بينه وبين ابن أبي حذيفة ؛ ولكن هذا آلى على نفسه أن يواصل سياسة العنف والشدة . وقد بعث إليه عثمان ثلاثين ألف درهم وكسوة ؛ فاتهزأ ابن أبي حذيفة ووصل هدية عثمان فرصة سانحة ليظهر للناس أن هذه الحركة التي قام بها حركة دينية ، بعيدة البعد كله عن كل غرض دنيوي . فآظفر الهدية للناس في المسجد وقال : ” يا معشر المسلمين ! ألا ترون أن عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني (يرشني في الأصل) عليه ؟ ”

وكان لهذه الدعوة أغراض ومرام خيثة ؛ فقد زادت المقرري أن أهل مصر ازدادوا تعظيلا لابن أبي حذيفة وطمعوا على عثمان ، وبأيسره على رياستهم .^(١)

ولا شك في أن الحالة في البصرة والكوفة ومصر أصبحت من الحرج ، بحيث لم تعد تدعو إلى شيء من الطمانينة . ولما نذب عثمان أربعة من رجاله ليعثوا عن أسباب هذه القلاقل ويقفوا على حقيقة الحال في الولايات . فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعبد الله بن عمر إلى الشام ، وعمار بن ياسر إلى مصر ؛ وهو أحد أصحاب رسول الله ، ومن السابقين إلى الاسلام ، ومن عرف لهم النبي صدق الإيمان^(٢) .

عاد الذين تنهم الخليفة إلا عمار بن ياسر ؛ فقد استماله الثأرون في مصر^(٣) . وساعد على ذلك ما كان من عثمان لعمار ، حيث آذبه لثقف حصل بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب . وإن انضمام صحابي جليل كعمار ، بين مبلغ السخط الذي أثارته سياسة الضمف واللين التي سار عليها عثمان بن عفان .

(١) الحقي الكبير القرري ، لندن ، المجلد الأول ، ورقة ٢٠٦ (١) .

(٢) ذكر ابن جرير في كتابه ” الإمامة في تمييز السطية ” (ج ٤ ، ص ١٢٢٠) أن النبي قال : ” اتقوا بالذين من يمدى : أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار (بن ياسر) .

(٣) الطبري (١) ٢٩٤٣ و ٢٩٤٤

ولا شك في أن ابن سبأ قد حقق ما كان يرى إليه من بذور الاستياء والسخط نحو عثمان وولائه ، وكلوا من ذوى قرباه ، وأن دعوته قد آتت أكلها . وليس أدل على صحة هذا القول من انضمام كثيرين من أصحاب النفوذ والجاه إلى صفوفه ، من أمثال محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر .

ولا غرو فقد قام ابن أبي حذيفة بتنفيذ الخطة التي رسمها ابن سبأ ؛ فكتب أهل مصر أشياعهم من أهل البصرة والكوفة ، واتفقوا على الشخص إلى المدينة^(١) ؛ وهو ما يمكن تسميته بدور العمل . وخرج كل منهم في ستمائة رجل ، وتوافقوا خارج المدينة ؛ وهنا اختلفوا فيمن يولونه الخلافة بعد عثمان . قال أهل البصرة إلى طلحة ، وأهل الكوفة إلى الزبير ، ورغب أهل مصر وعلى رأسهم ابن سبأ إلى علي بن أبي طالب ؛ وعمل كل فريق على أن يتم الأمر له ولبن وقع اختياره عليه دون غيره^(٢) .

لم يمض زمن طويل حتى فاز المصريون أنصار ابن سبأ ؛ فقتل عثمان في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ (٦٥٥ م) ، وتولى علي بن أبي طالب الخلافة (في الخامس والعشرين من هذا الشهر) . فكان ذلك أول فصول هذه المأساة ، وما أعقبها من تحزب المسلمين واقسامهم إلى سنيين وشيعيين .

عقيدة ابن سبأ الشيعية وألوهية علي :

والآن نعود إلى الكلام على حياة ابن سبأ من حيث تطور عقيدته الشيعية في خلافة علي وبسما :

ذكر ابن حزم أن قوما من أصحاب عبدالله بن سبأ أتوا عليا وقالوا له : « أنت هو ! » فقال لهم : « ومن هو ؟ » فقالوا : « أنت الله ! » فغضب علي وأظهر الجسد ، وأمر بنار فأوقدت ، وأمر مولاة قنبر أن يلقى هؤلاء الرجال فيها ؛ فجعلوا يقولون وهم يلقون في النار : « الآن سمعنا أنه الله ، لأنه لا يمتد بالنار إلا الله » .

(١) الطبري (١ : ٢٩٥٠)

(٢) شرحه (١ : ٢٩٥٥)

وقد زادنا ابن حزم أن عليا أشار الى هذه الحادثة في هذا البيت :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أجيئت نارا ودعوت قتيلا^(١)

فكان من أثر هذا الغلو في العقائد الدينية أن أمر علي بن سبأ فني إلى اللدائن^(٢) . بيد أن هذا لم يكن ليفني ابن سبأ عن مواصلة الدعوة لعلي ، حتى إذا ما مات علي قالت الطائفة السبئية برجمته وتوقفه^(٣) ، أي انتظار رجوعه ، وبحلول الجزء الإلهي فيه . ولقد ذهبوا أيضا إلى القول بأنه يجيء في السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق سوطه (أو تسمه أو نوره على ما ذهب البعض) ، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملؤها عدلا بعد أن ملكت جورا وظلما^(٤)

٢ - الدعوة السرية للهاشميين أيام بني أمية

لقد نال معاوية الخلافة بمجد السيف طورا ، وبالمكيدة والسياسة طورا آخر ، لا بإجماع من المسلمين ورضى منهم : فلك أن العرب دعوا إلى الحسن بن علي بعد موت أبيه ، إلا أن خلافته لم يطل أمدها^(٥) ، لما أشجع من انتماء جيوشه أمام جند الشام ، وتحمل أهل العراق عنه ، فلم يجد بدا من التزول عن الخلافة ، فانظرا إلى صلاح الأمة وحسن النماء^(٦) .

على أن الدافع الحقيقي الذي دفع بالحسن إلى التزول عنها إنما يرجع - على ما ذهب إليه يعقوبي^(٧) - إلى أنه لم يعد بحيث يستطيع مساواة معاوية . ولقد انتهى هذا التزول بإبرام معاهدة الصلح

(١) قهر مول علي بن أبي طالب القى رى هؤلاء الرجال في النار (ابن حزم : المل والنمل ج ٤ ص ١٨٦)

(٢) الشيرستان (ج ٢ ص ١١) ولقد انفرد (ج ١ ص ٢٦٩)

(٣) قال ابن سبأ لما بلغه قتل علي "لو أتيتمونا بدماثة سبعين مرة ، ما صلفنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملكت جورا - ابن حزم (ج ٤ ص ١٨٠)

(٤) الشيرستان (ج ٢ ص ١١)

(٥) ذكر المسعودي ، مروج الذهب (ج ٢ ص ٣١) أن علي مات في العشرين من رمضان سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) ، واستخلف بعده ابنه الحسن في الخامس والعشرين من هذا الشهر ، فظل في الخلافة إلى أن نزل عنها في مبتدئ ربيع الأول (ليست حادثة المسعودي صحيحة لأن هذا التزول تم في شهر ربيع الأول أو ربيع الثاني) .

(٦) القسبي ، لندن ، مخطوط ١٩٧٩ ، ورقة ٩٣ (ب) .

(٧) (ج ٢ ص ٢٥٥)

النداء الذى دوى فى كل مكان ، وعلى الأخص عند الموالى من الفرس الذين تافوا الى الخلاص من من نير العرب^(١) .

ومن هنا نشأت فرقة التوابين الذين نلحوا على ما فرطوا فى جنب الحسين ، ورأوا أن لا توبة لهم إلا بالاستماتة فى سبيل الأخذ بشار الحسين وأهل بيته . وقد تبعوا قتله واستأصلوهم .

هاتان السارتان تصفان حال الأمة العربية وصفا دقيقا . فإن هذا النزاع الذى احتدم بين هذين الحزبين لم يته بهوت الحسين وانتهزام أشياحه ، بل على العكس من ذلك ، قد زاد فى الدعوة لآل عل قوة ، حتى إن العداء بين الأمويين والعلويين أصبح أشد خطرا وأعظم احتداما عن ذى قبل . يؤيد هذا القول ما كان من رد ابن عفيف على ابن زياد طامل الكوفة ، حين صعد المنبر بعد وفاة الحسين وخطب الناس خطبة جاء فيها : " الحمد لله الذى أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد (بن معاوية) وحزبه ، وقتل الكتاب ابن الكتاب وشيعته " .

بيد أن شعور العداء عند الشيعة أخذ يشور بركانه بعد واقعة كربلاء لأوهى الأسباب ؛ ذلك أنه بعد أن فرغ هذا الأمير من كلامه ، انبرى له عبد الله بن عفيف الأزدي يندقوله فى هذه الكلمات المملوءة حقا المفعمة مفعلا على بنى أمية وولاتهم فقال : " يا عدو الله ! إن الكتاب أنت وأبوك والذى ولاك وأبوه ، تحتل أولاد النبيين وتقوم على المنبر مقام الصديقين " (٢) .

ابن الزبير وابن الحنفية :

دعا عبد الله بن الزبير الى نفسه فى سنة ٦٣ للهجرة ، فصادقت دعوته نجاحا عظيما فى بلاد العرب والعراق . عل أن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب أبى مياصة ابن الزبير — وكان قد تابع يزيد بن معاوية — فتت ذلك فى غضب ابن الزبير ، وساعد على ظهور حزب جديد : هو حزب الكيسانية الذى قام فى الكوفة بالدعوة الى محمد بن الحنفية بسد قتل الحسن فى موقعة كربلاء .

(١) Nicholson : Literary History of the Arabs, p. 128

(٢) ابن النجاشي ، لندن ١٦٤٧ ، ورقة ١٨٠ أ

أن حياة ابن الحنفية لحياة حافلة بحجية ، فقد أقسم بين الطاعة ليزيد حين ولاه أبوه العهد . ولما ولي يزيد الخلافة دعا ابن الحنفية لزيارته في دمشق ، حيث تلقاه بكل مظاهر الإجلال ، وأكرمه الإكرام كله وأمر له بثلاثمائة ألف درهم (وفي رواية أخرى خمسمائة ألف درهم) وعروض بمائة ألف^(١) .

المختار والكيسانية^(٢) :

لقد فت إياه ابن الحنفية عن الدخول فيما قام به عبد الله بن الزبير في عضد هذه الدعوة ، وهياً للمختار فرصة سانحة لتكوين حزب شيبي جديد ، هو حزب الكيسانية . بيد أن

(١) القرظي ، التاريخ الكبير الحقي ، ليدن خطوط ١٣٦٦ ، المجلد الثاني ، ورقة ١٢٧ ب

(٢) تنب الطائفة الكيسانية على رواية الطبري (طبعة دي غوي ١ : ٢٣٩٣) ، والبندادي (الفرق بين الفرق ص ٢٧) ، والنهر ساني (المل والنمل ج ١ ص ١٩٦) إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب الذي قتل في موقعة صفين سنة ٣٧ هـ . وتنب هذه الطائفة ، على ما أورده المسعودي (مروج الذهب ، طبعة يولاق ج ٢ ص ٧٩) وابن عبد ربّه (العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٩) إلى المختار بن أبي عبيد . ولكن كلام المسعودي لا يستند عليه غير جازم بذلك إذ يقول : "أوهو غير المختار" .

على أن نجد كثيراً من المؤرخين يفرقون بين كيسان والمختار ، فيقول ابن حزم : (الفصل في المل والأهواء والنمل ج ٤ ص ٩٤) أن هناك شخصين مختلفين ، هما المختار بن أبي عبيد وكيسان أبو عمرة . ويقول النهر ساني (ج ١ ص ١٩٦) ، أن هناك طائفتين مختلفتين ، هما الكيسانية والمختارية : الأولى تنب إلى كيسان مولى علي ، والثانية إلى المختار بن أبي عبيد .

وذكر الطبري (٢ : ٦٧١) في مكان آخر ، أن أبا عمرة كيسان مولى ببسطة هوريس شرطة المختار بن أبي عبيد . ووافى على هذا أحد بن يحيى بن المرتضى (كتاب غايات الأفكار ، مكتبة المصنف الريطاني ، خطوط ٣٧٧٢ ورقة ١٢٧ ب) . على أن ابن المرتضى لعين الله لم يجزم بذلك حيث قال كما قال الطبري (٢ : ١٣٩٣) : ويقال أن لفظ كيسان يطلق على مولى علي بن أبي طالب .

وقد يردح بما ذكره الطبري لولا ما جاء في رواياته من تناقض وتضارب ، مما يجعل الاحتذاء إلى أصل الطائفة الكيسانية بعيداً كل البعد . على أن هذا الاحتذاء يمكن الوصول إليه من مصدرين آخرين : هما كتاب الطبقات لابن سعد (+ ٢٣٠ هـ ٨٤٤ م) (ج ٥ ص ٧٧) وكتاب الأخبار الطوال للديوري (+ ٢٨٢ هـ ٢٩٠ هـ ٨٩٥ هـ ٩٠٣ م) . طبعة ليدن (ص ٢٩٦ — ٢٩٧) .

فقد أن ابن سعد باسم أبي عمرة كيسان ضمن أسماء غيره من الرجال الذين شهدوا بأن ابن الحنفية سمح للمختار بأبى بيت الدعوة باسمه (ابن الحنفية) ، وإن كان هذا القول مشكوكاً فيه لأنه غير ثابت تاريخياً بأن ابن الحنفية مالا للمختار ابن أبي عبيد ، بل عرف أنه تابع يزيد بن معاوية لأنه لم يكن يتق بأهل الكوفة .

وقد روى الديوري عن الشيبي في سياق كلامه على المختار عبارة تدل صراحة على أن المختار وكيسان شخصان مختلفان . والشيبي هذا من أكابر المحدثين والفقهاء ، وهو مشهور بالورع وصدق القول وبحري الضل . قال الديوري : " وكان على الكوفة يومئذ من قبل عبد الله بن الزبير ، عبد الله بن مطيع ، فأرسل ابن المختار يقول : =

المجهودات التي بذلها المختار لم تلق صطف ابن الحنفية وتأييده ، لأنه لم يكن يتق بأهل الكوفة الذين خذلوا أباه وأخويه من قبل^(١)

وقامت ثورة المختار بن أبي عبيد في خلافة عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ - ٥٨٦ م) ، ولقد قارن فان فلوتر (Van Vloten) بين مذهب السبئية ومذهب الكيسانية فقال : "يظهر أن عقيدة السبئية قد بنيت على الرأي القديم المتأصل بتجسد الألوهية . وزاد هذا المؤرخ على ما تقدم بأن السبئية يختلفون عن الحزب الشيعي الآخر ، وهو حزب

ما حده الجملات التي تتدور حولك ؟ فقال : المختار مرض يماده قمر بزل كذلك حتى قال له صفاؤه : عليك بإبراهيم بن الأستر فاستلمه ، فانه من شاك على أمر ففوت به وفضيت حاجتك - فأرسل المختار إلى جماعة من أصحابه ، فدخلوا عليه ويده مصيفة غنومة بالرماس ، فقال الشيعي : وكنت فيمن دخل عليه ، فرأيت الرماس بلوح ، فظننت أنه إنما ختم من الجبل ، فقال لنا : اطلقوا بنا حتى نأتي إبراهيم بن الأستر - قال فضينا به ، وكنت أنا وزيد بن أسن الأزدي ، وأحد ابن سبط ، وعبد الله بن كامل ، وأبو عمرة كيسان مولى بجيلة الذي يقول الناس قد جاوره أبو عمرة ، وكان من بعد ذلك على شرط المختار " .

ولقد حاول فريد ليندر (Friedländer) في تليفه على "شع الشيعة على ما جاء في كتاب ابن حزم" (Heterodoxies of the Shi'ites in the Presentation of Ibn Hazzam) المنشور في مجلة الجمعية الأمريكية الشرقية في العدد التاسع والعشرين (Journal of the American Oriental Society, vol. XXIX, pp. 29-30) الاتحاد إلى أصل الكيسانية . وبالرغم من أن هذا الكاتب أخذ من غير "المال والعمل" لابن حزم ، فانه قال إن "ما ذكره ابن حزم من هذه المسألة ، هو بلا شك القول الصحيح حقاً من بين أقوال المؤرخين على اختلافهم" .

على أن ابن حزم (ج ٤ ص ١٧٩) إنما قال إن الكيسانية هم أصحاب المختار بن أبي عبيد . وهذا لا يستلزم أن الكيسانية هم المختارية ، لأنه لا توجد صلة بين لقب المختار ولفظ الكيسانية . وعليه فانه من المحتمل كثيراً أن يكون لقب الكيسانية نسبة إلى كيسان مولى بجيلة وريث حرس المختار ، ويبدو أن يكون نسبة إلى كيسان مولى علي ، لأنه مات قبل قيام الكيسانية بقرنين من الزمان . يضاف إلى ما تقدم أن ابن حزم (ج ٤ ص ٩٤) قد ميز بجلاء ووضوح بين لقب المختار وكيسان عند الإشارة إلى الطائفة الكيسانية في سياق كلامه على الإمام الثاني عشر فقال : وكان رئيس المختار بن أبي عبيد ، وكيسان أبو عمرة وضميرها يذهبون إلى أن الامام بعد الحسين هو أخوه عبد الحنفية . وعليه فان ما أورده ابن سعد والذهبي - لا ابن حزم أو غيره - هو القول الصحيح .

(١) ذكر المقرئ في كتابه "المقتضى الكبير" (ليدن) مخطوط ١٣٦٦ ، المجلد الثاني ، ورقة ١٢٨) أن فرقاً من أهل الشام ، وعلى رأسهم مسلم بن عقبة المري ، ساروا إلى الجواز لقتال أنصار ابن الزبير ، وأن فرقاً آخرين شاموا ابن الزبير في الكوفة ، وعلى رأسهم عبد الله بن مطيع طاع ابن الزبير على الكوفة وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، جاورا إلى عبد بن الحنفية فصاروا له : أنزع منا قتال يزيد ، فقال : هل ما ذا أفعله ولم أخلفه ؟ قالوا : إنه كفر... وغرب الخمر . فقال لهم : ألا تتقون الله ، هل رأي أحد منكم يفعل ما تذكرون ، وقد صحبت أكرمنا مصيحه فصاريت به سوا ؟ قالوا : أنه لم يكن يطلق على فعله . قال : أأطعكم أم يطيع ؟ تخافون أن يطيع فتمرد الناس من الخرج ، فرفضوا عليه أن يابعه إذ ذكره أن يابع ابن الزبير ، فقال : لت أقاتل نأجاً أرميها . قالوا : فقد فالت مع أبيك . قال : وأين مثل أبي البرم ؟ فأخبروه كارباً ومعه بنوه مسلمين ، فحمل أهل الشام عليه ، فضارب بنوه دونه ، قتل ابنه القاسم جد ، وضرب أبراهيم قاتل أخيه قتله ، ثم خرج ابن الحنفية إلى مكة من فوره " .

الكنيسانية الذي ظهر في بادئ أمره بالكوفة تحت زعامة المختار^(١١) . وبالرغم من عقيدتهم الأصلية ، وهى القول بإمامة محمد بن الحنفية بعد عليّ أبيه ، فإن الكنيسانية يغالون في اعتقادهم بمحمد بن الحنفية وإمامته ، وبإحاطته بالعلوم كلها^(١٢) ، اذ اقتبس من أخويه الحسن والحسين الأسرار ، وأحاط بعلوم التأويل والباطن^(١٣) .

ويعتقد الكنيسانية في البداء ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى ينير ما أراد ؛ وفى تسامح الأرواح ، وهو خروج الروح من جسد وحلولها في جسد آخر ؛ وفى الرجعة ، أى رجعة محمد بن الحنفية ، كما يعتقدون أيضا بقوة عليّ والحسن والحسين وابن الحنفية . على أنهم يختلفون في أن ابن الحنفية ورث الإمامة عن عليّ مباشرة ، أو عن طريق أخويه الحسن والحسين .

أما عن الرجعة فقد أنكر جماعة من الكنيسانية موت ابن الحنفية ؛ واستغزتهم الأخبار التى ذاعت عن موته ، فاعتقدوا أنه يقيم في جبل رضوى (على مسيرة سبعة أيام من المدينة)^(١٤) ، وأن عودته ستكون من هذا المكان . ولقد جعل كثيرٌ عُرّة السيد الخيرى هذا الاعتقاد مشارا لنظم

(١١) كان المختارين أبى حميد عن بايعرا ابن الزبير ، وقد أوفده ابن الزبير الى الكوفة ليث الدعوة باسم الطالبين . على أن المختار لم يلبث أن أعلن طاعة ابن الزبير ودعا لابن الحنفية . انظر "مروج الذهب" للسعدي (ج ٢ ص ٥٥ هـ - ٧٧) . وقد ذكر الشهرستانى (ج ٢ ص ١٢) أن الكنيسانية بنوا معتقداتهم على معتقدات الموحس الزيدية (ظهرت هذه الطائفة في بلاد الفرس قبل ظهور الاسلام - في القرن الخامس الميلادى) ، والبراهمة في الهند ، والفلاسفة القدماء والصائين .

(١٢) انظر كتاب فان فلون (Van Vloten: Recherches sur la Domination Arabe, Le Chittima, etc., p. ٤٤) . مقتبسا من كتاب Mokhtar تأليف Van Gelder (ص ٨٢ وما يتبعها) . لقد قيل ان ابن الحنفية تبرا من هذا الاعتقاد ، وحذا حذوه غيره من الأئمة . ولقد احاب فان فلون في تطبيقه على ذلك بقوله : وهنا يتبادل المرء : بأى مظهر من مظاهر الترحاب قابل الأئمة هذه المعتقدات المنرفة في العلو ، التى كانت اشخاصهم السبب في ظهورها ؟

ولا غرو فان طبا أكثر على السبئية هذه الصفات التى نسبوها اليه ، ورى في النار من دعوه لها ، ونفى عبد الله بن سبأ الى المدائن . ثم جاء ابنه محمد بن الحنفية ، فشارك أباه في عواطفه وآرائه الدينية ، فبرأ من اعتقادوا في إحاطته بعلوم التأويل والباطن . بذلك على صحة هذا القول ما ذكره ابن سعد في كتابه "الطبقات الكبير" (ج ٥ ص ٧٧) ، أن ابن الحنفية لما علم اعتقاد الطائفة الكنيسانية أن آل عليّ يكون جميع العلوم قال : " والله ما ورثنا من رسول الله الا ما بين هذين الورعين (يعنى القرآن) ، ثم قال : اللهم حلا ، وهذه الصحيفة في ذلابة سبئي " .

وهذا التصريح من ابن الحنفية يذك دلالة واضحة على أن آل عليّ لم يقتصروا بمراث شىء من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنهم لم يورثوا منه الا ما ورثه عامة المسلمين .

(١٣) البهسداى : الفرق بين الفرق (ص ٣٦) ، والشهرستانى : الملل والنحل (ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٨) .

(١٤) انظر فقط رضوى في معجم البلدان لياقوت .

أشعارهما ، حتى فدا هذا النوع من الشعر يعرف بالشعر الكيسانى . وفى ذلك يقول كثير عزة المتوفى سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) :

الا إن الأئمة من قریش ولاء أنلى أربعة سواء
على والثلاثة من بنى هـم الأسياط ليس بهم خفاء
فسيط سبط إيمان وير وسيط عيقت كبر بلاه
وسبط لا يلوق الموت حتى يقود أنليل يبعها اللواه
تقيب لا يرى عنهم زماناً برضى عنده حسل وماء

ويقول السيد الحميرى المتوفى سنة ١٧٣ هـ (٧٨٩ - ٧٩٠ م) ، وكان كيسانياً :

ستين وأشهرأ وبرى برضى بشعب بين أنمار وأسد
مقيم بين آراء وصين وحقات تروح خلال ربد
زاعها السباع وليس منها ملاقين مفترما بحسد
أمن به الردى فرتن طورا بلا خوف لدى مرعى وورد

وإن هذه الأبيات تمثل عقيدة السيد الحميرى فى عهد بن الحنفية ، من أنه قام بشعب من شباب رضى ستين وأشهرأ كثيرة ، ومن حوله الأنمار والآساد ، والظباء وقر الوحش ، وأنواع الشاء ، من غير أن يعدوا أسد عليها ينظر أو يتاب ، لاحترامها له وتقديسها إياه .

ويعتقد الكيسانية أن الدين طاعة رجل ، حتى حملهم هذا الاعتقاد على تأويل الشريعة . وقد حمل هذا الاعتقاد البعض على القول بأن طاعة رجل تبطل ضرورة التسك بالشريعة (مثل ذلك الاعتقاد فى القيامة) ؛ إذ يستطيعون بذلك أن يتعلموا من هذا الرجل أركان الشريعة الإسلامية ، كالصيام والصلاة والحج وغيرها^(١) .

ولقد تكلم فان فلوتن عن الإمام حسب معتقدات السبئية والكيسانية فقال : " إذا كان السبئية يعتبرون إمامهم شخصاً مقدساً بطبيعته ، فان الكيسانية يبنون له الطاعة كرجل رفيع المنزلة ؛ محيط بعلوم ما وراء الطبيعة (Si les Sabäia considéraient leur imâm comme un être divin par sa nature, les Kaisânîa lui prêtaient obéissance comme à un homme supérieur, possédant des connaissances surnaturelles) (٢) .

(١) لشرستانى (ج ١ ص ١٩٦) .

(٢) Van Vloten, p. 43 .

هذا موجب عما به المختار بن أبي عبيد في نفوس الشيعة الكيسانية من عقائد وبدع لا يخفى بطلانها وبعدها عن تعاليم الدين الاسلامي . أما ما كان من أعماله الحربية ، فانه استولى على الكوفة ، ونال من كانت لم يد في موقعة كربلاء .

على أن انتصار المختار كان قصيرا أمده . فان قواد ابن الزبير قد نجحوا في الإيقاع بالمختار وقتلوه (سنة ٦٧ هـ ٦٨٦ م) . ثم انهزم بعد ذلك ابن الزبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفي (جمادى الثانية سنة ٧٣ هـ ٦٩٣ م) الذي استولى على مكة ، وقتل المختار في الكوفة ؛ فرجع للدولة الأموية سلطانها على كافة الولايات الاسلامية .

٣ — الدعوة السرية للعباسيين أيام بنى أمية

من الضروري أن نبحث في هذا الصدد عن حادثة في تاريخ الشيعة : هي انتقال حق الخلافة من بيت علي إلى بيت العباس على يد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ؛ وهو ما يمكن أن نطلق عليه "ميراث الكيسانية" .

وذلك أنه في سنة ٩٨ هـ (٧١٦ م) مات أبو هاشم ، وهو عميد الشيعة الكيسانية . وقبل موته بقليل ، استدعاه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك^(١) ٩٦ — ٩٩ هـ (٧١٤ — ٧١٧ م) إلى دمشق ، حيث تلقاه بكل حفاوة وإكرام . يبدو أن هذا الخليفة دبر أمر موت أبي هاشم — على ما قيل — لما رآه من ذلاقة لسانه وفكاهته وشخصيته الجذابة ؛ تخاف أن يدعو إلى نفسه ويحدد من مواهبه أكبر معين على نجاحه ؛ ففسد له هذا الخليفة من قعد له على طريق الحيلة بلبن مسموم ، وتلطف له حتى سقاه منه وهو في طريقه إلى إقليم الشراة ، حيث كان يقيم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الحيمة ، وهي قرية صغيرة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة .

وقد قيل إن أبا هاشم لما أحس بدنو أجله ، خرج على محمد بن علي العباسي وأفضى إليه بالدعوة وأسراها ، وأمدته بكتب يسلمها إلى داعي دعائه في الكوفة وغيره من الدعاة ،

(١) يقول القرظي في كتابه "المقنن الكبير" (لبن ، غلطوط ١٣٦٦ ، المجلد الثاني ، ورقة ١٣٥ ب) إن الوليد ابن عبد الملك ٨٦ — ٩٦ هـ (٧٠٥ — ٧١٤ م) هو الذي استدعى أبا هاشم ، وهذا خطأ واضح .

ونزل له عن حقه في الإمامة ، وأوصى بأن تكون لابنته إبراهيم بن عبد الملك بالإمام من بعده (١) ، وأن يبدأ بيت الدعوة عند تمام المائة سنة للهجرة (٧١٨ م) . ولقد أورد لنا المقرئ في مخطوطه "المقنى الكبير" الموجود في مكتبة ليندن أن أبا هاشم قال لـ محمد بن عليّ "عند ما أفضى إليه بسر الدعوة : "هذا أمر أنت أول من يقوم به ، ولوليك آخره" (٢) .

وهذا تحول حق الإمامة من بيت عليّ إلى بيت العباس بمقتضى وصية أبي هاشم . وقد أجمع المؤرخون على أنه عند تمام المائة سنة للهجرة ، قام الامام محمد بن عليّ بتنفيذ وصية أبي هاشم ، فأرسل إلى الدعوة يكشف عن السياسة التي ينبغي أن يسيروا عليها (٣) . وهنا تسام : ما الذي حدا بأبي هاشم إلى أن يحول الخلافة إلى بني عمه ، ويترك بني أبيه من العلويين مع كثيرهم وطو شرفهم ؟

وإذا فرضنا أنه ترك أبناء أبيه لأنه لم يكن حوله حينذاك أحد منهم ، فلماذا لم يوص إلى أحد من بني أبيه ، ويسلم وصيته إلى أحد أولاد عمه ليوصلها إليه ؟ ولعل ذلك لما كان هنالك من اختلاف بين مبادئ الكيسانية شيعة أبي هاشم والإمامية شيعة أولاد فاطمة .

ولقد أدرك الإمام شعور أهالي الولايات الإسلامية المختلفة وميولهم ، كما تبين ذلك من وصفه الدقيق للأهواء والميول التي كانت سائدة بين أهالي الولايات في ذلك الحين . وإنا نعلقون هذا الوصف عن الملقمى ؛ قال الإمام في إحدى خطبه :

"أما الكوفة وسوادها فشيعة عليّ ؛ وأما البصرة فغالبية تنبئ بالكف ؛ وأما الجزيرة فغروية (٤) صافقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق النصارى ؛ وأما أهل الشام فلا يعرفون ضمير معاوية وطاعة بني أمية ، ومداوة راحفة وجهل متراكم ؛ وأما مكة والمدينة فقد ضلّ عليهم أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بمحارسان ، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر . وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة ، لم تنقسمها الأهواء ولم تنزعها النمل ولم يفسد فيها فساد ؛

(١) المسعودى "الغنى والإشراف" ، طبعه دى غويّه (ج ٨ ص ٢٣٨) .

(٢) ليندن مخطوط ١٣٦٦ ، المجلد الثانى ورقة ١٣٥ ب .

(٣) الطبرى (٢ : ١٣٥٣) .

(٤) هذا اللفظ مشتق من حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة تبعد عنها ميلين ، نزل بها الخوارج الذين اعتزلوا على بن أبى طالب ، فسبوا إليها ومجروا حرورية (أو غوراج) . انظر فقط حروراء في سبغ البلدان لابن قتيبة ، والفرق بين الفرق البغدادية (ص ٥٧) (Prof. R. Nicholson : Literary History of the Arabs, p. 309) .

وفهم جند لم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ، ولغات
نخمة تخرج من أجسام منكدة . وبعد فاني أفتاعل الى المشرق ، والى مطلع سراج الدنيا ومصباح
الخلق (١) .

ويتبين لنا من تلك الخطبة ، أنه كان من بين الأسباب التي حلت عهد بن عليّ على اختيار
خراسان ، هو ما يعلمه من أن قلوب أهلها لم تتأثر بعد بالاختلافات الدينية . على أن هناك سببا
آخر قد يكون أبعد أثرا ، وإن لم يعلق عليه الإمام أهمية كبيرة في خطبته : ذلك هو تألم الخراسانيين
من بني أمية . ولقد صدق فانفلوتن^(٢) إذ يقول تعليقا على خطبة الإمام : "ولكن هناك أمرا آخر—
وإن لم يدل عليه كلام الإمام — قد جعل اختيار خراسان بوجه خاص اختيارا موقفا ، ذلك هو أن
الخراسانيين الأقوياء الأشداء كانوا يقاسون أسوأ صنوف الاستبداد من نير الأمويين" . ولا شك
في أن هذا الأمر قد سهل على العباسيين القيام بنشر دعوتهم .

أنفذ محمد بن عليّ دعاته من الحيمة ، فوجه ميسرة الى العراق . كذلك وجه ثلاثة من الدعاة ،
أحدهم أبو عكرمة العراج^(٣) ، وعهد اليهم في نشر الدعوة في خراسان لمحمد بن عليّ بن عبد الله بن
العباس وآل بيته . وهناك أخذ هؤلاء الدعاة ينشرون الدعوة للعباسيين تحت طي الخفاء ، وظاهر
أمرهم التجارة أو الحج الى مكة .

واختار أبو عكرمة من الدعاة سبعة رجلا ، من بينهم اثنا عشر ثقيا ، فمشر الكل عن ساعد
الجد في بث الدعوة لبني العباس ، ولم يبالوا بما لاقوه من ضرب وصلب وقتل وتشريد .
وفي سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) مات ميسرة ، خلفه رجل ذو بأس وجاه ، هو بكير بن ماهان^(٤) .

وإنه وإن كان هناك من الأدلة ما يثبت صحة قول الإمام بأن قلوب الخراسانيين لم تعز عنها
الاختلافات الدينية ، فإنه ينبغي ألا يعزب عن البال وجود فريق يميل الى العلويين بنوع خاص .
ولا غرو فقد هدئت جهود غالب ، وهو داع طوى متطرف ، نجاح الدعوة لبني العباس ، وأدت
الى تغيير يذكر في نص تلك الدعوة .

ذلك أنه لما وصلت أخبار غالب الى مسامع الإمام ، بعث هذا الى خراسان سنة ١٠٦ هـ (٧٢٤ م)
يزيد أبي محمد مولى بني حمدان ، وأوصاه أن يتجنب غالبا ما استطاع . فلما سمع غالب بوصول

(١) القسبي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (طبعة دي فريه) (ج ٣ ص ٢٩٣ — ٢٩٤)

(٢) Van Vloten, p. 46

(٣) الطبري ٢ : ١٣٥٨ و ١٩٨٨

(٤) الفهرست : الأعيان الطوال (ص ٣٣٦) ، والطبري (٢ : ١٣٦٧)

زياد، أتاه في مرو، وقامت بين الرجلين مناظرة عدائية : هذا ينتصر لبيت العباس ، وذلك لبيت علي .

وكان من وراء عداء ظالم أن أصبحت الدعوة بسند ذلك الحين تنص على الرضا من آل عبد ، وبذلك وجد العباسيون ، كما يقول الأستاذ نيكلسن^(١) ، في هذه اللفظة المهمة عبارة يمكن تطبيقها على أولاد علي والعباس ، وبها أيضا أمكن مترالمدعو اليه ، حتى لا تناله أيدي بني أمية . ولم يكن يعلم شخص المدعو له الا النقباء وخاصة الدعاة ؛ وبذلك كسنى للعباسيين أن يوجهوا الدعوة اليهم تحت طي الكتمان .

هذا ، ولقد قدر للعباسيين الفوز من وراء هذه المجهودات التي بذلوا دعائهم ، والتي أدت الى انضمام كثيرين من ذوى الرأي والجاه ، من أمثال سليمان بن كثير ، وأبي مسلم الخراساني^(٢) ، حتى اذا مات الإمام محمد بن علي سنة ١٢٥ هـ (٧٤٢ م) كانت الدعوة العباسية قد قطعت شوطا عظيما في سبيل النجاح . وفي عهد ابنه وخلفه إبراهيم دارت رحى الحرب بين الفريقين ، بمعنى أن النزاع بين بني أمية وبني العباس دخل في طور جديد ، هو دور العمل ، وذلك في سنة ١٢٧ هـ ، واليك البيان :

في سنة ١٢٨ هـ تسلم أبو مسلم الخراساني مقاليد الأمور في خراسان . وكان من أسباب سقوط الأمويين شوب نار العصبية بين المضربة أوالتزارية ، وبين الثمانية في خراسان ، وضعف قوة أمير هذه البلاد ، وخروج الخوارج في اليمن وحضرموت^(٣) .

أما جند خراسان ، فان نصر بن سيار أمير هذه البلاد بعث الى مروان بن عبد آخر خلفاء بني أمية يكشف له عن قوة أبي مسلم وضعف جند خراسان ويستمده ، وختم كتابه بهذه الآيات :

أرى بين الرماة وميض حجر فأنج بأن يكونَ له ضرامُ
فانَّ النارَ بالموذنين تُدكى وإنَّ الحربَ أوَّلُها الكلامُ
فقلْتُ من التجب ليت شمري ! أأضاطُ أميةً أم نيامُ ؟

Prof. Nicholson : Literary History of the Arabs, p. 259 (١)

(٢) الدينوري : الأخبار العوالي (ص ٤٤١—٤٤٢) ، والطبري (٢ : ١٧٢٧)

(٣) الطبري (٢ : ١٩٤١—١٩٤٩) ، والمسدودى — مروج الذهب ، طبع مصر ، (ج ٢ ص ١٤٥)

فأجابه مروان بقوله : يرى الشاهد مالا يراه الغائب ؛ وأمره بأن يحفظ ناحيته بمجهده .

فلما ورد عليه الخطاب قال لأصحابه : ”أما صاحبكم (يعنى مروان) فلا نصر عنده“ .

فكتب بعد ذلك نصر الى يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق كتابا يطلب فيه المعونة والمدد ، وختمه بهذه الأبيات :

أبلغ يزيد ، وغير القول أصدقه وقد تبينت أن لا خير في الكذب ،
أن نراسان أرض قد رأيت بها يصفى لو أفرخ قد حدثت بالمعجب
فرائح عامين إلا أنها كبرت لما يطرن وقد سربلت بالزغب
فان يطرن ولم يُحْتَلْ لهن بها يُهين نيرات حرب أيا لها

فرد عليه يزيد بما لم يُشف فله . فئس نصر من النصر وقال : ”لا غلبة إلا بكثرة ، وليس عندى رجل“ (١) .

هذا ، ولقد عمل شيعة العباسيين ، وحل رأسهم أبو مسلم الخراساني ، الحيلة في تفريق كلمة العرب في خراسان ، فبذروا نور الشقاق بين التزارية والجمانية . وبذلك أمنا اجتماع كلمة العرب ، حتى إنه في أواخر سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) رفرق العلم الأسود ، وهو شعار العباسيين ، فوق حصون دمشق ، وانمحت النبوة الأموية في بحر من القسوة وسفك الدماء ؛ وغدا الأمويون والمناوئون للعباسيين ضحايا أول خلفاء بني العباس ، وهو أبو العباس السفاح (٢) .

(١) أنظر الطبري (٢ : ١٩٧٣ - ١٩٧٤) ، والمسعودي ، مروج الذهب ، طبعة مصر (ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦)

(٢) قال الأستاذ نيكلسن في كتابه *Literary History of the Arabs*, p. 263, n. 1 : ”يقول الأستاذ بيغان (Prof. Bevan) الذي أدين له بهذه الملاحظات ، أن ترجمة لفظ السفاح ، ولو أن استعمالها قد شاع بين الكتاب الأمويين ، فانها لا تزال مثارا لكثير من الشك . وقد ذهب الأستاذ دي غوييه (De Goeje) الى القول بأن السفاح معناه الرجل الكثير الحمايا أو المناج (munificent) . ومع كل قالة مما هيئت ملاحظته أن هذا الاسم قد أطلق على بعض شيوخ القبائل في الجاهلية . ويقال ان سلة بن خالد الذي قاد بني قنطب في موقعة بني كلاب الأولى (ابن الأثير طبعة Turnberg ج ١ ص ٢٤٦) ، سمي السفاح ، لأنه أفرغ مزاد جيشه قبل الموقعة - ابن دريد ، طبعة Wüstenfeld (ص ٢٠٣) ١ - ١٦) . ولقد ورد في هذا الكتاب ذكر لشاعر اسمه السفاح بن عبيدة (ص ٢٧٧) ، السطر الذي قبل الأخير .“
والذي أبلغ اليه أنه انما سمي بهذا الاسم لقوله في أول خطبة له : ”فأما السفاح المبح والطار المنج“ .

٤ — الدعوة السرية للعلويين أيام الدولة العباسية

بعد أن قال العباسيون بالخلافة ، لم يسل العلويون عن المطالبة بدعواهم ، بل ظلوا يناضلون ويكافحون ابتغاء الوصول إليها . على أننا إذا رجعنا إلى الماضي ، فأننا نجد أن الضرورة هي التي أكرهت الشيعة على الاكتفاء بالزعامة الدينية بعد قتل الحسين ، حتى لقد أصبح تاريخ الشيعة تاريخاً للكائد التي دفعتهم عقيدتهم إلى سلوك سبيلها . وهذا القول يؤيده تلك المسألة التاريخية ، وهي أن الشيعة لم يستطيعوا الظهور في ميدان السياسة والاعتداد على السيف بدلاً من اعتمادهم على الكيد ، إلا في أحوال قليلة .

هنا ، وإن قيام زيد بن علي بن الحسين بن علي ، الذي تسب إليه طائفة الزيدية ، والذي ثار على هشام الخليفة الأموي ^(١) في سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) ، مصداق لهذا التطور الجديد . على أن أخلاق أهل الكوفة قد ظهرت في وقت الشدة بما عرفت عنهم من قلب في الرأي وتباين في الميول والأهواء ، فقد خانوا عهد زيد واعتزلوه ، وبايسوا جعفراً الصادق على إمامتهم ^(٢) .

(١) المسعودي : كتاب التنبيه والإشراف (طبع في غري) (ج ٨ ص ٢٢٢)

روى الثوري (المكتبة الألفية بباريس ، مخطوط ١٥٧٦ ، ورقة ٢٢ ب) أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أتب زيد بن علي بن الحسين إذ بلغه أنه يكيد له في الخفاء ، وأترجه من مجلسه ، لحق زيد وقال لخليفة : " أنزع ولا أكون إلا بحيث تكروه " .

وقد أورد لنا الثوري (ورقة ٢٣ ب) نص الدعوة التي كان يأخطا زيد على من يفتي ملهه ، وهي تلخص في : (١) أن يحلف الرجل بين الطاعة والولاء لزيد ، (٢) وأن يقدم الفدية على قتال أعدائه " إذا دعواك إلى كتاب الله ورسة نبيه صل الله عليه وسلم ، وجهاد الظالمين ، وإطاعة المحرومين ، وتقسم هذا الفدية بين أهله بالسواء . أتبايعون على ذلك ؟ فإذا قال نعم ! مسح على يده ثم قال اللهم اشهد - فبايع خمسة عشر ألفاً ، وقيل أربعون ألفاً ، وأمر أصحابه بالاستعداد ، فأقبل من يزيد أن يرى له ويخرج منه " .

(٢) ذكر الطبري (٢ : ١٦٩٩ و ١٦٧٠) أنهم دعوا إلى الرضاة . وقد بحث فريد ليدر أصل هذا القول بحثاً مهماً في مجلة الجمعية الأمريكية الشرقية (Journal of the American Oriental Society, vol. XXIX, pp. 187-189) فقال : " من المرجح كثيراً أن يكون شيعي استحال هذا القول نتيجة البدء الشديد للشيعة . وبلغه بعض الكتاب على جميع فرق الشيعة بلا استثناء " .

ويريد فريد ليدر أن يقول إن هذا القول جرى في العرف العام مجرى التمسك ، فانهم إذا أرادوا أن يمتنعوا شخصاً ويصفوه بأفهم أوصاف التمسك يقولون " راضى " . ولا يزال هذا القول جارياً على ألسنة العامة ، مع تحريف الـ " راضى " حتى كان هذا القلب في بعض الأزمان يطلق على كل من يبدى ميلاً لآل البيت . ومن ذلك قول الشاعر :

إن كان راضياً حب آل محمد فليشد الغلجان أنى راضئ

وبذلك ترك زيد يحارب في جماعة قليلة قاتل معها إلى أن قتل ؛ فأحرقوه بالنار وضربوه بالعصى حتى صار رمادا^(١).

وهؤلاء الزيدية هم الذين نشأت منهم الرافضة . وسبب ذلك أن زيدا لما اشتبك مع يوسف ابن عمر الثقفي وإلى العراق من قبل هشام بن عبد الملك قالوا له : "إنا نضرك على أعدائك بعد أن نخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب . " قال زيد : "إني لا أقول فيهما الا خيرا ، وما سمعت أبي يقول فيهما الا خيرا ، وإنما خرجت على بني أمية لأنهم قاتلوا جدي الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المجنين والنار " . فأحرقوه عند ذلك فقال لهم : "رفضتموني " ؛ ومن يومئذ سمو رافضة .

وبعد موت زيد بن علي بن الحسين اتهم الزيدية إلى طوائف عدة : فظل فريق منهم على ولائهم لزيد ، وبايعوا ابنه يحيى ، وقتلوا معه في خراسان سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) . بيد أن أمر يحيى قد آل إلى ما آل إليه أمر أبيه من قبل ؛ فقد قتل في هذه السنة ، أصابته نصابة فمات ، وحز رأسه وصلب ، ثم أحرق حتى صار رمادا تنوره الرياح^(٢).

الإمامية والإسماعيلية :

على أن فريقا كبيرا من الزيدية الذين اصطلوا زيدا قد انضموا إلى الطائفة الإمامية أنصار جعفر الصادق . والإمام حسب معتقدات الإمامية يكتسب حقه في الإمامة بطريق الوراثية عن علي باعتبار خليفته النبي شرطا ؛ ويعتبر الإمام فوق ذلك وريث النبي عن فاطمة ؛ وينبغي في اختياره أن يكون أكبر أبناء أبيه سنا . بيد أن خروج فريق من هذه الطائفة على هذه القاعدة بعد موت جعفر الصادق قد جري إلى انقسام الإمامية قسمين :

(١) الإمامية : وقد أطلق عليهم فيما بعد الاثناعشرية ؛ وقالوا بإمامة موسى بن جعفر الصادق ، وهو عندهم الإمام السابع .

(١) شرف الدين المندري ، مكتبة المتحف البريطاني ، القسم الشرقي ، خطوط ٣٨٦٨ ، ورقة ١١٤ ب وما فيها .

(٢) الطبري (٢ : ١٧٧٠ — ١٧٧٤)

(٢) الاسماعيلية : وقد قالوا بإمامة اسماعيل بن جعفر ، وكان أكبر أولاد أبيه جعفر ، ولو أن وفاته كانت في حياة أبيه ، لحق أنصار هذا المذهب إمامة اسماعيل إلى ابنه محمد ، وهو عندهم الإمام السابع ، ومن ثم أطلق عليهم الشيعة تمييزاً عن الاثنى عشرية .

ثورة محمد وإبراهيم في الحجاز والعراق :

. هذا ، ويعتد بنا أن نستلطف في الكلام على تاريخ الشيعة ، فحين في ذلك منحى الإيجاز ، لكي نتير الطريق أمام من يريد أن يتعرف ما كان عليه قيام الفاطميين في بلاد المغرب . ولقد أوضحنا قبلاً أن العباسيين استغلوا اسم الشيعة في إسقاط الدولة الأموية ، حتى إذا ما آلت إليهم الخلافة ، تم انفصال قريبي الشيعة والعباسيين .

ذلك أنه في خلافة أبي جعفر المنصور ١٣٦ - ١٥٨ هـ (٧٥٤ - ٧٧٥ م) ، دعا محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، المعروف بالنفس الزكية ، إلى نفسه سرا ، وتلقب بأمير المؤمنين . وفي سنة ١٤٥ هـ (٧٦٣ م) ظهر محمد بن عبد الله هذا بعد أن عاش في الخفاء دعراً أخذ فيه أفعياعه يقيمون له الدعوة ، إلى أن كثر أنصاره في خراسان (١) ، واعترف الناس بإمامته في مكة والمدينة ، ومن هذه أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته .

على أن محمد بن عبد الله لم يعيش حتى يرى أثر دعوته . فقد قتل على يد عيسى بن موسى (ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) ، فلما أخوه إبراهيم إلى نفسه ، وقد أزره كثيرون من فقهاء البصرة وغيرهم من ذوي الرأي والجاه ، وانضوت المعتزلة والزيدية تحت لوائه ، وطاونه أبو حنيفة وراسله سرا ، كما حاول الإمام مالك أخاه عمداً بالمدينة حين أتى بتقص بيعة المنصور لأنها كانت مبنية على الإكراه . وبهذا كله تمكن إبراهيم من إدخال أهالي واسط والأهواز وفارس في دعوته (٢) .

بيد أن حياة إبراهيم قد آلت إلى ما آلت إليه حياة أخيه من قبله ، فقد قتل عيسى بن موسى أيضاً أول ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ (٧٦٣ م) في موقعة بالخمرا (٣) الواقعة بين الكوفة وواسط .

(١) يحيى بن الحسين ، لندن ، مخطوط ١٩٧٤ ، ورقة ١٥ (١) وما بينهما .

(٢) شرح ، ورقة ١٩ (١) .

(٣) أقرب إلى الكوفة منها إلى واسط ، وتبعد عن الأولى بسبعة عشر فرسخاً . راجع معجم البلدان لما توت .

ومن هنا يتبين أن العلويين لم يعزلوا في دعوهم في الخلافة على الكيد وحده ، بل ظلوا ينازلون أعداءهم في ميادين القتال كلما ستحت لهم الفرص وتبأت لهم الأحوال : ففى عهد الهادى خرج الحسين بن على بن الحسين بن الحسن بن على بالمدينة يدعو الى نفسه فى ذى القعدة سنة ١٦٩ هـ ، ومنها سار الى مكة حيث التقي بجيش العباسيين بفخ - وهو واد فى طريق مكة - فقتل بعد أن أبلى بلاء شديدا . وكانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل ولم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأبغ من غـ . وقد أكثر شعراء الشيعة فى رثاء قتلاهم ، ومن ذلك قول أحدهم :

فلا بُكَيْنَ على الحسبِ ن بؤلة وعلى الحسبِ
وعلى ابنِ طائفة الذى وأروه ليس بذى كفن
تُرِكوا بفخ غُدوةً فى غير منزلة الوطن
كانوا كراما هُجِّوا لاطاشين ولا جُبِّين
غسلوا المنلة عنهم غسل الثياب من الدرن
هُدِىَ المبائِدُ بهم فظهم على الناس المنز^(١)

وكانت هذه الموقعة بيعة الأثر ، فقد هرب منها رجلان كانا شجى فى حلق العباسيين :

أحدهما يحيى بن عبد الله صاحب الديلم ، وأخوه إدريس فى بلاد المغرب .

أما يحيى فقد ثار فى عهد هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣ هـ (٧٨٦ - ٨٠٩ م) فى بلاد الديلم ، وانتصر له أهل اليمن ، وضد أمره من انطرب بحيث هدد سلامة الدولة العباسية وأطلق بال الرشيد . فأنفذ اليه الفضل البرمكى ، وهنا أعمل الحيلة ، فأرغمه فى سنة ١٧٦ هـ (٧٩٢ م) على أن يقسم بين الولاء للرشيد الذى قتله بعد قليل ومداد الأمان لم يحف بعد . على أن الصورة التى قتل بها يحيى لاثزال سرا غامضا .

وكانت من نتيجة هذه الجهود التى بذلها إدريس بن عبد الله أخو يحيى فى إثارة شعور شمال إفريقيا ضد حكم العباسيين ، أن تأسست دولة الإدارة فى الطرف الشمال الغربى ، وضاعت هذه البلاد من أيدي العباسيين .

(١) راجع لفظ غ فى سيم البلدان لياقوت .

٥ - فشل هذه الدعوة في الشرق وانتقالها الى الغرب

(شمال افريقية) :

كان من أثر ماحل بالعلوين من حبس وقتل أنت عمدا الى نشر دعوتهم في طي الخفاء ؛ فلبسوا أماكن يخفون فيها ويقتدون بها ملاحين يدعون بها عن أنفسهم ما كان يوقعه العباسيون بهم من حبس وآلام ، الى أن تقوى دعائم دعوتهم ، واذ ذلك يستطيعون الظهور .

على أن فكرة سرية الدعوة إنما كانت فكرة قديمة ، استحدثها النبي صلى الله عليه وسلم . فقد دعا الى الاسلام سرا في دار ابن الأرقم ، ومن بعدها اخفى في الفار حين هدد حياته أعداؤه من قريش . وقد اتخذت هذه النظرية التي ابتدئها ابن سبأ شكلا جديدا في سنة ٣٦٠ هـ (٨٧٤ م) ، وهي السنة التي مات فيها الحسن العسكري الإمام الحادي عشر .

أما ونحن بصدد الكلام على النية ، وجب أن تأتي بكلمة يسيرة نصف بها استار أئمة الشيعة لدرء ماعسى أن يحمق بهم من مكروه . ولا غرو فقد شدد الخلفاء العباسيون في طلب آل البيت ، حتى لا تظهر دعوتهم وهوم دولتهم على اتقاض الخلافة العباسية نفسها . ولهذا اتخذ دعاة الشيعة من الإسماعيلية بوجه خاص دور الهجرة في البلاد التي قاموا فيها بنشر المذهب الإسماعيلي .

ولقد أورد لنا يحيى بن الحسين المتوفى سنة ٣٩٠ هـ (٩٧١ م) في كتابه «الإفادة في تاريخ الأئمة السادة على مذهب الزيدية» أن القاسم بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب استتر في مصر في خلافة المأمون العباسي ، وأنه دعا الى نفسه حين بلغه موت أخيه محمد . وقد بث دعواته وهو على حال استارته زهاء عشرين سنة ؛ فبإياه أهل مكة والمدينة والكوفة والري وقزوين وطبرستان وبلاد الديلم ، وكتبه أهل البصرة والأهواز وحنوه على الظهور ؛ فوصل خبره الى الخليفة ، فأمر بالتشدد في طلبه . فلم يطلب للقاسم المقام في مصر ، فداد الى الحجاز ومنها الى تهامة ، ولحق به جماعة من بني عبد وغيروهم ، فبثوا الدعوة باسمه في بلخ^(١) والطالقان^(٢) ومرو

(١) مدينة مشهورة بخراسان ومن أجل مداتها وأكثرها خيرا . اختصها الأحف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر في خلافة عثمان بن عفان . والها يتشب كثيرون من أهل الأدب وطباء الكلام والحفاظ — أقل فقط بلخ في موسم البلدان لياقوت .

(٢) الطالقان بلدان : إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ ، بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل . وقد ذكر الإصطخري أن طالقان أكبر مدن طخارستان ، وتقع في مستوى من الأرض ، يجري فيها نهركير ، وتبلغ في الاتساع ثلث ما تبلغه مدينة بلخ ؛ والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر (مدينة مشهورة بين خرزج ورجستان وهذان من نواحي الجبل ، والقرى يسكنها أرهر ، ختمت في أيام عثمان بن عفان ، وبينها وبين زنجبان خمسة عشر فرسخا ، وبينها وبين خرزج اثنا عشر فرسخا) وبها عدة قرى تعرف كلها بهذا الاسم .

وغيرها فذاع خبره ، وبعت الخليفة الى بلاد اليمن جننا يطلبونه ، فاختفى في حى من البلد . ولما
ولى المعتصم الخلافة شدد في طلب القاسم ، وبعت بنا الكبير وأشتاس في جند كثيف ، فانتقض
عليه أمره ، وذلك سنة ٢٢٠ هـ .

وقد روى هذا المؤرخ عن خادم القاسم بمصر تلك الحكاية قال : ^{٢١} ضاقت بالإمام القاسم
المساك واشتد الطلب ، ونحس مخفون معه خلف حانوت إسكاف ... فتودى نداء يلقنا
صوته : برت النمة بمن أوى القاسم بن إبراهيم ومن لا يدل عليه ؛ ومن دل عليه فله ألف دينار ،
ومن البركنا وكذا . والاسكاف مطرق يسمع ويعمل لا يرفع صوته . فلما جاءنا قلنا له : أما ارتعت ؟
قال : من لى ! ما ارتاعى منهم ولو قُرضت بالمقاريض بعد إرضاء رسول الله حتى في وقايتى لولده
بتقى ^(١) ٢٢

والآن نعود الى الكلام على الإمام الثانى عشر : فى شعبان سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) ولد للحسن
العسكرى ، وهو الإمام الحادى عشر عند الشيعة الإمامية ، ولد سماء مجدا ، من أم ولد اسمها صقيل ^(٢) .
فلما توفى الحسن فى سنة ٢٦٠ هـ كان ولده فى الخامسة من عمره . ومن هنا تنسب الى الإمام
الثانى عشر غيبتان : الغيبة الصغرى ، منذ ولد مجدا الى أن اختفى عن أشياءه ، والغيبة الكبرى ،
منذ اختفائه نهائيا الى وقت ظهوره .

وقد ربح ابن حزم صحة اسم صقيل وزاد أنها ادعت الحمل بعد وفاة الحسن العسكرى سبع
سنين ، فوقف ميراثه ؛ وقد نازعها فيه أخوه جعفر بن علي الى سنة ٢٦٧ هـ ؛ ففضى له القاضى
وانقسمت الشيعة بسبب ذلك فريقين :

(١) فريق ناصر جعفر .

(٢) وفريق آثر تعصب لصقيل ، ومن بينهم حسن بن جعفر التوبجنى ^(٣) ؛ وهو فارسى
الأصل وصاحب الزيج المشهور ، والذي قام برسم مدينة بغداد للتصور ، فصار بيته من أشهر
البيوتات .

(١) ليند خطوط ، ١٩٧٤ ، ورقة ٣٤ أ — ٣٥ ب

(٢) هذا هو رأى الشافعى . حل أن هناك فريقا من المؤرخين يتكلمون هذا الرأى ، فيذكرون أن مجدا من أم ولد اسمها
نريس ، وزعم آخرون أنه من أم ولد اسمها سوسن (ابن حزم ج ٤ ص ٩٤) .

(٣) فوجئت بأقاربى سماتها بالهت القريب .

حاشت صقيل بعد وفاة سيدها عشرين سنة في بيت الحسن النوبختي ؛ فراجت الاشاعات حول مقامها في هذا البيت ؛ فأمر الخليفة المتضدد فحملت الى قصره ، فظلت فيه الى أن ماتت في خلافة المقتدر .

وقد ذكر لنا المؤرخون عند كلامهم على الغيبة الكبرى سنة ٥٢٦ هـ ، أن الحسن العسكري وكل بدعوته بعض رؤساء الشيعة . فكان أبو سعيد العمري رئيس الإمامية الوكيل الأول . أما الوكيل الثاني فهو النخعي ، وهو أصل الطائفة النصيرية . والوكيل الثالث حسن بن جعفر النوبختي الذي قامت الدعوة لآل علي يد رجال من بيته .

ويقال إن عهد الإمام الثاني عشر دخل سرداباً في مدينة سامرا ؛ ولم يقف له أشياء على أثر منذ ذلك الحين . ولهذا يعتقد الإمامية أنه سيظهر ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ؛ ومن ثم سمي الإمام المنتظر ، وصاحب الزمان ، والقائم بالحق .

ولا غرو فإن جهود الإمامية قد ظهرت ظهوراً بيناً منذ وفاة الإمام الحادي عشر سنة ٥٢٦ هـ (٨٧٣ م) ، مما حدا بالملفء العباسيين الى تضيق الخناق على طائفة الاسماعيلية ؛ فاضطروا الى مفادرة سلمية^(١) مركز دعوتهم ، ومواصلة جهودهم في بلاد أكثر صلاحية لبث هذه الدعوة ، وهي شمال إفريقية .

ولاشك في أن المجهودات التي بذلها الشيعة لتأسيس خلافة علوية بالشام قد قضى عليها ؛ فلم ير الأئمة بنا من الاستمرار ليدروا عن أنفسهم ما أضمره لهم العباسيون من حق وقمة . والآن نشرح في بيان الأسباب التي من أجلها وقع اختيار الشيعة على شمال إفريقية ابتداء نجاح دعوتهم ، ثم نأخذ في الكلام بعد ذلك على نسب الاسماعيلية أو الفاطميين ، وهو اللفظ الذي اصطلاح المؤرخون على استعماله اذا ما تناولوا الكلام على هذه الأسرة .

(١) وسيلة هذا الضبط كما حققه باقوت في سيجته ، وهي من أعمال حاة من بلاد الشام .

٦ - الأسباب التي مهدت السبيل لنجاح الدعوة الشيعية في المغرب

(١) البعد عن السلطة المركزية في بغداد

كان الأدارسة - على ما ذكرنا - أول من أسس سلطانا من العلويين ؛ فاقاموا دولة الأدارسة في شمال إفريقيا (المغرب الأقصى) سنة ١٦٩ هـ (٨٧٥ م) ، وحذا حذوهم ذوو قرباهم من الزيدية في بلاد اليمن . أضف الى ذلك أن شمال إفريقيا التي أقطعها هارون الرشيد ابراهيم بن الأغلب قد استقلت استقلالاً فلياً ، ولم تكن خاضعة للعباسيين الا في الاسم فقط .

نعم ! لقد أقام ابراهيم دولة دلم سلطانها زهاء مائة سنة ١٨٤ - ٢٩٦ هـ (٨٠٠ - ٩٠٩ م) . وبالرغم من أن خلفاءه اكتفوا بقلب الإمارة ، فإن قوة الخليفة العباسي قد بلغت من الضعف بحيث لم يعد قادراً على التدخل في أمور هذه الولاية ، مكتفياً بذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة . وهذان المظهران هما كل ما بقي للخلافة العباسية في جميع البلاد الاسلامية التي زال عنها نفوذ ببغداد .

ضعفت قوة الدولة العباسية لاستئثار الموالي من الأتراك بالسلطة دون الخليفة ، وأصبح في يدهم تولية الخليفة وعزله وقله ؛ وغدت البلاد مرتما للقوضى والقلقل ، وصارت السلطة العسكرية في بغداد - وقد أصبحت ملهى يلهو به المتنافسون - من الضعف بحيث لم يعد الخليفة قادراً على الدفاع عن حاضرة الدولة ، وقد هدها الزنج وأضرموها نارا الثورة التي دامت زهاء أربع عشرة سنة ٢٥٥ - ٢٧٠ هـ (٨٦٩ - ٨٨٣ م) عرضوا فيها كيان الدولة للخطر ، كما أصبحت دلتا الفرات تحت رحمة العصابات من قطاع الطرق الذين أدخلوا الفزع والملع في قلوب الأهالي ؛ وتعدى بلاؤهم الى محاصرة أمهات المدن كالبصرة ، والأهواز ، وواسط .

هذه الحالة تكشف لنا عن مبلغ الضعف الذي وصلت اليه السلطة المركزية في بغداد ، هذه السلطة التي عجزت حتى عن الدفاع عن الولايات المتاخمة لحاضرة الدولة . ومن هذا يتبين لنا مبلغ السهولة التي أقام بها الفاطميون دولتهم في إحدى ولايات الدولة البعيدة كشمال إفريقيا ، لما أصابها من وهن وما اشتهر عن أمراءها من ضعف وانحلال .

” أضف الى ما تقدم أن البربر، على ما هو مشهور عنهم من حب القتال ، وما تتووده من شظف في العيش ، وما فطروا عليه من علم إخلاد للنظام كانوا — كما بينا — متأهين للمناطرة بأرواحهم اذا ما عرض لهم باعث يحرك في نفوسهم ما جبلت عليه من إقدام على المخاطر وركوب متن الأهوال . وزد على ذلك أن حامل الشراة الذي فطر البربر على إرضائه ، وما انطوت عليه أخلاقهم من حق وخشونة — كل ذلك جعلهم أمسلس قيادا الى أبي عبد الله الشيعي ، تمكن من الوصول الى أغراضه من إثارة حيتهم وإعجابهم بآل علي والمهدي “^(١)

هنا ، ولا ينبغي عن أنفعا أن بلاد الأتلس ، التي سهل انفلاخها عن الخلافة العباسية بسبب بعدها عن مركز هذه الخلافة وازدياد نفوذ الأمويين فيها في أواخر القرن الثالث الهجري ، لو بقيت تحت سلطان العباسيين ، لو هتت حجر عثرة في سبيل ازدياد نفوذ الفاطميين في شمال إفريقيا .

(ب) جهل البربر وعدم استعدادهم للحضارة الاسلامية في بغداد

لم تتولد أركان السلام بين البربر والعرب للتازلين في بلادهم مذ ظهر الإسلام وامتدت فتوحه الى هذه البلاد. ولا ريب في أن البربر كانوا دون العرب حضارة وثقافة؛ وقد نظروا الى العرب نظرم الى الغاصب . وزاد اشتعال نار المصيبة هذا السداء . هذا الى أن البربر لم يكن لديهم الليل والاستعداد للاخذ بأهداب الحضارة الاسلامية التي أوجدها العرب في صدر الاسلام . ولو أخذ البربر بحضارة العرب ، لكان ذلك قبولا لحضارة الفاتحين .

ولا شك في أن أكبر العوامل التي وقتت في سبيل امتناب الأمن إنما ترجع الى العاطفة الوطنية التي هي من أخص صفات البربر منذ مبدأ ظهورهم في عالم التاريخ ، والتي أخذت تتجلى شيئا فشيئا في الأحقاب المتتابة .

وتتكون البلاد التي يعيش فيها البربر من بقاع رملية وطلال جرداء مجربة ، لا يمكن أن تنعم بما تحتاج إليه الأمم من الحاجات اللازمة لتقننها ورقفها ، ولا تجمل من السهل طليها أن تقيم حضارة خاصة بها ، أو أن تتصل بغيرها من الأمم فتتل قيسا من ثقافتها . هذا الى أن بلادهم لم تكن تصلح إلا لمداهم بما تتطلبه الحياة البدوية — اللهم إلا اذا استثنيت هذا السهل الضيق الذي يتاخم

البحر الأبيض المتوسط ، وجبل سكاكنه من أصول مختلفة : من فيزيقيين وقرطاجانيين وإغريق ورومان ، الى وتلال ، وهم من أصل جرمانى ، وعرب — فقد كان قرب هذا الجزء من الساحل الأوروبى سببا فى أن تيسر لسكاكنه أن يفتنوسوا شيئا من رقى الأمم المجاورة .

(ج) بغض الولاة لفرضهم الضرائب الفادحة

ولست فداحة الضرائب التى أهملت كاهل الأهليين بأقل أهمية مما تقتضى . نعم ! لم يكن قيام الخواارج من البربر فى وجه الولاة خروجاً على الدين ، بل كان خروجاً على السلطة الحاكمة ، نظلم الولاة لم وفرضهم ضرائب فادحة ليست مما يفرضه الدين . كما أنهم لم يحلوا ما كانوا يؤملونه ثمناً لما قاموا به من تضحيات فى حربهم مع العرب ؛ ولم يحلوا فى ولايتهم ما يحبههم إليهم . فقد كانوا يعاملونهم معاملة السيد للسود ، لا النظير للنظير ؛ فكان كل ذلك مما أعتهم لقبول المذهب الشيعى . على أنهم لما سامعوا أمر الولاة ، رفضوا الصوت تنديداً بهذه السياسة الخرقاء وبثوا شكواهم الى الخليفة العباسى فى بغداد .

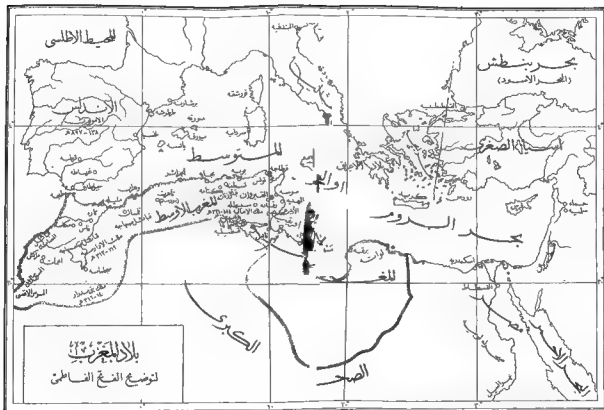
ولما كانت بغداد بعيدة عن شمال إفريقيا ، لم يسر الخليفة — لما حل به وبدولته من ضعف ووهن — شكواهم أذناً صاغية ؛ فهموا تارة بالاحتجاج وطلوا بالسيف . وسهلت كراهمتهم للعرب انضمامهم لأبى عبد الله الشيعى ، الأمر الذى ساعد على تأسيس الدولة الفاطمية بالقيروان . وقد أصاب نيكلسن حيث يقول : ^{٢٢} "لم يعد من الصعب أن يجرّس البربر على محاربة الذين لا يمكن اعتبارهم إلا متطفلين فى أرض الوطن"^(١) .

ومما تقتضى نستطيع أن نفهم كيف هيات الأحوال فى شمال إفريقيا دخول كثيرين من البربر فى حظيرة المذهب الشيعى بمثل ما تهبأت لهم الظروف من قبل . ولا غرو فقد وجه الفاطميون عنايتهم لتحقيق هذه الغاية على يد أبى عبد الله الشيعى ؛ حتى إذا ما وصل بلاد كُتامة (أو كُتامة)^(٢) (٢٨٨ ٩١٠ م) التى حرثها الحلواني وأبو سفيان من قبله ، وجد هذه البلاد موطأة مهيأة له^(٣) .

(١) Nicholson (J) : The Fatimite Dynasty in Africa, p. 26

(٢) انظر كتاب الأنساب للسماكى (ص ٧٤ ب ٥٧٥ أ) لمرة أصل هذه القليلة وصحة نقل هذا القطر .

(٣) ذكر ابن الأثير (ج ٨ ص ١١) والقرزى (أخبار الخفا ص ٢١) أن هذين الداعيين (الحلواني وأبو سفيان) قد بحث هما أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد سنة ١٤٥ هـ وقال لهما "إن المغرب أرض يور ، فأذهبها فارتد حتى يجيى صاحب البدر" والفترة بين دخول هذين الداعيين بلاد المغرب ودخول أبى عبد الله الشيعى ١٤٣ سنة (١٤٥ - ٢٨٨ هـ ٧٦٢ - ٩٠١ م) -



وفي الحق أن هذه الحالة السياسية التي سادت في شمال إفريقية ، وميول بني كرامة المدينة الذين أثرت وأبنت فيهم تعاليم دعاة الشيعة قبل أن تطلق قدم أبي عبد الله أرضهم — كل ذلك مهد السبيل للهدى ليظهر للناس كأنه المهدي المنتظر ومليح آل علي ، ويحقق بذلك الأغراض التي كان يرمي إليها من نشر دعوته .

هنا ، ولا يفوتنا ما كان من ضعف قوة الأمراء في شمال إفريقية ، وما أبداه دعاة الشيعة من نشاط وهمسة كان لها الأثر الكبير في اكتساب ولاء القبائل على اختلافها ومعونته رجالها الذين عرفوا بتغيرتهم وتعبهم — فكان اجتماع كل هذه الأسباب فرصة سانحة انتهزها الفاطميون لتأسيس خلافتهم .

٧ - نجاح هذه الدعوة في شمال إفريقية

(١) رحيل أبي عبد الله الشيعي الى بلاد المغرب :

كانت هذه الفترة التي تحفلت بسنتي ٢٨٨ و ٢٩٦ هـ (٩٠١ - ٩٠٨ م) عهد جهاد مستمر ، سلك فيه أبو عبد الله ^(١) سياسة الحزم والعزم .

وأقلم المصادر التي اعتمدنا عليها في بحث هذا الموضوع ، هو كتاب صلة تاريخ الطبري لعريب ابن سعد . وقد سبق هذا المؤلف الطبري وكتب عن الفاطميين . ولكنه لم يمش في بلادهم ولم يتألمهم ، فكان ما كتبه غامضا مبهما . ويظهر أن إمام الشيعة الإسماعيلية لم يكن معروفا

(١) أطلق عريب بن سعد على أبي عبد الله الشيعي اسم الصوفي أو الحنفي .

(انظر الأحكام السلطانية للهرودي — طبعة مصر (ص ٢٢٧ — ٢٣٠) والفتوح (ج ٣ ص ٤٨٧) ونشوار الخافرة للقرني (ص ١٥٨ و ١٦٤ و ٢٥٠) لمرة وأجيات الحنفي ، ومقدمة ابن خلدون (ص ٢٢٥ — ٢٢٦) والقرني : خطط (جزء أول ص ٣٦٣ و ٤٦٤) . وذكر ابن الأثير (ج ٨ ص ١١) وغيره أن أبا عبد الله من أهل صماء ، اتصل بمحمد الحبيب أبي عبد الله أول الخلفاء الفاطميين ، فأرسله إلى اليمن ، وهناك صحب ابن حوشب بदन وصار من كبار أصحابه . ولما كانت تلك البلاد خالية من يقوم يث الدعوة فيها من عهد وفاة الخواري وأبي سفيان ، بحث به ابن حوشب إلى بلاد المغرب . على أن ابن خلدون (ج ٤ ص ٣٢) خالف عريب بن سعد ، فقال إن أبا عبد الله (أبو الباس) هو الحنفي ، وكان يؤدي أعمال هذه الوظيفة في أحد أعمال البصرة ، وأن أبا عبد الله كان يعرف بالملم ، لأنه كان يقوم بتعليم مذهب الإمامية قبل أن يعتنق مذهب الإسماعيلية . أما القرني (خط ج ٢ ص ١٠) فقد خالف ابن خلدون في هذه المسألة ، فقال إن أبا عبد الله نفسه كان حنفيًا في أحد أعمال بغداد ، لا البصرة .

عند الطبري ، بذليل تسميته له ابن البصري ^(١١) ، بخلاف عريب بن سعد ، فانه ذكر ان المهدي إنما صرف بهذا الاسم بعد دخوله مدينة رقادة ^(١٢) .

وقبل أن نتكلم عما بذله أبو عبدالله الشيعي في سبيل تأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، يجب أن نعرف شيئاً عن حياة هذا الرجل . فأبو عبد الله الشيعي هو الحسن بن أحمد ابن عهين زكريا ، من أهل صنعاء باليمن . وقد ولي الحسية في بعض أعمال بغداد ، ثم سار إلى اليمن ، وهناك لقي ابن حوشب داعي دعة الإسماعيلية في هذه البلاد وصار من كبار أصحابه ، لما رآه فيه من العلم والذكاء والمكر والدهاء . فلما اتصل بابن حوشب نبأ موت أبي سفيان داعي الإسماعيلية في بلاد المغرب ، عهد إلى أبي عبد الله الشيعي القيام بالدعوة إلى هذا المذهب ، وقال له : " إن أرض كاتمة من بلاد المغرب قد حشرها الحلواني وأبو سفيان ، وقد ماتا ، وليس لها خيرك ، فبادر فانها موطاة مهيئة لك " .

فادر أبو عبد الله اليمن قاصدا مكة ، وقد زوده ابن حوشب بما احتاج إليه من مال . فلما وصل إلى مكة ، سأل عن حجاج كاتمة واجتمع بهم ، فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت ، فحشهم في ذلك وأفاض القول في مآثر أهل البيت ، ثم نهض ، فسألوه أن يأذن لهم في زيارته لما رأوا من علمه وعقله ، فأجابهم إلى ذلك . فآخذوا يترددون عليه وسألوه أين يقصد ، فأجابهم إنه يريد مصر . فسروا بصحبته ، ورحلوا جميعا من مكة ، وهو في كل ذلك يخفي عنهم أغراضه . وما لبثوا أن تعلقوا به واجتمعوا على محبته لما رأوا من ورعه وزهده ، وهو في ذلك كله يسألم عن أحوال بلادهم وعن مبلغ إطلاعهم لأميرهم ، فقالوا : " ليس له علينا طاعة ، وبيننا وبينه عشرة أيام " .

وقد استطاع أبو عبد الله بما جبل عليه من مكر ، وبما وهبه الله من ضروب الحيل ، أن يعرف منهم أن حمل السلاح كان كل همهم ، وهنا كله أتبع له أن يقف على جميع أحوالهم . فلما وصلوا مصر أخذ يودعهم ، فشق عليهم فراقه وسألوهم عن حاجته بمصر ، فقال إنه ليس له بها حاجة إلا طلب العلم ، فقالوا له : " فاما إذا كنت تقصد هذا ، فان بلادنا أنفع لك وأطوع لأمرك ، ونحن أعرف بمحققك " . وما زالوا به حتى أجابهم إلى السير معهم ، فاستأفوا السير حتى أصبحوا على

(١١) الطبري ٣ : ٢٢٩١ و ٢٢٩٢

(١٢) عريب بن سعد (ص ٥٣) .

مقربة من بلادهم كرامة — وهي في بلاد الجزائر اليوم — وقد خرج الى لقائهم أصحابهم الذين أئتمت وأتمرت فيهم تعاليم الشيعة على يد دعاة الاسماعيليه من قبل .

ولما وقف القوم على حال أبي عبد الله ، أحلوه من أنفسهم محل الاجلال والاكرام ، وورعوا في تزوله عندهم واقتنعوا بهم بضيافته . ولما وصلوا أرض كرامة في شهر ربيع الأول سنة ٢٨٨ هـ ، تهاقت كل منهم على إنزاله في بيته ، فسألم : ” أين في الأخبار (١) ؟ “ فدلوه عليه ، فقصده ، وصار الى جبل إيكجان ، قتل بضع الأخبار . وهنا قال لهم : ” هذا في الأخبار ، وما سمى إلا بكم ، ولقد جاء في الآثار للهدى هجرة ينوبها عن الأوطان ، ينصره فيها الأخبار من أهل ذلك الزمان ، قوم اسمهم مشتق من الكتمان ، ونطروكم في هذا الفج ، سمى في الأخبار “ . فتسامعت به القبائل وأتته البربر من كل مكان ، وعظم أمره ، وما لبث أن كشف عن قصده ، فقال لرجال كرامة : ” أنا صاحب البذر الذي أخبر به أبو سفيان والحلواني “ (٢) الذين أرسلهما الاسماعيليه لبث الدعوة في بلاد كرامة (٣) . فازدادت محبتهم له وعظم أمره فمعهم ، وأتته القبائل من كل مكان (٤) .

أما ونحن بصدد الكلام عن فيغ الأخبار ، فيجدر بنا أن نذكر كيف قام الاسماعيليه ببث دعوتهم . كان الإسماعيليون يمشون بالدعاة من سامية ، مركز حركتهم الدينية ، الى كافة الأقطار الاسماعيليه . وقد اتخذ هؤلاء الدعاة دار هجرة في كل قطر ، فاتخذوا دار هجرة في نجران ، وفي سواد الكوفة وفي جبل لامة باليمن ، وفي بلاد تركستان وصلى الأخص في الجزء الشرقي ، وكذلك في پنجاب و بهاي ، حيث لا يزال يمثل أفا خان طائفة منهم الى الآن .

(١) فيغ الأخبار في جبل إيكجان في أرض كرامة (على مقربة من مدينة قسطنطية ، تعرف بمناخها . يسكنها قبائل من تامة ، وكانت بها أمواق عظيمة ، وكانت كثيرة أهله بالسكان) انظر البكري ص ٦٣ و ٦٤ ، وفيه أقام أبو عبد الله الشيء وسماه دار الهجرة . وقد سمع بالقرى بسى الناس يلقون عليه إيكجان ، وذكره القرطبي في معاني الخلفاء (ص ٣٢) ، وقته أديري (O'Leary) أتكجان ، وهو خطأ .

(٢) بثت عبد الحبيب أحد أشياعه ، ويدعى رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي الى اليمن ، لينشر الدعوة للفاطمين . وبلغ الناس أن قد حان ظهور المهدي ، فظهرت الدعوة سنة ٢٧٠ هـ ، ونجح ابن حوشب في مهمته ، حتى اعتد الناس في المهدي من آل علي وفي صفاته . وصرنا ما اجتبه ابن حوشب حصنا بمجبل لامة وتقلب على أغلب بلاد اليمن بما فيه صنعاء ، ودعا نفسه المنصور ، وبث الدعوة الى كافة بلاد اليمن والجماعة والبصرة والسند والهند ومصر وشمال إفريقيا — ابن خلدون (ج ٤ ص ٣١) والقرطبي : معاني الخلفاء (ص ٢٧) .

(٣) ابن الأثير (ج ٨ ص ١٢) .

(٤) التلطف القرطبي (ج ٢ ص ١١٠) .

ولما دخل أبو عبد الله الشيعي بلاد المغرب ، اتخذ دار هجرة في فج الأخير في إيكجان الواقع في منتصف الطريق بين طنجة وقاس . وإيكجان جمع حاج (حجاج) ؛ وكانوا يطلقون عليه منذ قديم الزمان Tadjjan ، وهو محل اجتماع الحجاج من الأندلس وشمال المغرب الأقصى ، وفي هذا المكان اتخذ أبو عبد الله الشيعي دار الهجرة ، وهو مركز حركته وجمع أنصاره من البربر . ومن الغريب أن أكثر سكان البلاد التي قام فيها الإسماعيليون بنشر مذهبهم لا يزالون متمسكين بمقائد هذا المذهب ، إلا سكان بلاد المغرب حيث لم يبق للإسماعيليين بقية .

ويرجع ذلك — على ما ذكرنا — إلى جهل البربر وعدم استعمالهم لفهم مذهب الإسماعيلية بدرجاته المختلفة المتدرجة في الصعوبة ، كثيرهم من أهالي الأقطار الأخرى — كفارس ومصر — التي يمتاز أهلها بالحضارة وسمو الفكر .

فليس من عجب إذا لم يتعمق البربر في فهم مذهب الإسماعيلية وتعاليمه التي تحتاج إلى إعمال الفكر؛ وإنما اعتنقوه لأول وهلة وبلا كبير عتاء أو تفكير . فلم يكن ثمة ما يساعد على رسوخه في نفوسهم ، مما أدى بهذا المذهب إلى الزوال من بلاد المغرب ، حيث لم يبق له الآن بقية أو أثر^(١).

وفي سنة ٢٩١ هـ (٩٠٣ م) بدأت أعمال أبي عبد الله الشيعي الحربية ، ف وقعت في يد الداعي مدن عدة . وساعد على تقدمه في الفتوح موت إبراهيم بن الأغلب (سنة ٢٩١ هـ) ، ولحاق ابنه أبي العباس به ، وتولية والده زيادة الله الذي قضى أيامه في اللهو والترف ، بينما كان وزراءه لايالون الانحياز للمذهب الشيعي الذي اعتنقه معظمهم . ولا غرو فقد ساعدت هذه الأسباب أبا عبد الله على قمع الأغلبة ، ومد نفوذه على أكثر أجزاء هذه البلاد ، والمجاهرة بأن ظهور المهدي قد آن أوانه .

(١) إنى مدين يبيض ما جاء هذه العبارة إلى المسيبولوى ما سينير الأستاذ بكلية فرنسا (M. Louis Massignon, Professeur au Collège du France) . وقد دارت بيننا محادثات على موضوع هذا الكتاب في منزله بباريس .
ذكر المحقري (اتماظ الحقا ص ٣٢) في كلامه على دخول أبي عبد الله الشيعي أرض كتامة وتبره في الأخبار ، أن أبا عبد الله خطب أهل كتامة ، مددا ماكرهم مشيدا بفضل بلادهم في العبارة التي ذكرناها قبل .

(ب) رحيل عبيد الله المهدي الى بلاد المغرب :

غدا الشيعة في ذلك الوقت (سنة ٢٩١ هـ) أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة الى الغرب من مدينة القيروان^(١) ، وأخذ أبو عبد الله الشيعي الرسل الى المهدي في سببية بدعوه للخصور الى إفريقية^(٢) ، فرحب عبيد الله بهذه الدعوة ، وقد سمع بدعوته الخالص والعالم . فأصدر الخليفة العباسي الأوامر بالقبض عليه .

على أن عبيد الله لم يكذب يصل مدينة مجملاسة^(٣) حاضرة بني ملودار حتى قبض عليه أميرها البنع ابن ملودار وحسبه الى أن أطلقه أبو عبد الله^(٤) .

ومن الصعب أن نهم كيف أتبع لعبيد الله أن يتجنب القبض عليه قبل وصوله مجملاسة ، اذا علمنا أن الأوامر قد صدرت للولاة في مصر وشمال إفريقية بالقبض عليه ، اذ هدد سلطة الخليفة العباسي ، وهو المالك للبلاد التي سلكها عبيد الله . وقد ذكر عريب بن سعد أن عبد بن سليمان^(٥)

(١) القيروان أكبر مدائن بلاد المغرب ، وتقع على بعد أربعة أميال من مدينة رقادة ، وتشتهر بمساجدها وحدائقها الفناء وبأبنائها الفخمة — انظر البكري : كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (ص ٢٢ - ٢٧) .

(٢) عريب بن سعد (ص ٥٢) .

(٣) مدينة بالمغرب الأقصى ، يجري فيها نهران أصلهما واحد ، فاذا قربا من المدينة تشبا الى نهرين يسلكا شرافا وغربا . وتقع في سهل أرضه صلبة حوله أرباض كثيرة . وتبعد عن القيروان ستة وأربعين فرسخا . وكان بناؤها سنة ١٤٠ هـ . وفي سنة ١٦٠ هـ اتخذها بنو ملودار حاضرة للحكم — انظر البكري (ص ١٤٨ - ١٤٩) .

(٤) عريب بن سعد (ص ٥٢) .

(٥) خالف عريب بن سعد غيره من المؤرخين من أمثال أوتينا (ص ٧٦) والكشي (ص ٢٥٨) وابن الأثير (ج ٨ ص ١٣) وابن القدا (ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤) والمقرئ (خط ج ١ ص ٣٢٧) فقال ان محمد بن سليمان — لا عيسى التوشري — هو الذي قبض على عبيد الله . وقد ذكر الطبري (٣ : ٢٢٥١ و ٢٢٥٢) أن الخليفة العباسي المكتنن تدب محمد بن سليمان لملودار هارون آخر ولاة الطولونيين من مصر . وفي صفر سنة ٢٩٢ هـ هزم هارون وحمل . وفي السابع من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وحمل محمد بن سليمان من مصر بعد أن أقام فيها نحو من أربعة أشهر .

هذا ، ولقد تكلم المكتنن (كتاب الفولاة ص ٢٢٨) عن مدة ولاية محمد بن سليمان فقال : إنها بدأت في ٧ جمادى الأولى من السنة التي أتى مصر فيها . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد ذكر أوتينا (ص ٧٦) أن مدة ولاية محمد بن سليمان كانت دامت نحو من ستة أشهر ، خلفه بعدها عيسى التوشري . على أننا نشك في صحة هذا القول ، لأن هذا الخروج لم يبين الوقت الذي بدأت فيه ولاية محمد بن سليمان فعلا .

وقد تكلم ابن الأثير (ج ٨ ص ١٣) عن هذه الحادثة بأسباب ، ويقل عه ، على ما يظهر ، بعض من أتى بعده من المؤرخين كإبن خلدون والمقرئ . قال ابن الأثير إن عبيد الله لما وصل الى مصر ، أشار عليه بعض رجال الخاشية في بلاد التوشري ، من اثنى مذهب الشيعة ، أن يختار أن يقبض عليه رجال السلطة في مصر . وإلغى من هذا التصريح فقد قبض عليه التوشري وهو في طريقه الى بلاد المغرب ، ولكنه أطلقه لورعه ، أو كما قال ابن الأثير ، لما أخذه . =

قبض عليه ثم أطلقه لئلا أخذه منه^(١)

وقد زادت ابن الأمير بياناً في هذه المسألة ، فقال إن عيد الله لما رحل عن سلمية ، حمل معه مالا عظيماً استطاع أن يرشوه به الولاة في طريقه الى مجملاسة ويأمن الوقوع في أيديهم^(٢) . ويظهر لنا أن ابن الأمير قد قل هذه العبارة عن عريب بن سعد^(٣) الذي يقول إن عهد بن سليمان قبض على عيد الله المهدي وأخذ منه مالا فاطلقه . ونحن نرجح صحة هذا القول ، إذا عرفنا كيف استطاع عيد الله أن يأمن القبض عليه في مصر ، وفي طرابلس أيضاً ، حيث كتب أميرها الى زيادة الله ابن الأظلم — وقد أمر بالقبض على عيد الله — يقول إن عيد الله هذا قد غادر المدينة ، وأن لاسهيل الى الخاق به .

على أن مسألة إلقاء القبض على عيد الله في مجملاسة على يد أميرها إنما ترجع الى سبب واحد ، هو أن الرشوة لا يجدي مع هذا الأمير بحكم مركزه وما لصفة الإمارة في نفسه من هبة وحومة . هذا ، ولقد أجمع المؤرخون على أن أبا عبد الله الشيعي أرسل في سنة ٢٩١ هـ الى عيد الله بمال كثير مما حصل عليه في حروبه من أسلاب وغنائم .

— ولم تذكر سلطة الرأى الجليلي (عيسى النورسي) قصراً مدة ثلاثة شهور ، حتى سلمها له ابن الخليل أحد نواد الطولونيين ، الذي اتزع منه فتوة زهاء ثمانية شهور (سبعة شهور وعشرون يوماً على ما ذكره القرظي في خطه (ج ١ ص ٢٢٧) بعد أن استولى على القسطنطينية ، الذي ظل في يده الى أن قبض عليه في رجب سنة ٢٩٣ (الطبري ٣ : ٢٢٦٧) وبث به وبغيره من الثوار الى بغداد ، فبدأ عيسى بحث يستطاع استرداد سلطته ويحول الى القسطنطينية ويزل بدار الإمارة .

أما إلقاء القبض على عيد الله وإطلاقه ، فلا بد أن يكون حدثاً قد تم إما في مدة ولاية عهد بن سليمان (مهرم — رجب سنة ٢٩٢) أو في مدة ولاية عيسى النورسي (جادي الثانية — ذو القعدة سنة ٢٩٢) — وقد دلت ولايته ، على ما ذكره الكتبي (ص ٢٦٧) ، على أن مات سنة ٢٩٧ هـ .

وعليه ، فإن ما ذكره عريب من أن عيد الله سار الى بلاد المغرب في مدة ولاية عهد بن سليمان ، لا يترك مجالاً للشك في وقوع هذه الحادثة سنة ٢٩٢ هـ ، بعد الانتصارات التي حازها أبو عبد الله الشيعي في شمال إفريقيا سنة ٢٩١ هـ كما سبق بآله .

ونحن نرى أن عهد بن سليمان — لعيسى النورسي — هو الذي قبض على عيد الله المهدي . يؤيد هذا الرأي ما أورده أوتجنا (ص ٧٧) من عهد بن سليمان مما يؤيد أيضاً ما ذهب اليه عريب بن سعد . وتلخص عبارة أوتجنا في أن الخليفة العباسي المكتفي قبض على عهد بن سليمان ، إذ اتهمه بمال أخذه من تراج مصر . وهذه العبارة ترجح ما ذهب اليه من أن عهد بن سليمان هو الذي قبض على عيد الله ثم أطلقه لئلا أخذه منه . هذا فضلاً عن أن عريب بن سعد أقدم من كتب عن هذا الموضوع (بعد أوتجنا والكتبي) من المؤرخين . ولا شك في أن عبارة التي خلفها لنا ما يقام له وزن ويجزم بصحته إذا ماقيست بأقوال غيره .

(١) عريب بن سعد (ص ٥٢)

(٢) ابن الأمير (ج ٨ ص ١٣ و ١٤)

(٣) ص ٥٢

(ج) أبو عبد الله ونجاحه في فتوحه :

أخذ أبو عبد الله الشيعي يواصل فتوحه منذ رحلت رسله إلى عيد الله المهدى ، وقد الحروب التي نسبت بين زيادة الله وداعي الشيعة شأن أجل وأعظم . وفي سنة ٢٩٥ هـ (٩٠٧ م) مد أبو عبد الله فتوحه على معظم أرجاء بلاد المغرب . وفي يوم الأحد مستهل رجب سنة ٢٩٦ هـ دخل داعي الشيعة مدينة رقادة (وتقع جنوبي القيروان ، وهي من أعمال تونس الآن) واستقر في دار الإمارة . وبهذا تكلت أعمال الداعي بالنجاح ^(١) .

أمر الداعي بعدئذ بجمع ما كان لزيادة الله من مال وسلاح وفضه . ولما كان يوم الجمعة أمر الخطباء في القيروان ورقادة بخطبوا ، وأبطل ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة . وبهذا زالت سلطة العباسيين الاسمية والفعلية عن هذه البلاد . وأمر الداعي بالسكة فضرت من غير أن يتقش عليها اسم ^(٢) ، بل جعل في أحد وجهيها : "بنت حجة الله" ، وفي الوجه الآخر : "تخرق أعداء الله" ، وقش على السلاح : "عدة في سبيل الله" ، ووسم الخليل على أظفارها : "الملك لله" ^(٣) .

(١) حبيب بن سعد (ص ٥٢) ٦ والبكري (ص ٢٧)

(٢) ذكر الدكتور أولري (Dr. O'Leary, p. 68) ، عد كلامه من الخطة التي سلكتها أبو عبد الله الشيعي بدخوله مدينة رقادة ، "أن القروس الفدية أدخلت في الخطبة ، فريدت عبارة "حي على خير العمل" ، وأضيفت إليها أسماء "علم" و"فاطمة والحسين والحسين" . ويظهر أن الدكتور أولري أخذ هذه العبارة من كتاب نيكلسن المسمى "تأسيس الدولة الفاطمية في إفريقيا" (Nicholson, J. : *Establishment of the Fatimite Dynasty in Africa*) . وقد أخذها في كتابه إيفاندى ساسي (De Saady : *Exposé de la Religion des Druses*, T. I, p. OULEXXII) . وهذا الكتاب عبارة عن ترجمة ما ورد في كتاب "صلة تاريخ الطبري" لحبيب بن سعد القرطبي عن تأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب مع شرح بعض الحقائق التاريخية . على أن هذه العبارة لم يرد لها ذكر في النص العربي الذي عليه سيوردي غوي (De Goeje) ، ولا توجد إلا في كتب من جاء بعد حبيب بن سعد من المؤرخين ، كحبي بن سيد (ص ١٠٧) وابن الأثير (ج ٨ ص ١٧) وابن خلدون (ج ٤ ص ٣٦) والقرنزي (خطب ج ٢ ص ١١) وأماط الحفا (ص ٢٨) .

ويظهر أن دى ساسي (Exposé, T. I, p. OULEXXII) أخذ على ما ذكره ابن الأثير الذي قال أنه لم يرد له هنا ذكر في الخطبة ولا على السكة حيث يقول : "لما حضرت الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة بخطبوا ، ولم يذكر أحد ، وأمر برب السكة ولا يتقش عليها اسم . ولكنه جعل مكان الاسم : "بنت حجة الله" ، وعلى الوجه الآخر : "تخرق أعداء الله" ، وقش على السلاح : "عدة في سبيل الله" . ووسم الخليل على أظفارها : "الملك لله" ، وأقام على ما كان عليه من لبس اللون الأخضر والليل من الطعام الفيلق" .

(٣) يحيى بن سيد (ص ١٠٧) وابن الأثير (ج ٨ ص ١٧) .

(د) إطلاق عبيد الله من مجملامة :

ظل عبيد الله في حبسه بسجملامة ، وأبو عبد الله الشيعي يواصل حروبه ونفوحه . فلما تم للداعي الشيعة الفتح والنصر ، سار في قوة كبيرة الى مجملامة لإطلاق عبيد الله . وفي اليوم التالي ليوم وصوله ، اتصل بمساع الداعي نبأ هرب اليسع بن مدرار أمير هذه المدينة ليلا ، وقد حل معه أقاربه وأمتعته ؛ فأطلق الداعي من فوره عبيد الله المهدي وابنه أبا القاسم .

ولقد حامت حول إطلاق عبيد الله الشبهات وتباينت فيها أقوال المؤرخين . فذهب البعض الى أن الداعي لم يقتل عبيد الله ، بل جاء برجل يودى أظهره للناس باسم المهدي . وليت شعري أين كان أبو القاسم الذي ولي الخلافة بعد أبيه ؟ ولم لم يلها في ذلك الوقت ، وقد كان في سن يستطيع معها الاضطلاع بأعباء الحكم ؟ يملك على صحة هذا القول ما كان من مسير أبي القاسم هذا على رأس جيش من المغاربة لغزو مصر في سنة ٣٠١ هـ وما بعدها ، أي بعد هذه الحادثة بنحو أربع سنين .

(هـ) تقلد المهدي زمام الحكم :

كان معنى إطلاق عبيد الله المهدي من سجنه بسجملامة في ٧ رجب سنة ٢٩٦ هـ زوال سلطان بني مدرار في مجملامة ، وبني رُسَم في تاهرت^(١) والأغالبة في تونس ، وقيام الدولة الفاطمية في كل شمال إفريقية الذي يخرج عن سلطان العباسيين .

قرب المهدي من رقادة ، فلقاه أهلها وأهل القيروان ؛ وسار بين يديه أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كرامة ، فسلموا عليه بالخلافة وابعوه على الطاعة . ونزل ذلك الخليفة الفاطمي الجديد بقصر من قصور رقادة . وفي يوم الجمعة أمر باسمه فذكر في الخطبة على منابر البلاد ، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين ؛ وطس في ذلك اليوم رجل يعرف بالشريف ومعه الدعاة ، ودعوا الناس إلى مذهب الامامية ، فدخل فيه الناس طوعا وكرها .

ولم يلبث المهدي أن قسم على رؤساء كرامة أعمال إفريقية . وسرطان مادون الدواوين وجي الأموال ، فاستقرت قدمه ودانت له البلاد .

(١) تاهرت أو تهرت اسم لمدينتين متجاورتين استولى عليهما الداعي سنة ٢٩٦ هـ ، بعد أن ملكهما بنو رُسَم زهاء مائة وثلاثين سنة . وكان بها أسواق عامرة وحمامات كثيرة . وكانت يمين بن عبد الوهاب بن رُسَم بن هروم (وهروم مولى عثمان بن صفان) صاحب تاهرت ، رأس الأياضية وامامهم ، وكانوا يسمون عليه بالخلافة .

(و) أبو عبد الله يلاقى مالاتاه أبو مسلم :

لا شك في أن الدولة الفاطمية تكمن بظهورها ووجودها في عالم الدول المستقلة لداعي الشيعة الذي تأسست هذه الدولة بفضل جهوده وحسن سياسته . على أن حظ هذا الرجل ، مع ما عرف عنه من غيرته وانتصاره للدعوة الفاطمية ، كان حظ أبي مسلم الخراساني الذي كان في حقيقة الأمر شخصية بارزة وعاملا قويا من عوامل تأسيس الدولة العباسية .

ويسزو المؤرخون قتل أبي عبد الله الشيعي إلى أنه لما دانت البلاد للمهدي واستقامت له الأحوال كف يد أبي عبد الله الشيعي ويد أخيه أبي العباس ؛ فدخل أبا العباس الحسد واستمال أخاه إليه ، وأخذ يصرّان معاضل المهدي ، واحتفقا على قتله . فوصل خبر هذه المؤامرات إلى سامع المهدي ؛ ففرق أنصارهما في البلاد وأمر بهم فقتلوا ، ثم قتل أبا عبد الله الداعي وأخاه (الاثني عشر ١٥ جمادى الثانية سنة ٢٩٨) .

الباب الثاني

وصول الفاطميين إلى مصر

١ - من هم الفاطميون ؟

(١) آراء طائفة من مؤرخي الأفرنج

إن لفظ الفاطميين الذي عرف به أولاد عبيد الله المهدي ، يشعري بادئ الرأي بأنهم من أولاد فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهم طويون أيضا . على أن مسألة نسب هذه الأسرة كانت — ولا تزال — موضوعا كثرت فيه آراء جمهور الكتاب والمؤرخين الأقدمين والمحدثين ، لما كان من انحياز الكتاب من العرب إلى القول بما يوافق تراثهم السياسية ويولم الدينية ، بيد أن عن الحقيقة . ففريق ذهب إلى القول بصحة هذا النسب ، وفريق ناقض هذا القول بحزم بعدم صحته . بيد أن بحث المحدثين من المؤرخين لهذا الموضوع لم يسفر عن نتيجة حاسمة ، نظرا لما خلفه لنا المؤرخون الأقدمون من أقوال كثيرة متباينة . وليست مسألة نسب الفاطميين إلى ابن ميمون القداح ، أو إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، مسألة جوهرية لهذا البحث ؛ ولكن يحسن بنا ألا نمر عليها من الكرام من غير أن نثير هذه الدعاوى التي أقامها الفاطميون لإثبات صحة نسبهم شيئا مما هي جديرة به من عناية واهتمام .

لقد حاول دي ساسي في كتابه (De Sacy : Exposé de la Religion des Druses, Paris, 1835) أن يلقى قبسا من النور على هذا الموضوع . وكان المصدر الأصلي الذي اعتمد عليه هذا المؤرخ ، هو هذه الشذرات الهامة التي كتبها الشريف أخير محسن^(١) ، وقلها عنه ابن النديم^(٢) ، ونسبها خطأ إلى ابن رزّام ، فظن أنها له ؛ وهؤلاء جميعا عاشوا في القرن الرابع الهجري .

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق .

(٢) كتاب الفهرست (ج ١ ص ١٨٦ وما يتبعها) .

ولقد نقل النورى في "نهاية الأرب"^(١) والمقرزى في "اعاظ الحنف"^(٢) عبارة أخرى محسن . على أن فيا أورده لنا المقرزى^(٣) من أنه قرأ هذا الكتاب بنفسه ووصفه بأنه يقع في مجلد واحد في أكثر من عشرين كراسة ، ما يحملنا على عدم الأخذ بصحة نسبة هذه الشذرات الى ابن رزام .

ولقد حاول آخرون غير دى ساسى ، من أمثال وستنفلد (Wüstenfeld)^(٤) ودى غويه (Do Gooje)^(٥) أن يزيدوا هذا الموضوع بياناً ؛ ولكن ما صادفوه من نجاح في هذا السبيل لم يتعد زيادة عدد المصادر التى اعتمد عليها من تهتمهم من الكتاب ممن تصدوا لبحث هذا الموضوع .

وهنا يجدر بنا أن نشير الى هذه الحقيقة ، وهى أن هؤلاء المؤرخين لم يبتلوا الى رأى قاطع في هذه المسألة ، كما أنهم انما اقوا مدفوعين بميولهم الشخصية ، فلم يجمعوا على رأى واحد في صدد هذا النسب . ويظهر أن ما قام به فايل (Weil) وستنفلد (Wüstenfeld) في استقصاء هذا الموضوع لم يتعد نقل حقائق تاريخية لتبريم ، دون أن يبينوا رأيهم الخاص .

أما دى سامى (Do Saay)^(٦) فانه يميل الى الأخذ بصحة نسب الفاطميين إذ يقول : "وهنا يتسنى لره أن يضيف على هذه الأئمة التى أوردها المقرزى أنه اذا كان عيد الله دعيا ، ولم يكن من سلالة علي ، فان أبناءه الحقيقيين الذين لم يتطرق اليأس الى نفوسهم قط بأنه سيأتى يوم يستطيعون فيه أن يكشفوا للناس عن أحقيتهم فى الامامة ، لا بد أن تتاح لهم الفرصة لأماطة اللثام عن صحة نسبهم وأحقيتهم"^(٧) .

أما دى غويه (Do Gooje)^(٨) فانه اعتبر أن ابن ميمون هو مؤسس مذهب القرامطة وجذ الخلفاء الفاطميين حيث قال : "كانت لهذه الجرثومة الصغيرة القوية قوة هائلة ، هى أن

(١) المكتبة الألفية بباريس ، مخطوط ١٥٧٦ ، ورقة ٤٧ (ب) وما تبعها .

(٢) ص ١١ — ١٤

(٣) شرحه (ص ١١)

(٤) Geschichte der Fätkimien—Chälfen, pp. 3-12

(٥) Mémoires sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides, Leyden, 1886

(٦) De Saay : Exposé de la Religion des Druses, Introduction, p. 251

(٧) Mémoires sur les Carmathes du Bahraïn, etc. p. 1

حزبا خامل الذكر عند ظهوره يصبح بعد قليل أسرة حاكمة ، ويتبنى فتح كافة أرجاء بلاد الخلافة في الغرب ... إلى أن يقول : فانه حول منتصف القرن الثالث من الهجرة ، قام عبد الله بن ميمون القلاح بنشر تعاليم هذا المذهب... إلخ . ويقول دى غويه في موضع آخر : "إنما ما تناولنا الكلام على الفاطميين والقرامطة ، فانما نتكلم عن طائفة واحدة" (١).

أما واستغفل قد ختم عبارته المسببة عن نسب الفاطميين بهذه الكلمات التي تبين لك أنه قد تردد في تكوين رأى قاطع في هذه المسألة ، بسبب ما جاء عنها من آراء كتاب العرب المتناقضة المتضاربة ، حتى ما ذاع منها بين العلويين أخضعهم . ويظهر لنا أن واستغفل يميل إلى الأخذ بالرأى القائل بنسبة الفاطميين إلى الامام المهدي المنتظر فيقول : "وكل ما يمكن قوله ، هو أن هذا النسب إلى الامام المنتظر محتمل بعض الاحتمال ، بالرغم من وجود هذه الحجج العديدة القيمة ، وهي عدم اعتراف الشيعة بهذا النسب" (٢).

(ب) رأى الطاعنين في صحة النسب

ينسب عيد الله المهدي — على ما ذهب إليه أخو محسن وفيه من — نقل عنه أولم يملوا إلى القول بصحة نسب الفاطميين — إلى ميمون بن ديصان الثنوي المذهب الذي ينسب إليه الثنوية القائلون بوجود إلهين : إله النور وإله الظلمة .

وقد خلف القلاح ابنه عبد الله ، ووصفه المقرئ فقال إنه كان عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب . وقد اعتنق عبد الله هذا — على ما ذهب إليه أخو محسن — مذهب الشيعة ، لا للدعوة إلى إمامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، أو إلى ابنه محمد ، بل لحيلة اتخذها ليجمع حوله أتباعا ، بمعنى أنه اتخذ من هذه الدعوة وسيلة لتنفيذ أغراضه ، وهي تكوين دولة فارسية (٣) .

وقد ذهب الأستاذ نيكلسن (Prof. R. Nicholson) إلى القول بأن تأسيس الدولة الفاطمية ، كان أقصى ما وصلت إليه هذه المؤامرة القوية الدعائم ، التي تم تنظيمها بمهارة فائقة ، والتي شرع عبد الله بن ميمون القلاح الأهوازي الفارسي الأصل يروج لها قبل ذلك بنصف قرن ، وقد تملكت

(١) Ibid, pp. 2, 3

Wüstenfeld: Geschichte der Fätimiden—Obalifen, pp. 14, 15

(٢) المقرئ ، مخطوط (ج ١ ص ٣٤٨)

نفسه الكراهة في أبشع صورها للعرب ، والاحتقار للإسلام والمسلمين ، مدفوعا الى ذلك بما رآه من حرية الفكر والعقيدة . وقد عمل على إيجاد جمعية سرية كبيرة تلقن الناس جميعا مبادئها كلا على قدر عقله واستعداده ، وتبثت بأشد الميول وأقواها ، وتترى بكافة عوامل الضعف الكامنة في الطبيعة البشرية ، للجمع بين كل الساخطين في صورة مؤامرة ترى الى قلب النظام الحاضر^(١) .

وهذا كله مما حدا بعبد الله بن ميمون - على ما ذهب اليه دوزي (Dozy) -^(٢) الى العمل على استخلاص الحكم ، ان لم يكن لنفسه ، فلا ولاده من بعده ؛ وهذه فكرة - إن صححت - تعد فكرة عظيمة ، لأنها تتطوى على الجراءة والإقدام . وقد ساعد على تحقيقها ما وبه هذا الرجل من مهارة وحيلة ودراية تامة بما في قلوب الناس^(٣) .

تأييد الفرس للعلويين

أما عن تعلق الفرس بأهلب عقائد المذهب الشيعي أو حزب علي ، فقد أوضح لنا الأستاذ براون (Prof. E. Browne) السبب الذي استمالهم الى ذلك ، معتمدا على ما ذكره جوبينو (Gobineau) في هذا الصدد حيث يقول :^(٤) "إنني أعتقد أن جوبينو قد أصاب فيما قاله ، إن نظرية الحق الإلهي وحصرها في البيت الساساني كان لها تأثير عظيم في تاريخ الفرس في العصور التي تلتها . ولقد جاءت فكرة انتخاب الخليفة ممثلة بطبيعتها مع ديمقراطية العرب ؛ غير أنها لا يمكن أن تظهر في نظر الفرس الا بمظهر ثوري غير مطابق لطباع الأشياء . أضف الى ذلك ما كان من زعة السخط والكراهة التي أضمرها هؤلاء الفرس لعمر ، ثاني الخلفاء الراشدين ومقوض دعاتهم الامبراطورية الفارسية . وإن هذه النزعة وانت تسترّت بستار الدين ، فلن يفوت الباحث تفهم مرها ومرارها . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الحسين ، وهو أصغر ولدى فاطمة بنت النبي وعلّي ابن عمه ، قد قالوا إنه قد تزوج من شير بانوه ابنة يزيد جد الثالث آخر ملوك آل ساسان . ومن هنا أصبح الأئمة من حزب الشيعة بقسميه (طائفة الاثنى عشرية الشافعية الآن في بلاد فارس ، وطائفة السبعية أو الاسماعيلية) لا يمثلون حق النبوة فقط ، بل يمثلون الملك أيضا ، لأنهم من سلالة النبي محمد وآل ساسان معا^(٥) " .

(١) Prof. R. Nicholson : *Literary History of the Arabs*, pp. 371-372

(٢) Dozy : *Histoire des Musulmans d'Espagne*, vol. I, p. 8 seq.

(٣) Prof. Browne : *Literary History of Persia*, vol. I, p. 130

من ذلك تولدت هذه النظرية السياسية التي يشير إليها جوينو في العبارة الآتية حيث يقول :
" كانت هذه النظرية عقيدة سياسية غير متنازع فيها عند الفرس ، وهى أن العلويين
وعدمهم يملكون حق حمل التاج ، وذلك بصفتهم المزدوجة ، لكونهم وراثي آل ساسان من
جهة أمهم بنجي شهر بانوه ابنة يزجدر آنرملوك الفرس ، والأئمة رؤساء هذا الدين حقا " (١).

كيف سار عبد الله بن ميمون في تحقيق أغراضه ؟

أظهر عبد الله بن ميمون القلح ، الذي يرى بعض المؤرخين نسبة الفاطميين إليه ، الزهد
والتقشف ، والعلم والتشجيع ، فحاز ثقة الناس ونجح في تأسيس جمعية سرية . ثم أخذ يعلم الناس
أسرار الدعوة التي قسمها إلى سبع درجات (وزادت فيما بعد حتى بلغت تسعا في أيام الفاطميين) ،
فكثرت أنصاره .

وكان عبد الله ودعاته يملكون الناس — كما قلنا — كلا على قدر عقله ودينه ومذهبه . فكان
الداعي يبدأ باظهار بعض مشكلات القرآن ، حتى اذا ما طلب الناس منه حل هذه الرموز ، أخذ
عليهم العهود والمواثيق بأن يعملوا هذه الدعوة سرا مكتوما ، ثم طلب منهم أن يدفعوا ضريبة مقررة
تساعده على نشر مذهبه .

وإذا تم للداعي ما أراد ، دخل بالطالب في المرحلة الثانية ، ومؤداها أن فرائض الاسلام
لا تؤدي إلى مرضاة الله ، إلا اذا كانت عن طريق الأئمة السبعة من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق .
فإذا وصل الطالب إلى المرحلة الرابعة ، اعتقد أن محمد بن اسماعيل هو خاتم النبيين ؛ ومن تعلم
هذه المرتبة لا يعلم سوى نظريات فلسفية لا تمت للاسلام بشيء ، حتى يصل به الاعتقاد إلى أن
محمد بن اسماعيل هو عبد الله بن ميمون ، وأنه بمنزلة هرون من موسى ، أو بمنزلة علي من محمد .

اتصل بالوالي خبر عبد الله بن ميمون ، فقصده بالسوء ، ففر من فارس إلى البصرة قبل
سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ م) ، وأقام في أسرة فقيل بن أبي طالب ، لحظت حوله الشبهات ؛ فرحل
إلى الشام وأقام في سامية حيث ولد له ابن سماه أحمد ؛ تخلفه بعد وفاته .

ولما مات أحمد هذا ، خلفه في الدعوة ابنه الحسين ، ولكنه مات بعد قليل ، فقام من بعده أخوه عبد المروف بأبي الشلمغ ، وهو الذي بعث إلى بلاد المغرب بأبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس اللذين قلعنا خبرهما .

وكان لأحمد بن الحسين ولد اسمه سعيد ، أصبح في حجر عمه بعد وفاة أبيه . وقد اشتهر أمر سعيد هذا بعد وفاة عمه وكثر ماله وأنصاره ، حتى اضطر الخليفة العباسي المعتضد إلى التشديد في طلبه ، ففر من سلمية يريد بلاد المغرب عن طريق مصر ، فحبسه أمير سجلماسة — على ما ذكرنا — وظل في حبسه إلى أن أطلقه أبو عبد الله الشيعي وذهب به إلى رقادة ، حيث تسمى بالمهدى وتلقب أمير المؤمنين ، وانقصب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق .

هذا ما ذهب إليه من يتكون صحة نسب عبيد الله المهدى إلى علي وفاطمة ، إذ يقولون إن عبيد الله المهدى هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديسان للتتوي الأهواري ، وأصله من المجوس .

وليس هنا كل ما يقوله الذين أنكروا صحة نسب الفاطميين . فقد ذكر أخو محسن أن سعيدا — أو عبيد الله — كان ابن حداد يهودي مجهول ، تزوجت أرمته بعد وفاته بالحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون ، فتبنى سعيدا ، وأدبه وطمه أسرار مذهب الاسماعيلية ، وأوصى الدعاة بطاعته ، وزوجه ابنة عمه أبي الشلمغ ^(١) .

ولقد ذاع قول أبي محسن وأخذ به المؤرخون الذين لا يميلون إلى القول بصحة نسب الفاطميين ، مثل أبي بكر الباقلائي ^(٢) المتوفى سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، وابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) ، وابن واصل ^(٣) المتوفى سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) ، والنهجي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٨ م) في كتابه "تاريخ الإسلام" .

(١) المقرئ ، أماط الحضا (ص ٢١ و ٢٢)

(٢) كتب القاضي أبو بكر الباقلائي كتابا سماه "أسرار الباطنية" ، وهو الكتاب الذي أشار إليه المقرئ (القبلي الكبير ، المكتبة الأهلية يباريس ، مخطوط ٢١٤٤ ، ورقة ١٦٦ ب) . وفي هذا الكتاب حل الباقلائي حل الفاطميين وأنكر صحة نسبهم . وتوفى ، على ما ذكره ابن خلكان (١ - ص ٦٠٩) ، في بغداد سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) .

انظر أيضا أبا الفدا (ج ٢ ص ١٥١) ، ووستفيلد (Wustenfeld : Geschichte der Fatimiden—Chalifen, p. 1,)

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، المكتبة الأهلية يباريس ، مخطوط ١٧٠٢ ، ورقة ٢٢٠ ب — وقد روى أبو الحسن (المجلد الثاني ج ١ رقم ٩٠ ص ٩٠) بعض ما جاء بكتاب ابن واصل من هذا الموضوع .

وقد ذكر ابن خلكان أن جماعة من أهل مصر طعنوا في نسب المعز واتصاله بعلي بن أبي طالب ، حتى إن هذا الخليفة لما وصل مصر ، اجتمع به بعض الأشراف وسأله أحدهم ، وهو ابن طيَّابًا : "ألى من ينسب مولانا ؟" فأجاب المعز بأنه سيعقد مجما يضم كافة الأشراف ويسرد عليهم نسبه . حتى إذا ما انعقد المجلس في القصر ، سل المعز سيفه إلى النصف وقال : "هذا نسبي" ؛ ثم غرهم بالذهب الكثير وقال : "وهذا حصي" .

ومن هنا نشأ القول المأثور "سيف المعز ونسبه" للإشارة إلى بطلان الشيء أو أنه مأخوذ كرها .

ولقد أنكر دى سلين (Do Slane) ^(١) بالدليل صحة هذه الرواية ؛ لأنه لما وصل المعز مصر سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ م) كان ابن طيَّابيا قد مات سنة ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) ، أى قبل أربع عشرة سنة ، على ما ذكره ابن خلكان في موضع آخر ^(٢) .

ولقد قل ابن خلكان أيضا حكاية أخرى تبين لك مبلغ انكار المصريين صحة نسب الفاطميين . ذلك أن العزيز ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ (٩٧٥ - ٩٩٦ م) صعد المنبر يوم الجمعة في أوائل أيام خلافته ، فرأى ورقة فيها هذه الأبيات :

لما سمعنا نسبا منكرا يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيا تدعى جنانا فاذكر أبا عبد الأب الرابع
وان ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا ففسك كالطامع ^(٣)
أو فدع الأنساب مستورة وادخل بنا في اللسب الواسع
فإن أنسب بنى هاشم يقصر عنها طمع الطامع ^(٤)

وقد روى لنا التعالي حكاية أخرى تزيد هؤلاء المؤرخين إذ يقول إن عبد الرحمن الثالث الأموي الأندلسي تلقى من العزيز كتابا يسبه فيه ويهجوّه ، ليس لسبب نرفته ؛ فكتب إليه عبد الرحمن :
"أما بعد ، فقد عرفتنا فهجوؤنا ، ولو عرفناك لأجبتك" ^(٥) .

The Khalifas's Biographical Dictionary : English Translation, vol. II, p. 46, n. 7 (١)

ج ١ ص ٣٢٦ (٢)

رواؤة خليفة الباس ٣٦٣ - ٣٨١ هـ (٩٧٣ - ٩٩١ م) (٣)

ابن خلكان (ج ٢ ص ٢٠٠) (٤)

التعالي : يتبة العصر (ج ١ ص ٢٢٤) (٥)

(ج) أقوال المثبتين لصحة النسب

لقد خالف كثير من الكتاب والشعراء وغيرهم من ذوى رأى وإجلال من أولاد علي بن أبي طالب ، ما ذهب إليه من ذكرنا من المؤرخين الذين يتكروون نسب الفاطميين إلى علي وفاطمة إذ اترفوا بصحة هذا النسب . فيكون نسب عبيد الله المهدي ، علي ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون وغيرهم كما على : عبيد الله (أو سعيد) للمهدي بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق^(١) .

والآن تأتي بأمثلة صالحة من أقوال الشعراء والكتاب المعاصرين للفاطميين ، ممن تصدوا للكلام على هذا الموضوع ؛ فنذكر الشريف الرضى السلى^(٢) ، وناصرى خسرو^(٣) الاسماعيلى المذهب المتوفى سنة ٤٨١ هـ ، بل وعمارة البغنى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ، وكان من غلاة أهل السنة كما سيأتى بيانه في الباب الرابع عند كلامنا على ما قام به هذا الشاعر في سبيل تأييد سلطان الفاطميين .

أجل ! لقد طعن كثير من المؤرخين والكتاب في نسب مؤسس هذه الأسرة ، مما جعل هذه المسألة من أعقد مسائل تاريخ الشرق وأكثرها غموضاً وإرباكاً ، لتتشعب آراء الكتاب المعاصرين من العرب على اختلافهم ؛ لأنهم كتبوا متأثرين بسطوة الخلفاء العباسيين أو من الفاطميين ، ذلك الأمر الذى آتى بهم إلى إيراد هذه الآراء التاريخية المتناقضة .

وقد أشار كترمير (Quatremère) في كلامه عن أصل الفاطميين بهذه العبارة : "يبد أنه لسوء الحظ ، فإن بعد الزمن ، وما ساد العقول من أوهام ، وما تسلط على نفوس الرجال من نزعات وميول ، وما أدلى به المؤرخون من أدلة متناقضة متضاربة : فريق ألف وكتب متأثراً بسلطان الخلفاء العباسيين ، وفريق آخر قام بهذا العمل مجارين أعداء هذه الأسرة — كل ذلك أحاط هذه المسألة بظلام دامس ، لا يستطيع مشعل النقد كشفه إلا بشكل ناقص مبتور" .

(١) هناك أقوال كثيرة غفظة وردت عن نسبة الفاطميين إلى اسماعيل بن جعفر ؛ ولا حاجة بنا إلى استقصائها هنا .

(٢) أبو الحسن محمد بن علي بن أحمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق .

(٣) كان ناصرى خسرو اسماعيلى المذهب ؛ زار مصر في القرن الخامس من الهجرة (الحادى عشر الميلادى) . وقد تكلم من قسه فقال أنه وصل القاهرة في ٧ صفر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) وأقام فيها إلى يوم الثلاثاء ١٤ ذى الحجة سنة ٤٤١ هـ (أبريل سنة ١٠٥٠ م) . واهتر القاهرة — كثيره من الاسماعيلية الغلاة — مركزاً لهذا المذهب ، واعتقد أن الخليفة الفاطمى هو الامام حقا . وذكر هذه الحقائق في كتابه "تقريبه" الذى ساق الإشارة إليه في الباب الذى يتناول الكلام على ثورة مصر وميلج رعايتها .

“Mais, par malheur, l'éloignement des temps, les préjugés, les passions des hommes, les témoignages contradictoires des chroniqueurs, dont les uns ont écrit sous l'influence des Khalifes abbassides, d'autres sous celles des ennemis de cette dynastie, ont répandu autour de cette question des ténèbres épaisses, que le flambeau de la critique ne saurait dissiper que d'une manière imparfaite” (1).

وبالرغم من تباين آراء الكلب الأقدمين في هذه المسألة ، فاقبل أميل الى القول — ولو بشيء من التردد — الى أن نسب الخلفاء الفاطميين الى فاطمة صحيح ، وأنه بسبب هذا التلو الذي ساد المعتقدات الفاطمية ، هم مناظروهم يحضون ما اتَّعَوْه من النسبة الى فاطمة ، عسى أن يحيط ذلك من شأنهم في أمين رعاياهم .

ولا غرو فإن التحيز يظهر ظهوراً بيناً من ثنايا أقوال الكلب من السنين ، مما يجعل دحضه أمراً ميسوراً . ولا بأس من أن تأتي في هذا الصدد بمثل أو مئين من هذه الأقوال : فمن ذلك ما ذهب اليه السنيون من أن أبا عبد الله الداعي لما علم بقتل المهدي في صحبه بسجلماسة ، أجلس على العرش رجلاً يهودياً لا حيلة له ، وادّعى أنه الإمام المنتظر . وهنا يتساءل المرء : ما هو الدافع الذي حمل أبا عبد الله الشيعي على عدم إجلال أبي القاسم بن المهدي بعد وفاة أبيه ؟ كما تتساءل أيضاً : ألم يحسد أبو عبد الله الشيعي من يحسبه من المسلمين مكان عيد الله حين علم بموته ، وخصوصاً بالنسبة لابنه ؟ ولقد كان هناك من العلويين من يصلح لهذا المترك بلا من ذلك اليهودي الذي لا قيمة له ، والذي لا تدرى كيف عثر عليه بهذه السهولة .

نعم ! لا شك في أن هذا العمل كان من السهولة بمكان ، فضلاً عن أنه لم يكن ينطوي تحته لإجراء تغيير أو تبديل في البيعة ، لأن حق المهدي يتحول بمقتضى قانون الشيعة الى ابنه بصورة طبيعية :

وهناك مثل آخر ، وهو ما سبق أن أشرنا اليه من إخراج ابن طباطبا لعز سؤاله عن نسبه ، وما كان من سل المعز سيفه قائلاً : “ هذا نسي ” ، وثره الذهب الكثير قائلاً : “ وهذا حسبي ” .

هذا مثل من أقوالهم . ونحن نشك فيه كل الشك ، إذا علمنا أنه لما وصل المعز مصر سنة ٣٢٢ هـ كان ابن طباطبا قد مات سنة ٣٤٨ هـ ، أي قبل أربع عشرة سنة من مجيئه .

ولدينا من الحقائق التاريخية ما يؤيد قبول المذهب الفاطمي بصحة نسب الفاطميين الى النبي .
فقد ساعد اعتقاد الناس في صحة هذا النسب على تشرسطة الفاطميين الروحية والزمنية — أو كليهما —
في كثير من البلاد الاسلامية الى حد أن نجح الفاطميون في الحصول على اعتراف الناس بهذه السلطة
في أكثر بلاد الدولة العباسية ، دون أن يحدوا معارضة من الرأي العام في ذلك الوقت .

وبدئنا أن الوصول الى اعتراف الناس بأن المهدي وخلفاءه هم الأئمة حقا وانهم يتصلون
بالنسب الى فاطمة ، راجع الى ذلك النشاط الذي أبداه دعاة الفاطميين . ذلك أنه بعد تأسيس
الدولة الفاطمية في القيروان بقليل ، ذهب شعراء الأغلبية للمشيعون من أمثال ابن سعدون الوزجلى^(١)
إلى القول بصحة هذا النسب ، كما يبين ذلك من هذه الأبيات التي أنشدها هذا الشاعر في حضرة
المهدي عبيد الله وأبي عبد الله الشيعي داعي دعائه :

هذا أمير المؤمنين تضعضعت لتقدمه أركان كل أمير
هذا الإمام الفاطمي ومن به أنتت مغاربها من المخذور
يا من تخير من خيار دعائه أرجأهم للعمر والميسور^(٢)

ولم يفتر الخلفاء الفاطميون عن إيزال العطاء للشعراء الذين شادوا بذكرهم وأطنبوا في أحقيتهم
بالإمامة . فليس من عجب إذا أمر المهدي للشاعر بصلة جزيلة كانت تجري عليه لكل عام ،
ووصله أبو عبد الله أيضا^(٣) .

هذا ، وقد ذكر لنا مسكويه والمقرئ أن نصر بن أحمد الساماني أمير نخراسان بعث
إلى المهدي بكتاب يعترف فيه بسلطته الروحية ويعد بامداده بالرجال ، كما يبين من هذه العبارة :
« أنا في خمسين ألف مملوك بطيعوتي ، وليس على المهدي بهم كلفة ولا مؤنة ، فإن أمرني بالمسير
سرت إليه ، ووقفت بسبني ومنطقتي بين يديه وامتلئت أمره ... » الخ^(٤) .

أضف الى ما تقدم ما كان من أمر يوسف بن أبي الساج أمير الرى — إذا أخذنا بقول
كتابه عبد بن خلف التيرماني — فقد فكر في خلع طاعة الخليفة العباسي المقتدى والدخول

(١) يحصل أن يكون هذا القبط مشتقا من دجيلان ، وهي كورة بين شمال إفريقيا وبلاد الجريد التي يسكنها قوم
من البربر ويحاثه — البركي (ص ٧٧ و ١٨٢) وياقوت : سمج اليه ان — انظر لفظ دجيلان .
(٢) و(٣) و(٤) المقرئ : كتاب القتي الكبير — المكتبة الأهلية بباريس . مخطوط ٢١٤٤ ورقة ٢٢٣ أ و ب .

في طاعة الامام العلوي بالقيروان الذي كان أبو طاهر القرمطي — على ما ذهب إليه ابن أبي الساج — من أصحابه وأنصاره . وقد أورد لنا مسكويه هذه الحكاية بشيء من التفصيل ، ونحا المقرئ فيها منحنى الإيجاز .

ولقد أخبر ابن أبي الساج — على ما ذكره مسكويه^(١) — محمد بن خلف ، أنه متى جمع خراج واسط والكوفة وسقى القررات عن سنة ٣١٤ هـ ، شق عصا طاعة الخليفة العباسي وأظهر الدعوة للهدى ، ثم دعا الناس الى الدخول فيما دخل فيه ، وسار الى بغداد . فكتب محمد بن خلف بذلك كله الى نصر الحاجب ، فأوصله الى مسامح الخليفة العباسي .

غير أنه يظهر لنا أن الخليفة لم يحم بأى عمل لإزاء هذا الحادث ، بل سلمنا بالتبض على ابن خلف ومصادرة أمواله ، وسلمنا أيضا أن ابن أبي الساج كان يقود الجيوش العباسية ومحارب ضد أبي طاهر بظاهر الكوفة (شوال سنة ٣١٥ هـ) ، وأن المزيعة حلت بابن أبي الساج فأمر ثم انتصر^(٢) .

وبالرغم من أن عبارة مسكويه لا تدل على أن ابن أبي الساج لم يحم في هذه الحرب بعمل تشتم منه رائحة العصيان للخليفة العباسي ، فإن هذا الأمر لا يحول دون ما نراه ، وهو أنه كان يميل الى الدخول في دعوة المهدي ، ولكن الفرصة لم تكن بعد لأن يقوم بتحقيق مثل هذا العمل .

أضف الى ما تقدم أن مرداويج بن زيار الديلمي ، أحد قواد الأصغر أمير قزوین ، الذي طرد الأصغر واستولى على بلاده ثم فتح الري وأصبهان — وكانا من قبل تحت ولاية ابن أبي الساج — قد بعث بالرسول يحملون المال الكثير للمهدي في شمال إفريقيا ، وأعلن رغبته في الدخول في طاعته .

ولقد أورد لنا المقرئ عبارة موجزة نفثين منها اتجاه ميول هؤلاء الأمراء الى ما ادعاه الفاطميون من حق في الخلافة ، مما لا يترك مجالاً للشك في أن نسب عبيد الله الى فاطمة كان أمراً معترفاً به في ذلك الوقت ؛ وقد ختم المقرئ عبارته بقوله إن المهدي ظن أن الوقت لم يحن بعد لأن يطلب معونة هؤلاء الأمراء ، فصيح اليهم أن يلزموا مراكزهم ، كما يظهر ذلك من هذه الكلمات التي كتبها المهدي بيده ، نذكرها في عبارة المقرئ وهي :

(١) (ج ١ ص ١٦٧ — ١٦٨) .

(٢) (ج ١ ص ١٧٣ وما يتبعها) .

لله وبعث إليه نصر بن أحمد أمير خراسان يقول : أنا في تحسين ألفا يطيعوتى ... وكتب إليه مرداويج الجليل بمثل ذلك . وكتب إليه يوسف بن أبي الساج ... وأفندوا رسلهم مع الأموال إليه ، فوقع حل ظهر كتبهم : " الزموا مراكم (لكل أجل كتاب) " (١) .

أجل ! لقد بلغ نفوذ دعاة الفاطميين في بلاد الدولة العباسية مبلغا عظيما ، كما كان للعلاقات الودية التي سادت بين الفاطميين والقرامطة في حجر في أيامها الأولى أكبر الأثر في جذب كثيرين إلى اعتناق مذهب الإسماعيلية في بلاد الدولة العباسية . يلك على صحة ذلك هذا الحديث الذي دارين على بن عيسى وزير القاسم العباسي ، ورجل من شيراز نعى إلى الوزير أنه كانت يجتسس لقرامطة البحرين ويكاتبهم . وقد دار الحديث في حضرة الوزير والقاضي والقواد ، وناظر هذا الشيرازي الوزير في هذه الكلمات التي تنقلها بنصها عن مسكويه :

" أنا صاحب أبي طاهر (القرمطي) ، وما صحبته إلا لأنه (في الأصل على أنه) على حق ، وأنت وأصحابك ومن (في الأصل وما) يتبعكم كفار مبطلون ، ولا بد لله في أرضه من حجة وإمام عدل ، وإمامنا المهدي فلان بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ولستأ (في الأصل وليس نحن) مثل الرافضة الحقن الذين يدعون إلى غائب متظفر " (٢) .

أما الطريقة التي لاقى بها هذا الرجل حقه ، فأننا تركها لخيال القارئ .

ويعاق بعض المؤرخين أهمية كبيرة على قصيدة الشريف الرضى ، إذ أثارت حق الخليفة القادر ، وأدت إلى عقد اجتماع الفقهاء وأقطاب العلويين ، وكتب فيه محضر (في ربيع الثاني سنة ٤٠٢ هـ - ١٠١١ م) (٣) طعن فيه المجتمعون في نسب الفاطميين ، وكانوا في هذا الأمر مدفوعين بموامل الخوف أو منساقين بميولهم وعدائهم لهذا المذهب . وقد تلا هذا المحضر محضر آخر مما كتبه في سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م) (٤) .

وهذه القصيدة وإن لم تظهر في ديوان الرضى بإدنى الأمر ، فإن تناقل الكتاب لها على اختلافهم يدل على ثبوت نسبتها إلى الرضى .

(١) سورة ١٣ آية ٢٨

القرنيزي : القضي الكبير - المكتبة الأهلية ياريس . خطوط ٢١٤٤ ورقة ٢٢٢ ب .

(٢) مسكويه (ج ١ ص ١٨١) .

(٣) أبو القدا (ج ٢ ص ١٥٠) وأبو الحسن - المجلد الثاني (ج ٢ رقم ١ ص ١١٢ و ١١٣) .

(٤) أبو الحسن . المجلد الثاني (ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤) .

وقد نقل المقرئ^(١) عن هلال الصائغ وابنه محمد ، أن الرضى لم يودع ديوانه هذه القصيدة خوفاً من الخليفة العباسي وإرضاء لأبيه . أضف إلى ما تقدم ما كان من امتناع الرضى عن إنكار نسبة هذه القصيدة إليه ، ومحاطته في التوقيع على المحضر حين طلب منه التوقيع . كل هذه حقائق تاريخية لها قيمة عظيمة من حيث إثبات صحة نسبة هذه القصيدة إلى الرضى .

هذا إلى أن صرف الرضى عن النظر في المظالم وتقاية العلويين وإمارة الحج^(٢) ، وما كان أيضاً من إجماع كثيرين من المؤرخين على نسبة هذه القصيدة إليه — كل ذلك يدحض قول البعض من أن هذه القصيدة التي نسبت إلى الرضى لم تكن من نظمهم . ولا بأس من إيراد بعض أبيات من هذه القصيدة :

ما مقامى على الهوان وعشى مقلول صارم وأقف حمى
أهل الضيم في بلاد الأعدى وبمصر الخليفة السلى
من أبوه أبى ومولاه مولا ي إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرق برفقه سيدا النبا س جميعا محمد وعلى^(٣)

ولا يزال هناك فريق آخر من المؤرخين غير من ذكرنا ، لا يتردد في القول بأن دعوى الفاطميين للنسب إلى عليّ قائمة على أساس متين . نذكر من بين هؤلاء ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٤ م) ، وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) ، والمقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) .

أما ابن الأثير فإنه يجعل لقصيدة الرضى أهمية كبيرة . هذا إلى ما كان من امتناعه عن إنكار نظمها ، ومن توقيعه على المحضر الذي طعن في نسب الفاطميين ، وصرفه عن المناصب التي تقلدها من قبل الخليفة العباسي . وزاد ابن الأثير هذه المسألة بيانا فقال إنه ناقش مسألة هذا النسب مع جماعة من العلويين العالمين بالأنساب ، فلم يرتأوا في أن الفاطميين من أولاد علي^(٤) .

(١) انماط الحفا (ص ١٦) .

(٢) المقرئ ، انماط الحفا (ص ١٦ و ١٥) نقلا عن هلال الصائغ .

(٣) ديوان الشريف الرضى (ص ٩٧٢ و ٩٧٣) . نقل هذه القصيدة من المؤرخين ابن الأثير (ج ٨ ص ٨٠ و ٩٠) ، والمقرئ (انماط الحفا ص ١٦) وغيرهما .

(٤) ابن الأثير (ج ٨ ص ٨٠ و ٩٠) .

وأما ابن خلدون ، وهو من المتعصبين لمذهب الشيعة ، فقد دحض في "مقدمته" هذه الأقوال التي أنكر فيها المؤرخون والكتّاب صحة هذا النسب حيث يقول : "ومن الأخبار الواهية ما ينسب إليه الكثيرون من المؤرخين والأثبات في العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة ، من فيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، والطنس في نسبهم إلى إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على أحاديث لغفت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ، ترفا إليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفتنا في الشماتة بصدؤهم ... وينقلون عن التفتن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك ، من تكذيب دعوامهم والرد عليهم ، فانهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أبا عبد الله المختصب لما دعا بكامة للرضى من آل محمد ، واشتهر خبره ولم يؤمّ تحويمه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم ، خشيا على أنفسهما ، فهربا من المشرق محل الخلافة واجتازا مصر ، وأنها خربا من الاسكندرية في زى التجار ... الخ" (١).

أما المقرئى ، وهو ممن ينتسبون إلى الفاطميين أيضا ، فقد شدد النكير على ما كتبه الكتّاب الذين لا يميلون إلى القول بصحة هذا النسب ، بنفس هذه الروح التي سادت أقوال ابن خلدون ، حتى إننا أذا وازنا بين عبارتي هذين الرجلين ، تبين لنا أن المقرئى (٢) قل جزءا غير قليل مما كتبه ابن خلدون.

أما وقد أوردنا شيئا غير قليل عما قيل في نسب الفاطميين ، فانه يحذر بنا ألا نغض الطرف عن عبارات ثلاث أمدنا بها المقرئى في مخطوطه "المقفى الكبير" قللا عن اثنين من الكتّاب المعاصرين للفاطميين : هما أبو حنيفة النعمان المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ ، وقاضى قضاة الخليفة المزمع والفقهاء في قوائين الإسماعيلية ، والمسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ ، وهو أيضا حجة في تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين ، ذلك التاريخ الذى لعبت به يد الدهر ، ولم يصل إلى أيدينا منه شيء ، اللهم إلا هذه الشفرات التي قلها عنه ابن منجب وابن ميسر ، وابن خلكان والمقرئى ، وأبو الحسن وغيرهم .

هذا ، وتقتصر أهمية هذه الوثائق التاريخية في إثبات شخصية عبيد الله ، وأنه المهدي من آل حلّ ، الأمر الذى أيدته الدعاة الذين كان يلغاهم عبيد الله أنى سار ، كما وقف منها على أن عبيد الله بهذا متعقدات مذهبه في طي الخلفاء ، ليأمن على نفسه القبض والجس .

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٦)

(٢) خط (ج ١ ص ٣٤٨ — ٣٤٩) ، وانظر الخفا (ص ٢٤ — ٢٦)

وقد أورد لنا أبو حنيفة النيمان المغربي حكاية قتلها عن أبي القاسم الحسن بن أبي الفرج ابن حوشب ، الذى صار فيما بعد داعيا للذلة من قبل عبيد الله فى اليمن . وكان ابن حوشب هذا ممن يتقدمون أن ظهور المهدي قد آن وأوانه ؛ فذكر ما قاله القهري^(١) أحد الشعراء فى هذا الصدد .

واستطرد أبو حنيفة فى كلامه عن ابن حوشب حيث يقول : " فخرجت الى دجلة ، ثم أخذت فى قراءة سورة الكهف^(٢) ؛ فأقبل شيخ يمشى معه رجل ما نظرت الى أحد يملأ قلبى هيبة قبله ؛ فجلس ناحية ، وجلس الرجل بين يديه . وأقبل غلام فقرب منى ، فقلت : من أنت ؟ فقال حَسَنَ (٣) ، فاستعبرت وقلت : بأبي الحسين المضرع (الملوج فى الأصل) بالدماء المنوع من هذا الماء ! فرأيت الشيخ ينظر الى ، وكلم الرجل الذى بين يديه ، فقال لى الرجل : تقدم إلينا ! فقمنا وجلست بين يديه^(٤) .

بعد ذلك يقص علينا ابن حوشب الحديث الذى دار بينه وبين هذا الرجل الطاعن فى السن ؛ ثم يستطرد فى الكلام فيبين لنا مبلغ حديث هذا الرجل من نفسه ، وما لاحظته عليه من راحة العقل ؛ ويصف لنا ذلك الياس الذى تطرق الى نفسه لجهله المكان الذى رحل إليه . وبيننا ابن حوشب مطرق ففكر ، إذ انقضت غياهب الأسمى عن نفسه حين حضر الرجل الذى كان فى صحبة الإمام وأخبره بقره .

ويصف لنا بعد ذلك أيضا ابن حوشب ما كان من التفانيه بمحمد الحبيب^(٥) والد عبيد الله المهدي ، وعهده إليه فى سنة ٢٦٨ هـ (٨٨١ م) بإقامة الدعوة له فى بلاد اليمن^(٦) .

(١) ذكر القريزى (المقنن الكبير) — المكتبة الأهلية بباريس . مخطوط ٢١٤٤ ورقة ٢١٢ ب) أنه أثر عن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم أنه قال فى سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٨ م) أن المهدي سيظهر بعد اثنين وأربعين سنة ، أى سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) ؛ فمير القهري عن هذا التصريح بأسلوب شعرى ، حيث قال فى قصيدة نقل منها هذه الأبيات :

ألا يا شجرة الحق قدى الإيمان والبر
ومن ثم قصرة الله على الضعيف والمؤبر
فقد كنت والتسعين قطع القبول فى العلو
لأمر ما يقول لنا من يجع الهدى بالبحر

نقل هذه الأبيات مسيو كترير ، ونشرتها المجلة الآسيوية الفرنسية فى عدد أغسطس سنة ١٨٣٦ (Quintessence : Journal Asiatique, Août, 1836, pp. 122-121)

(٢) القرآن الكريم سورة ١٨

(٣) هذا الشيخ هو محمد الحبيب على ما ذكره ابن خلدون (ج ٤ ص ٣١) . أظن الفصل السابع من الباب الأول من هذا الكتاب .

(٤) القريزى : المقنن الكبير ، المكتبة الأهلية بباريس . مخطوط ٢١٤٤ ، ورقة ٢١٢ أ — ٢١٣ ب .

وإذا جاز لنا أن نأخذ بعبارة أبي حنيفة النعمان المغربي ، رأينا أن شخصية الإمام كانت ثابتة معروفة لدى أخصائه المقربين إليه ، وأن مكان إقامته كان على الدوام سرا لا يعلم به إلا أنصاره ، لما كان من تشدد الخلفاء العباسيين في طلبه والقبض عليه .

ومما هو جدير بالملاحظة أن مسألة مقابلة الإمام مع ابن حوشب ، التي كانت على ما ذهب إليه أبو حنيفة قبل سنة ٢٦٨ هـ (وقد تقابلا لأول مرة في سنة ٢٦٦ هـ) — وهي السنة التي تعين فيها ابن حوشب داعيا للدعاة في التين — مسألة يحوطها الشك ، إذا كان عيد الله هذا هو الإمام والمهدي حقا .

ومما لا شك فيه أن ولادة المهدي كانت في سنة ٢٥٩ هـ (أو ٢٦٠ هـ) ؛ فلم يكن قد بلغ العاشرة من العمر حين المقابلة لأول مرة . وإذا جاز لنا أيضا أن نجزم بصحة هذه الحكاية ، فإن التفسير الذي يمكن أن نفسره هذه المسألة ، هو أن هذا الرجل المسن هو محمد الحبيب أبو المهدي ، وأن هذا الصبي هو من أولاد الحسين والمهدي نفسه . ومن الواضح الجلي أن هذا الحكاية لا بد أن يكون قد دخل عليها شيء من التحوير والتبديل منذ وقع هذا الحادث إلى يومنا هذا .

وهنا نذكر أيضا ما رواه لنا المقرئ عمار ذكره المسبحي في حادث آخر ، ندين منه كيف أن نسب المهدي عيد الله كان أسرا لم يناع فيه أحد من دعاة الفاطميين وغيرهم من طلبة القوم في مصر ؛ وكان بين هؤلاء طائفة من بلاط الأخشيدي ؛ كما ندين أيضا أن رجال البلاط هؤلاء قدموا المهدي كل ما استطاعوا من معونة ، لا لشيء سوى أنه من أولاد علي .

وبعد أن يقص علينا المسبحي قصته عن وصول عيد الله إلى مصر ورحيله عنها تخفيا في زى التجار^(١) ، يروي لنا حكاية أخرى قلها عن أحد أحفاد أبي علي الداعي^(٢) الذي صحب المهدي أثناء مقامه في مصر نقلها للقارئ فيما يلي :

” وأخبرني بن محمد بن أبي علي الداعي أن الامام المهدي صلى يوما الصبح في الجامع العتيق بمصر تحت اللوح الأخضر ومعه أبو علي الداعي . فلما خرجا من الباب ، ضرب رجل بيده على كمر الامام وقال له : قد حصلت لي عشرة آلاف دينار . فقال له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك

(١) المقرئ : المقنى الكبير ، المكتبة الأهلية ياريس . مخطوط ٢١٤٤ ، ورقة ٢١٩ ب .

(٢) إذا صحت سلسلة هذا النسب ، فإن اسم حفيد أبي علي الداعي يكون على هذا الوجه : مبارك بن علي بن محمود — وساقى الحاكم بأمر الله ، المكتبة الملكية بالقاهرة . مخطوط (كتب الشيعة ٢٠) ورقة ١٢ ب .

الرجل المطلوب ؛ فضحك المهدي ، ثم ضرب يده إلى الرجل الذي ضرب يده إلى كنه ، ودخل معه إلى صدر الجامع وقال له : عليك عهد الله وظيظ ميتاته اني إذا جمعت بينك وبين الرجل الذي تطلبه ، كان لي عليك ولصديقي هذا خمسة آلاف دينار . ثم أخذ يده وأتى به إلى حقة قد اجتمع الناس فيها ، وأدخله من جانبها وفارقه ؛ فخرج من الجانب الآخر ، ولم يلحقا إلى هذه الساعة^(١) .

هذا ، ويقص علينا المسيحي حكاية أخرى قلها من هذا الداعي نفسه ، نقلها للقارئ أيضا ، قال : "وكنيت يوما قائما على الجسر بمصر مع الامام المهدي ، إلى أن سمعت الجرس والتداء عليه : ألا برئت الذمة من رجل أوى رجلا صغته كذا وكذا ، ونسته كذا - ووصف صفة المهدي — ومن أتى به فله عشرة آلاف دينار حلا لا طيبا . فقال [المهدي] : يا إياي ! المقام بعد هذا عجز ، ثم ركب الجسر ؛ وسرت معه ومأثته أن أرحل معه إلى بلاد المغرب ، فقال : على من أدع ، من لي مهنا ؟ فبكيت ، فأتسنى شعرا من القيس :

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أنا لاحقات بغيرا
فقلتُ له : لا تبتك حيثك إنما نحاولُ ملكا أو نموت فنعزوا"

ولسنا نشك في صحة هاتين العبارتين الأخيرتين اللتين أوردتهما لنا المسيحي ، إذ يحتمل أن يكون حفيد أبي عبد الله الداعي ، الذي نقل عنه المسيحي ، قد سمع من هذا الحادث من جده نفسه أو من أبيه الذي عاش بعد وقوعه بزمان قصير .

ولا نستطيع الجزم بأن هذه الحقائق التي أوردناها قد حلت مسألة نسب الفاطميين وأظهرت أنه يرجع إلى علي وفاطمة . لكنه لما كان من واجبنا أن تزود الموضوع الذي تصدينا للكلام عليه بحقائق جديدة ، فقد حاولنا جهذا . ولا شك في أن هذه العبارات قد ألفت قيسا من النور على نسب الفاطميين ، مما يجعل استقصاء هذا الموضوع أكثر سهولة على من يميلون لزيادة استقصائه .

ولم يصل المؤرخون بعد إلى رأي قاطع عن نسب الفاطميين إلى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وإلى ابن ميمون التلاح . على أنه بالرغم من أن تعاليم هذين الحزبين متشابهة من كثير من الوجوه ، فإن انفصال هاتين الطائفتين بعضهما عن بعض ، والمعاد الذي تجلّى في هذه الحروب التي نشبت بينهما ، مما يجعل على الظن أن القرابة إنما مالوا إلى الاسماعيلية وعطفوا على مذهبهم لأغراض سياسية .

(١) القريزي — القتي الكبير — المكتبة الأهلية ياريس . مخطوط ٢١٤٤ ، ورقة ٢١٨ وما فيها .

٢ - أهمية مصر للدعوة الشيعية

(١) موقع مصر الجغرافى بين الشرق والغرب

كانت السنوات الثلاث الأولى من خلافة المهدي عهد نزاع ومشاكل متوالية ، أتيح له فيها القضاء عليها بما أوتيها من نشاط وهمية . وبموت أبي عبد الله الشيعى أصبح المهدي الحاكم المطلق لكافة أرجاء بلاد المغرب .

لم يكف بشمال إفريقيا الخلفاء الفاطميون الذين كانت مجهوداتهم فى سلمية موجهة إلى إقامة خلافة علوية على أطلال الخلافة العباسية ، كما فعل العباسيون مع الأمويين . وإنما كان اختيارهم لتلك البلاد راجعا — كما أسلفنا — إلى بعدها عن مركز الخلافة فى بغداد ، وليل البربر لإذكاء نار الثورة على الأسرة الحاكمة فى بلادهم ، ولضعف هذه الأسرة الحاكمة نفسها .

نعم ! لقد وجه الفاطميون عنايتهم لهذا الجزء من أجزاء الامبراطورية العباسية ، حين أصبحت الجهود التى بذلوها لإقامة خلافة علوية فى آسيا قاب قوسين أو أدنى من الفشل . ولا غرو فقد كان هذا هو السبب الحقيقى الذى تدفع به المطالبون بالخلافة من العلويين ، الذين كانوا يودعون غياهب السجون أو كان القتل مصيرهم إذا انكشف أمرهم ، مما حدا بهم إلى الاستئثار وقروض إقامة الدعوة لهم إلى دعاة مهمتهم جذب الناس لهذه الدعوة ، بل وإخفاء أسمائهم الحقيقية تحت ألقاب أخرى ، من أمثال المهدي والمكتوم وغيرهما ، ليدروا بذلك عن أنفسهم يحفظ العباسيين وحقوقهم .

من هنا يعلم أن بلاد المغرب كانت ميدانا أصح من آسيا لنجاح الدعوة الفاطمية . بيد أن القيروان أو المهدي لم تكن تصلح أن تكون حاضرة للامبراطورية الفاطمية ، لما يستتبعه اتخاذ الحاضرة فى موضع يسهل معه التواصل مع الولايات الخاضعة لسلطانها .

ولمذا لا تنجب إذا رأينا المهدي يضع الخطط لنزو مصر على أثر تأسيس خلافته فى القيروان ، بالرغم من أن سلطان العلويين لم يكن قد توطد فى كافة أرجاء بلاد المغرب قبل سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩ م)

— وهى السنة التى استولوا فيها على مصر — ولا غرو فان فكرة غزو هذه البلاد قد توارثها الخلفاء الفاطميون بعضهم عن بعض .

عن الخلفاء الفاطميون عناية خاصة بامتلاك مصر ، لما لموقعها من عظم الأهمية سياسيا وحربيا ؛ خصوصا وأن ولاية هذه البلاد كانت اليهم ولاية الشام والحجاز . فكان امتلاك مصر امتلاكا لـلـدين البلدين العظميين ، وتأسيس نفوذ الفاطميين ، السياسى والدينى ، فى ثلاثة من المراكز الاسلامية الكيرة وهى : القسطنطينية والمدية ودمشق .

أجل ! إن تحقيق هذا المطمع الذى قصد اليه أول الخلفاء الفاطميين معناه تمهيد الطريق لتهديد بغداد نفسها ، حاضرة الامبراطورية العباسية فى ذلك الحين .

هذا ، ونستطيع أن نشير من بين المصادر التى عولنا عليها فى بحث هذا العصر من عصور تاريخ مصر ، الى ما كتبه الطبرى وأوتيتا وعريب بن سعد ومسكويه .

أما تاريخ الطبرى الذى ينتهى الى سنة ٣٠٢ هـ ، فانه يقتصر على الكلام عن الخطوة الأولى التى خطاها المهدي فى سبيل تحقيق هذه الفكرة الجرئة التى كانت ترمى الى غزو مصر . وأما "صلة تاريخ الطبرى" لعريب بن سعد ، فقد تناولت الكلام على هذه الحملات بشئ من الاسباب . ويلاحظ لنا أن مسكويه استطاع أن يحصل على معلومات أوفى من تلك عن هذه الحملات . أما أوتيتا والكندى ، وهما مصريا المولد والدار وأقدم هؤلاء المؤرخين بعد الطبرى ، فقد أمدنا كل منهما بمعلومات أكثر تفصيلا وإسهابا عن هذا الموضوع .

فى سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ م) جيش المهدي جيشا من المغاربة تحت إمرة ابنه وولى عهده أبى القاسم ، وحجابه بن يوسف ^(١) ، وهو من زعماء كرامة . ويظهر لنا أن حراسة هذا قد اضطلع بجميع أعباء هذه الحملة . تقدم هذا الجيش نحو الاسكندرية ، فاستولى فى طريقه على برقة ^(٢) ،

(١) ذكر الطبرى (٣ : ٢٢٩١ و ٢٢٩٢) أن هذا الجيش كان تحت قيادة حراسة . وخالفه فى ذلك عريب بن سعد (ص ٥٢) فقال إن أبى القاسم كان على رأس جيش المغاربة الذى دخل الاسكندرية فى سنة ٣٠١ هـ ، وهناك أنى كثيرا من الخطب ، لا يبد أنه تأس من روايات الحصول على معونة المصريين . وقد قرأ عريب نفسه نص هذه الخطب ، وأجم ، على ما يقوله لنا ، من إيداعها تاريخه ، لما فيها من مخالفة تروى إلى إفساد العقائد الدينية . أما الكندى (ص ٢٦٩) فلم يرد فى كتابه ذكر البية من انضمام أبى القاسم الى هذه الحملة سلقا ؛ ويترك من حراسة بصفة قائد للجيش الفاطمية . وذكر أوتيتا (ص ١١٠) أن أبى القاسم بحث به الخليفة على رأس اللد الذى لحق بحجابه بعد استيلائه على الاسكندرية والقيوم . ويخالفه فى ذلك ابن خلكان (ج ٢ ص ٣٥) والقرئى (اتحاد ص ٤١) حيث تكلم عن أبى القاسم باعتباره قائد هذه الجيوش من بعد سيرها من برقة .

(٢) فى نفي الحجة سنة ٣٠١ هـ ، على ما رواه القرئى ، اتحاد الحفا (ص ٤١) ، والخطوط (ج ١ ص ٣٢٧) .

ثم واصل السير حتى دخل الاسكندرية واستولى عليها ؛ ومن ثم سار الى الوجه البحرى . (١١)
فلما علم المقتدر العباسى بذلك ، بعث مؤنسا الخادم على رأس جيش كبير قيل إنه بلغ أربعين ألفا . (١٢) . وفى مدينة مشتل القويسة من الجزيرة الحمم القريقان فى القتال ، خلت المزيمة بجيش حباسه (١٣) ؛ فأرغم على العودة الى بلاد المغرب حيث قتله الخليفة الفاطمى على أثر رجوعه (١٤) .

على أن أهمية هذه الغزوة تقتصر فى أمر يجب ملاحظته ، وهو أنه كانت فى مصر فى ذلك الوقت كثيرون يعطفون على الدعوة الفاطمية . وقد وعدوا بنصرة الفاطميين ؛ بذلك على صحة هذا ما ذكره الكندى من أن جماعة من المصريين كاتبوا الفاطميين ودفعوهم إلى غزو مصر . وإلى هذا يشير ابن مهران أحد شعراء مصر المعاصرين لهذه الحوادث فى هذه الأبيات :

واقبل (٥) جاهلا حتى تحطى وجاهز يمهله حد التحطى
بكتب جماعة قد كاتبوه من أقباط بمصر وغير قبلى
وكل كاتبوه واتفقوا وكل فى البلاد له موطن (٦)

ولقد حاول ذكا (٧) (٣٠٣-٣٠٧ هـ) وإلى مصر الجديد ، الذى دخل هذه البلاد فى ١٢ صفر سنة ٣٠٣ ، أن يضع حدا للأعمال التى قام بها المواليون للفاطميين ؛ ففتح كل من رعى منهم بمراسلة الفاطميين ؛ فسجن منهم كثيرين وقطع أيدى بعضهم وأرجلهم ، وجلا أهل لوبية ومراقبة الى الاسكندرية خوفا من غزو الفاطميين بلادهم (٨) .

(١١) الكندى (ص ٢٦٨)

(١٢) هذا التقدير آتى به مسكويه (ج ١ ص ٣٦٦) . أما أوتيسا (ص ٦٠) فقد ذكر أن هذا الجيش بلغ مائة ألف من الأشداء .

(١٣) الكندى (ص ٢٧٠)

(١٤) الطبرى (٢ : ٢٢٩٣) ، وعريب بن سعد (ص ٥٣)

(٥) الضمير يعود على حباسه الذى ذكر اسمه فى البيت الثانى من هذه القصيدة (الكندى ص ٢٧٢) .

(٦) الكندى (ص ٢٧٦)

(٧) ذكر تاجر كتاب الرواة للكندى (ص ٢٧٢) ، حاشية ٢ ، أن هذا الاسم ضبط فى الأصل بالنبح ، وهو فى بعض الكتب بالنعم (راجع حلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد ص ٥٣) . وقد ذكره ستانلى لين بول فى كتابه " تاريخ مصر فى العصور الوسطى " (Stanley Lane-Poole : History of Egypt in the Middle Ages, p. 80) بالنعم ، وأطلق عليه ذكا الرضى ، وزاد أن اسمه بالأغريقية دوكاس (Ducas)

(٨) الكندى (ص ٢٧٤)

وفي سنة ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) سار الى مصر جيش كثيف تحت قيادة أبي القاسم بن المهدي ؛ فاستولى على الاسكندرية^(١) ، ثم سار الى الجيزة . وفي جمادى الآخرة^(٢) من السنة نفسها وقعت موقعة كبيرة بين جند الفاطميين وأهل مصر ؛ وكانت خسائر كل من الفريقين فيها أربعة آلاف^(٣) ؛ فأرسل الخليفة مؤنسا الى مصر ثانية^(٤) . فلما وصل كان الفاطميون قد استولوا على الأقباط والقيوم . ومع هذا فان المزيمة قد لحقت ببند الفاطميين كما لحقت بهم في المرة السابقة^(٥) ، وأحرق كثير من مراكب المهدي^(٦) ، وقتل وأسر معظم جندها وقوادها^(٧) .

وقد دون عريب إحدى هذه القصائد التي وجه بها أبو القاسم لأهل مصر ؛ وفيها شاد بذكر بيته والبلاد التي فتحها . وأرسلت نسخ من هذه القصيدة الى الخليفة العباسي المقتدر ؛ فأمر الصولي^(٨) الشاعر المشهور بأن ينظم قصيدة أخرى يرد بها على أبي القاسم ويدحض قوله ؛ فقام الصولي بما أمر به ؛ ونظم قصيدة على وزنهما وروحا ، وفي أحد أبياتها يقول :

ولو كانت الدنيا مطية راكب^(٩) لكان لكم منها بما حرّم اللئب

(١) كان ذلك في صفر سنة ٣٠٧ هـ ، على ما ذكره الكشي (ص ٢٧٥) .

(٢) ذكر الكشي (ص ٢٧٦) ؛ وجمادى الآخرة . ويخالفه في ذلك عريب بن سعد (ص ٨٠) حيث يقول ان هذه الواقعة دارت رساها في الخامس من هذا الشهر .

(٣) ذكر عريب بن سعد (ص ٧٩) هذا العدد . وقال الكشي (ص ٢٧٧) ان هذه الموقعة وقعت في الجيزة ، وكان من أثرها أن أرسل مؤنس الى مصر .

(٤) دخل مؤنس مصر — على ما ذكره الكشي (ص ٢٧٧) — في ٥ محرم سنة ٣٠٨ هـ .

(٥) الكشي (ص ٢٧٧ و ٢٧٨) وعريب بن سعد (ص ٨٠ — ٨٦) .

(٦) يقول أوتينا (ص ٨٠) إن عدد المراكب مائة . ويخالفه في ذلك ابن الأثير (ج ٨ ص ٣٩) وابن خلدون (ج ٣ ص ٣٧١) والمقرئ (أماط ص ٤٣) فيقولون إن عدد المراكب بلغ ثمانين . ويقول الكشي (ص ٢٧٦) ان هذه الموقعة وقعت في العشرين من شوال سنة ٣٠٧ هـ .

(٧) عاد أبو القاسم مع القالة في صفر سنة ٣٠٩ هـ عريب بن سعد (ص ٨٦) .

(٨) من أخفاد إبراهيم الصولي الشاعر المعروف سنة ٢٤٣ هـ . انظر ابن خلدون (ج ١ ص ١١ — ١٣) .

(٩) قل عريب بن سعد (ص ٨٣) هذا البيت . أما المقرئ (أماط ص ٤٢) فقد ذكر لنا عدة كلامه على غزو مصر على يد الفاطميين في سنة ٣٠١ و ٣٠٢ هـ ، أن أبا القاسم نظم قصيدته في بلاد المغرب ، وأن هذا البيت من قصيدة الصولي حركه أبو القاسم وشغفه ففتح هذه البلاد حيث قال : " وأهلا أزال حتى أمك صدر هذا الطائر رؤاه ان قدرت ، وألا أهلك دونه " .

أما الدنيا فقد شبهها الصولي — على ما ذكره المقرئ — بطائر ، وبطيء الركوب ، كما جاء في هذا البيت القبيح
دونه عريب بن سعد . ولاشاحة في صحة هذا القول ، لأن الصولي قصد من ذلك أن يقلل من شأن ما فعله أبو القاسم من ==

ويظهر أن غزوة الفاطميين الثانية لمصر (٣٠٧-٣٠٩ هـ) قد أوقعت شيئا غير قليل من الرعب والهلج في حاضرة الخلافة العباسية ، وفي نفوس الموظفين في مصر ؛ يتجلى ذلك من الحديث الذي دار بين الوزير ابن الفرات وعلي بن عيسى ، وكان يتقلد أعمال الدواوين .

وقد روى مسكويه هذا الحديث بمناسبة كلامه على المادرائين الذين اتهموا باختلاس أموال الخراج عن مصر والشام ؛ وكان ابن إسحاق (سلف المادرائين) قد جمع مليونين وثلاثمائة ألف دينار ، ولم يبلغ المادرائيون سوى خمسمائة ألف . وأخذ على رئيس هذا الديوان أنه لم يستوف بقية الخراج ، وكانت قد أخذ على نفسه عهدا بأن يقوم في المستقبل بدفع الباقي على أقساط يؤديها من ضمان أعمال الخراج والضبايع .

وكان جواب متقلد هذا الديوان أنه "قد كانت ورد من مال الضمان للسنة الأولى جملة ، ثم سار العلوي من إفريقية حتى تغلب على أكثر النواحي بمصر... فانصرف أكثر المال إلى أعطيات الجند وثققات الساکر ، وانكسر باقيه لأجل استخراج العلوي ما استخرجه من أموال النواحي المجاورة لمصر" (١١)

== البلاد . وهناك تشابه بين مآثره في كتاب القرطبي عن هذه المسألة ، وهو الطائر ، وهذه الحكاية التي أشرت عن هارون الرشيد ، الذي وصف بلاد المغرب جماعة من الرسل جاءوا إليه من هذا الأنطيم — وكان أحد الأقاليم التي كانت تابعة للإمبراطورية العباسية — ككتب الطائر ، فأجاب الخليفة أحد هؤلاء الرسل قائلا : إن أحسن جزء من الطائوس هو ذنبه . وهذا كله لا يترك مجالاً للشك بأن استعمال "حرب عبادة" صفة ركب "صحيح" مناسبة لهذه الحالة .

(١١) قال الأستاذ مارجوليوت (Margoulouth) في ترجمته لكتاب تجارب الأمم لمسكويه (ج ١ ص ١٢٠ ملاحظة ١) : "ومضى هذا أي المال الذي استخرجه التزاة من أموال النواحي المجاورة لمصر) غير واضح كل الوضوح . ويظهر أن خلال الصايغ (ص ٢٩٠) لم يكن قد فهمه " . على أنه يفهم من عبارة مسكويه أن مال الخراج عن سنة ٣٠٦-٣٠٩ هـ قد استهلك بصفة في أعطيات الجند وثققات الجيش ؛ واستهلك البعض الآخر في استخراج التزاة من أموال النواحي المجاورة لمصر . أما عبارة خلال وهي : "وانكسر الباقي لأجل هذه المادعة" فمعناها أن بقية الخراج لسنة ٣٠٦-٣٠٩ هـ (مال الخراج عن سنة ٣٠٦-٣٠٩ هـ) كان قد دفع كما سبق الإشارة إلى ذلك) لا بد أن يؤول بسبب غزو الفاطميين لهذه البلاد .

وهذا يظهر جليا من عبارة حرب (ص ٨٠) التي تأتي بعدها : "فخرج القضاء والقواد ويحبوه أهل مصر (Miser) إلى مؤنس ، وزل خارج المدينة (Miser) ، واجتبي أبو القاسم خراج القويم وضاع مصر (Miser) ، ودفع مؤنس أرزاق الجند من الأموال أهل مصر" .

أما الضبايع التابعة لمدينة مصر فتحط بها بجوار مصر (المدينة) . هذا فضلا عن أن القويم لا تبعد عن هذه المدينة ، وقد احتلها الفاطميون في ذلك الحين ، كما استولوا أيضا — على ما رواه أوتنجيا (ص ٨٠) — كورتي الينيسا الأشجوني .

وعليه ، فإن فقط "مصر" ، الذي استعمله حرب ومسكويه وهلال ، يعتمد منه مدينة مصر القديمة ، لا البلاد المصرية .

وهذه العبارة توضح لنا ما كان من تأثير هذه الغزوة في بغداد والقسطنطين ، حتى إن الخليفة العباسي لقب مؤنسا "المظفر" في وسط مظاهر الاحتفالات والتكريم ، إضافة بذكر هذا الانتصار^(١) على أن هذه المجهودات التي قام بها الفاطميون في سبيل استيلائهم على مصر لم يكن قد حان وقت جنى ثمارها ، إذ كان لا بد من تأجيلها طوال عهد المهدي ، لأن الخليفة العباسي كان لا يزال من القوة بحيث يستطيع دفع الفاطميين عن هذه البلاد ، وكان على هؤلاء أن يعملوا للتغلب على سلسلة المصاعب الداخلية التي كان يثيرها في وجههم الخوارج حينما بعد حين .

ويحدثنا الكندي^(٢) عن الحملة الفاطمية الثالثة على مصر ، فيقول إن هذه الحملة ظلت زهاء ثلاث سنين (٣٢١ — ٣٢٤ هـ) ، وأنه قد حدثت في سبتي ٣٢١ و ٣٢٢ مفاوضات بين جيوش الفاطميين والجيوش المصرية . وفي صفر سنة ٣٢٢ عقدت معاهدة الصلح بين جماعة من المصريين وحشيش بن أحمد قائد جند المغاربة ، وكان مسكرا في البليزة^(٣) .

على أن هذا الصلح لم يطل أمده ، إذ قرأ في كتاب الكندي عن نشوب مواقع عدة بين جيوش المغاربة والمصريين في بعض المدن كالبليزة وبولاق وبلبيس^(٤) .

وفي عهد ولاية الأخشيذ الثانية^(٥) (رمضان سنة ٣٢٢ — جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ — الكندي ص ٢٨٦ — ٢٩٢) ، انضم بعض زعماء المصريين إلى جيش المغاربة الذي دخل الاسكندرية في ربيع الثاني سنة ٣٢٤ هـ^(٦) ، فبعث إليهم الأخشيذ قوة كبيرة استطاعت أن توقع بهم الهزيمة (جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ) ، وأرغمهم على العودة إلى شمال إفريقية^(٧) .

(١) مسكويه (ج ١ ص ٧٦)

(٢) الكندي (ص ٢٨١ — ٢٨٧)

(٣) شرحه (ص ٢٨٤)

(٤) شرحه (ص ٢٨٤ — ٢٨٥)

(٥) اسم جند بن طنج . وقد ذكر الكندي (ص ٢٨٨) أن هذا القبط أطلق عليه في رمضان سنة ٣٢٧ هـ والأخشيذ هو أبو بكر جند بن طنج بن جف من أولاد ملوك فرقة . وكانوا يلقبون بالأخشيذ كما لقب ملوك القروس بالأكسرة وملوك الروم بالقياصرة . وتخصير طنج — على ما ذكره ابن زريق — جند الرحمن .

(٦) الكندي (ص ٢٨٧)

(٧) شرحه (ص ٢٨٧)

تأول بعض المؤرخين عن جاءوا بعد الكندي كابن الأثير (ج ٨ ص ٩٨) وابن خلدون (ج ٤ ص ٣٩) والمقرئ (ص ٤٥) الكلام على الحملة الثالثة بإيجاز ، واتفقوا على أنها وقعت في سنة ٣٢٢ هـ بخلاف ما ذكره الكندي من أنها دامت ثلاث سنين .

هذا ، ولم يقيم الفاطميون بمحاولة ما لفتح مصر في البقية الباقية من خلافة القائم (٣٢٢-٨٣٣٤ ٩٣٤-٩٤٥ م) ، وطوال عهد المنصور (٣٣٤-٨٣٤١ ٩٤٥-٩٥٢ م) ؛ لأن حالة بلاد المغرب الداخلية قد تطلبت كل جهود هذين الخليفين ، كما تطلبت كل موارد البلاد المالية . هذا الى ما أحدثته انخراجات من ثورات ، كان أجلها خطرا وأشدّها بلاد هذه الثورة التي أضرمت نارها أبو يزيد ^(١) ، الذي انتشرت جيوشه في سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) في جل أرجاء الولايات الفاطمية ، فأصبح في مركز يستطيع معه أن يهدد مدينة المهديّة نفسها . لذلك رأى القائم ضرورة الكتابة الى زيري بن تاد شيخ صنهاجة يستحثه على أن يوافيه برجاله فيلحق به في المهديّة ^(٢)

بيد أن حسن الحظ قد ساعد الفاطميين في ذلك الحين ، لما كان من انضمام عدد غير قليل من رجال أبي يزيد الى جيوشهم ولحقهم بهم في القيروان . وبذلك أصبح أبو يزيد أمام أمر واقع ، هو الاعتقاد على قيتلين اثنين من قبائل البربر ، وهما هواره وبنو تكلان ، مما اضطره الى الارتداد عن المهديّة بقوة يسيرة من رجاله ، تاركاً خلقه ما كان معه من مؤن وأعمال ؛ ثم تدهم الى القيروان ، فامتنع عليه أهلها وأرغموه على الارتداد مع القالة من رجاله الذين لم يلبثوا أن هلكوا جوعاً وعطشاً ^(٣)

توفي الخليفة القائم في ذلك الحين (رمضان سنة ٣٣٤) ؛ فأخفى ابنه وخليفته المنصور موته ، حتى لا يؤثر هذا النبأ في حماس جيوشه ، فهي "بذلك الفرصة لخارجي لاحتراز النصر" ^(٤) .

(١) هو أبو زيد محمد بن كيداد ، من قبيلة زناتة في مدينة توزد (أكبر مدائن بلاد الجريد التي تقسم قسمين : فسطاطية ، ويتبعها توزد والزواب — انظر البكري ، ص ٤٨ — ٧٤ والمراسي : كتاب المسجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٥٨) . وكانت أمه جارية هوارية ، تزوجها أبوه في السودان وأتى بها الى توزد حيث ولد لها أبو زيد هذا ؛ فنشأ في هذه المدينة ، وخالفه جماعة من النكارية ، فاحتق ملههم ، وكان يقضى بتكفير أهل الدين واستباحة الأموال ، وانخرج عن طاعة الخليفة . ثم سافر الى تاهرت ، فأقام بها يعلم الصبية الى أن خرج أبو عبد الله الشيخ الى سجلماسة لاطلاق الهدى ، فانتقل الى قوس ، واشترى شربة ، وأخذ يعلم الصبيان . وفي سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) قوى أمر أبي زيد وراجت دعمه لى بعض قبائل البربر في قوس والزواب والمغرب الأقصى . وفي عهد خلافة القائم زادت شوكة وكثر أتباعه . فاستولى على بجاية ومرمجة وأوقع الخزيمة قبيلة تكانة ، ودخل سيية واستولى على الأربس ومنها وقتل الكثير من أهلها . وقد أدخل استيلاء أبي زيد على الأربس ، وكان يهددها أهل المهديّة باب مديتهم ، الملح في قلوب الأهليين . وبذلك استطاع أبو زيد أن يسخر بجيشه على بعد خمسة عشر ميلا من المهديّة ، وأخذ يباغت المدينة بجماله ؛ فانقلبت كافة أهلها الى طرابلس وصقلية ومصر وبلاد الدولة البيزنطية .

أخبار ابن الأثير (ج ٨ ص ١٥٠-١٥٨) وابن أبي ديار (ص ٥٥-٥٦) والمقرئ ، انماط (ص ٤٥-٥٤) .
راجع كتاب الحرب الكبرى لفرقة مواقع المدن الواردة في هذه العبارة .

(٢) ابن الأثير (ج ٨ ص ٦٧-١٥٨) والمقرئ ، انماط (ص ٥٤-٥٥)

(٣) ابن الأثير (ج ٨ ص ١٥٠-١٥٨) والمقرئ ، انماط (ص ٥٤-٥٥) وابن أبي ديار (ص ٥٥-٥٩)

(٤) ابن الأثير (ج ٨ ص ١٥٧) والمقرئ ، انماط (ص ٥٤) وابن أبي ديار (ص ٥٩)

أما جيوش المنصور فقد قوى أمرها وزاد عددها بانضمام قوة منهاجاة إليها ، فأتاح ذلك الأمر الفرصة للمنصور ، فأوقع بجيش الخارجى في سنة ٣٣٦ هـ ، فقطعت أوصاله ، وطورد أبو يزيد نفسه إلى الصحراء وقبض عليه وبعث به إلى المهديّة ، وهناك مات متأثراً من جراحه (٣٠ محرم سنة ٣٣٦) (١١)

ولقد تركت الثورة التي أذكي نارها أبو يزيد شمال إفريقيا في حالة يرثى لها . ولولا ما أظهره المنصور من نشاط وشجاعة فادرة ودراية بأصاليب الحرب ، لزالّت معالم الخلافة الفاطمية من كافة أرجاء هذه البلاد . ولا غرو فان موارد الخلافة قد أصابها العطل ، فأصبح بيت المال صفراً من الصفراء والبيضاء . ولم يكن بد من أن يطلب المنصور على إصلاح ما أسداه أبو يزيد ، فقضّى بقية حياته في إعادة تنظيم البلاد ، حتى إنه لم يمّت (شوال سنة ٣٤١ و ٩٥٢ م) الا وقد استردت الدولة ما كان لها من قوة وجلال .

أما الخليفة الفاطمي الرابع ، وهو المعز ، فكان ذا وُلع بالعلوم ودراية بالأدب ، فضلاً عما عرف به من حسن التدبير وإحكام الأمور كما كان عليه آباؤه من قبل . وفي عهده دانت لسلطانه كافة قبائل البربر ، ومن بينها بنو كلان وبنو تليّة ، وهما قبيلتان من قبائل هواره أبتا أن تذهبا لمن كان قبله من الخلفاء .

ولا غرو فان السياسة التي جرى عليها المعز نحو القبائل على اختلافها كفلت له اكتساب طاعتهم ، وساعدت مساعده تذكر على توثيق عرى خلافته ، فأتيت له بذلك كله أن يقضى على أمراء الأدارسة في المغرب الأقصى ، فاتمى بذلك عهد استقلالهم الذي دام زهاء قرنين (١٢)

وقد رأى زيرى بن مناد الصنهاجى أن يبين لمولاه إلى أى حد وصل سلطان الفاطميين في الغرب ، وقد أنتشر من حدود طرابلس الغرب شرقاً إلى ساحل المحيط الأطلنطى غرباً وما إلى هذه الأجزاء من جزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط ، فأمر بعض رجاله أن يصطادوا له من سمكه ، ويجعل السمك في قلال المساء وحمله إلى المعز . ولما طاد جوهر من حروبه إلى القيروان ، كان المعز قد أصبح في ذلك الوقت الحاسم الذي لا ينزاعه منازع في كافة أرجاء شمال إفريقيا (١٣)

(١١) ابن أبي دينار (ص ٦٠)

(١٢) ابن الأثير (ج ٨ ص ١٨٩) والقرنيزى ، انماط (ص ٥٩ و ٦٠) .

(١٣) ابن أبي دينار ص ٦١

(ب) صلاح مصر للدعوة الشيعية

لقد كانت مصر صالحة للدعوة الشيعية من أجل ثروتها وهندوة الأمر فيها ، مع فقر الشرق واضطراب الأمر فيه ، يتغلب المتغلبين عليه من جهة وإغارة الروم من جهة أخرى . ولا غرو فقد كانت مصر من القوة في ذلك الوقت بحيث أصبح الأمن مستتباً والهندوة شاملاً في عهد الأخشيذ الذي بلغ عدد جيوشه أربعاًة ألف رجل ، عدا حرسه الخاص به . وكانت تدفع رواتب هؤلاء جميعاً بانتظام من الموارد التي هيأتها ثروة هذه البلاد . وإن نظرة واحدة الى ما بذله نحمارويه ابن أحمد بن طولون في جهاز ابنته قطر الندى (أو أسماء) التي تزوجت من الخليفة المعتضد في سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥ م) ، لتتلاً نفس المؤرخ دهشة وعجبا .

فقد كان من جملة صدقات قطر الندى وما قدم اليها من هدايا ، سرير من أربع قطع من الذهب ، عليه قبة من ذهب مشبك ، في كل حين من التشبيك قرطمانق فيه حجر من الأحجار الكريمة لا يقوم بمال . هذا الى ما كان هنالك من مائة هاون من الذهب ، وألف مُجَنَّة^(١) ثمن الواحدة منها عشرة دنانير . أما قيمة بقية الهدايا فتركها الى اتساع مدارك القارئ وقوة تصوره وخياله .

ولسنا ننسك في أن هذا التمييز أقفر نحمارويه . فقد أمر ، توفيراً لأسباب الراحة لابنته في طريقها الى بفسد ، أن يبنى على رأس كل مرحلة قصر يتزل فيه ، وأعد هذه القصور بكل ما تحتاج اليه من فائز الأثاث وضيء ، لتكون في سفرها ممتعة بكل وسائل الرفاهة كما لو كانت في قصر أبيها^(٢) .

على أن ثروة مصر وما ساد فيها من طمأنينة وهندوة قد تعرضوا للزوال حينما من الدهر ، بعد أن بلغ هذا البلد ذروة مجده في الشطر الأخير من أيام كافور . يؤيد ما قلناه من تبذير نحمارويه الذي أقفره من وراء زواج ابنته ، هذه العبارة التي نقلها عن التتوي في كتابه "نشوار المحاضرة"^(٣) قال : "ولما حصلت (كذا) قطر الندى ببفسد ، أضاق نحمارويه إضاقاً شديدة ، لأنه أفقر بما جملة معها وخرج من جميع نعمته ، حتى طلب شعبة فاحتسبت عليه مائة الى أن احتسبت فقال : لمن الله ابن الجصاص أفقرني في السر"^(٤) .

(١) الخيرة مفرد الأزار .

(٢) ابن خلكان (ج ١ ص ٢١٨) ، ابن دقاق (ج ٤ ص ٦٧) .

ذكر ابن دقاق أن عبد الله بن الجصاص الذي عهد اليه بإعداد الجهاز ، قال جائزته وهي أربعاًة ألف دينار بقيت بهد أعداد كل ما تحتاج اليه السروس .

(٣) (ص ٢٦٢) Prof. Margoliouth's Translation into English, p. 272

وفي سنة ٣٣٣هـ (٩٤٤-٩٤٥ م) انكشبت الدولة العباسية الى حدود بئداد تقريباً ؛ وضدت الولايات الاسلامية معرضة لهجمات الليزنطين ، وتعدّر على بئداد أن تصد الحملة الفاطمية على مصر . هذا ، ومن الضروري أن نوجز القول الآن فيما جرى في مصر من أمور خلال هذه الفترة القصيرة التي سبقت الفتح الفاطمي ، أي منذ حوالي سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢ م) .

ولقد صادفت الدعوة للبيت العلوي نجاحا عظيما في هذه البلاد ، بالرغم من القضاء على هذه المحاولات التي قام بها الفاطميون لغزو مصر في سني ٣٠١ و٣٠٢ و٣٠٧ و٣٠٩ و٣١١ و٣٢٤هـ . فقد كان الفاطميون يديجون في صفوف جندهم دعاة عهد الهم أن يمتثلوا بالناس ويساموهم عقائد المذهب الفاطمي^(١) ؛ فلم يلبث أن صار في مصر — قبل فتح هذه البلاد على أيدي الفاطميين بزمن طويل — عدد غير قليل يمتنق المذهب الشيعي ويرجو نجاحه .

ولم يقتصر ما قام به الفاطميون في سبيل نشر دعوتهم على هؤلاء الدعاة فحسب ، بل كان خلفائهم أيضا نصيب وافر في تشجيع هذه الدعوة ؛ فقد أُر عن بعضهم أنهم كانوا يرسلون كتباً يكتبونها بأيديهم ويذيلونها بمضامعهم .

ولقد ذكر لنا ابن سعيد أن أبا القاسم (هو الخليفة القائم ٣٢٢ — ٣٣٤هـ و ٩٣٤ — ٩٤٥ م) كتب بيده كتابا خاصا بث به مع رسول من قبله الى عهد الأخشيذ ، رضى منه في أنف تفعل سياسة اللين والمسالة ما لم فعله سياسة العداء والحرب ، تلك السياسة التي أخفق فيها هو وأبوه من قبل ، واليك هذا الكتاب بنصه :

” قد خاطبتك أعزك الله في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجزى في عقد الدين ، وما جرى به الرسم من سياسة أنصار يستجلبون ؛ وتضمنت رقعتي ما لم يطلع عليه أحد من كتابي وقوى المكائنة عندي . وأرجو أن تترك محبة عزيمتك وحسن رأيك الى ما أدعوك اليه ؛ فقد شهد الله على منى إليك وإيتارى لك ، ورغبتى في مشاطرتك ما حوته يمينى وأخوى عليه ملكى . وليس يتوجه لك العذر في التخلّف عن إجابتي ؛ لأنك قد استفرغت مجهودك في مناصحة قوم لا يرون احسانك ولا يشكرون اخلاصك ، يخلفون وعلك ويخفرون ذمتك ؛ لم يعتقد منهم أحد حسن المكافاة ولا جميل المجازاة . وليس يلينى لك أن تعدل عن نتيج من تصبلك وإيتار من

(١) ينبغي أن نشير الى الأعمال الدينية والسياسة التي قام بها الفاطميون بقولنا ” الدعوة الفاطمية “ ، فليز ذلك بين طاقة الفاطميين وتغيرم من المواقف الشيعية الأخرى ، لأن هذا التصير أصح وأدق .

أترك ، الى من يجهل موضعتك ويضيع حسن سعيك . وأنا أعلم أن طول العادة في طاعتهم قد كره اليك المدول عنهم . فان لم تجد من نفسك معونة على اتباع الحق ولزوم الصديق ، فاني أرضى منك بالمودة والأمر والطاعة ، حتى تقيمي مقام رئيس من أهلك ، تسكن اليه في أمرك وتعمل عليه بمثل ذلك . وإذا تدبرت هذا الأمر ، علمت أن الذي يعملي على التغاطي لك وقبول الميسور منك ، إنما هو الرغبة فيك . وأنت حقيق بحسن مجازاتي على ما بذلته ؛ والله يريك حسن الاختيار في جميع أمرك ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل^(١)

على أن هذا الكتاب لم يكن له من تأثير في نفس الأخشيدي الذي دافع رسول الخليفة الفاطمي وسؤف الرد يوما بعد يوم . غير أن أمورا حدثت فبدلت صلة هذه المودة التي ربطت الأخشيدي بالخليفة العباسي ، على أثر ما وصله من الأنباء بمسير ابن رائق^(٢) الى مصر بتولية البلاد من الخليفة العباسي نفسه . لهذا ثارت تائرة الأخشيدي ، فأمر بإيقاف الخطبة لهذا الخليفة وذكر اسم الخليفة الفاطمي بدله .

ولقد روى لنا ابن سعيد ، نقلًا عن عمر بن الحسن الخطيب العباسي في مصر ، حكاية تعلم منها كيف أمر الأخشيدي بذكر اسم الخليفة الفاطمي في الخطبة ، وكيف كان ذلك خطوة مهد بها للاعتراف بسلطان الفاطميين ، وقد زاد عدد أتباعهم الذين أخذوا يدعون لهم جهارًا ولا يبالون بذلك . وهالك نص هذه الحكاية :

«دعاني الأخشيدي يوما فقال لي : إنا كان يوم الجمعة ، فاتم الدعوة لأبي القاسم صاحب المغرب واسقط الدعوة للراضى حتى يعلم محمد بن طنج ... فقلت : يا أبا أمير الأخشيدي . فندوت إليه ثانية واستأذنته ، وقلت لعله يرجع . فقال : نعم ! فلم أزل على هذا ثلاثة أيام الى يوم الخميس ؛ فاتهمت أن يكون أبو الحسين محمد بن عبد الوهاب — وكان رجلا جريلا جيد الرأي شيعيا — قد حسن له هذا الرأي ؛ لأنه أقام ؟ اعتقاله سبع سنين ، وكان لما أطلقه اختص به . فبحثت الى ابن عبد الوهاب وخولت به وحديثه فقال : إن السؤلة ربما ثارت به ، أفصاودته ؟ فقلت : قد طودته أربعة أيام . فقال لي : أنا أخلو به كل جمعة بالقداء ، فارفق به وقل أين أعمل الذي أمرتني به ، في جامع أسفل أوفى جامع ابن طولون ؟ وخلقني وإياه . فبحثت اليه ورفقت به وقلت :

(١) ابن سعيد : كتاب المغرب (ص ٢٦٥ و ٢٦٦) .

(٢) هو محمد بن رائق وكان توريا . انظر ملحة تاريخ العمري لعريب بن سعد (ص ١٢) .

أيها الأمير ! الذي أمرتني به أين عمله ، في الجامع المتيق أم جامع ابن طولون ؟ فقال لي : أنت في الجامع المتيق وخليفتك في جامع ابن طولون . فقال له ابن عبد الوهاب : إيش^(١) هذا الذي فعل ؟ فقال الأخشيد : شيء . فقال ابن عبد الوهاب : الله المستعان ! شيء يعمل على المنبر بكم ، وبعد ساعة يعلم به الجمهور ؟ فقال له : قد تأذيت بالراضى وبهذا الصبي ابن رائق ؛ وقد أمرت الخطيب أن يدعو لأبي القاسم صاحب المغرب . فقال له : وفق الله الأخشيد ! فلقد وضعت الضيعة في موضعها ؛ ولقد أخبرت أنه في الحزن على أبيه إلى الساعة ، وما جلس في مرتبه إلا حزينا كئيبا ، ولا جرد سيفا ، وهو من الشرف والملك على ما سمعت ؛ فالحمد لله الذي جعل رجوع هذا الأمر إلى أهله على يدك وبك . فاستبشر الأخشيد وأسفر وجهه . ثم التفت ابن عبد الوهاب إلى الخطيب وقال له : اقرأ الذي عملت . قال : ما عملت شيئا . فقال ابن عبد الوهاب : تؤمر منذ خمسة أيام بهذا الأمر فلم تعمل فيه شيئا ؟ فقال الأخشيد : إيش يعمل ؟ قال يحتاج إلى نحو خمسة آلاف كلاما معمولا في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى قاطمة والحسن والحسين ، وأهل البيت طعيم السلام ، ويذكر أنهم أحق بالامامة ، ويقول ذلك الناس يسمعون ؛ فمن كان يشبهني هنا فويت نفسه ، ومن كرهه انحل . فقال له الأخشيد : عمله . فقال لي ابن عبد الوهاب : تلحق اليوم ؟ قلت : لا . فقال : الجمعة الأخرى . فقال الأخشيد : الجمعة الأخرى . فأنصرفت ؛ فلما كنت من الند دخلت على ابن عبد الوهاب فقال لي : قلت له بذلك إنه رأي وهوأي فيما تملبه . ولكنني أصدفك تكون أنت من أبرك الناس على ابن رائق ، لأنك إذا عملت هذا كلبه من مصر من يكره هذا ، وكتب بذلك إلى العراق . فان كان الراضى لم يقلبه ، قلده وأنفذ إليه الأموال والساكر ، وصبرت له شيعة وخاصة ؛ ولكن دع هذا إلى وقت آخر^(٢) .

على أن كتب التاريخ لم تذكر لنا أنا كانت الخطبة قد أقيمت فعلا لخليفة الفاطمي ؛ إذ أن الخطيب العباسي الذي تلقى الأمر بتنفيذ هذه السياسة لم يرد هذه المسألة بيانا . بيد أنه ينبغي أن لا يتزب عن أذهانتنا أنه ، لو كان أم الخليفة العباسي لم يذكر في الخطبة على منابر مصر أيام الأخشيد ، لما ضن علينا المؤرخون بذلك ، على حين أنهم لم يضمنوا عواقبتنا نبأ سير ابن رائق لتسلم زمام الولاية من الأخشيد ، وظهور العداء بينه وبين الخليفة العباسي .

(١) بمعنى أى شيء . - وقد قلنا هذه الحكاية بنصها بالرمع مما فيها من عبارات وألفاظ ركيكة ؛ وذلك حفظا لأمانة

القول .

(٢) ابن سديد : كتاب الحرب (ص ٢٦ و ٢٧) .

غير أنه إذا ذكرنا أن هذه الحوادث وقعت في أواخر أيام الأخشيدي ، في وقت قد حدد فيه بنوبويه سلطان الخليفة العباسي ثم استولوا على بغداد بعد قليل ، فلا نستبعد أن الأخشيدي قام بتنفيذ ما أمرته ولومدة قصيرة من الزمن . وكان من السهل أن تظل علاقة الصداقة بين الأخشيدي والخليفة الفاطمي ، وأن تكون النتيجة الاعتراف بسلطان الفاطميين على مصر قبل استيلائهم عليها نهائياً (سنة ٣٥٨ هـ) بزمن طويل .

ولاشك في أن التزعة السياسية (والمذهبية) في مصر أصبحت منذ أيام الأخشيدي في جانب الفاطميين . ولقد قيل إن القائم الفاطمي تسلم من الأخشيدي كتاباً يمرض فيه عليه زواج ابنته من المنصور بن القائم وولي عهده ، وأن القائم قرأ الكتاب على أنصاره ، فأشاروا عليه بالقبول ، فكتب الخليفة الفاطمي بذلك إلى الأخشيدي ، وبعث إليه بصدقتها وقدره مائة ألف دينار . على أن آمال الأخشيدي لاقت الخيبة والفشل ، فقد استقل هذا المال وطمع في أن يحصل على صداق يفخر به ويباهي . ولم يحقق أمله في تزويج ابنته ، وقد توترت العلاقات بينه وبين الفاطميين^(١).

وسرمان ما اعترضت القائم هذه الثورة التي أذكى نارها أبو يزيد ، فتطلبت أحوال بلاد المغرب الداخلية كل نشاط الخليفة الفاطمي الذي لقي حقه وقد بلغت الثورة أشدها ، ثم لحق به الأخشيدي بعد قليل ، واقطعت العلاقات بين مصر وشمال إفريقيا طوال عهد الخليفة المنصور ٣٣٤ - ٣٤١ هـ (٩٤٥ - ٩٥٢ م) الذي قصر كل همه وأفق موارده بلاده على القضاء على ثورة أبي يزيد . وبذلك خابت مسألة الزواج ، وفشل مشروع غزو مصر ، أو على الأقل اعتراف الأخشيديين بسلطان الفاطميين .

تولية كافور حكم مصر^(٢) :

مات الأخشيدي في دمشق في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) ،

(١) ابن سيدة : كتاب المغرب (ص ٢٧ و ٢٨) .

(٢) قد أضيفت في العبارة التي كتبها عن تاريخ مصر إلى وفاة الأخشيدي ، على ما كتبه الكندي المرفوع سنة ٣٥٠ هـ ، وابن سيدة المرفوع سنة ٦٧٣ هـ . وقد نقل ابن سيدة ما ذكره الكندي وابن زولاق المرفوع سنة ٣٨٧ هـ عن الأخشيديين . وقد شك دوفن جيس (Ehven Guest) ، التي نشر "كتاب الدولة وكتاب القضاء" (M. J. W. Gibb Memorial, Series 1912, 1912) ، في اسم الكاتب الذي ذيل كتاب الكندي . هذا ، وقد نقل ابن زولاق كتاب الكندي الذي يتتبع الجزء الذي تكلم فيه عن وفاة منصرف سنة ٣٣٤ هـ ، وهي السنة التي مات فيها الأخشيدي . والكاتب الذي ذيل كتاب الكندي —

ودفن بيت المقدس ؛ خلفه ولده الأكبر أبو القاسم أنوجور (١) ؛ فأصدر الخليفة العباسي المطيع (٢) كتاب إقراره في ولاية مصر والشام والحجاز . وكان أنوجور لا يزال طفلاً في ذلك الحين ، إذ كان في الخامسة عشرة من عمره ؛ فقام بتدبير أمره كافور (٣) الذي بقيت علاقته بهذا الوالي الحديد على ما كانت عليه من قبل ، وهي علاقة الأستاذ بالتلميذ ، وأصبح بذلك صاحب السلطان المطلق في الامبراطورية الأخشيديّة ، وظل على ذلك الى أن مات سنة ٣٥٧ هـ (٤) .

ولما توفي الأخشيدي وقبض كافور على زمام الأمور في جميع البلاد الخاضعة لحكم الأخشيديين ، قام أهل مصر بثورة ، فتجّع في القضاء عليها ؛ فعلا شأنه وارتفع ذكره عند المولّطين على اختلافهم . وبعد ذلك بقليل وردت الأنباء باضطراب الأمور في الشام واستيلاء أبي الحسن عليّ الملقب بسيف الدولة الهنداني على دمشق ، وبأنه جؤل على المسير الى الرملة لأخذ مصر ؛ فتجّع كافور أيضاً في الحيلولة دون مسيره الى مصر ، وغنم منه الفئام الوفيرة ؛ فعظم شأنه وزادت شهرته ، واستطاع بذلك أن يقبض على زمام الأحكام من غير أن يكون له تفويض شرعي ، وخاطبه عليه القوم بالإستئذان ، وذكر اسمه في الخطبة ، ودعى له على منابر مصر والشام والحجاز ، وأصبح له بما أخذه من العطايا والمبايات أن يكتسب محبة رؤساء الجند وكبار الموظفين (٥) .

= هرايين سعيد القتي يقول في كتاب " المغرب " : " وقد ذلت هذا الكتاب بسيرة أنوجور وأخيه عليّ كافور وأخيه عليّ بن الأخشيدي والقاتل جومر ، الى أن دخل المغزّلين الله عليه السلام مصر وماتت دار خلافة الخ " : كتاب المغرب (ص ٥) والكتبي (ص ٢٩٢ - ٢٩٨) .

(١) وسماه بالهرية محمود على ما ذكره ابن خلّكان (ج ١ ص ٥٤٥) .

(٢) ذكر ابن خلّكان أن خلق الولاية أرسلت لأنوجور في عهد الرافعي القتي مات قبل ذلك بنحو سنوات (أي في ٧ شبّاط سنة ٣٢٩ هـ) .

(٣) أبو المسك (أطلقت هذه الكنية من قبل الفتح والمناكة ؛ لأف المسك أسود اللون ، وكان كافور كلك . وكثيراً ما يستعمل العرب ذلك . قال حنّرة البهي :

فان أكَ أسوداً فالسُّكُّ لوني وما لسواد جهلي من دواء

ولكن تيمّد النحشأ حتى كبد الأرض من جؤ السياه

ثم ! الدعابة انما هي في إطلاق قنط كافور عليه ؛ لأن الكافور أيضاً وكان هو أسود اللون) . وكافور كان ميّناً خصياً . وكان قبيح الخلقة يديناً قبيحاً ، ورجلاه مشوحتان . وكان عموكاً لأحد أهل مصر ، فاشترأه أبو بكر محمد بن طنج الأخشيدي سنة ٣١٢ هـ ، وكان إذ ذاك من رؤساء الأجناد . ولما آلت ولاية مصر للأخشيدي ، ترك كافور في بلاطه .

(٤) مسكويه (ج ٢ ص ١٠٤) ، وابن سبيد : كتاب المغرب (ص ١٤٥) قتلا من ابن زولاقي .

(٥) ابن خلّكان (ج ١ ص ٥٤٧) .

على أن أنوجور لما كبر وشعر بحجمائه من سلطته ، ظهرت الوحشة بينه وبين كافور ؛ وناصر كلا منهما فريق من الأهلين ، ووقف كل واحد للآخر بالمرصاد . وقد تفاقمت المناوأة لهذا بين الجندين فاقسم فرقتين : الكافورية ^(١) والأخشيدية ^(٢) .

واتفق أن مات أنوجور في سنة ٣٤٩ هـ ، فخملت جثته إلى بيت المقدس ودفن بالقرب من أبيه ^(٣) . وبموت أنوجور أمن كافور الفتن والفتاقل وأصبح قادرا على تولية خلف للأمر المتوفى ؛ فخلفه أخوه علي بن الأخشيد ؛ فعين له كافور كما عين لأخيه من قبل أربعائة ألف دينار كل سنة ، واستبد بالأمر بعده .

وكان هذا الأمير قد دخل في الثالثة والعشرين من العمر ؛ إلا أن هذا لم يمنع كافورا من التضييق عليه ، حتى منع أن يدخل عليه أحد . وظل على ذلك إلى أن مات سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) ، فقال كافور دون تعيين ابن الأمير المتوفى بحجة أنه غير صالح للحكم لصغر سنه ؛ فبقيت مصر بغير أمير نحو من شهر . وفي المحرم سنة ٣٥٥ هـ أخرج كافور كتابا من الخليفة العباسي بتقليده واليا على مصر ؛ لكنه لم يغير لقبه — الاستاذ — ودعى له بعد الخليفة على المنابر . وفي العاشر من صفر (فبراير سنة ٩٦٦ م) لبس الخليفة على مرأى من الناس ^(٤) .

محاولة المعز الاصبغلي على مصر . تلقى الأهلين دعايته بالقبول :

بقى كافور على رأس الحكومة المصرية زهاء سنتين (١٠ صفر سنة ٣٥٥ — ٢٠ جمادى الأولى سنة ٣٥٧) . وبعد توليته بقليل ، حاول الخليفة المعز الفاطمي طاعة الكرة لنزول مصر ، وسار بجيشه

(١) الكافورية هم ممالك كافور ، وقد رافقهم إلى المناصب العالية في الدولة .

(٢) الأخشيدية هم ممالك الأسرة الأخشيدية وأصاهاها .

(٣) قيل أن كافور سم أنوجور .

(٤) ذكر ابن سبيل (كتاب المغرب ص ٩٦ و ٩٩) ، قولا عن أبي عبد الله محمد بن سعد القرطبي (لمعة اشتقاق هذا القبط راجع القاموس المحيط ، طبع مصر سنة ١٣٠١ هـ ، وكتاب الأنساب للسماعني ورقة ٤٤٧) ؛ وهذا القبط منسوب إلى القرط الذي يطلق في الأذن ، أو إلى قروط ، وهو اسم يطلق على بعض الخنازير كلاب أخوة قروط وقريط وقريط . والقرطبي الذي نحن بصدد الكلام عليه مشتق اسمه ، على ما ذكره ابن سبيل (كتاب المغرب ص ٩٩) ، من القرط الذي تأكله الدواب بمصر . وكان أبو عبد الله محمد بن سعد القرطبي من ولد حمادين ياصر ، وكان مولدا بالتاريخ ، وصل إلى اليمن وبلاد الهند ، وصنف كتاب " تاريخ مصر " في عهد المعاهد آسرا للخلفاء الفاطميين . وقد وقف عليه ابن سعيد واستعاره من رجل كان هذا الكتاب في حوزته ، وفيدته بعض ما أوردع آباء المغرب . ومحمد بن سعد القرطبي هذا من أحفاد محمد بن جعفر القرطبي . وكان معاصرا للأخشيديين في مصر ، فله مؤنس الحسية بمصر ثم قلده التراج (ابن سبيل ص ٨) ، ثم قلده تواج مصر والشام في عهد ولاية تكين (ص ٩) — ولي تكين ثلاث مرات (٢٩٧ — ٣٠٣ و ٣٠٧ — ٣١١ و ٣١١ — ٣١١) .

الى حدود هذه البلاد الغربية ؛ فأوقف كافور تيار تقدمه ؛ ولكنه استقبل في بلاطه بعض دعاة الفاطميين الذين أرسلهم المعز من قبله لدعوة كافور للاعتراف بسيادته بالقبول ، كما وعد معظم رجال بلاطه وكبار موظفي الدولة بتقديم الولاء للخليفة الفاطمي^(١).

وتظهر لنا صحة ما ذكره المقرئى ؛ لأن ميول كافور تجاه أهل البيت تجلت على الدوام في أجلي مظاهرها . ذلك أن سياسته كانت مطبوعة بطابع الاحترام لآل النبي . ولا غرو فقد اتصف كافور بالهمة ، كما كان طارفا بأقدار العلماء والوجوه والأشراف ، حتى لقد أثر عنه أنه بينما كان راكبا في موكبه ذات يوم سقط سوطه ، فتأوله إياه أحد الأشراف^(٢) ؛ فقبل كافور يده وقال له : نيت الى نفسي ، فما بعد أن ناولني ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوطي غاية يشرف لها . ومن ثم انتهالت على الرجل هبات كافور وتغله وعطاياه^(٣) .

وتبين لك سياسة كافور مع العلويين وشغفه بتوفير أسباب الراحة والسعادة لهم من هذه الحادثة التي قص لك خبرها عن ابن سعيد . ذلك أن امرأة وقتت لكافور في طريقه مرة وصاحت به : ارحمني يرحمك الله ! فلحقها أحد رجاله دفعا عتيفا ، فسقطت ؛ فأخذ الغضب من كافور كل مأخذ وأمر بقطع يد الرجل ، فشفت له المرأة حتى لا تكون شؤما عليه ، فأعجب بها كافور وأمر أحد رجاله أن يسألها عن أصلها ونسبها ، فإذا بها علوية ؛ فشق ذلك على كافور وعزا الى الشيطان ما وقع وأغفاله إياه هؤلاء الأشراف ؛ وأحسن الى العلوية وأدر عليها وعلى سائر أبناء الأشراف الهبات والأرزاق^(٤) .

ومن هنا يتضح لنا أن عزمه على تحويل طاعته من العباسيين الى الفاطميين كان قد اختتم منذ ذلك الحين . هذا فضلا عن أن حالة مصر الداخلية في الستين الأخيرة من حكم كافور قد دلت على أن حكم الاخشيديين قد آذن بالزوال ، مما سهل غزو مصر على أيدي الفاطميين .

الاضطراب والفوضى في عهد كافور :

في هذا العهد قاست مصر اليأس والشقاء بدرجة لم تراها من قبل . وكانت أشد هذه المحن انخفاض النيل الذي بدأ سنة ٣٥١ هـ ، وما تلاه من حط ووباء . وقد ظل هذا الانخفاض تسع سنين

(١) المقرئى : مخط (ج ٢ ص ٢٧) .

(٢) ذكر السيوطي (ج ٢ ص ١١) أن هذا الشريف هو أبو جعفر مسلم بن عبد الله ، من سلالة الحسين بن علي ، وأحد الزعماء الذين تدبوا لطلب الصلح من جوهر .

(٣) ابن سيد (المقرب ص ٤٧) ، قتلا من القرطبي .

(٤) شرحه (ص ٤١) .

حتى عام ٣٩٠ هـ . ومحمد بن المقرئ^(١) بما كان متوقفا ، وهو ان القحط أعقبه الوباء ؛ فقتل الموت بسببه ، حتى عجز الناس عن تكفين الموتى وعن دفنهم ، فاضطروا الىلقاء جثث موتاهم في النيل^(٢) . وكان من أزدلك أن اشتد الغلاء وتدر وجود القمح ، وأغار الأشرار على المزارع والحقول ، وعم السلب والنهب .

وما زاد هذا البلاء الذي انصب على البلاد عجز كافر عرب صد القرامطة الذين أغاروا على الشام سنة ٣٥٢ هـ ونهبوا حجاج مصر في طريقهم الى مكة سنة ٣٥٥ هـ ، ثم عدم قدرته على الدفاع عن البلاد حين غزاها ملك النوبة ، حتى نهب البلاد الجنوبية فوصل الى إنجم^(٣) وحاد الى بلاده محملا بالأسلاب والغنائم . يضاف الى ما تقدم ما كان من عجز كافر أيضا عن دفع رواتب حرمه وأرزاقهم ، فثاروا عليه^(٤) .

مصر بعد وفاة كافر :

هذه حالة مصر عند وفاة كافر (٢٠ جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ ٩٦٨ م) ، وما صارت البلاد اليه من الفوضى والبؤس .

وقد اجتمع رجال البلاط لاختيار وإلٍ بجل عمل كافر ، على ما جرت به العادة في هذا العهد . وليس من عجب في ذلك ، فان الخليفة العباسي غدا في عهد بني بويه أشبه شيء بالعبوبة ، ولم يعد له من أمر تعيين الولاة شيء ؛ وقد وقع الاختيار على أبي الفوارس أحمد حفيد الأخشيد ، وكان طفلا لم يبلغ الحادية عشرة من العمر^(٥) .

وقد صادف أن وصل مصر بعد ذلك أبو محمد الحسن بن عبيد الله الذي تركه أخوه محمد الأخشيد في الشام سنة ٣٢١ هـ فأقام فيها نحو ثلاثين سنة ، ومرت به أطوار شتى ؛ ففرابته من وجه القرامطة ، فقتله أمراء الأتراك في مصر بقبول حسن . وولوه قيادة الجيش . لكنه ما لبث أن استبد بالأمر وقبض على الوزير ابن القرات وصادر أمواله ، ثم عاد الى الشام^(٦) .

(١) خط (ج ١ ص ٢٣٠)

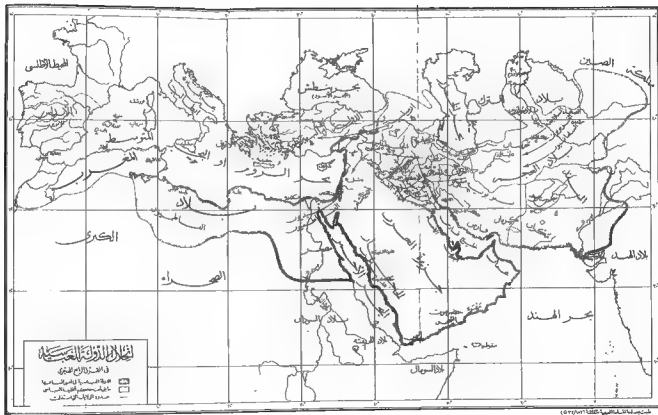
(٢) يؤكد لنا ابن خلكان أن ستائة ألف من المصريين ذهبوا ضحية هذا الوباء .

(٣) مدينة واقعة على الضفة اليمنى لنيل في مديرية سوطج .

(٤) المقرئ : خط (ج ١ ص ٢٣٠)

(٥) ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٧)

(٦) شرح (ج ٢ ص ٥٦٥ و ٥٦٦)



وبعد رحيل الحسن بن عبيد الله إلى الشام سنة ٣٥٨ هـ ، ظلت مصر خمسة أشهر تحت سلطة الأخشيديين الاسبانية ، في حالة شديدة من القوضى والاضطراب . وكانت إدارة البلاد في يد الوزير ابن الفرات الذي لم يستطع أن يدفع رواب الجند أو يخفف عن الأهليين ما أصبحوا فيه من يؤس وشقاء ؛ لهذا لا نجب أنا عجزت البلاد عن صد هجمات المغيرين . وكانت هذه الحالة فرصة سانحة اتخذها الخليفة الفاطمي لنزول مصر . ولم تكن بغداد في ذلك الوقت قادرة على أن ترسل جيشا يصعد الفاطميين عن هذه البلاد .

عجز بغداد عن ارسال الجيوش :

سبق أن بينا ما كان من ضعف الدولة العباسية وانقسام المسلمين إلى شيع وطوائف . والآن نجمل القول عن حالة الخلافة العباسية في بغداد في الوقت الذي تم فيه استيلاء الفاطميين على مصر ، لنبين كيف تمدد على السلطة المركزية في بغداد أن تبعث لمصر بجيش يصعد الفاطميين ضها ، كما فعلت ذلك مرارا من قبل .

ولا غرو فقد استقل الأمويون بالأنلس ١٣٨ — ٨٩٧ هـ (٧٥٦ — ١٤٩٢ م) على يد عبد الرحمن الأول ١٣٨ — ١٧٢ هـ (٧٥٦ — ٧٨٨ م) ، وأسست دولة الأدارسة في مراكش ١٧٢ — ٣١١ هـ (٧٨٨ — ٩٢٣ م) على يد ادريس بن عبد الله ، ودولة الأغالبة في تونس ١٨٤ — ٢٩٦ هـ (٨٠٠ — ٩٠٨ م) على يد ابراهيم بن الأغلب ؛ كما كانت سيادة الطولونيين ٢٥٤ — ٢٩٢ هـ (٨٦٨ — ٩٠٥ م) والأخشيديين ٣٢٣ — ٣٥٨ هـ (٩٣٥ — ٩٦٩ م) في مصر . كل ذلك كان ضربة شديدة قتت في جسم الدولة العباسية بتقلص نفوذها عن جزء كبير من ولاياتها في الغرب .

(١) الهجوم على بغداد من الشرق :

هنا في الغرب . أما في الشرق فلم تكن الأمور أحسن حالا ؛ فقد قامت في بلاد الفرس وبلاد ما وراء النهر دويلات عدة ، يرجع سبب قيامها إلى انتشار روح القومية التي ظهرت منذ أيام المأمون ١٩٨ — ٢١٨ هـ (٨١٣ — ٨٣٣ م) ؛ فقامت الدولة الطاهرية ٢٠٥ — ٢٥٩ هـ (٨٢٠ — ٨٧٢ م) في خراسان ، ومنهم انتقلت السلطة إلى أسرة جديدة هي الدولة الصفارية ٢٥٤ — ٢٩٠ هـ (٨٦٨ — ٩٠٣ م) التي تأسست على يد يعقوب بن الليث الصفار ، والدولة

السامانية ٢٦١ — ٣٨٩ هـ (٨٧٤ — ٩٩٩ م) التي تفرعت عنها الدولة الفزوية ٣٦٦ — ٥٧٩ هـ (٩٧٦ — ١١٨٣ م) ؛ لأن البكتين مؤسس هذه الدولة كان من الموالى الأتراك الذين استخدموا في البلاط الساماني .

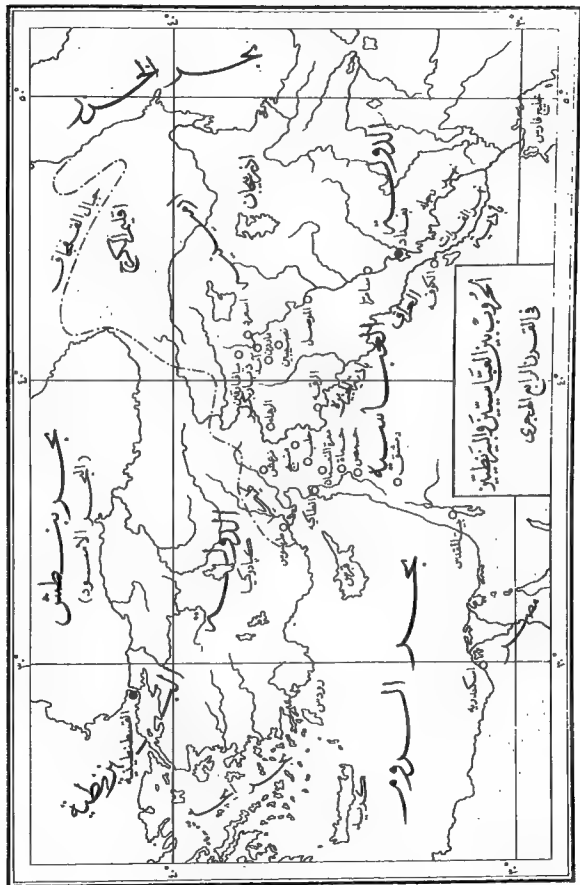
ولقد تقاطع خطر كثير من هذه الدول ، فقويت شوكة بنى بويه ٣٣٤ — ٤٤٧ هـ (٩٤٥ — ١٠٥٥ م) ، وكانوا من الشيعة الغلاة ، وامتد شرهم إلى حياة الخلفاء أنفسهم . ومما يدل على ميلغ الضعف الذى وصلت إليه الدولة العباسية ، وعلى قوة هذه الدولة التي آل إليها الحكم ، أنه لم يجد الخليفة من الأمر شيء ، سوى سلطته الدينية ممثلة بذكر اسمه في الخطبة وقشه على السكة ؛ ولم يكن ذلك إلا لأغراض سياسية غايتها احتفاظ هؤلاء الحكام بمراكزهم أمام الجمهور .

وقد وصف لنا المؤرخ جيون الحالة التي وصلت إليها الدولة العباسية في ذلك العصر فقال : "لم تكن حالة الضعف التي وصلت إليها الخلافة العباسية راجعة إلى السياسة فحسب ، بل تعدتها إلى الدين أيضا . فقد نشأت من المذهب الشيعي على مر الزمن مذاهب متعددة ، أهمها المذهب الفاطمي ، والمذهب الرزني في لبنان ، والمذهب البابي في بلاد الفرس ، وقد ظهر في الأزمنة الحديثة . كذلك ظهرت الاختلافات الدينية في بغداد ؛ فقام أنصار ابن حنبل ^(١) وانقضوا على بيوت الأمراء وذوى اليسار ، وكسروا أواني الخمر ، وحطموا الآلات الموسيقية وضرروا المنفذين ، وأهانوا الفتيان والفتيات وأسأموهم الظنون . ولم يكن من سبيل للقضاء على هذه الفئة إلا بقوة عربية ؛ ولكن من ذا الذى يمكنه أن يسد جشع طائفة المرتقة أو يؤيد النظام بالقوة بين أفرادها ؟ هذا إلى ما كان من سل الحرس من الأتراك وأهل إفريقية السيوف كل في وجه الآخر ؛ وأصبح في يد أمير الأمراء ^(٢) حبس الخليفة وتعلمه وقتله . فكان هذا تعديا على سلطة الخليفة الدينية وما لها من حرمة في التقوس ؛ ولم يكن عند الخليفة من سبيل يأمن به على نفسه الأذى إلا هربه إلى معسكر أحد الأمراء .

(١) ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ (٧٨٠ م) ، ومات بها سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥ م) . انظر ابن خلكان (ج ١ ص ٢٠ — ٢١)

(٢) أدل من تقب بهذا القبح هرون بن عريب سنة ٣١٦ هـ . مسكويه (ج ١ ص ١٨٨ و ٣٥٠ و ٣٥١) . وقد قد الخليفة العباسي الراضى محمد بن رائق "الإمارة وداسة الجيش" وسببه أمير الأمراء ، ورد إليه كثير أعمال الخراج والضرائب ، وأعمال المداون في جميع النواحي ، وفوض إليه كثير الملكة ، وأمر بأن ينسحب لعل جميع المنابر في الملك وأن يكنى " .

انظر كتاب "عجائب الأمم" لمسكويه (ج ١ ص ٣٥٠ — ٣٥١) ، وترجمته إلى العربية للاستاذ عرب جوليوت (Prof. Margoliouth) (ج ٤ ص ٣٩٥) بمناسبة كلام مسكويه عن ابن رائق .



فكان إقناذه تمحولا عما كان فيه من منة إلى منة أخرى ، حتى دفعه إلياس إلى دعوة بني بويه لمعنته وتخليصه مما هو فيه ؛ فأذا ما وقع تحت رحمتهم صار العوبة في يدهم^(١) .

(٢) إغارة البيزنطيين على الولايات العباسية وعيبتهم بها :

لم تكن الحالة في الحدود الشمالية الغربية أقل سوما واختلالا منها في الجهات التي يتناها . فقد ساد العداء منذ ظهر الاسلام بين المسلمين والأغريق بحكم الجوار . على أنه كثيرا ما كانت كفة المسلمين راجحة إلى أن جاء الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩ هـ و ٨٧٠-٨٩٢ م) ، فانكشت الأمباطورية العباسية في عهده إلى حدود الجزيرة والعراق ، وفيها أيضا قامت الثورات وعم الاضطراب ، مما أدى إلى قيام التراجع بين المسلمين والروم منذ ذلك الوقت ، وإن لم يكن قد أدى إلى نتيجة حاسمة .

ولقد قويت شكة الأمباطورية البيزنطية ، وانتشر الأمن والسلام في أرجائها منذ اعتلاء باسيل الأول (Basil I.) العرش ؛ فتمكن بكل قوته من مقابلة جيوش بعض الأمراء ، وساعد على انتصار باسيل ما كان من ضعف أعدائه بسبب إغارة خصومهم على مؤنعة جيوشهم .

وفي عهد قسطنطين السابع (Constantine VII.) ، توطدت صلات السلام بينه وبين ما جاوزه من البلاد ، إلا البلاد الإسلامية . فساد هذا السلام بينه وبين أرمينية في الشرق ، والروسيا وبلغاريا في الشمال ، والبنديقية وألمانيا في الغرب^(٢) .

وفي سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) استولى القائد قفقور فوكاس (Nicephorus Phocas) على جزيرة كريت . وبعد ذلك بقليل ، انتصر على سيف الدولة الحمداني . وفي سنة ٣٥١ هـ استولى على كثير من مدائن الأناضول مثل مرعش وديق ؛ وبالقرب من منبج أمر أمير هذه المدينة أبو فراس الحمداني الشاعر المشهور^(٣) ، وأخيرا استولى قفقور في ديسمبر من السنة نفسها على حلب حاضرة الحمدانيين بعد حصار شاق^(٤) .

(١) Gibbon : Decline and Fall of the Roman Empire (4th ed.), vol. VI, pp. 54-55

(٢) Vasil Ev., Cambridge Medieval History, vol. IV, pp. 128, 129

(٣) (٤) مسكويه (ج ٢ ص ١٩٢ و ٢٢٠) ، ويحيى بن سيد (ص ١١٨)

وبعد موت رومانوس (Romanus) رابع أباطرة الدولة البيزنطية من سلالة باسيل في صفر سنة ٣٥٢ (مارس سنة ٩٦٣)، تزوجت أرملة تيوفونيا (Theophonia) من قففور فوكاس^(١)، ثم من قائده جون زيميسكيس (John Tzimiskes)، بطل ذلك العصر، وإليهما آلت الرعايا على أولادها الصغار. وقد امتدت غزوات هذين الامبراطورين من تلال كبادوكيا (Cappadocia) إلى صحراء بغداد. والاثنتا عشرة سنة التي تولى فيها هذان الرجلان قيادة الجيوش البيزنطية أبهى عصور الامبراطورية البيزنطية وأزهارها^(٢).

وفي سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٤ م) تقدم البيزنطيون إلى حدود سورية، ووقعت في أيديهم مدينتا المصيصة وطرسوس في سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) بعد أن نال منهما القحط والموت، فلم تقويا بعد على مواصلة الدفاع: ذلك أنه في ١٣ يونيه سنة ٩٦٥ م وقعت المصيصة في أيدي البيزنطيين، وفي ١٦ أغسطس من السنة نفسها سامت إليهم مدينة طرسوس^(٣).

هنا، وقد حاث قففور فوكاس فسادا في البلاد السورية قبل الشروع في محاصرة أعظم وأشهر مدينتين في سورية، وهما أنطاكية وحلب، حصارا منقطعا، حيث سامت له مدائن الواحدة بعد الأخرى^(٤).

أما نتيجة هذه الغزوات فقد وصفها فاسيل إيف في هذه الكلمات: "لم يبلغ قط اخضاع العرب، وإذلالهم في وقت من الأوقات مثما بلغه في عهد قففور فوكاس. فقد انتزعت من أيديهم كيليكيا^(٥) وجزء من بلاد سورية، واضترف شطر كبير من بلاد الدولة (العباسية) بالجمية للامبراطورية^(٦)".

(١) ذكر سكويه (ج ٢ ص ٢٣٩) أن وفاة قففور كانت في سنة ٣٥٦ هـ. وقال يحيى بن سعيد (ص ١٢٧) إنه مات في الحرم سنة ٣٥٩. وبعد القمي (سكويه ج ١ ص ٢٥٣ حاشية ١) انتصارات قففور في الشام عند كلاءه على حوادث سنة ٣٥٧ هـ.

(٢) مسكويه (ج ٢ ص ١٣٩)، ويحيى بن سعيد (ص ١٢٠ و ١٣٦)، وأبو جحاح (ص ١٢ و ١٣).
Vasil' Ev., Cambridge Medieval History, vol. IV, p. 144. Gibbon, vol. VI, p. 58.

(٣) مسكويه (ج ٢ ص ٢١٠ و ٢١١)، ويحيى بن سعيد (ص ١١٨).

(٤) يحيى بن سعيد (ص ١٤٧).

(٥) يراد من كيليكيا أو كيليكيا البلاد التي فرق زارية خليج اسكندرية، وهي المعروفة عند العرب بقالقلا.

(٦) Vasil' Ev., Cambridge Medieval History, vol. IV, pp. 146-147.

عبور الإغريق الفرات :

كان عبور الفرات في الجهات الواقعة أسفل جبال طوروس مستحيلا على الإغريق منذ أيام هرقل . ولكن زيمسكيس استطاع أن يكتسح كثيرا من المدن العريقة في الشهرة ، من أمثال الرها وديار بكر وميافارقين ونصيبين الواقعة عند حد الامبراطورية القديمة على مقربة من نهر دجلة^(١) .

ولقد تخافم رعب الناس بما أذاعه القالة عن زيمسكيس وما كان يصحب ذكر اسمه من خوف وهلع ، حتى إن المطيع البامبي لم يتحالك ، على ما ذكره مسكويه^(٢) ، أن أعلن أن أسلحته ونحراج دولته قد اترع من يديه ، وأنه لم يعد قادرا على الدفاع عن بغداد

على أن يخاف أهل بغداد قد تبددت بانسحاب البيزنطيين ، الذين لم يقووا على تحمل العطش والجوع الذين تعرضوا لها في حربهم في الصحراء^(٣) ؛ ولم يتمكن الباسيون ، بالرغم مما تكبدوه من المشاق في حربهم مع البيزنطيين ، إلا من استرجاع مدينة كيلكا وجزيرة قبرص^(٤) .

(٣) الأحوال التي ساعدت على استقرار سلطان الفاطميين في مصر وفي الشرق

عقب غزوهم مصر

على أن هذه الحالة التي سادت البلاد الخاضعة لسلطان القاهرة وبغداد قد سهلت — كما يتنا من قبل — على الفاطميين القضاء على سلطان الباسيين في كل من مصر والشام . إذ أنه بتوطيد نفوذهم في مصر استطاعوا أن يمدوا هذا السلطان إلى الشرق ، أعني إلى الشام والحجاز ، إن لم يكن إلى أبعد منهما ، لأن هذين القطرين كانا في ذلك الحين خاضعين لحكم الأخشيديين .

إعداد المعز المعدات لفتح مصر :

وكان الاستعداد لفتح مصر قائما على قدم وساق منذ سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) . فقد شرع المعز في إنشاء الطرق وحفر الآبار ، وإقامة المنازل للاستراحة في فترات منظمة ؛ وبدأ في نفس الوقت

(١) مسكويه (ج ٢ ص ٣٠٣ و ٣٠٤) ويحيى بن سيد (ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٨ و ١٥٩)

وأبو القدا (ج ٢ ص ١١٨)

(٢) (ج ٢ ص ٣٠٦)

(٣) ابن الأثير (ج ٨ ص ٢١٤)

(٤) يحيى بن سيد (ص ١٤٣)

يجمع الأموال ليشق منها على حروبه ، ويجزل الأموال على كلمة يمدونه يحن من أنصارهم مجهزين بما يحتاجون إليه من معدات ^(١) .

وقد ساعد على فتح مصر ومد سلطان المعز منها الى الشرق ، ذلك الهدوء الذي انتشر في أرجاء إفريقية ، وبخاصة بلاد مصر عند ما ظهر فيها الاضطراب وسوء النظام وانتشر فيها القحط والوباء بعد وفاة كافور ، وأنه كان بمصر جماعة يُعتد بهم من أصحاب المناصب العالية الذين يدينون بمذهب الشيعة ، مما لم يخف على المعز لدين الله .

وقد أورد لنا المقرئى ، ولا تدرى من أى مصدر أخذ ولا من أى تاريخ استقى ، أن المعز كشف عن سياسته في خطبة ألقاها على رؤساء كلمة ، لا بأس من قتلها هنا ، لأنها ولا شك وثيقة تاريخية متضمنة للخطة السياسية التي اعتمد المعز نهجها من الناحية السياسية والدينية والأدبية قال :

” واستدعى المعز وهو بالمنصورة في يوم شات بارد الريح ، عتة شيوخ من شيوخ كلمة ، وأمر بادخا لم اليه من غير الباب الذى جرى الرسم به . فاذا هو في مجلس مربع كبير مفروش بالبود على مطارح ، وحوله كساء ، وعليه جبة ، وحواليه أبواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب . وبين يديه مرفع ودواة وكتب حواليه فقال : يا إخواننا ! أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لأى الأمراء ، وإنا الآن بحيث تسمع كلامى : أترى إخواننا يظنون أنا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ، ونقلب فى الفضل والدياج والحريز والفنك ، والسمر والمسلك والخمر والفتاء ، كما يفعل أرباب الدنيا ؟ ثم رأيت أن أهذ اليكم فأحضركم لتشاهدوا حالى اذا خلوت دونكم واحسببت عنكم . وانى لا أقضلكم فى أحوالكم الا فيما لا بدى منه من دنياكم ، وبما خصنى الله به من إمامتكم . وانى مشغول بكتب ترد على من المشرق ^(٢) والمغرب ، أجب منها بغيرى . وانى لا أشتغل بشئ من بلاد الدنيا الا بما صان أرواحكم ، وعمر بلادكم وأذل أعداءكم ، وقع أضدادكم . فافعلوا يا شيوخ فى خلوتكم مثل ما أفعله ، ولا تظهروا الكبر والتجبر ، فيزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم . وتحسبوا

(١) ابن أبي ديار (ص ٦٢)

(٢) ذكر أبو الحسن (طبعة Joubert ج ٢ ص ٤٤٢) ، قتل ابن عبد الجبار ، أن الشيعة في مصر أرسلوا الى المعز كتباً قالوا فيها ” إذا زال البحر الأسود (هو كافور الذى كان يتولى حكم مصر) ، ملك مولانا المعز الدنيا كلها “ .

على من وراءكم من لا يصل الى كتحنى عليكم ، ليتصل في الناس الجليل ويكثر الخير وينتشر العدل . وأقبلوا يدنوا على نساءكم والزوايا الواحدة التي تكون لكم ؛ ولا تشبهوا الى الكثير منهن والرجبة فيهن ، فيتنصص عيشكم وتعود المضرة عليكم ، وتهكروا أبلانكم ، وتغلب قوتكم ويضعف تمأزكم ؛ فحسب الرجل الواحد الواحدة . ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبلانكم وعقولكم . وأعلموا أنكم انما لزمتم ما أمركم به ، رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم . انهضوا رحمكم الله ونصركم» (١) .

والسياسة التي جرى عليها المعز تظهر ظهورا ينال من هذه الخليفة البليغة ؛ وفيها غنى غاية خاصة ببعض المسائل . ولقد اتبنا الخليفة الفاطمي هذه الفرصة ، فأوضح لأشباعه عيشة الزهد والتقشف التي يعيشها ؛ فبين لهم أنه خصص وقته ومهنته لبلوغ غاية واحدة ، هي نشر فؤده الديني والزمني في المشرق .

وقد شرح لهم بعد ذلك الوسائل التي يستطيع بها أن ينفذ سياسته ، حتى يكون لها أثرها فتأق بالغرض المطلوب منها : فسيانة أرواح رعاياه ، وتعمير بلاده ، وإخضاع أعدائهم وإذلالهم (يقصد بذلك قمع الثورات التي قد تذكر نازها الأحزاب المعادية لهم في شمال إفريقيا) ، كان هذا كله الخطوات التي لا بد له من أن يدرج فيها لاستتباب النظام ، حتى أن يتمكن بذلك من نشر الوية السلام والطمأنينة في كافة ربوع بلاده .

وإذا ما تحققت هذه الغاية ، لم يفت الخليفة الفاطمي معنى المثل المشهور " العدل أساس الملك " . ولا غرو فقد عرف أن الظلم والاستبداد يثيران كامن السخط وبذلكان روح العصيان ، مما يؤدي الى القضاء على هذه المجهودات التي يبذلها لاستتباب الأمن والعدل في بلاده .

ولا يغرب عن أذهاننا أن هذا الخليفة لم يقرأ اتباعه على الترويج من أكثر من واحدة . " فحسب الرجل الواحد الواحدة " ، عبارة تتلوى تحتها كراهة تمسك الزوجات كراهة تكاد تبلغ التحريم ، مما يؤدي بلا ريب الى انهالك أبلانهم وإضعاف عقولهم ؛ وبذلك يكون الخليفة قد أدرك أثره بنفسه . ونحن نستطيع أن نريد على هذا القول بأن لهذا الأمر أثرا عظيما في إضعافهم من الناحية الخلقية أيضا .

وقد وثق الخليفة من أنهم لو أخلصوا لأوامره ونواهيته ، لمهل عليهم أمر المشرق كما سهل عليهم أمر المغرب من قبل . وإن ما جاء في آخر هذه الخطبة التي نستطيع أن نعدّها وثيقة من الوثائق التاريخية الهامة . يمكننا من أن نوازن — ولو بعض الشيء — بين المعز وعمر بن الخطاب ، من حيث سياسته التي تتطوّر على الحزم وسمو الأخلاق والقدره على تصريف الأمور — هذه الصفات كلها التي سهلت عليه فتح مصر والشام .

وفي الحق ، إن ما جاء في بيان هذا الخليفة من أنه كان مشغولا بما يرد عليه من الرسائل والكتب من المشرق والمغرب ، وأنه كان يحيب عليها بنفسه ، يبين لنا ما كان هناك من علاقة بين الخلافة الفاطمية وبلاد المشرق حيث انتشرت الدعوة الفاطمية وتمكنت أصولها .

(٤) اختيار مصر مقرا لدعوة الشيعة

لوفرة ثروتها وقربها من الأمصار الإسلامية

لم تكن موارد بلاد المغرب مما يمكن المقارنة بينها وبين موارد مصر ، إذ لا شك في أن مصر كانت تفضلها من حيث ثروتها وموقعها الجغرافي ، وبذلك كانت أكثر صلاحية لتكون مركزا لسلطان الإمبراطورية الفاطمية . هذا فضلا عن أن مصر أقرب إلى المشرق الذي دأب المعز على إخضاعه كما دأب كل ذلك أسلافه من قبل . فكان نجاحه في هذا المشروع يؤدي إلى استيلائه على المراكز الإسلامية القديمة أو بعضها : وهي المدينة ودمشق ، وعلى بغداد التي قد استولى عليها بنو بويه سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) .

أما السهولة التي لاقتها النفوذ الفاطمي ، وما كان من امتداد هذا النفوذ إلى سورية والجزائر بعد فتح مصر ، فلم قد تحقق بالفعل ، على أن الأمل بأن تنجح بغداد متحى دمشق والمدينة بعد ، أمر لم يحققه الأيام .

نعم ! لقد كان بنو بويه من الشيعة المتحمسين لمذهب الشيعة ، كما كان الفاطميون أنفسهم ، وكانت مسألة تحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين من المسائل التي فكر فيها بنو بويه بادئ ذي بدء بعد انتقال السلاطين إليهم . ولكن الميول في اتحاد المذاهب قل أن يكون لها أثر إذا تنازعت مع المصالح السياسية .

وكان معز الدولة كثيره من آل بويه شيعيا متمكنا في مذهب الشيعة ؛ وقد اعتنق هذا المنهج على مبادئ الزيدية التي أدخلها في بلاده الحسن بن زيد العلوي . وكان من أثر نشر عقائد هذا المنهج أن اعتقد بنو بويه أن العباسيين قد اغتصبوا الخلافة من أصحابها وهم العلويون .

بيد أن معز الدولة بن بويه لما فكر في تنفيذ هذه الفكرة ، أشار عليه أحد أنصاره بالمولع عنها ، كما يتبين لك ذلك من هذه الكلمات التي قالها له أحد هؤلاء الأنصار ، نقلها عن ابن الأثير حيث قال : " فأنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ؛ ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلبين دمه ؛ ومتى اجلست بعض العلويين خليفة ، كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافتهم ؛ فلو أمرهم بقتلك لقتلوه " (١) .

ونحن نميل إلى ترجيح صحة هذا القول ؛ فقد انتصح بنو بويه بهذا النصيح ، فعدلوا عن مسألة تحويل الخلافة إلى العلويين . واستغف من أعمال الفتوح التي قام بها الفاطميون على أنهم جعلوا مصر المركز الذي انتشرت منه دعوتهم في الشرق والغرب . وسندرك أيضا أن الفاطميين لم يفكروا في الاستيلاء على بغداد حتى في ذلك الوقت الذي ذكرت فيه أسماؤهم في الخطبة على منابر الدولة العباسية .

ومحدثنا المقرئ (٢) أنه عندما وحل جوهر يريد مصر ، خطب المعز في المشايخ الذين انضموا تحت لوائه بهذه الكلمات : " والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر . ولتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب ، ولتزلن في نحرابات ابن طولون وتبقى مدينة قاهر الدنيا " .

رحيل جوهر إلى مصر :

في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٨ (فبراير سنة ٩٦٩) ، خرج المعز لوداع جوهر وجيشه عند رحيلهم لغزو مصر . وبعد أن قبل جوهر يد الخليفة وحافر فرسه ، أذن له الخليفة بالمسير . ولما عاد المعز إلى قصره ، بعث لجوهر كل ما كان عليه من لباس خارجي عدا خاتمه (٣) .

وتقدم جوهر في مسيره حتى وصل إلى الاسكندرية ؛ فسلمت هذه المدينة له بعد أن أجاب أهلها إلى ما التمسوه من شروط ؛ ولم يشك أحد من الأهلين من عنف أو نهب . ولا غرو فقد

(١) ابن الأثير (ج ٨ ص ١٦٢)

(٢) خطب (ج ١ ص ٣٧٨)

(٣) ابن خلكان (ج ١ ص ١٤٨)

استطاع جوهر أن يكبح جماح عساكره الذين أغدقت عليهم الأرزاق ، وكان النظام بين وحدات جيشه يدعو إلى الإعجاب^(١).

وقد اضطرب أهل القسطنطين حين اتصل بسامعهم نبأ وصول جوهر إلى الاسكندرية واستيلائه عليها ، فعولوا على نذب الوزير ابن الفرات لمراسلة جوهر بشأن الصلح وطلب الأمان على أرواحهم وأملأهم ، وسألوا أبا جعفر مسلم بن عبيد الله - وكان من الأشراف ومن ذوى المكانة عند قومه ، ونسبته إلى الحسين بن علي - أن يذهب بنفسه ويفاوض جوهر في الصلح . وقد رأوا أن سفيرا من العلويين قد يكون له شأن يذكر مع الشيعين أمثاله ، فتجاب مطالب أهل مصر . فأجابهم أبو جعفر إلى ذلك ، وشرط أن يكون معه جماعة من أهالي هذه المدينة^(٢).

وتوجه هذا الوفد في يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رجب سنة ٣٥٨ هـ (١٨ يونيو سنة ٩٦٩) ، وتلاقوا مع جوهر في مدينة تروجة ، وهي قرية على مقربة من الاسكندرية ، فأدى الشريف الرسالة عنهم ، فأجابه جوهر إلى ما التمسوه وكتب له عهدا بما طلبوه . وفي السابع من شهر شعبان عاد الوفد ومعه العهد إلى القسطنطين ، فركب الوزير ابن الفرات ولقي الناس وقرأ عليهم العهد ، فتناظروا فيه ، واختلقوا على قبوله ورجعوا عن الصلح .

وهنا اضطرب أهل المدينة اضطرابا شديدا ، وعول أنصار الأخشيديين والكافورية وجماعة من السكر على حدم الإذعان لمعهد الصلح وصد جوهر بمجد السلاح ، وولوا تحريرا قيادتهم ، فسارع رأس جند المصريين إلى اللجنة ، فقتلوا بها وحفظوا الجسور^(٣).

وفي الحادي عشر من شعبان وصل جوهر ، وقد علم بما اعتزمه أهل مصر من المقاومة ، وسار إلى منية الصيادين واستولى على المخاضة بمنية شلقان ، فلم يجد جماعة من عسكر المصريين بدا من العبور في القوارب والتسليم لجوهر وطلب الأمان منه ، ووقف غيرهم من العسكر المرابطين في الجانب الآخر من القسطنطين على المخاضة لحفظها .

(١) يحيى بن سيد (ص ١٣٢)

(٢) الكتبي (ص ٥٨٤) ويحيى بن سيد (ص ١٣٢)

(٣) يحيى بن سيد (ص ١٣٢ و ١٣٣) وابن خلكان (ج ١ ص ١٤٩)

فلما رأى جوهر ذلك اترع ملابسه الخارجية وعبر مع رجاله وهو في مركب ، وخاض رجاله وأعملوا السيف في الأخشيدية وأوقعوا بهم ؛ فهربت القالة منهم في غلس الظلام (١٦) شعبان سنة ٣٥٨ ، أول يولي سنة ٩٦٩) ، وحملوا من منازلهم كل ما قدروا عليه .

ولم ير النساء بدا من طلب الأمان . فخرج بعضهن مشاة ودخلن على الشريف أبي جعفر ، وطلبن إليه مكتبة جوهر باعادة الأمان ؛ فكتب إليه يهنئه بالفتح ويسأله الأمان من جديد . فقبل القائد الفاطمي ملتصمهم ، وأذاع على الجند منشورا يحرم فيه عليهم أن يقوموا بعمل من أعمال العنف والنهب . فهذهأت المدينة وسكن الناس ، وعاد الأمن إلى نصابه ، وفتحت الأسواق وعادت الأعمال التجارية الى ما كانت عليه ^(١٧) .

ولقد أورد لنا المقرئ شروط الصلح التي عرضها جوهر على المصريين في بيان واف . ومع أن جوهر منح المصريين الحرية التامة في أمورهم الدينية وإقامة شعائرهم - كل حسب المذهب الذي يدين بمقتاده - فإن أغراضه التي كانت ترمى إلى نشر عقائد المذهب الفاطمي قد شُتتت مع ذلك وراء متار من الجهاد العرقي الحكيم .

هنا ، ويحمل بنا أن نورد هنا نص العهد الذي قطعه جوهر على نفسه ؛ لأنه يمدنا بوصف تام لحالة العالم الإسلامي وقت الفتح الفاطمي ، ويرسم لنا صورة واضحة للسياسة التي عول الفاطميون على الأخذ بها من الوجهة السياسية والدينية في مصر خاصة والشرق عامة . وستعلم بعد إلى أى حد نجحت سياسة جوهر . والآن نأتى بهذا العهد نقلا عن المقرئ :

” بسم الله الرحمن الرحيم ! هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه ، لجاعة أهل مصر الساكنين بها (من أهلها) ، ومن غيهم ، أنه قد ورد من سائرهم الترسيل والاجتماع معي : وهم أبو جعفر مسلم الشريف أطال الله بقاءه ، وأبو اسماعيل الرسي أيده الله ، وأبو الطيب الهاشمي أيده الله ، وأبو جعفر أحمد بن نصر أقره الله ، والقاضي أقره الله ، وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم ؛ ففرقم ما تخشع به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وحسن نظره لكم . فتحمدوا الله على ما أولاكم وتشكروه على ما حباكم ، وتداؤوا فيما يلزمكم ، وتصارعوا الى طائفة العاصمة لكم العائدة

(١٧) ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٣)

بالسعادة عليكم والسلامة لكم ؛ وهو أنه صلوات الله عليه لم يكن إخراجهم للعساكر المنصورة والجيوش المظفرة ، إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم^(١) ، إذ قد تحفظتم الأيدي واستطال عليكم المستدل ، وأطمعته نفسه بالأقتدار على بلدكم في هذه السنة ، والتغلب عليه وأمر من فيه والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان الشرق ؛ وثأ كد عزمه واشتد كلبه ، فاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه بإخراج العساكر المنصورة ، وبإدراة بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم ، وبجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان الشرق الذين معهم الخزي وشملتهم الذلة ، واكتفتهم المصائب وتباغت الزايا ، واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم ، وعظم خيبتهم وعلا صراخهم ؛ فلم يشعروا من أرمضه أمرهم ومضه حالهم وأبكى عينه ما نالهم ، وأسهرها ما حل بهم ، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، فوجبا بفضل الله عليه وإحسانه لديه ، وما عوده وأرياه عليه ، استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم وعذاب أليم ؛ وأن يؤمن من استولى عليه المهل ويخرب روع من لم يزل في خوف ووجل . وآثر إقامة الحج الذي تعطل وأهل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم ؛ وإذا لا يؤمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ؛ وإذا قد أوقع بهم مرة بعد أخرى ، فسفكت دماؤهم وأبترت أموالهم ، مع اعتداد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات وقطع عبث العابثين فيها ، ليطرق الناس آمنين ويسيروا مطمئنين ، ويتقنوا بالأطعمة والأقوات ، إذا كان قد انتهى إليه صلوات الله عليه انقطاع طرقاتها خوفاً مارتها ، إذا لاجأ للعتدين ولا دافع للظالمين ؛ ثم تجويد السكة وصرفها إلى البيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورة المباركة ، وقطع الغش منها ، إذا كانت هذه الثلاث خصال هي التي لا يتسع لمن ينظر في أمور المساكين إلا إصلاحها واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها ؛ وما أوعزه سيدنا ومولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى عبده من نشر العدل وبسط الحق ، وحسم الظلم وقطع العدوان ، وبقي الأذى وزرع المون والقيام بالحق ، وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان ، وبجميل النظر وكرم الصحبة ، ولطف العشرة وانقياء الأحوال ، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم ، حتى لا تجرى أمورهم إلا على ما لم شعتم وأقام أودعهم ، وجمع قلوبهم وألف كتبهم

(١) قد تكون الإشارة هنا إلى الفاترات التي شنتها جيوش الامبراطورية البيزنطية ، وقد استولى على كيليكيا وقبرص ، وكاثاوا على ذلك التقدم نحو بلاد الجزيرة وقلب الشام وتهديد مصر . وقد تقدم القول بأن الجيوش البيزنطية استطاعت أن تصل في غزواتها إلى بلاد الشام تحت قيادة تقيود غوكلاس ، الذي وقعت في يده أنطاكية سنة ٣٥٩ م (٩٦٩ م) ، وأوقع الحزمية بيساكر الشام والأساطيل المصرية التي كان قد بعث بها جوهر بعد أن تم له فتح مصر سنة ٣٥٨ م ؛ وكان قد حول على إرسالها لمحاربة الخليفة الباسي الذي كان ينظر إليه نظرة الخارج على الدين لاحتقار مذهب السنة ؛ وكذلك لخفاضة القراصة الذين هاجروا الجاج وطغيم أمتهم .

على طاعة (وليّه) مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وما أمره به مولاه من إسقاط الرسوم
الجائرة التي لا يرضى صلوات الله عليه باتباعها عليكم . وأن أجبركم في الموارث على كتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من
المتوفى بها ، فلا استحقاق لمصريها لبيت المال . وأن أقدم في رم مساجدكم وتربيتها بالقرش
والإيصاد ، وأن أعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أوزاقهم ، وأدرها عليهم ولا أقطعها
عنهم ولا أدفعها إلا من بيت المال ، لا بإحالة على من يقبض منهم ؛ وغير ما ذكره مولانا وسيدنا
أمير المؤمنين صلوات الله عليه مما ضمنه كتابه هذا ، من ترسل عنكم أيدهم الله وصانكم أجمعين بطاعة
مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، من أنكم ذكرتم وجوها التمس ذكرا في كتاب أمانكم ،
فذكرتها إجابة لكم وتطمينة لأفئدتكم ؛ فلم يكن في ذكرها معنى ولا في نشرها فائدة ؛ إذ كان الإسلام
سنة واحدة وشريعة متبعة ، وهي إقامتكم على مذهبكم ، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض
في العلم والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة
رضي الله عنهم والتابعين بعدهم ، وقضاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمناهم وقنواهم ؛ وأن
يجرى الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام ليله ، والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله
في كتابه ونصبه نبيه صلى الله عليه في سنته ؛ وأجرى أهل القسمة على ما كانوا عليه . ولكم على أمان الله
الثام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام فأفسدكم وأمواكم ،
وأهلككم ونعمكم وضايحكم ورباعكم ، وقليلكم وكثيركم ، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ، ويذب عنكم
ويمنع منكم ؛ فلا يتعرض إلى أذاكم ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ولا في الاستطالة على
قويكم فضلا عن ضعيفكم ؛ وعلى ألا أزال مجتهدا فيما يعمكم صلاحه ويشمركم فقهه ، ويصل
إليكم خيره وتتصرفون بركته ، وتتنبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه .
ولكم على الوفاء بما التزمتموا عطيتكم إياه ، عهداته وظلته ميتاته وموته وذمة أبنائه ورسله ، وذمة الأئمة
موالينا أمراء المؤمنين قدس الله أرواحهم ، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين الغر الذين صلوات الله صلوات
الله عليه ، فصحون بها وتطنون بالانصراف إليها ، وتخرجون إلى وتسلمون على ، وتكونون بين
يدي أن أمصار البحر وأزفل في المناخ المبارك ، وتحفظون وتحافظون من بعد على الطاعة وتابرون
عليها وتسارعون إلى فروضها ، ولا تحذلون ولها مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ،
وتزبون ما أمرتم به . وفقكم الله وأرشدكم أجمعين ! (١) ٨٩ .

وان ما تضمنته هذه الخطة التي ألقاها المعز على شيوخ كتامة قبل مسير جوهر الى مصر ، توضح لنا اشتغال الخليفة بما كان يرد عليه من مكاتبات تأتيه من الشرق . وهي حقيقة يؤيدها الواقع من أن جيوش الفاطميين لم تلاق مقاومة ذات بال من جانب السواد الأعظم من المصريين . فمن الجلي أن جوهر تقدم في السير من تروجة الى الجيزة من غير قتال ولا حرب ؛ بل ولم نسمع أيضا عن أية مقاومة لاقاها جوهر من حامية الاسكندرية التي سلمت اليه بشروط مقبولة لديهم .

أجل ! لقد مهد السبيل أمام جوهر السلطات المصرية برئاسة الوزير ابن القرات ، الذي بحث الى جوهر بوفد يمثل المصريين جميعا على اختلاف طوائفهم الدينية وزياتهم السياسية . وقد عهد برئاسة هذا الوفد الى أبي جعفر مسلم ، وكان - كما تقدم - ذا مكانة عالية ، ومن سلالة الحسين بن علي . وقد دفع الوزير الى اختياره أنه من العلويين ، مما جعل له شأنًا يذكر في انجاح المفاوضات . ولقد ظهرت الحكمة التي أوحى الى الوزير باختياره ، فسرطان ما تعاقد معهم جوهر على هذه الوثيقة التي قلناها عن المقرئى .

ويحدثنا ابن خلكان أن فتح الفاطميين لمصر كان أمرا متظرا الوقوع لدى العساكر المصريين وبعض رجالات مصر من أصحاب المراتب العالية ، وأنهم كتبوا الى المعز يطلبون اليه أن يرسل جيشا يستولى على العاصمة^(١) .

ولا غرو فان المقاومة الوحيدة التي تكلم عنها المؤرخون لم يقم بها الا إشباع الأخشيدين والضيباط الذين كانوا في خدمة كافور ؛ حل أن هؤلاء وأولئك لم يكونوا الا أقلية ضئيلة من العساكر المصريين . وإن اعتقل بعض رجالهم الذين عبروا في القوارب واستأمنوا لجوهر ، جعل القضاء على مقاومة الجيوش المصرية أسهل وأيسر .

ولم يمارض المصريون في تحويل طاعتهم من خليفة عباسى الى خليفة علوى ، لأنهم كانوا يدركون الإدراك كله ان انتقال السلطة من عباسى الى فاطمى ، أو من سنى الى شيعى ، ليس من شأنه أن يحدث أى تغيير في حالتهم السياسية ، لأنهم سيخضعون في كلتا الحالتين لسلطان هذا الحاكم أو ذاك .

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٨) .

على أن تغيير الحكم قد يصحبه تحسين في أحوالهم الداخلية . فقد وصلوا تحت حكم العباسيين الى الدرك الأسفل من اليأس والشقاء . وقد جعل هذا العهد الذي أعطاه جوهر للصريين تحقيق هذه الآمال أمرا محتمل الوقوع . ذلك أن تأمينهم على أرواحهم وأموالهم ، وحمايتهم مما لحقهم من ظلم حكاهم السابقين ، ومن غارات القرامطة الذين طامسوا تعدوا على حجاجهم ، ومن غزوات الاغريق ، وقد وقع في أيديهم إقليم كيليكيا ، وكانوا على أهبة المسير الى الشام ، كل ذلك قد أقره الخليفة الفاطمي في هذا العهد على لسان قائمه .

يضاف الى ذلك أن المصريين قد رحبوا بهذه الدعوة التي كانت ترمي الى اصلاح المساجد وتحسين السكة وإلغاء السخرة ، ومنحهم الحرية التامة — مسلمين كانوا أو ذميين — في اقامة شعائهم الدينية ، كل حسب دينه ومنهجه .

وقد قصد من هذه السياسة التي تتجلى لك من بيان جوهر العمل لصالح مصر ، ودأب جوهر على تنفيذها هو ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين ، اللهم الا اذا استثنينا من ذلك ما كان من وعده منح الحرية التامة في اقامة شعائر الطوائف الدينية على اختلاف نحلها ومذاهبها ، لأن جوهر اذ أنرى بيانه ما للعالمين من حقوق ، حتى اذا ما تم الفتح ، أصبحت السيادة للذهب الشيعي . ويستتبع لك ذلك في الباب الآتي .

تأسيس القاهرة^(١) :

وضع جوهر أساس القاهرة عاصمة الفاطميين الجديدة ، والتي لا تزال الى اليوم ، في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ بعد أن استولى على مدينة مصر (كانت تطلق على القسطنطينية والمعسكر والقطائع) . وكانت هذه المدينة الجديدة محاطة بسور من أجركير الحشم ، شاهد المقرري بقايا سنة ٨٠٢م (١٤٠٠م) ؛ وقد تحلل هذا السور فضاء متسع أطلق عليه فيما بعد "بين القصرين" ، وكان يسع عشرة آلاف من الجند ، ولا زال بعضه يعرف اليوم بسوق النحاسين . وإلى الشرق منه يقع قصر الخليفة ، ويعرف جزء منه الآن بخان الخليل ، وآخر بمسجد الحسين ، وهذا (بين القصرين) أطلق على الميدان فيما بعد ، بعد أن بنى العزيز بالله قصرا أصغر من القصر الذي بناه جوهر لمولاه المعز على جانبه الغربي ، عند مبدأ هذه الحديقة الفناء التي أنشأها كافتور ، واستحوذ عليها الخلفاء الفاطميون فيما بعد .

Prof. Margoliouth : Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 21. (١)

* راجع كتاب الحطاط الترفيحية لمبارك باشا الجزء الأول (ص ٤ — ٢٢)

وقد اختط طريق طام يمتدق وسط القاهرة من باب زويلة جنوبا ، ويتصل بمدينة القسوط مارا فيما بين القصرين حتى باب الفتوح ، وكان يوصل الى الفضاء الواقع في الشمال . والى الجنوب الشرقى من قصر الخليفة يقع الجامع الأزهر الذى شرب جوهر فى بنائه (فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩) بعد أن وضع أساس العاصمة الجديدة . وقد تم بناء السور المحيط بالقاهرة سنة ٨٣٥٩ . والى الجنوب والشرق منه كانت تقع مدينة القسوط التى ظلت مركز الحركة التجارية وموطن الأهلين حتى نهاية عهد الفاطميين . والى الغرب تقع المقس ، وكانت تمتد الى النيل ، وظلت ميناء القاهرة الى أن تحول مجرى النيل فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر لليلاد ، فهد ذلك السبل لأسيس بولاق .

وكانت القاهرة وقت إنشائها تمتد من مائة جامع الحاكم الى باب زويلة ، وكانت حدودها الشرقية هى بنفسها حدود القاهرة الحالية . وأما من الجهة الغربية فلم تتجاوز شارع الخليلج .

وقد ذكر عل مبارك باشا أن طول كل جانب من جوانب المدينة الى أسمها جوهر (القاهرة) كان يبلغ ألفا ومائتى متر . ومساحة هذا المكان ٣٤٠ فداناً (الفدان ٤٢٠٠ متر مربع) ، كان القصر يشغل منها مساحة مقدارها سبعون فداناً ، وكانت حديقة كافور تشغل خمسة وثلاثين ، وخمسة وثلاثين للكان المخصص لاستعراض الجند ، وإلباق وقدره مائتا فدان لسكنى الساسكر . وقد زاد السور الذى أقامه أمير الجيوش بدر الجمالى فى مساحة المدينة ستين فداناً . وقد بنى هذا السور من الحجر الكير الججم ، وكان به ثلاثة أبواب لاتزال باقية الى اليوم ، وهى باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر .

استقرار سلطان الفاطميين فى الشام والحجاز :

راى جوهر بحكم ولايته على مصر ضرورة التدخل فى أمور الشام السياسية . وكان بعض جهاتها جزءا من أملاك الدولة الأخشيديية ، وكانت تدعى لها بالبيعة الاسمية على الأقل . وقد استقل بولاية حلب أمراء من الشيعة ، كما استقل الحسن الأخشيدي (الذى عاد الى الشام بعد أن صادر الوزير ابن القرات) بولاية الرملة . وبعث جوهر الى الحسن هذا جيشا تحت إمرة أحد قواده جعفر ابن قلالح^(١) ، فشن الغارة على بلاده وأوقع به (نحو القعدة سنة ٣٥٨ سبتمبر سنة ٩٦٩)^(٢) .

(١) كان جعفر بن قلالح من قبيلة كرامة من البربر ، ومن قواد الفز ، وقد بعث به فبين أرسلهم مع جوهر لنزو مصر .

(٢) أمر الحسن وسبى الى القسوط ، ثم حبس فى شمال إفريقيا حيث مات بها سنة ٨٣٧١ .

وقد واصل جعفر مسيره الى طبرية حيث علم أن الدعوة قد أقيمت لخليفة الفاطمي ، ثم استأنف المسير الى دمشق ، ودخلها في المحرم سنة ٣٥٩ بعد أن لاقى من الأهليين قليلا من المقاومة . وفي يوم الجمعة التالي حذف من الخطبة اسم الخليفة العباسي ، وأقيمت لخليفة الفاطمي ^(١) .

على أن استيلاء الفاطميين على دمشق قد أوقفهم في نزاع مع القرامطة ؛ وذلك إن دمشق كانت تقع الجزية لزميم القرامطة ردحا من الزمن ؛ فغلت هذه الجزية لا تدفع اليهم بعد استيلاء الفاطميين على هذه المدينة . وقد سار جعفر الى الذكة ^(٢) ، الواقعة على نهر يزيد بالقرب من دمشق ، للاقابلة الحسن القرطبي الملقب بالأعصم ، وكان قد خف للزحف وشن الغارة عليه . ولما دارت رحى الحرب ، أسرج جعفر وقتل ، ووقع كثيرون من أتباعه صرعى في حومة القتال (يوم الخميس ٦ ذو القعدة سنة ٣٦٠ ، وصحبر سنة ٩٧١ م) ^(٣) .

وقد أسرع الحسن بالسير نحو الجنوب بعد استيلائه على دمشق ؛ فمر بالرملة واهض على مصر ، وهاجم القانز (السويس) والفرما على غزة ، وتحكم بذلك على برزخ السويس ، فاضربت بسلطانه مدينة تيس . ومن ثم تقدم في داخل البلاد ، وعسكر برجاله في عين شمس (هليو بوليس) وهدد القاهرة .

ولما تلقى جوهر نبأ وصول الحسن الى برزخ السويس ، شرع في اعداد وسائل الدفاع ، وبعث في الحال رجالا من عنده الى معسكر القرامطة ، فاندسوا بينهم وتظاهروا بالسخط على الفاطميين ؛ وما زالوا بهم حتى أوقفوا بينهم الفساد . وبعد قليل حاول الحسن الاستيلاء على الخندق عنوة ؛ ولكنه ارتد على أعقابيه وقد تكبد خسائر فادحة ، بفضل ما أظهره المتطوعون من المصريين الذين انضموا تحت لواء جوهر وحاربوا في صفوفه من بلاء لم يكن يتوقع منهم ؛ وأسر من عساكر

(١) ذكر أبو الفدا (ج ٢ ص ١١٥) أن أحادى دمشق ثاروا على الخلافة الفاطمية وقتلوا الخليفة الفرز ، ومرمان ما قضى جعفر في قلاص على الثائرين وأعاد سلطان الفاطميين .

(٢) راجع هذا القطف في سجع البهان لياقوت .

(٣) بعد موت جعفر وبثت هذه الأبيات مكتوبة على باب قصره :

يا حُرَّالْ عِيَّةِ الزَّمَانِ بَاهُ
فَالْهَمُ بِخُسْرٍ لَا يَحْصَى

أَيْنَ الْقَيْنِ عَدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً ؟
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَحْصَى

ابن خلكان (ج ١ ص ١٤١)

الأنشيديين خلق كثير ، وكانوا قد انضموا الى الحسن وقاتلوا في صفوفه . وبذلك أرغم القرامطة على الرجوع الى القنز ، تاركين المصريين ينهبون أمتعتهم ^(١) .

وكانت أخبار القرامطة وما كان من حروبهم في مصر قد اتصلت بمسامع الخليفة الفاطمي . ولما وقعت الهزيمة بالحسن القرمطي ، وصلت الامداد من القيروان تحت إمرة ابن عمار ، فتقوى بذلك جوهر وزحف الى تنيس ، وعفا عن هفوات أهلها التي ارتكبوها بانضمامهم الى العدو .

ومرمان ما ارتد أسطول القرامطة من النيل ، تاركاً وراءه سبعة مراكب حربية ونعمانية أسير . وبهذا كله استطاع جوهر أن يقضي على هذه الحروب التي شنها القرامطة على مصر ، وما لبث أن اقتنى آثارهم وخلص ياقا من أيديهم ؛ أما الحسن فانه عاد الى دمشق وأخذ في التأهب للقتال من جديد .

وبمحدثنا أبو الفدا ^(٢) أن قرصوية ، التي آلت اليه ولاية حمص وحلب بعد موت مولاة سيف الدولة الحمداني ، أقام الخطبة للعرز ؛ وأقيمت الدعوة في المدينة للطبع العباسي ، وفي مكة للعرز ^(٣) .

رخيل المعز الى مصر :

ورأى جوهر في ذلك الحين أن الوقت قد حان لحضور المعز بنفسه وتسلم زمام الحكم . ويذكر ابن خلكان ^(٤) أن جوهر اكتب بذلك للعرز مرة ، ثم بعث اليه رسولا يحمل خبر خضوع مصر والشام والجزاز ^(٥) لسلطانه ، وأن الدعوة قد أقيمت له في كافة أرجاء هذه البلاد ؛

(١) أبو الفدا (ج ٢ ص ١١٧ و ١١٨)

(٢) (ج ٢ ص ١١٧)

(٣) ذكر القرطبي (خطب ج ١ ص ٣٥٣) أن الحسن بن جعفر الحسن أقام الدعوة للعرز على أثر فتح مصر على يد جوهر ، فبعث جوهر بالعرز ، فقلعه ولاية مكة ونزل عليه . ويقول ابن الأثير (ج ٨ ص ٢٢٠) إن الدعوة كانت تقام في مكة سنة ٣٦٠ هـ بخليفة العباسي ، وفي المدينة للزقراطي . هذا ، ولم تتم الدعوة لخطباء الفاطميين الا في عهد العزير سنة ٣٦٦ هـ ، "بعث خطيب العزير بمكة والمدينة ، ولم يخطب للفاطميين" .

تاريخ ابن الجوزي — مكتبة بولديان باسكفورد ، مخطوط (Pecock) ٣٧٠ ، ورقة ٨٧ .

(٤) (ج ٢ ص ١٣٤)

(٥) ولم عما أورده أبو الفدا (ج ٢ ص ١١٧) أن سلطان الفاطميين لم يستقر في الشام والجزاز حيث كانت الدعوة تقام باسم الخليفة العباسي .

فسر المعز بذلك مروورا عظيما . ولما تهررت قواعد ملكه في مصر ، استخلف بكين بن زبرى ابن مناد الضنجاى على إفريقية ،^(١) وتوجه الى مصر بأموال جلية المتقدار ورجال عظيمة الأخطار ، وحمل معه جيش أبائه الثلاثة الذين تولوا الخلافة قبله .

ونخرج المعز من المنصورة^(٢) دار ملكه يوم الاثنين ٢١ شوال سنة ٣٦١ (٥ أغسطس سنة ٩٧٣) ، ومر في طريقه على برقة ودخل الاسكندرية يوم السبت ٢٣ شعبان سنة ٣٦٢ (٢٩ مايو سنة ٩٧٣) وهو ممطر جواده ، قدم عليه القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد وأعيان البلاد وسلموا عليه .

وجلس الخليفة عند المنارة ذلك اليوم ، وخطبهم خطبة طويلة ، فقال إنه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا لسل ، وإنما أراد إقامة الحق وحماية الجناح وإعلان الجهاد ضد الكفار ، وأن يحتم حياته بالأعمال الصالحة ، ويعمل بما أمر به جده صلى الله عليه وسلم ، ووعظهم وأطال في الوعظ حتى استدرد مع بعض الحاضرين ، وخلع بعد ذلك على القاضي وبعض من كان في جماعته ، وحملهم على تحليل المطهمة ، ثم انصرفوا^(٣) .

ثم ظفر المعز الاسكندرية في أواخر شعبان ، فوصل الى ساحل مدينة مصر المقابل للجيزة ، فخرج اليه القائد جوهر ، وتبرجل عند لقائه وقبل الأرض بين يديه . وأقام المعز في الجيزة ثلاثة أيام ، ثم أخذت عساكره في العبور الى ساحل مصر . وفي يوم الثلاثاء الخامس من شهر رمضان ، عبر المعز النيل ودخل القاهرة من غير أن يمر على مصر في طريقه ، وقد أقام له الأهليون معالم الزينة على جانبي الطريق ، فظنوا منهم أنه سيسرفها بزيارته .

(١) ذكر ابن خلكان (ج ١ ص ١١٥) أن ذلك كان يوم الأربعاء ٢٢ ذي القعدة سنة ٣٦١ (جبر ٩٧٢) . وقد أمر الخليفة بطاعة بكين الذي أصبحت له ولاية هذه البلاد ، وبشي باسمه الخروج .

(٢) أطلق اسماءيل بن المنصور ثالث الخلفاء الفاطميين هذا الاسم على مدينة صيرة ، وتصل بالقاهرة . وقد بناها المنصور الفاطمي في سنة ٣٣٧ هـ واستوطنتها وسمها المنصورة . (انظر البكري ص ٢٥)

(٣) خلف ابن خلكان في ذلك ما أجمع عليه المؤرخون ، وهو أن رحيله كان سنة ٣٦٢ هـ .

(٤) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٤)

ولما وصل القاهرة ودخل القصر الذى بناه له جوهر وصار فى احدى ردهاته ، خثر ساجدا لله تعالى ؛ ثم صلى ركعتين ، وانصرف الناس عنه . وقد أطلق على المدينة التى بناها جوهر للمز اسم القاهرة المعزية ، نسبة الى الخليفة المعز^(١) .

وفى يوم الجمعة السابع عشر من المحرم سنة ٣٦٤ (٧ أكتوبر سنة ٩٧٤) تسلم المعز من جوهر دواوين مصر وجباية أموالها والنظر فى أحوالها . وقد تولى جوهر^(٢) أمور مصر زهاء أربع سنين وعشرين يوما حتى دخل المعز القاهرة واستقر فى قصره^(٣) .

وهكذا ثبتت قواعد الخلافة الفاطمية فى مصر ، وأصبحت القاهرة ، بدل القيروان ، مركز هذه الامبراطورية الشاسعة الأرجاء^(٤) .

(١) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٥)

(٢) كان جوهر محبا الى الناس الى أن توفى يوم الخميس العشرين من ذى القعدة سنة ٣٨١ هـ (يناير سنة ٩٩٦ م) ولم يبق شاعر الاوتاد وذكر مآثره .

(٣) ابن خلكان (ج ١ ص ١٤١ و ١٤٢)

(٤) إن الأسباب فى بيان العلاقات التى كانت بين مصر والشام والعالم الاسلامى عامة فى عهد الفاطميين عملا لا يتسع له هذا البحث . على أننى لن أضل الإشارة الى ذلك كلما دعت الحاجة اليه . هذا وقد نجح الفاطميون فى تأسيس سلطاتهم فى القاهرة التى اتخذوها حاضرة لاميراطوريتهم ؛ فهدت المركز الذى به انتشرت شعائر المذهب الفاطمى الذى لم يشر الفاطميون بهجدا فى نشره وتأييده . ولقد خطب المعز مرة وفاقه (٩٣٨٦ هـ ٩٩٦ م) فى مصر والشام والجزائر ، وأقيمت الدعوة فى الموصل على يد أبى دؤاد محمد بن الحسين أمير هذه البلاد الملقب بحسام الدولة ، وفى اليمن أقيمت الخطبة باسم هذا الخليفة (ابن خلكان ج ٢ ص ٢٠١) .

الباب الثالث

تنظيم الدعوة الفاطمية في مصر

الدعاية العلمية

خطوات الفاطميين الأولى لنشر دعوتهم

لقد آل الملك الفاطميين ونجحوا في تأسيس خلافة علوية مستقلة باسم الدين وفضل انسابهم إلى النبي ، مؤيدين دعواهم بما نشره من عقائد ذات صبغة دينية بحتة ؛ ودخلوا على محبة هذه الدعوة بانهم خلفاء النبي حقا ، وأن حقهم المقدس في الخلافة قد اغتصب منهم اغتصابا .

ومنذ النصف الأخير من القرن الثالث للهجرة تأثر مذهب الشيعة الأول بما طرأ عليه من تغيرات عظيمة ؛ وذلك من تأثر بعض هؤلاء بالفلسفة الإغريقية وأخذهم ببعض المفاهيم المبنية على الرجعة والتناضح ؛ ومن ثم غدا مذهب الشيعة في عهد الفاطميين خليطا من الدين والفلسفة . وكان من نتيجة هذا المظهر الجديد أن نشأ من الشيعة مذاهب أخرى كالدروز والحشاشين ، لكل منهما عقائده الخاصة .

وقد حدثت هذه الأمور كلها بدعاة الفاطميين وغيرهم ممن دخل هذا المذهب إلى رفع أمتهم ونسبة صفات التقديس إليهم ، هذه الصفات التي رفعتم إلى مستوى الخلود والألوهية .

ولم يكد يستقر سلطان الفاطميين في مصر حتى رأينا جوهر لا يذخر وسما في بث الدعوة للعز خاصة وللملوك عامة . بيد أنه لم يكن من السهل عليه أن يحل المصريين جميعا يستقروا المذهب الفاطمي ؛ لأن السواد الأعظم كان يدين بالمذهب السني على اختلاف درجاتهم في الاخلاص له . أما الشيعة فانهم كانوا بالنسبة إلى المصريين أقلية صغيرة ، تجلبت قبل فتح الفاطميين لهذه البلاد

شيئا غير قليل من الاضطهاد وسوء المعاملة . ولا غرو فان المصريين قاموا في وجه نفوذ الإخشيديين ودانوا بالطاعة للفاطميين لأسباب سياسية لا غير .

نعم ! لقد ساعدوا على إحداث هذا التغيير ورغبوا فيه ، لما حاق بالبلاط في أواخر أيام الإخشيديين من مصائب متتابة ، في وقت لم يتمكن فيه السلطة المركزية في بغداد من صد غزو الفاطميين .

وكانت أولى المشاكل التي جابهت جوهرًا في هذه البلاد ، العمل على تخفيف وطأة القحط والمجاعة التي انتابتها . وكان من حسن حظه ، أن المعز لما علم بفتح هذه البلاد بعث إليه بعدد من السفن المحملة بالحبوب ، مما يخفف على أهل مدينة مصر كربهم ودعا من الزمن . كذلك أنشأ جوهر في الوقت نفسه غزنا عاما للحبوب عهد براقبته إلى المحتسب^(١) ، ودهمت منع احتكار هذه الحبوب والافتقار بتقدير أثمانها ، وجعل كل من لم يترك عند أوامره من أصحاب المطاحن .

على أن هذه الوسائل لم تؤد إلى إفراج الأزمة نهائيا ، وإن كان لها أثرها في اكتساب الفاطميين حبة الأملين ورضاهم . وقد استمرت المجاعة والوباء حتى نهاية سنة ٣٩٠ هـ (٩٧٠ — ٩٧١ م) ؛ ولم تنته المجاعة إلا في الشتاء التالي ، في غضون الشهور الأولى من سنة ٣٩١ هـ (أكتوبر وما يليه من سنة ٩٧١) ، حيث بدأت البلاد تسترد نشاطها إثر زوال الوباء^(٢) .

وبعد أن وضع جوهر أساس مدينة القاهرة حاضرة هذه البلاد الجديدة ، بعث إلى مولاه المعز بكتاب ينثبه فيه بفتح مصر ؛ ثم أمر بقطع الخطبة للعباسيين على كافة منابر مصر ، وأن تضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي دون الخليفة العباسي ؛ فضرب على أحد وجهيها "باسم مولاي المعز" . وذكر المقرئ أنه ضرب على أحد وجهيها "دعا الامام معد بتوحيد الآله الصمد" ، وفي السطر الثاني "المعز لدين الله أمير المؤمنين" ، وفي السطر الثالث "بسم الله ! (ضرب هذا الدينار^(٣) بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة" ؛ وضرب على الوجه الآخر "لله الا الله ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين^(٤) .

(١) سغرد في الباب الخامس عشرة خاصة لبيان واجبات المحتسب

(٢) يحيى بن سعيد (ص ١٢٩ و ١٣٠)

(٣) ذكر ابن خلدون (ص ٤٥٥) أن قيمة الدينار المضروب باسم الخليفة العباسي الراسي نزلت المثلث ، وأن الدينار المضروب باسم الخليفة الفاطمي المعز بلغت قيمته خمسة عشر درهما ونصفا .

(٤) المقرئ : اتعاط (ص ٧٦)



ضلع عربی العاص - منظر صام البیدان الشرقی

تلك أمر جوهر بالكف عن لبس السواد شعار العباسيين^(١) ، وأمر الخطباء بإرتداء الملابس البيضاء ، ونهى عن التكبير بعد صلاة الجمعة ، وكان من العادات المألوفة عند السنيين^(٢) . وكان جوهر يعقد في أيام السبت مجلسا للفظالم^(٣) يحضره الوزير والقاضي وكبار الفقهاء^(٤) ، وكان يصدر الأحكام بنفسه^(٥) .

١ - الدعوة الفاطمية في المساجد

(١) الدعوة الفاطمية في الجامع العتيق

دخل الاسلام مصر سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) . ولم يكن الباحث على بناء المساجد منذ ذلك الوقت مقصورا على الأغراض الدينية وحدها ، بل كان ذلك راجعا أيضا إلى أسباب سياسية واجتماعية . وكانت هذه الأمكنة وأمثالها تستخدم منذ ظهر الاسلام لاجتماع العلماء فيها ، كما اتخذها علماء التفسير والحديث مقرا لهم . ولما لم يكن من الممكن الفصل بين السياسة والدين ، كان المسجد المكان الذى تناع فيه الأخبار الهامة التى تتعلق بالصالح العام^(١) .

(١) كان يلبس هذا الزى أعضاء الأسرة الباسية وغيرهم من كبار الموظفين .

أنفردى سامى (De Saoy : Chrestomathie Arabe, Tome II. pp. 263-266)

(٢) المقرئى : أماط (ص ٧٦)

(٣) "كان الأمير أو أحد كبار موظفيه رأس مجلس النظر فى الخفايا . ويحكم فى القضايا . وما دعا إلى إنشاء هذا المجلس ما كان يترش تنفيذ أحكام القاضى من عواقب ومصائب ، ولا سيما إذا كان المدعى عليه من أصحاب المراتب العالية ، أو كان يشغل وظيفة من وظائف الدولة . فلم يكن أحد يجرؤ على عدم الخضوع لما يصدره هذا المجلس من أحكام ، ولم يكن أحد من القوة بحيث يستطیع التخلص من ملته وشدة أحكامه" .
De Sane : Ibn Khallikan's Biographical Dictionary, English Translation, vol. I. pp. 346-347, n. 14.

أنفردى : الأحكام السلطانية (ص ١٢٨ - ١٦٤)

(٤) لا بد أن يكون الفقهاء من الشيعيين ، اللهم إلا إذا استثنى القليل من الفقهاء السنيين الذين كانت يهود الجهم بالناصب العالية فى الدولة .

(٥) ابن خلكان (ج ١ ص ١٤٩)

بعد ذلك استخدمت المساجد معاهد للتعليم ، يتلقى فيها الأطفال اللغة العربية وأصول الدين ^(١١) .
ومن الأمثلة الصادقة على ذلك الجامع الأزهر ، الذي كان مركزاً للتعاليم الإسلامية قروناً عدة ، ولا تزال
شهريته باقية إلى اليوم .

وأقدم هذه المساجد جامع عمرو ^(١٢) . وقد بنى عام ٢١ هـ ، بعد أن فتح مصر عمرو بن العاص
مؤسس الفسطاط العاصمة الإسلامية . وقد زاد عدد سكان الفسطاط أيام فتح الفاطميين لمصر عما
كانت عليه مدينة العسكر ^(١٣) ، والقطاع ^(١٤) ، حيث أقيم فيهما مسجدا العسكر وابن طولون .

وقد أقيمت صلاة الجمعة في المسجد العتيق ، وخطب فيه للعزى التاسع عشر من شعبان
سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) ، بعد استيلاء جوهرى على الفسطاط بأيام قليلة ، وبذلك تحققت الفكرة التي
كانت ترمى إلى بث الدعوة الفاطمية باسم الفاطميين ^(١٥) . وقد خطب في هذا اليوم هبة الله بن أحمد
خليفة إمام الجامع ، وأدخل العبارة الآتية في الخطبة بدل ما كان يقال عن العباسيين :

” اللهم صل على عبدك ووليك ، ثمة النبوة ، وسليل العزة الهادية للمهدية ، عبد الله (الامام)
معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، كما صليت على آياته الطاهرين وأسلافه الأئمة
الراشدين . اللهم ارفع درجته ، وأعل كرامته ، وأوضح مجته ، واجمع الأمة على طاعته وألقابها
على موالاه . واجعل الرشاد في موافقته ، وورثه مشارق الأرض ومغاريها ، وأحمد مبادئ الأمور
وصوابها ، فانك تقول وقولك الحق (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى
الصالحون) ^(١٦) . فقد امتنع لدينك ، ولما انتهك من حرمتك ، ودوس من الجهاد في سبيلك ،
واقطع عن الحج إلى بيتك وزيارته قبر رسولك صلى الله عليه وسلم ، فأعد للجهاد عدته وأخذ

(١١) كانت بعض المساجد بمثابة طابع بجماعة بأسوار عالية مميكة .

(١٢) لما كان هذا المسجد أقدم مساجد مصر ، أطلق عليه المسجد العتيق وتاج الجوامع والمسجد الجامع —
ابن دقاق (ج ٤ ص ٥٩)

(١٣) أسس هذه المدينة سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ — ٧٥١ م) صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، بعد أن نجح مروان
آخر خلفاء الأمويين ، وقيس عليه وقتل . وكان موضع هذه المدينة قضاء قاحلاً ، أطلق على جزء منه جبل يشكر . وقد استقر فيه
صالح بعسكره ، ومن هنا اشتق لقب العسكر . ابن دقاق (ج ٤ ص ٣٤)

(١٤) أسس القطاع أحد بن طولون (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ ٨٨٣ — ٨٨٤ م) سنة ٢٥٤ هـ في سفح جبل المقطم ،
حين قضت عليه زيادة عساكره من التبريد والافريق وغيرهم بأخطائهم الخطا خاصة . وقد بدأ ابن طولون في بناء مسجده
سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ — ٨٧٧ م) ، وخطب فيه لأول مرة في رمضان سنة ٢٦٥ هـ (ابن دقاق ج ٤ ص ١٢١ و ١٢٢) .

(١٥) ابن خلكان (ج ١ ص ١٤٩) .

(١٦) سورة ٢١ ، آية ١٠٥

لكل خطب أهبه ؛ فبصر الجيوش لنصرتك ، وأفق الأموال في طاعتك ، وبذل المجهود في رضاك ؛ فارتدح الجاهل وقصر التطاول ، وظهر الحق وزهق الباطل . فانصر اللهم جيوشه التي سيرها ، وسراياه التي تنبها لقتال المشركين وجهاد الملعدين والذنب عن المسلمين ، وعمارة الثغور والحرم ، وإزالة الظلم وبسط العدل في الأمم . اللهم اجعل رايته عالية مشهورة وصا كره غالبية منصورة ؛ وأصلح به وصل يديه ، واجعل لنا منك واقية عليه^(١) .

وفي جمادى الأولى سنة ٣٥٩ (٩٧٠ م) زيد في الأذان "حى على خير العمل" ، وقرئت البسملة بصوت مرتفع ، وذلك في الجامع العتيق ، بعد أن اقضى ثمانية شهور على فتح الفاطميين مصر وقراءة الخطبة باسم الخليفة الفاطمي المنز . وفي رمضان سنة ٣٥٩ أمر جوهر بأن تنقش جدران الجامع العتيق باللون الأخضر شعار الملوك^(٢) .

وكان ذكراهم المزمع في خطبة الجمعة في التاسع عشر من شعبان عام ٣٥٨ هـ بل اسم الخليفة العباسي حادثا هاما في تاريخ الخلافة الفاطمية في مصر . وهذا يبين لك ما كان من رواج الدعوة الفاطمية في عهدهم ، وإقامة الخطبة للخليفة الفاطمي هي صورة موجزة من هذا البيان الذي أذاعه جوهر على المصريين ، يعرض فيه طيهم والسلام والطمأنينة .

ولقد ألقي الخطيب خطبته بصورة شاذ فيها فضائل الملوك — الأئمة الصالحين — الذين اتبعت الخارجون من السنين حقهم ، على ما جاء في كلام الخطيب ، وكان ينتمى إلى المذهب السني . أما كلمة الجهاد التي وردت في الخطبة ، فانه ينطوي تحتها ما عقد الفاطميون لنية عليه من فتح المشرق والمغرب .

وهذا الدماء للخليفة الفاطمي يبين لنا ذلك المظهر الديني الجلي الذي تفرع به العلويون للوصول إلى أغراضهم الدنيوية . ولقد بدأ النزاع الديني بين الشيعة والسنيين — كما تقدمت الإشارة إلى ذلك — في عصر متقدم ، ولكن هذا النزاع ظهر بصورة أشد عداء في الأجيال التالية ، حين أخذ كل حزب يلين الحزب الآخر ويحط من قيمته ، حتى إن الشيعة أرغوا أحيانا على دفع الجزية^(٣) ، كما أرغم السنيون على دفعها حينما آخر في عهد الفاطميين^(٤) .

(١) القرني : اناط (ص ٧٥-٧٦)

(٢) شرح : اناط (ص ٧٦) .

(٣) رسائل ديع الزمان الهناني (ص ٤٢٤) .

(٤) رسائل الحاكم بأمر الله ، المكتبة الملكية بالقاهرة ، مخطوطات الشيعة ، رقم ٢٠ ، ورقة ٢١١ . انظر البارة التي كتبها عن الدعوة الفاطمية في مكتبة القصر .

وفقد وجدت العقائد الشيعية في مصر مرعى أكثر خصبا ونماء منه في شبال إفريقية ؛ وسرطان ما تعرضت وعم أثرها . وفي يوم الجمعة الثامن عشر من ذى القعدة من السنة نفسها ، دعا الخطيب لآل البيت ، وزاد في الخطبة العبارة الآتية : " اللهم صل على محمد المصطفى ، وصل على المرتضى ، وصل فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا ؛ اللهم صل على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهديين ^(١) " .

وفي عهد الخليفة العزيز ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ (٩٧٥ - ٩٩٦ م) استبدل بمنبر الجامع العتيق في ربيع الأول سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) منبر آخر منذهب ، بقى الى أن استبدل به منبر أكبر منه سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) في عهد الخليفة الحاكم ٣٨٦ - ٤١١ هـ (٩٩٦ - ١٠٢١ م) ؛ ولا يزال هذا المنبر باقيا الى اليوم ^(٢) .

كان من أثر سيادة المذهب الفاطمي أن عزل بنو عبد السميع ، وكانت اليهم الخطبة زهاء ستين سنة ؛ فحل محلهم جعفر بن الحسن الحسيني ، وعهد اليه باقامة الخطبة في جامع عمروكا عهد الى أخيه بإقامتها في الجامع الأزهر ^(٣) .

ومحدثنا المقرئ ^(٤) نقل عن المسيحي ، أنه في سنة ٤٠٣ هـ قتل من القصر الى الجامع العتيق أجزاء من المصحف الشريف مختلة الشكل والحجم ، مكتوب بعضها بالذهب ؛ وفي هذا الجامع سمح للعامة بالقراءة في هذه المصاحف . وفي السنة نفسها وضع الحاكم ثورا فيه من الفضة ما يقوّم بعشرة آلاف درهم ؛ هذا فضلا عما وقفه هذا الخليفة أيضا على هذا الجامع من الأوقاف والعطايا . وقد زاد بعض أمراء مصر في بناء الجامع العتيق مذ شيد للمرة الأولى ، كما وقف عليه الخلفاء الفاطميون الأوقاف والعطايا .

(١) المقرئ : اتماط (ص ٧٧) ، وأبو الحسن (طبة Jayaboli) (ج ٢ ص ٤٠٨) .

(٢) ابن دقاق (ج ٤ ص ٦٤) .

(٣) شرحه .

ذكر ابن دقاق (ج ٤ ص ٦٤) أن أولاد عبد السميع حرقوا نهائيا سنة ٣٧٩ هـ ، حرّم الخليفة العزيز .

(٤) خطط (ج ٢ ص ٧٥٠) .



ساحة بن طولون — إيوان جامع وحمته ، تعاوه المنارة ، وتظهر قبعة البيضاء

وفي سنة ٥٦٤هـ (١١٦٨ - ١١٦٩) أصبح الفاطميون في حالة من الضعف لم يتمكنوا معها من مقاومة جيوش الصليبيين التي استولت على القاهرة وأوقعت الملع والرعب في قلوب الأهلين ، حتى إن شاور وزير العاضد آخر الخلفاء الفاطميين أصر بإحراق القسطنطينية ، فظلت النار تلتهمها التهاما زهاء أربعة وخمسين يوما ؛ فخل بالجامع العتيق شيء من التلف غير قليل . ولما جاء صلاح الدين وتسلم زمام الأمور في مصر بعد سقوط الدولة الفاطمية ، عمر هذا الجامع وزاد فيه سنة ٥٦٨ هـ^(١) .

(ب) الدعوة الفاطمية في جامع ابن طولون

في يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ربيع الثاني سنة ٣٥٩ هـ ، أى بعد ثمانية شهور من إقامة أول خطبة في جامع عمرو ، تطورت الدعوة الشيعية في أيام الفاطميين بما طرأ عليها من زيادات في جامع ابن طولون ؛ وذلك بأن أدخل المؤذنون على الأذان "على خير العمل" ، وهى من العبارات التي يمتاز بها الأذان عند الشيعيين ؛ ومن ثم زيدت هذه العبارة في الأذان في مساجد العسكر ، ومنها انتقلت الى جامع عمرو في شهر جمادى الأولى من السنة نفسها .

كانت هذه الأمور كلها مما أرضت جوهر ؛ فبعث للعزيزف اليه هذه الأنباء . وقد حضر الصلاة في جامع ابن طولون في ذلك اليوم عدد غير قليل . وقد أشاد عبد السمج في خطبته بذلك أهل البيت وعدد ماتهم ؛ كما أنه دعا للقائد جوهر^(٢) . ولم يجهز بالبسلة^(٣) في الخطبة . وقرأ بعد سورة الفاتحة سورة الجمعة^(٤) وسورة المائدة^(٥) ، ثم قرأ القنوت^(٦) بعد الركعة الثانية . ولما هم بالسجود كان قد فاتته أن يركع ، فصاح به علي بن الوليد قاضى عسكر جوهر : "بطلت الصلاة ، أعد ظهرأ أربعا"^(٧)

(١) ابن الأثير (ج ١١ ص ١٢٦) وأبو شامة (طبعة القاهرة ص ١١٥) .

(٢) لم يجهز جوهر ذكر اسمه في الصلاة ، وقال أن مولاه المزم لم يأمر بشئ من ذلك . المقرئى غلط (ج ٢ ص ٢٧٠)

(٣) لا يجهز الحائجة والحضبة بالبسلة لأنهم لا يتبرعوا بها من كل سورة من القرآن . أما الشافعية والمالكية والشيعة فكانوا على العكس يجهزون بها . ولم يرض جوهر أن تحذف البسلة من كل سورة ؛ والمهروف أنها مكتوبة قبل كل سورة منذ كتب المصحف .

(٤) القرآن سورة ٦٢

(٥) القرآن سورة ٦٣

(٦) يقرأ الدباء الذى يطلق عليه القنوت بعد الركعة الأولى ، وأقبل الركوع مباشرة ، أوعت الوقوف بعد الركعة الثالثة من الوتر بعد صلاة العشاء . ويركب القنوت في أبسط صورة منه من هذه الكلمات : "إياك نأختر"

Muhammad 'Ali: The Holy Qur'an, Preface, pp. XXIV, XXV.

(٧) المقرئى : غلط (ج ٢ ص ٢٤٠) وأماط الخفا (ص ٧٩) .

(ج) الدعوة الفاطمية في الجامع الأزهر

كان بناء مسجد يجتمع فيه الماسمون للجمعة أول ما كانت ترى إليه سياسة أمراء المسلمين ، وخاصة عند تأسيسهم عاصمة جديدة لما يفتحونه من بلاد . وكان الفاطميون قد رأوا من الحزم ألا يأخذوا السنين على غرة في المساجد في مبدأ حكمهم ، بإضافتهم إلى الخطبة هذه العبارة وهي : " السلام على الأئمة آباء أمير المؤمنين المزلزلين الله " .

وما كاد جوهر يوضع أساس القاهرة حتى شرع في بناء مسجد يتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمي ، وقد شرع في بناء الأزهر^(١) في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ، وأقيمت الصلاة فيه أول مرة في اليوم السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ^(٢) .

أما ما كان هناك من زيادة في الأذان والخطبة منذ أقيمت الصلاة في الأزهر إلى أن وصل المزمز إلى القاهرة ، فشيء لم يكشف لنا التاريخ الستار عنه . ويوحى لنا أن ما زيد في الخطبة والأذان في الجامع العتيق ومسجد ابن طولون هو الذي أدخل على الخطبة والأذان في الأزهر ، وقد ظلت الحال على ذلك إلى أن وصل المزمز إلى القاهرة ، ومن ثم تطورت الحالة تطوراً محسوساً من حيث تنظيم الدعوة الفاطمية على يد الخلفاء أنفسهم .

وقد ذكر لنا المقرئ أن المزمز والمزركا بقيان الخطبة في الأزهر إلى أن فتح مسجد الحاكم سنة ٣٨٠ هـ ، ومن ثم أصبحت الخطبة تقام بانتظام في مساجد عمرو وابن طولون والحاكم والأزهر على التوالي . وفي عهد الفاطميين زين الأزهر ومنازاته بأنقرزينة ، وأثير بالألوان الساطعة في أيام المواسم العامة ، مما حدا بالمزمز إلى بناء منظره في قصره لمشاهدة منها هذه الزينات ، فأطلق عليها منظره الجامع الأزهر^(٣) .

(١) أطلق عليه هذا الاسم لأنه كان يحيط به قصور فخمة ، ولأنه كان أكثر الجوامع فخامة ورواء . وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه سمي باسم فاطمة الزهراء التي ينسب إليها الفاطميون .

(٢) و (٣) المقرئ : عجلط (ج ٢ ص ٢٧٣)



الجامع الأزهر - الباب الخارجي للجامع

وفي خلافة المعز تطورت الدعوة الفاطمية في الأزهر تطوراً عظيماً ؛ فقد أمر هذا الخليفة على أثر وصوله إلى مصر بأن تنقش العبارة الآتية على جدران مصر القديمة^(١) وهي : "خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب"^(٢) .

وفي غرة المحرم سنة ٣٩٣ هـ (٩٧٣ م) أقام الخليفة المعز صلاة العيد في مصلى القاهرة^(٣) ؛ وقرأ في الركعة الأولى الفاتحة ، ثم سورة الفاتحة^(٤) ؛ ثم كبر . وقد أطلال الركوع والسجود ، وسبح في كل ركعة ومجدة ثلاثين تسبيحة^(٥) . وذكر لنا المقرئ قسلاً عن ابن زولاق القى أدى صلاة الجمعة خلف الخليفة ذلك اليوم ، أنه سبح نيفاً وثلاثين تسبيحة في كل ركعة ومجدة ؛ وكان القاضي محمد بن النعمان يبلغ عنه التكبير .

(١) نستطيع أن نقيم من قصر هذه الأوامر على مصر القديمة ، أن القاهرة كانت لا تزال صغيرة جداً بالنسبة إلى القسطنطينية ؛ إذ كانت تشل قصر الخليفة وبالجامع الأزهر وبعض المساكن الأخرى . أخف إلى ذلك أن سكان القاهرة كانوا من الشيعة فربما أكرهوا ، فقد كانوا يؤلفون حرس الخليفة ورجال الحاشية .

(٢) ذكر المقرئ (خطوط ج ٢ ص ٢٧١) قسلاً عن القسبة الشريف محمد بن سعد ، أن علي بن محمد بن علي بن اسماعيل بن الحسن الزيدى هو الذى زاد في الأذان العبارة الآتية : "محمد وعلى خير البشر" ؛ وهي تنسب العبارة إلى أمر المقرئ بزيادتها ، وكان ذلك سنة ٣٤٧ هـ (٩٥٨ م) . وقد زيد في الأذان فيما بعد على منابر حلب "على خير العمل" و"محمد وعلى خير البشر" المأثورة لدى الشيعة . وظلت الحال على ذلك إلى أيام نور الدين محمود صاحب حلب ، فأمر بإلغائها ، وأمر القضاة فصنعوا المأثرة وقت الأذان وقال لهم : "مردم يؤذون الأذان المشروع ، ومن امتنع كبره على رأسه" .

(٣) وقد عين المقرئ (ج ١ ص ٤٥١) و(ج ٢ ص ٤٧ و ٣٦٤) موضع هذا المصل فقال أنه خارج باب النصر ، وأن جوهر أُنشأ في رمضان سنة ٣٥٨ لصلوة العيد . وقال به ذلك أن المزوكب يوم عيد القطر لصلوة العيد في مصلى القاهرة (الذى هو مصلى العيد أيضاً) .

(٤) القرآن سورة ٨٨

(٥) التصحيح في الصلاة هو أن يقال في الركوع : "سبحان ربى العظيم" مرة أو أكثر ، كما يقال في السجود : "سبحان ربى الأعلى" مرة أو أكثر كذلك . وأما ما ذكره المقرئ من تزييد عبارة "مع الله بن حمد" ، ووصفه بأن هذا تصحيح فهو خطأ ؛ إذ هذا هو التصحيح . وأول ما عرف من التصحيح أن موسى بن عمران هو أول من ابتدعه ، وسار عليه الناس حتى ظهرت الميعة . وكانوا يسبحون في المزعج الأخير من الليل ، فيظنون أن الله بكلام منزل بالوسى حتى مطلع الفجر ، ويضربون عند ذلك بالآلات الموسيقية كالعود والدف والمزمار ونحوها . أما في الأسلام فكان به استهلاك التصحيح في مصر في ولاية سلسة بن محمد (٤٧ — ٦٢ هـ) . فقد بنى سلسة هذا مناراً في جامع عمرو واحتفك فيه ، فسمع أصوات الترافيس ذات لية ، فشكا إلى مرفق المؤذنين ، فأشار عليه أن يأمر بجمع ضرب الترافيس إذا أذن من نصف الليل حتى مطلع الفجر . فلما ولد أحمد بن طولون مصر ، أفرد بمنزلة حجره أقام حتى انتهى عشر تكبيرا ، فكانوا يكبرون ويسبحون ، ويقرعون القرآن . ويؤذنون . وكانت يقوم بذلك في كل لية أربعة منهم ، يجلسون الليل نواحيهم ، وأغلق نخل هؤلاء الأتزان والأسلمايا . ولما خلف ابن طولون ابنه شامويه ٢٧ — ٢٨٢ هـ (٨٨٣ — ٨٩٥ م) ، أقر المكبرين على ما كانوا عليه أيام أبيه ، وأجرى عليهم أرزاهم . عرف الأذان به ذلك بالتصحيح ، وعين على ذلك إلى ألف مرة على حكم الفاطميين ، فنادا ما لوقاهه الشيعة . المقرئ خطوط (ج ٢ ص ٢٧٢ — ٢٧٣) يتصرف واختصار .

وفي الركعة الثانية قرأ الخليفة الفاتحة ثم سورة الضحى^(١) ، وكرر ما قرأه في الركعة الأولى ، ثم جهر بالبسملة ، وقد حذو في ذلك حذو علي بن أبي طالب . ولما فرغ من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا فقال : " السلام عليكم ورحمة الله ! " وكان في أعلى المنبر وسادة من دياج مثقل أعدت لجلوس الخليفة بين الخطبتين . وكان معه على المنبر جوهر وابن عمار من رؤساء كلمة ، وشفيع صاحب المظلة .

بعد ذلك نشر العلمان اللذان كانا على المنبر ، وقرأ الخليفة خطبة أخرى من خلفهما ، فبدأها بالبسملة جهرا ، وأعقبها بالذكير مرتين . وقد أتى الخطبة بخضوع وخشوع ، وكانت من الفصاحة والتأثير بحيث استندرت دموع المصلين .

ولما فرغ الخليفة من خطبته وأتم صلاته ، انصرف في عساكره وخلفه أولاده الأربعة بالجواش والحوذ ، متمطين الخيل ، وهم في أحسن زى ، يحف بهم فيلان . فلما وصل الخليفة إلى القصر سمح للناس بالدخول ، ففتت لهم الموائد فأكلوا ما يشتهون^(٢) .

وفي عهد الفاطميين أدخل على الدعوة الشيعية مظاهر جديدة لم تكن معروفة في مصر من قبل ، وكان أول ما عرف ذلك في الجامع الأزهر . ذلك أنه لما مات بعض بني عم المعز ، صلى عليه هذا الخليفة في الجامع الأزهر وكبر عليه سبعا ، وكبر على ميت آخر خمساً فقط ، مفتنيا في ذلك أثر علي ابن أبي طالب الذي كان يكره على الميت بقدر ما يتناسب مع مكانته ، وهذا يخالف مذهب السنة ، إذ يكبرون على الميت أربعة فقط^(٣) . يضاف إلى ذلك ما كان من احتفال المعز بعيد الغدير^(٤) أو مرة في مصر .

(١) القرآن الكريم ، سورة الضحى ، ٩٢

(٢) المقرئى : انحاط الحظا (ص ٩٢)

(٣) المقرئى — خطط (ج ٢ ص ٢٥٣)

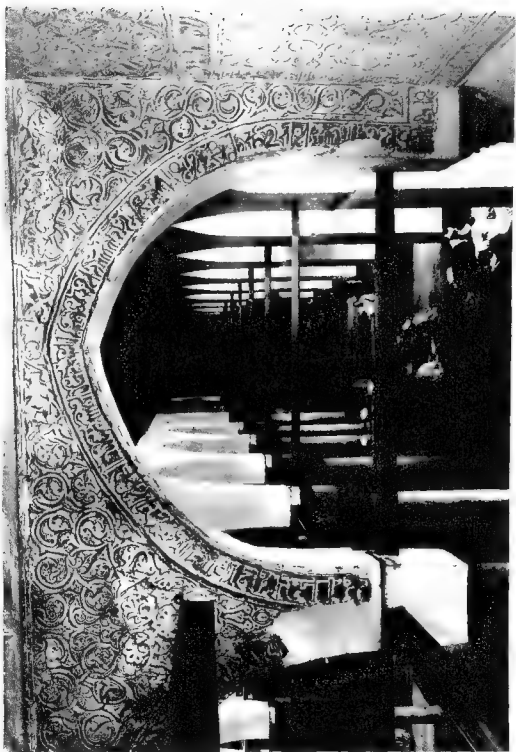
(٤) قد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من حق بمنزلة هارون من موسى ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله " . ويرى الشيعة هذا الحديث من النبي ، ويقولون أنه قاله في الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر للهجرة ، وهو العام المعروف بحجة الوداع ، أى العام الذى ودع فيه النبي مكة ترحيبا بآخر مرة . يقول بندريسم (ربيع بين مكة والمدينة) ، وأتى على ابن أبي طالب . ومن ذلك الوقت أصبح يوم غدیر غم جدا يمتنى به الشيعة طاية عطية ويحتفلون به .

شرف الدين الهدوى ، مكتبة المتحف البريليانى ، القسم الشرقى . رقم ٣٨٦٨ ، ورقة ٣٢١ . وابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٦) والمقرئى ، خطط (ج ١ ص ٣٨٨)

هذا ما رواه بعض المؤرخين . ولكنى لا أشك في أن مسأله هدريسم من اختراعات الشيعة ، يريدون بها إثبات أمر ، وهو أن عليا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتو على ذلك أن أب بكر وعمر وعثمان غاصبون لخلافة . ولو أن هذه =



الجامع الأزهر - صحن الجامع وبيد القبلة الوسطى



الجامع الأزهر - بعض عقود الجامع ، دعى من عهد الإنشاء

وأهم خصائص الأزهر أنه وإن بدأ كثير من المساجد ، إلا أنه لم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواده من كل صوب وحذب الكثير من مختلف العلوم والفنون . وأول من فكر في تحويل هذا الجامع الى جامعة هو يعقوب بن كلس ، وكان يدين باليهودية أولا ، ثم تحول عنها الى الاسلام ، وهو الذى أشار على المعز الفاطمى بفتح مصر .

ولما صارت الوزارة الى ابن كلس ، سار على ما كان عليه الوزراء من قبله من حيث تشجيع العلوم والآداب ^(١) . وفي سنة ٣٧٨ هـ وقف العزيز الجامع الأزهر على العلم ، فأصبح تراسا للجامعات الاسلامية . ولقد رغب الخلفاء الفاطميون في جعله من الأهمية وعظم الشأن بحيث يجذب طلاب العلم من كافة أرباء البلاد الاسلامية . ولكن يشجع الطلاب وطينين وأجانب ، كان يقدم اليهم المأكل والمسكن وكل ما يوفر عليهم وسائل المعيشة وأسباب الراحة من غير أجر .

ولقد تعاقبت الزيادات على البناء الأصل ، وزيد في العين الموقوفة عليه عاما بعد عام ، وتحول الأزهر من مسجد صغير الى مركز عظيم للعلم ، وغدا يشغل مساحة قدرها ١٢٠٠٠ متر مربع ، وبلغ عدد أعمدته ثلاثمائة وخمسة وسبعين .

وقد زاد في بناء هذا الجامع كثير من الأمراء الذين ولوا مصر بعد المعز ، فاستغنى بما أغنوه عليه من هبات وأوقاف . وكان العزيز الفاطمى أول من حول الأزهر الى جامعة ، وأول من ابقى بجواره دارا لجامعة من الفقهاء عدتهم خمسة وثلاثون ، فكانوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة و يقرءون القرآن الى صلاة العصر . وقد أجرى عليهم هذا الخليفة الأرزاق ، وأغدق عليهم وزيره ابن كلس الصلوات .

ولقد أمر الخليفة الحاكم بنقل الكتب التى كانت بدار الحكمة ^(٢) الى مساجد الأزهر والحاكم

= العبارة كانت صحيحة لاحتاج بها على ، واستشهد الصباغ لذلك ، ولما طلبا الأخبار وهم شهود لالة النذير ، ورفدك يقول المرى :

ضمنت وثاقى الشاتركلها وأمسكت لما عظموا النار اوترا

وقد ذكر القرزى (خط ج ١ ص ٢٨٨) أن سيف الدولة بن بويه احتفل لأول مرة بهذا العبدسة ٣٥٢ (٩٦٣ م) ، فاعتقه الشجة حيدا يحفظون به كل عام .

Prof. Margolinich : Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 40 (١)

(٢) وتسمى دار العلم أيضا . وقد وزعت مستل الكتب التى كانت بدار العلم ، على ما ذكره القرزى (خط ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٥) ، على المساجد الثلاثة التى ذكرناها قبل .

والمقصود ، نخص الأزهري منها بما يقرب من النصف . وقد أورد لنا المقرئ (١) وثيقة تاريخية تبين منها ما كان يجري على المؤذنين وغيرهم من خدام المساجد ، وما وقف عليها من العين والمال ، وقد اتخذت كل الوسائل الممكنة للحفاظ على حرمة هذا المكان .

وفي الوقت نفسه قل إلى جامعي رashed والأزهري ثلاثة تناخير وتسعة وثلاثون قنديلا ، نخص الأزهري منها تتوران وسبعة وعشرون قنديلا . وكان في عمارته منطقة من القضاة على مثال المنطقة الموجودة بمحراب المسجد العتيق ، فاقطعها صلاح الدين وغيرهما من المناطق في كافة المساجد ، وذلك في ١١ ربيع الأول سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) ، أي بعد سقوط الدولة الفاطمية بسنتين (٢) .

وقد زاد الخليفة الحاكم الفاطمي ٣٨٦ — ٤١١ هـ (٩٩٦ — ١٠٢٠ م) في بناء الأزهري ، وزاد على ما وقفه عليه أبوه من قبل من أوقاف وما قدم له من هبات (٣) .

وفي سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) بنى الخليفة الأمر في الجامع الأزهري مقصورة عليها كتابة منقوشة خفرا . وفي عهد الأيوبيين حل بهذا الجامع الدمار ، لما قام به هؤلاء السنيون الغلاة من إزالة آثار الفاطميين الشيعيين ، فأبطل صلاح الدين الخطبة في الأزهري ، كما انتزع كثيرا من الأوقاف التي وقفها عليه الحاكم الفاطمي ، وظلت صلاة الجمعة معطلة في هذا الجامع نحو من قرن ، إلى أن أمر الملك الظاهر بيبرس بإقامة الخطبة فيه من جديد ، وقدم إليه الهبات واتخذ معهدا للعلم ، وذلك سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) .

وقد سار بعض الأمراء على مثال الظاهر . ومنذ ذلك الحين غدا الأزهري مسجدا ودارا للعلم كما كان أيام الفاطميين ، فأزهري وأنيق . وفي سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) أضر به الزلزال الذي كان بمصر في ذلك العهد ، فسقط الجامع ، فتولى الأمير صلاح الدين عمارته ، وجدد ما تصدع من بنيانه ، ومن ثم بنيت حوله المدارس التي ألحقت به فيما بعد ، ولا تزال تابعة له إلى اليوم (٤) .

(١) و (٢) المقرئ (خط ج ٢ ص ٢٧٣ — ٢٧٥)

(٣) وزعت هذه الهبات حصما على جوامع الأزهري والجامع وراشدة وطل دار العلم — المقرئ ، خط ج ٢

ص ٢٧٣ و ٢٧٤

(٤) المقرئ (خط ج ٢ ص ٢٧٦)



جامع احكام - منارة الجامع



جامع الأقمر - واجهة الجامع الذي بناه الأمر بأحكام الله سنة ١٠٩٠ هـ

(د) الدعوة الشيعية في المساجد الأخرى

(١) في مسجد الحاكم :

أسس مسجد الحاكم الخليفة العزيز أبو الحاكم سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) تحت إشراف وزيره يعقوب بن كلثوم . وقد وضع أساسه العزيز في العاشر من شهر رمضان من هذه السنة خارج باب الفتوح ؛ ولكنه أصبح داخل القاهرة بعد أن وسع بئر الجمال هذه المدينة . ولما اكمل بناء هذا المسجد ، انتقلت إليه الخطبة وقراءة القرآن بعد أن كانت مقصورة على الجامع الأزهر ؛ فكان يطلق عليه جامع الخطبة .

ويحدثنا المقرئ^(١) عن المسبحي أن الخليفة العزيز صلى الجمعة وخطب في هذا المسجد في الرابع عشر من رمضان سنة ٣٨١ هـ ، وذلك قبل أن يتم بناؤه ؛ وسار في ركابه ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، وطيه طيلسان ويده الصويلحان .

وزاد المسبحي أن الحاكم أمر سنة ٣٩٣ هـ (٩٠٥ م) بإتمام بناء هذا الجامع . قتم ذلك في سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ؛ وعلق على سائر أبوابه الستور ، ووضع فيه أربعة تناوير من الفضة وكثيرا من القناديل الفضية أيضا ، ونصب فيه المنبر وفرش بالحصر . وفي يوم الجمعة السادس عشر من رمضان من هذه السنة أذنت فيه المؤذن أذان الصبح ، وصل فيه الحاكم صلاة الجمعة ، وهي أول صلاة أقيمت فيه بعد الفراغ من بنائه ؛ وفي سنة ٤٠٤ هـ حبس الحاكم عليه الأوقاف مع ما وقفه على المساجد الأخرى ، فخصه الشيء الكثير منها^(٢) .

وفي سنة ٧٠٢ هـ تخرب هذا المسجد مع ما تخرب من المساجد من جراء الزلزال الذي حدث بمصر في ١٣ ذي القعدة من هذه السنة ؛ فأطاحه إلى ما كان عليه سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣-١٣٠٤ م)^(٣) الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، ووقف عليه أوقافا ، وصين فيه فقهاء لتعليم الفقه على المذاهب الأربعة والحديث والنحو والقراءات السبع ؛ وجعل فيه من يقوم بتقنين القرآن الكريم ، وطائفة من القراء يتناوبون قراءة القرآن ، ومعابا يعلم أولاد المسلمين ، وجعل فيه خزنة كتب جليلة^(٤) .

(١) (خط ج ٢ ص ٢٧٧)

(٢) شرحه

(٣) ذكر المقرئ (خط ج ٢ ص ٢٧٨) أنه سقط في هذا الزلزال كثير من بذات الجامع ، وترب أطلى التفتين وتشققت سقفه وجدراناه .

(٤) شرحه (ج ٢ ص ٢٧٨-٢٨٢) .

(٢) في جامع راشدة :

اشتق اسم هذا الجامع من اسم الخطة التي بنى فيها ، وهي خطة راشدة . وقد روى لنا ابن دقاق والمقرئى أنه بنى بناء هذا الجامع في ١٧ ربيع الثانى سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٣ م) . وكان في المكان الذى بنى فيه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى . وفي رمضان سنة ٣٩٥ هـ تم بناؤه وفرش وعلقت فيه القناديل وأصبح معدا للصلاة^(١) .

وفي رمضان سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٨ م) صلى الحاكم الجمعة وأقام الخطبة في جامع راشدة . وفي سنة ٤٠٠ هـ علق فيه سور من الفضة وقناديل من الفضة الثقيلة الوزن . وفي رمضان سنة ٤٠٣ هـ صلى الحاكم الجمعة في هذا الجامع ، وعليه عمامة خالية من الجواهر ، وكان يحمل سيفاً على الفضة البيضاء الدقيقة الصنعة . ومشى الناس في ركابه ، فكان يتناول بيده شكاياتهم ويهف لبعضها واستقصاء أسبابها^(٢) .

ومن أعجب ماحدث بجامع راشدة ماكان من إقامة خطبتين على منبره في يوم الجمعة ١١ جمادى الآخرة سنة ٤١٤ هـ ، وذلك أن أبا طالب على بن عبد السميع العباسى استقرق الخطابة بأمر قاضى القضاة أبى العباس أحمد بن عبد الومام ، بعد سفر خطيب هذا الجامع الى الشام ، فعهد الخليفة الظاهر (٤١١-٤٢٧ و ١٠٢٠-١٠٣٥) الى ابن عصفورة أن يقيم الخطبة فيه .

وكان من تعيين رجلين على هذه الصورة لإقامة الخطبة في هذا الجامع أن صعدا المنبر في آن واحد ، ووقف أحدهما دون الآخر وخطبا معاً ، ولما علم بذلك الخليفة وقاضى القضاة أقرا أبا طالب في إقامة الخطبة ، وجعل ابن عصفورة خليفة له^(٣) .

(٣) في جامع المقص^(٤) :

بنى هذا الجامع الخليفة الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقص ، وكانت ميناء مصر في ذلك الحين . وقد بناه أرب الأوقاف التي وقفها الحاكم شملت جامع الحاكم والجامع الأزهر ودار العلم وجامع المقص ؛ وذكر المقرئى أن الكتاب الذى تضمن وقفية الحاكم نص على

(١) ابن دقاق (ج ٤ ص ٧٨، ٧٩) والمقرئى (خط ج ٢ ص ٢٨٢) .

(٢) و (٣) المقرئى خط ج ٢ ص ٢٨٢

(٤) المقص أو المكس أو المكسم (قسط يحمل أن يكون مشتقاً من رجل روماني اسمه مكسيموس (Maximus) ، هو ميناء

القاهرة على النيل .

أن يصرف جميع ما يتبقى مما تصدق به الخليفة على هذه الأماكن فيما يتطلبه جامع المقص ؛ هذا عند ما وقفه الخلفاء الفاطميون عليه من النخل الكثير^(١) .

وفي الثامن عشر من ذى الحجة سنة ٣٩٢ هـ احتفل لأول مرة في مصر بعيد غدريخم . وفي هذا اليوم ركب الخليفة المعز إلى منطرة المقص^(٢) ؛ فمضى الأسطول ثم عوّذه^(٣) ، ليحفظه الله سبحانه وتعالى من سوء . وقد بنى صلاح الدين قبة شاذغة على أطلال هذه المنطرة ، أطلق عليها قلعة المقص ، بقيت إلى سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) ؛ وأنشئ في مكانها حديقة^(٤) .

لقد أتينا عند كلامنا على تطور الشعائر الفاطمية في المساجد على طائفة من هذه المساجد التي كانت تقام فيها هذه الشعائر ، وبيننا أن هذه الشعائر كانت تقام في جميع المساجد . على أنه ينبغي ألا يفوتنا أن نذكر أنه كانت هناك فترات من الزمن أبطل فيها بعض عبارات من هذه الشعائر ، أى من الخطبة أو الأذان .

فذلك أنه في سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) أبطلت عبارة "على خير العمل" التي أمر جوهر بأن تزداد على الأذان بعد أن استقر سلطان الفاطميين في مصر . وقد دعا الحاكم في نفس هذه السنة (٤٠٠ هـ) المؤذنين في قصره وفي المساجد الأخرى إلى اجتماع حضره قاضي القضاة ، وأصدر مرسوماً يحرم ذكر هذه العبارة في الأذان ، وأن يقول مؤذنو القصر بدلها عبارة "الصلاة خير من النوم" ، فيذكرها المؤذنون عند ذكر عبارة "السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله" .

(١) المقرئى (خط ج ٣ ص ٢٨٣)

(٢) ذكر المقرئى أنه كان بالمقص ثلاث مناظر : إحداها تقع بين باب القهب وباب البحر ، والثانية على قوس باب القهب ، وأما الثالثة فكان يقال لها الزاهرة والناصرة والقاهرة . وكان الخليفة يجلس في إحدى هذه المناظر ليرى السالك يوم عيد الفطر . ويقف الوزير في قوس باب القهب (خط ج ١ ص ٤٠٤) .

(٣) يطلق لفظ "موزنان" على سورتين من سور القرآن الكريم ، لأن كلا منهما تتعدى عبارة (قل أعوذ) ؛ أولان قرأتها تحفظ الغائب من كل سوء . والمؤدة الأولى (وهي سورة الفلق — القرآن الكريم سورة ١١٣) هي كآلى : (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد) . والمؤدة الثانية كآلى : (قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) .

(٤) المقرئى أصاط (ص ٩٤) وخط (ج ٢ ص ٢٨٣) .

وفي ربيع الثاني سنة ٤٠١ هـ (١٠١٠ م) عاد المؤذنون إلى ذكر "حى على خير العمل" ؛ وفي سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) أمر هذا الخليفة مؤذني الجامع الأزهر بالألا يستعملوا عبارة "السلام على أمير المؤمنين" في الأذان ، وأن يقولوا بلها عبارة " الصلاة رحك الله " (١١) .

وقد أبطل الحاكم عادة قنيل الأرض بين يديه ولم يديه وبركابه (١٢) ؛ وعلى المقرئ سبب العدول عن هذه العادة بأنها كانت من عادات البيزنطيين (١٣) . كذلك أمر هذا الخليفة ألا يزداد على السلام "السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! " (١٤) ، وأن يقتصر في مكابته على هذه الكلمات "سلام الله وتحياته ونواى بركاته على أمير المؤمنين ! " وأن يقتصر الخطباء على ذكر العبارة الآتية : "اللهم صل على محمد المصطفى ، وسلم على أمير المؤمنين على المرتضى ، اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين ، اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك " (١٥) .

(١) روى المقرئ عن البلاذرى (لم تقف على هذا في كتاب فروع البلدان البلاذرى) أن بلالا مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقف بياض ويقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، الصلاة يا رسول الله ! فهاول أيربك كان المؤذن يقف بياض ويقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، الصلاة يا خليفة رسول الله ! وفى خلافة عمر بن الخطاب كان المؤذن يردد هذه الكلمات مبتدئا بقوله ، السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله... الخ . ومما فكرار فقط خليفة بالنسبة إلى من يتولى أمور المسلمين من الخلفاء بعد أبي بكر ، أمر عمر بن الخطاب أن يستبدل هذا القفظ بعبارة أمير المؤمنين ، وأن يزداد عبارة رحك الله على الأذان (ذكر المقرئ أن من هو القى أمر بإضافة هذه العبارة — الخطط ج ٢ ص ٢١٧) . ويقول ابن خلدون (مقدمة ، طبعة بيروت سنة ١٩٠٠ ص ٢١٧ — ٢١٩) أن المؤذنين كانوا يحضون الأذان بعبارة : "السلام عليك" ، يستون بذلك الخليفة أو أحد عماله . وظلت الحال على ذلك طوال عهد الأمويين وفى الصدر الأول من أيام العباسيين ، حين تولى الخلفاء والولاة الصلاة بأنفسهم . على أن الخلفاء تحقروا عنها فى أوانى أيام العباسيين ، لوجوههم تحت سلطان الأتراك ؛ فتقل الخلفاء عن إقامة الصلاة بأنفسهم ، فبطل استعمال هذه الكلمات ؛ وهذا جذوم الخلفاء الفاطميون عن لم يقيموا الصلاة ، فلم تذكر هذه الكلمات الا فى أذان القصر . الأحكام السلطانية لسوردي (ص ٩٦ — ٩٩) وابن خلدون ، مقدمة (ص ١٩٧ — ١٩٩) .

وقد أورد لنا كاتب "حاشى الملوك" (ورقة ٢٥ — ٢٧ ، وهو مخطوط بالمكتبة الملكية بالقاهرة — راجع كتاب التاج طبعة أحمد زكى باشا ص ٨٨ — حاشية ٣ ص ٨٦ — ٨٨) عن هذا الاستعمال منذ أيام عمر ماضيه : "قال المتبرق لعمرو رضى الله عنهما : يا خليفة الله ! فقال عمر : ذاك نبي الله داود . قال : يا خليفة رسول الله ! قال : ذاك صاحبكم المفقود . قال : يا خليفة خليفة رسول الله ! قال : ذاك أمر بطول . قال : يا عمر ! قال : لا ينجس حقى شره ؛ أتم المؤمنون وأنا أميركم . قال المتبرق : يا أمير المؤمنين ! " .

(٢) يحيى بن سعيد (ص ٢٠٥) ، وابن ميسر (ص ٧٥)

(٣) خطط (ج ٢ ص ٢٨٨)

(٤) يحيى بن سعيد (ص ٢٠٥)

(٥) المقرئ : خطط (ج ٢ ص ٢٨٨)

وقد قال المقرئى عند كلامه على الدعوة الفاطمية أيام الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجبالى : « وكان الأفضل أبطل الموالد الأربعة : النبوى والسوى والفاطمى والإمام الحاضر ، فأصيدت فى سنة ست عشرة وثمانمائة »^(١).

وفى سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) هلك أبو على بن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجبالى الوزارة فى خلافة الحافظ ، فقبض على الخليفة وحبيه ، واستولى على ما فى القصر من الأموال والنخائر ، وقبض على زمام الأمور . وكان إماما مغاليا ، فأظهر الدعاء للإمام المنتظر ، وأزال من الأذان « على خير العمل » وقولهم « محمد وعلى خير البشر » ، وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الذى نسب إليه الاسماعيلية . ولما قتل فى السادس عشر من الحزم سنة ٥٢٦ هـ عاد الأمر الى الخليفة الحافظ ، وعاد الأذان الى ما كان عليه^(٢).

ولما استبد صلاح الدين يوسف بن أيوب بالأمر فى مصر أبطل شعار الفاطميين ، فأعاد سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) الى أذان الفجر « السلام عليك يا رسول الله ! » .

٣ — الدعوة الفاطمية فى مكتبة القصر

رغب الفاطميون فى الحصول على أكبر عدد من الكتب ابتغاء نشر تعاليم منهم . وقد حمل المهدي معه ، على ما ذهب إليه ابن الأثير^(٣) ، من سامية جميع الكتب والوثائق التى كانت لأبائه ؛ ولكنها سرقت منه وهو فى طريقه الى مجملاسة ، فى مكان يقال له الطاحونة بالقرب من طرابلس . ويزيد هذا المؤرخ على ما تقدم أن أبا القاسم بن المهدي استعاد هذه الوثائق حال مسيره لغزو مصر للمرة الأولى سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) .

أما كون هذه الكتب أو بعضها قد حملها المعز منه الى القاهرة ، فشىء لا يمكننا الجزم به . ولقد كان مذهب السنة هو المذهب السائد فى مصر قبل أن يتم فتحها على يد الفاطميين ؛ ولهذا نشك

(١) المقفى الكبير ، مكتبة الجلسة ببلن ، خطوط ١٣٦٦ ، المجلد الثانى ، ورقة ٢٠٦ ب .

انظر كتاب « تاريخ الخلافة الفاطمية » لوستفد Geachische der Fatimiden—Chalkin, pp. 270-289

(٢) ابن ميسر (ص ٧٥) ، وأبو القدا (ج ٣ ص ٥٦٥) ، والمقرئى (خط ج ٢ ص ٢٧١) .

(٣) (ج ٨ ص ١٤) .

فما إذا كان في مكاتب القسطنطينية والقسطنطينية من الكتب التي تتناول الكلام عن المذهب الشيعي ،
أليس هناك دليل واضح يشير إلى أنه كانت هناك مكاتب عامة . ولهذا نرجح أن المعز قد حمل معه
إلى مصر ممددا عظيما من الكتب التي كانت في مكتبته الخاصة بالقاهرة مع ما حمله من الأثقال
عند رحيله إلى هذه البلاد .

وقد ولع خلفاء الفاطميين ووزرائهم منذ العصر الأول من خلافتهم باقتناء الكتب الخطيبة
النادرة في مختلف العلوم . وقد تحققت أغراضهم ، فافتتحت مكتبة القصر في القاهرة غيرها من مكاتب
العالم الاسلامي .

وكان للوزير يعقوب بن كلس^(١) نصير العلوم والآداب مركز رفيع بين وزراء الفاطميين . فقد
كان يحب العلم ويجمع بذاته العلماء ، وكان يقعد مجلسا في كل ليلة جمعة يقرأ فيه مصنفاته على
الناس ، ويحضره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث . وكان
في داره قوم يكتبون القرآن الكريم ، وآخرون ينسخون كتب الحديث والفقه والأدب حتى الطلب ؛
وكانوا يعارضونها^(٢) ويشكلونها ويتقنونها .

وقد صنف يعقوب نفسه كتابا في الفقه أخذه عن المعز وابنه العزيز ، يتناول فيه الكلام على
العقائد الفاطمية ، ويعرف بالرسالة الوزيرية . وفي رمضان سنة ٣٦٩ (مارس — أبريل سنة ٩٨٠)

(١) كان يعقوب بن كلس يهوديا . وقد بنى دارا لنفسه ، وسافر مع أبيه إلى الشام ، فأخذته منها إلى مصر سنة
أحدى وثلاثين وخمسمائة للهجرة ، فأنزل ببعض خواص كافور ، فهداه إلى بهارة داره ، ورأى فيه العناية والزراعة ، فبني
في ديوانه الخصاص . ولم تزل حظوته تزداد مع كافور حتى أمر أصحاب الموالين ألا يصرف شيء من المال إلا بتوقيع ابن
كلس (سنة ٣٣٦) . وفي شبان سنة ٣٥٦ هـ أظهر ابن كلس إسلامه ووصل في الجاسع ، فزادت حظوته عند كافور .
بعد ذلك لم يزل ابن كلس الصلاة وقراءة القرآن ، ورتب لنفسه شيئا من أهل العلم يعرف القرآن ويحجده ، ويحفظ كتاب السيرافي
في النحو (ياقوت : إرشاد ج ٣ ص ٨٤ ، وابن خلكان ج ٢ ص ٤٦١) فكان بيت عنده ويصلي به ويقرأ عليه .
ورتل ابن كلس على حظوته عند كافور إلى أن مات . وكان الوزير ابن القرات يحسد ابن كلس ويعقده عليه لخصمه ، فدخل
بعض الناس في الأمر ، وبذل ابن كلس له الأموال حتى أطلق من اعتقاله ، فافترض من أخيه وغيره مالا ، ثم سار خفيا
يريد بلاد المغرب . وقيل أنه لم يجر جوهرا وهو في طريقه لغزو مصر فماده ، وقيل أيضا أنه سار إلى بلاد المغرب وأصل
بخدمته المعز ، ثم حاد به إلى مصر . ومنها يكن من الأمر فإن ابن كلس ظل في خدمة المعز ، واكتسب حظوة أبيه العزيز
وتولى أموره ، ثم ولي الوزارة في رمضان سنة ٣٦٨ هـ (١٩ أبريل سنة ٩٧٩ م) ، وأدار شؤون الدولة الفاطمية بمهارة ومعة
إلى أن مات سنة ٣٨٠ هـ . ابن منجب (١٩ — ٢٢) ، وابن ميسر (٤٥ — ٥١) .

(٢) يتجادلون بين نسخ الكتاب الواحد .

دعا ابن طلس الناس على اختلاف مراتبهم الى اجتماع وقرأ عليهم ؛ وكان يقصد المجالس بإجماع العقبة ، فيقرر المسائل الفقهية على حسب المذاهب التي وضعها^(١).

ولا غرو فقد استفادت مكتبة القصر أيما استفادة من غيرة ابن كلس وولعه بجمع الكتب . هذا اذا صح القول بأن عددا عظيما منها قد نقل من داره الى هذه المكتبة بعد وفاته .

وقد روى المقرئى عن ابن الطوير أن المكتبة كانت في المارستان العتيق في القصر الشرقى ؛ وكان بها عدد من الرفوف مقسم الى أقسام ، لكل قسم منها باب . وزاد هذا المؤرخ أن هذه المكتبة كانت تحتوى على مائتى ألف كتاب مجلد ، عدا الكتب الأخرى . وقد اشتملت هذه الكتب على مصنفات في الفقه في جميع المذاهب ، واللغة العربية والحديث والتاريخ والسيرة ، والفلك والدين والكيمياء ؛ وهذا عدا المصاحف التي احتوتها المكتبة ، وبمجموعة القوائم المكتوبة بخط ابن مقله وابن البواب^(٢) وضميرهما من مشاهير الخطاطين .

وكان من عادة الخليفة إذا زار المكتبة أن يقبل ، ثم يسير الى دكة مرصعة فيجلس عليها ؛ فيأتيه الخازن بنسخ من المصحف مختلفة الحجم ، وكتب أخرى في مواضيع مختلفة لمصادقة الخليفة على اقتنائها^(٣) .

وقد روى المقرئى عن مؤلف كتاب "الذخائر" أنه كان في القصر أربعمائة خزانة ، من جملةا خزانة بها ١٨,٠٠٠^(٤) مجلد في العلوم القديمة^(٥) . وذكر أبو شامة ، نقل عما أورده ابن أبي طلى عن القصر بعد سقوط الخلافة الفاطمية ، أن مكتبة الخلفاء كانت من بين محتويات القصر التي باعها الأيوبيون في عهد صلاح الدين .

(١) ابن منجب (ص ٢٢)

وقد أتى المقرئى (خطوط ج ٢ ص ٣٤١) ببيان موجز من هذا الكتاب الذى صنفه ابن كلس ، وقال انه كان في حوزته ، وأنه يتكلم من أصول المذهب الاسماعيلى .

(٢) ذكر ياقوت (ارشاد ج ٥ ص ٤٤٥ - ٤٥٢) وابن خلكان (ج ١ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦) وأبو الفدا (ج ١ ص ١٦٠) ترجمة على بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب ؛ وهو شاعر وخطاط مشهور مات ببغداد سنة ٤١٣ هـ .

(٣) المقرئى : (خطوط ج ١ ص ٤٠٩)

(٤) لا بد أن يكون هذا العدد أكثر من ١٨,٠٠٠ مجلد ، لأن بعض هذه الكتب كان يقع في أكثر من مجلد واحد .

(٥) المقرئى : (خطوط ج ١ ص ٤٠٩)

وقد وصف هذا المؤرخ مكتبة القصر بأنها كانت من عجائب الدنيا فقال : "ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التي كانت في القاهرة في القصر . ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبرى ، ويقال انها كانت تشتمل على ٦٠٠,٠٠٠ كتاب ، وكان فيها من المخطوط المنسوبة لأشياء كثيرة (١١) " .

ولقد دأب الخلفاء الفاطميون في جمع أكثر ما يمكن الحصول عليه من نسخ كتاب واحد ، حتى لا يتاح لمكاتب بغداد وقرطبة اقتناء هذه الكتب ، لذلك نجح الفاطميون في جمع عدد عظيم من نسخ بعض الكتب التي لم يكن لها وجود في المكاتب الأخرى . ويعدنا المسبحي أن كتاب العين لثعلبي بن أحمد (١٢) ذكر عند الخليفة العزيز ، فأمر خازن مكتبته فأخرج من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من هذا الكتاب ، منها نسخة من خط الخليل نفسه .

وفي مناسبة أخرى أحضر رجل الى الخليفة نسخة من تاريخ الطبرى كان قد اشتراها بمائة دينار ، فأمر الخليفة خازن مكتبته أن يحصل على نسخ أخرى من هذا الكتاب ، فحصل على أكثر من عشرين ، منها نسخة بخط الطبرى نفسه . وذكر عنده أيضا كتاب الجهرة لابن دريد ، فأحضر في الحال أكثر من مائة نسخة منه (١٣) .

أما ما كان من مقتنيات المكتبة الملحقه بقصر الخلفاء الفاطميين ، وما كان لها من شهرة في أنحاء العالم الاسلامي ، فقد دلل عليه أسامة بن مقذ فيا أورده لنا من حقائق رواها عن أبيه فقال ما نصه : " وكان الوالد السعيد مجد الدين أبو سلامة مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن مقذ رضي الله عنه ، حدثني أنه لما توجه الى خدمة السلطان ملك شاه رحمه الله ، وهو اذ ذاك بأصفهان ، قصد القاضي الامام الصلح العالم أبا يوسف القزويني رحمه الله ، مانكا ومسلما بمعرفة قديمة كانت بينهما ، ويد كانت عنده فليد سيد الملك ذي المناقب أبي الحسن علي بن مقلد رحمه الله . وذاك أن القاضي المذكور سافر الى مصر في أيام الحاكم صاحب مصر ، فأحسن اليه وأكرمه ، ووصله بصلوات سنية ، فاستغنى منها وسأله أن يجعل صلته كتابا يقرئها من خزانة

(١١) كتاب الروضتين لأبي شامة (طبعة القاهرة) (ج ١ ص ٢٠٠) . وقد روى هذا الكتاب عن عماد الدين الأصفهاني أن عدد كتب هذه المكتبة يبلغ ٢٠٠,٠٠٠ و ٢٠٠,٠٠٠ كتاب .

(١٢) انظر ترجمته في ارشاد الأديب لياقوت (ج ٤ ص ١٨٠-١٨٢) وابن خلكان (ج ١ ص ٢١٦-٢١٨) . وقد مات الخليل سنة ١٦٠ هـ أو ١٧٠ هـ على ما ذهب اليه لياقوت (ارشاد ج ٢ ص ١٨٠) . وأما لنا ابن خلكان بتاريخين لوفاته ١٧٠ هـ و ١٧٥ هـ .

(١٣) القرطبي : (مخطوط ج ١ ص ٤٠٨)

نتبه ، فأجابه الى ذلك ؛ فدخل الخزانة واختار منها ما أراد من الكتب ، ثم ركب في مركب وتلك الكتب معه يريد بلاد الاسلام التي في الساحل ؛ فتغير عليه الهواء ، فربى بالمركب الى مدينة اللاذقية وفيها الروم ، فعمل بأمره وخاف على نفسه وعلى ما معه من الكتب ، فكتب الى جدى سعيد الملك رحمه الله تعالى كتابا يقول فيه : قد حصلت بمدينة اللاذقية بين الروم ومعى كتب الاسلام ، وقد وقعت لك رخيصة ، فهل أجلك حريصا ؟ فسير اليه من يومه وليله عمن عز الدولة أبا المرهف نصرًا رحمه الله ، وسير معه خيلا كثيرا من غلمانته وجنده وظهرًا لركوبه وحمل أثقاله ، فأثاء وحمله وما معه ؛ فأقام عند جدى رحمه الله مدة طويلة^(١) .

دار العلم :

ولع الخلفاء الفاطميون بتشجيع المشتغلين بنشر المذهب الشيعي ؛ فكان من ذلك أن جعل العزيز الجامع الأزهر مقرا للطلاب تحت إشراف وزيره الكبير يعقوب بن كلس ، فثقل اليه وإلى غيره كثيرا من المصاحف والكتب .

وفي جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) أنشأ الحاكم جمعية علمية " أكاديمية " على مثال " الأكاديميات " الموجودة ببغداد وغيرها من البلاد ، وأطلق عليها دار الحكمة . فالتحق بها عدد من القراء والفقهاء والمنجمين والصناع والفنيين والأطباء ؛ وألحق بدار الحكمة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حوت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكتبات . وأجرى هذا الخليفة ومن جاء بعده من الخلفاء على خدامها ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية ، وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والناسخ من الجبر والأرقام والمجارب والورق^(٢) .

وفي سنة ٤٠٣ هـ عقد الحاكم في قصره مجلسا من مشاهير العلماء في الرياضة والمنطق والفقه والطب وغيرها من العلوم ، فتناظروا في شتى المسائل . وعند انفضاض هذا المجلس منح الخليفة هؤلاء العلماء الخلع والجوائز الثمينة^(٣) .

(١) Dorenborg : Vie d'Oumayyad, pp. 508, 504.

(٢) المقرئى : (خطوط ج ١ ص ٤٥٨ وج ٢ ص ٣٤٢) ، عن المسجى .

(٣) لم تلبث أن انقضت هذه الاجتماعات من دار الحكمة في القصر . وهذا التمييز من جانب الحاكم ما لا نذهب له ، إذا علمنا أن موظفيه ترقوا عن تنفيذ أوامره بعد ما أماب عقله من خيل وسياسة من اضطراب .

وقد ظلت هذه المكتبة مفتوحة ينفع الجمهور بما فيها من الكتب الى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م)، حيث أمر الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي بإغلاقها ، اذ نعى إليه أن رجلين يعتقان عقائد الطائفة المعروفة بالبدعية التي يدين أشباعها بمذاهب السنة الثلاثة : وهى الشافى والحنفى والمالكي ، يترددان على هذا المكان ، وأن كثيرين من الناس أصبحوا اليهما واعتقوا هذا المذهب .

وقد اعتنق هذا المذهب شيخان من الأساتذة المحنكين فى القصر . لهذا وذلك أمر الأفضل بإغلاق هذه المكتبة ، لأن وجودها أصبح لا يتفق مع الغرض الذى أنشئت من أجله ، وهويت عقائد المذهب الشيعى لا غير . وكان من أثر ذلك أن قتل فرمن دانوا بعقائد هذا المذهب ^(١) .

وبعد وفاة الأفضل أصدر الخليفة الأمر ٤٩٥ — ٥٢٤ هـ (١١٠١ — ١١٣٠ م) أمرا بإعادة دار العلم الى ما كانت عليه ، فتردد عليها حامد القصار أحد زعماء البدعية ، وادعى الروبية ، ونعى الى الخليفة أنه دان بمذهب أبي الحسن الأشعري ^(٢) ، ثم انسلخ عن الاسلام . ويقول المقرئى ^(٣) ان حامدا هذا سلك طريق الحلاج ^(٤) فى التوحيد ، فاستهوى من ضعف عقله وعميت بصيرته .

أما المكتبة الكبرى التى كانت فى القصر وما أودع فيها من الكتب الجلية المقدار ، فقد كان لما أن تعاقب ماكانه غيرها من المصائب والبلايا التى حلت بالخلافة الفاطمية فى عهد المستنصر (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ ١٠٣٥ — ١٠٩٤ م) واتته بسقوط الفاطميين .

ولقد تلاشى أغلب الكتب التى كانت فى القصر وفى دار العلم فى غضون الشدة التى حلت بالبلاد سنين طويلة فى عهد المستنصر ^(٥) ، ونزع من هذه المكتبة ما يقرب من ألفين وأربعمائة "خزمة" مكتوبة بخط محل بالذهب والفضة ، ونهب ذلك كله فيما أخذه الأتراك فى مقابل ما كان متائرا لهم من الأرزاق ، فلم يبق فى خزائن القصر الخارجية شئ مطلقا . أما الخزائن الداخلية التى يتعذر الوصول إليها ، فقد عثر فيها على صناديق مملوءة بالأغلام ، براها وشذب أطرافها ابن مقله وابن البواب وغيرهما من الخطاطين ^(٦) .

(١) المقرئى : (خطط ج ١ ص ٤٦٠)

(٢) وهو إمام من أئمة التوحيد ، ومن أساطين مذهب السنة .

(٣) خطط (ج ١ ص ٤٦٠)

(٤) وهو أحد المصوفين . ويرى عنه أنه قال ما فى الجبة غيراته — معنى جبهه — وقد قتل من أجل ذلك .

(٥) سنخلم من هذا القسط فى الباب السابع .

(٦) المقرئى (خطط ج ١ ص ٤٠٨)

ويحدثنا المقرئ عن مؤلف كتاب "الفخائر" الذي زار هذه المكتبة فيقول : " وكنت بمصر في الفسطاط في العشر الأول من المحرم سنة إحدى وستين وأربعمائة ، قرأت فيها خمسة وعشرين جملا موقوفة كتبها حرسلة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي ، فسألت عنها ، فصرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين^(١) عما يستحقانه وعلمانيهما .

هذا ، ويستطرد بعض من شاهد ذلك بنفسه فيقول : " إن الكتب التي قلت إلى دار الوزير ولفه خمسة آلاف دينار ، بلغت قيمتها أكثر من مائة ألف دينار .

أضف إلى ذلك أن الكتب التي كانت بدار العلم وغيرها من الكتب التي صادت إلى عماد الدولة بن أبي الأفضل بن المحرق والتي حملها معه إلى الاسكندرية^(٢) ، وكلنا الكتب التي ظفرت بها بنو أوائمة ، كان خسارة فادحة لحقت بدور الكتب .

ذلك أن عددا عظيما من هذه الكتب قد بيع أو نهب ، أو حمل في النيل إلى الاسكندرية سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٨ - ١٠٦٩ م) وما بعدها . ويقول هذا المؤرخ إن عددا غير قليل "من الكتب الجلية المقدار المدومة المثل في سائر الأمصار صحة وحسن خط وتجليدا وخرابة" ، قد اتخذ من جلودها عيهم وإماؤهم نعالا وأحذية ، ثم أحرقوا أوراقيها ، زعما منهم أنها تحوى كلام المشاركة الذي يخالف منهم^(٣) (يعني أهل السنة) .

وقصارى القول ، فإن الكتب التي كانت بمكتبة القصر ودار العلم ، إما أن تكون قد سرقت أو أغرقت في النيل ، أو حملت إلى سائر الأقطار ، أو آلت إلى الإحراق . أما ما تعرض منها لجزء فقد سفت عليه الرياح التراب ، فصار تلالا عرفت بتلال الكتب^(٤) .

وقد بدأت هذه المحن التي حاقت بجميع الكتب (بمكتبة القصر ودار العلم) سنة ٤٦١ هـ ، وتوالت عليها سنون عدة . على أنه في الوقت الذي سقطت فيه الدولة الفاطمية ، أي بعد هذه الفترة التي تحللت سق ٤٦١ و ٤٦٥ هـ بنحو قرن ، كانت لا تزال هناك مكتبة كبيرة في قصر الماضد آخر الخلفاء الفاطميين .

(١) يحدثنا ابن ميسرة أن أبا غالب عبد الظاهر بن فضل بن الموفق في الدين تول الوزارة ثلاث مرات ، ونقل في قس اليوم الذي قل فيه ابن حمدان .

(٢) نقلت هذه الكتب إلى بلاد المغرب بعد وفاته .

(٣) المقرئ (خط ج ١ ص ٤٠٩)

(٤) شرحه .

ويظهر أن هذه المكتبة قد استعادت شيئا من سابق عظمتها وروائها ، إما باسترجاع بعض كتبها التي ضاعت في هذه المحن ، أو بإضافة كثير من الكتب الجديدة . يؤيد هذا القول ما أجمع عليه المؤرخون من أنه كانت هناك سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) مكتبة عظيمة في قصر آخر الخلفاء الفاطميين ، وأن هذه الكتب قد تم بيعها شيئا فشيئا على يد رجل خبير يدعى ابن صورة ، واستغرق هذا البيع بضع سنين .

ولم يبق من هذه الكتب شيء كثير : فمنها ما حل إلى المدرسة الفاضلية التي أسسها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اليبساني^(١) سنة ٥٨٠ هـ . ويحتملنا المقرئ أن المكتبة التي كانت بهذه المدرسة قد اشتملت من الكتب على ما يقدر بمائة ألف مجلد ، آلت كلها إلى الضياع سنة ٦٩٤ هـ (١١٩٤ — ١١٩٥ م) في غضون المجاعة التي أصابت البلاد في ذلك الوقت ، إذ باع طلبة هذه المدرسة جميع ما كان فيها من الكتب ، وكانوا يبيعون كل مجلد برغيف^(٢) .

وقد اختلف المؤرخون في مسألة عدد الكتب التي كانت بمكتبة القصر في ذلك الوقت : فذكر أبو المحاسن^(٣) أنها بلغت مليون مجلد ، وقال ابن واصل إن هذه المكتبة اشتملت على مائة وعشرين ألف مجلد^(٤) ، وبذلك خالف ابن واصل وأبو المحاسن غيرهما من المؤرخين من أمثال ابن أبي طي^(٥) وابن الطوير وعبد الدين الأصفهاني^(٥) ، فقد ذكروا أن هذا العدد بلغ مائتي ألف (٢٠٠,٠٠٠) ومائة ألف (٦٠٠,٠٠٠) ومليون (٢,٠٠٠,٠٠٠) على التوالي .

(١) كان شاعري المذهب . تقلد أبيه قضاء بيسان (وهي بقعة من بلاد الأردن بين حوران وفلسطين) ، ومن هذا القضاة اشترى اسمه (اليبساني) نسبة إلى هذه المدينة . قدم القاهرة ، وعظم في ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الحافظ الفاطمي (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ و ١٠٣٠ — ١٠٤٩ م) ، وترقى حتى صار صاحب هذا الديوان . ولما قدم أسد الدين شيركوه الديار المصرية ، أخذه كاتباً له (سكرتيراً) . فلما مات أسد الدين وآلت الوزارة إلى صلاح الدين ، استنصر اليبساني واستعان به في إزالة الدولة الفاطمية ، ثم جعله وزيراً له وبشيراً ، فظل في الوزارة إلى سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) ، حيث مات وهو في طريقه لقتال الملك الناصر بن أيوب ، وكان إذ ذاك يسير لأخيه مصر . ابن خلكان (ج ١ ص ٣٥٧ — ٣٥٩) والمقرئ (غرر ج ٢ ص ٣٦٦ — ٣٦٧)

(٢) شرحه (ج ٢ ص ٣٦٦)

(٣) طبعة بحريغول (ج ٢ ص ٤٨٢)

(٤) ابن واصل ، المكتبة الأهلية بإدريس ، مخطوط ١٧٧٠ ، ورقة ٣٢ ب .

(٥) ذكر أبو شامة ، قتلان عماد الدين الأصفهاني ، أن بيع مقتنيات القصر استغرق عشر سنين ، وأنه قد خصص يربان في الأصابع لبيع الكتب بطريق المساواة ، فبيعت بأبخس الأثمان . وتبهرت المجلدات — وبمضي يشتغل على تحمين جزءا في شق الأمان — حتى استحال جمع كل أجزاء الكتاب الواحد . ويريدنا عماد الدين الأصفهاني أن هذه الكتب كانت تباع بالوزن (أبو شامة ، طبعة القاهرة ج ١ ص ٢٦٨)

هذا ، ولا يعزب عن أذهانتنا ماسبق أن أوردناه عن المقرئى : وهو أنه بعد سقوط الدولة الفاطمية ، حمل من مكتبة القصر مائة ألف مجلد إلى المدرسة الفاضلية التي تأسست سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م)^(١) .

وهذا ما يجعل ذلك التقدير الذى أتى به ابن واصل غير صحيح . بيد أن العدد الذى ذكره ابن الطوير هو ثلاثة أمثال العدد الذى ذكره ابن أبي طى ، في حين أن العدد الذى أوردته عماد الدين الأصفهاني يبلغ عشرة أمثال ما أتى به ابن أبي طى .

لكننا لو طرحنا عدد الكتب التي حملها البساسى من هذه المكتبة ، وهو ١٠٠,٠٠٠ مجلد ، من مجموع الكتب الذى ذكره ابن أبي طى ، وهو ٢٠٠,٠٠٠ مجلد ، لما بقى لأبن صورة الا عدد قليل جدا يتولى بيعه على مر السنين . وكيف يعقل هذا اذا علمنا أن مدرسة واحدة وهي الفاضلية كان نصيبها نصف مجموع هذه الكتب ؟ أضف الى ذلك ما ذكره ابن ميسر^(٢) ، وهو أنه لما مات الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ، صادر الخليفة الأمر كافة ممتلكاته ، فكان من ضمنها خمسمائة ألف مجلد (٥٠٠,٠٠٠)^(٣) نقلت كلها الى مكتبة القصر .

وليس من السهل أن تأتي بإحصاء دقيق لهذه الكتب ، اذا عرفنا أن هذا التقدير الذى أتى به المؤرخون على اختلافهم يشير الى ظروف عدة ، أى قبل هذه المجاعة التي انتابت البلاد في أيام الخليفة المستنصر (٤٦١—٤٦٥ هـ) وبعدها ، وكذا قبل سقوط الخلافة الفاطمية (٥٦٧ هـ) وبعده .

ويظهر لنا أن العدد الذى أوردته ابن الطوير : وهو ٦٠٠,٠٠٠ ، يقرب من العدد الحقيق لهذه الكتب ، الذى كان في هذه المكتبة في هذه الظروف كلها .

ومهما يكن من الأمر ، فلا شك في أنه كان في القصر وفي دار العلم مجموعة عظيمة من الكتب ، الغرض منها تعضيد نشر عقائد الفاطميين وتثبيتها بالناس . ولا غرو فقد غنى الفاطميون

(١) المقرئى (خط ج ٢ ص ٣٦٦)

(٢) تاريخ مصر (ص ٥٧)

(٣) ذكر باوق في كتابه ارتداد الأدب (ج ٥ ص ١٥٠) أن مكتبة الوزير أبي القاسم بن مباد الخوفا سنة ٣٨٥ هـ

(٩٩٥ م) (ابن خلكان ج ١ ص ٩٢—٩٥) اشتمت على ٢٠٦,٠٠٠ مجلد .

عناية خاصة بإزدياد عدد الكتب والحصول على النسخ القليلة النادرة كما قلنا ، حتى أتيج المكتبة القصر في القاهرة أن تنافس وتبذل غيرها من المكتبات في العالم الاسلامي^(١)

على أن ضياع هذه المجموع جعل من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، على الباحثين في تاريخ الفاطميين في مصر أن يقفوا وقفا تاما على تاريخ الأباطورية الفاطمية العظيمة . فالأيوبيون السنيون الغلاة ، الذين كانوا أعداء ألداء للشيعية ، لم يحاولوا القضاء على الشعار الشيعة فحسب ، بل عملوا على إزالة كل معالم الحضارة الفاطمية وثقافتها .

التعاليم الفاطمية في القصر :

كان داعي الدعاة في عهد الفاطميين من كبار الموظفين ؛ وكان على قاضي القضاة في الرتبة وتربا بزيه . وكانت وظيفة قاضي القضاة وداعي الدعاة تسمندان في كثير من الأحيان الى رجل واحد . وقد خصص لداعي الدعاة قسم كبير من قصر الخليفة . وكان يساعده في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر قفيا ، كما كان له نواب يتويعون عنه في البلاد .

وكان فقهاء الدولة تحت تهوذه ، ولم يكن خاص بالقصر : هو دار العلم ؛ فكانوا يتصلون به ويتلقون عنه الأوامر ، ويقدمون اليه في يوم الاثنين والخميس ما أعدوه للحاضرة في أصول المذهب . ويحذرنا أن نلاحظ أن هذه المحاضرات كانت تعرض قبل القائها على الخليفة ، فيقرأها ويذيلها بمضاميه ، ثم تبلغ اليهم عن طريق داعي الدعاة الذي كان يعرضها بنفسه^(٢) .

وكان داعي الدعاة يعقد المجالس ويقرا على الناس من مصنفاته ، ويجلس على كرسي الدعوة في الإيوان الكبير فيحاضر الرجال ، ويعقد للنساء مجلسا خاصا هو مجلس الداعي ، وفيه يلقيهن أصول مذهب الاسماعيلية .

لم يكن ذلك كل ما قام به الفاطميون في هذا السبيل . فقد ذكر لنا المقرئ قسلا عن ابن عبد الظاهر ، أن هذه المجالس كانت تفرد للناس كل حسب طبقة : فكان لآل على مجلس ،

(١) ذكر الأستاذ نيكلسن في كلامه عن مكتبة الحسك الثاني في أسبانيا : " كان القرن العاشر الميلادي عصر لإزهار وجماء في تاريخ الأندلس ... وكان الحكم عبا لكيب شغوا باقتنائها . وكانت يرسل عماله الى مختلف النواحي لا يتابع المخطوطات ، بل جمع من وراء ذلك أوجهة ألف مجلد أودعها قصره الذي خص بمنازل الكتب وبالنسخ والمجلدين " .

(Literary History of the Arabs, p. 419).

انظر أيضا ابن خلدون (ج ٢ ص ١٤٦) والمقرئ : فتح الطيب (ج ١ ص ١٨٢)

(٢) المقرئ (مخط ج ١ ص ٣٩١)

ولخاصة وشيوخ البوالة مجلس ، ولأن يتصل بالقصور من الخدم وغيرهم مجلس ، وللعامة والطارئين من البلاد الأجنبية مجلس . ولهم وخواص نساء القصور مجلس خاص بهن . وكان النساء يحضرن في الجوامع الأزهري^(١) .

وأذا فرغ داعي الدعوة من إلقاء محاضرته على المؤمنين والمؤمنات ، أقبلوا عليه فيقبلون يده ، فيسمح على رؤوسهم بالجزء الذي عليه إمضاء الخليفة . ومن خصائص داعي الدعوة جمع النجوى^(٢) من الاسماعيلية ، وأن يكون اسم من يدفع إليه أكثر من المال المقرر ؛ وفي عيد الفطر كان يجمع مال كثير يودع بعضه في بيت المال^(٣) .

ويظهر أن الفاطميين هم أول من أفرغ لداعي الدعوة مكانا كبيرا في القصر : ذلك أنه في ربيع الآخر سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) في خلافة العزيز ، قُدد قاضي القضاة محمد بن النعمان وظيفته الدعوة إلى المذهب آل البيت في القصر ، كما كان أخوه الحسين في القاهرة وأبوه في بلاد المغرب . ويحدثنا المقرئ عن المسبحي أن الزمام اشتد بالناس فبات منهم أحد عشر رجلا^(٤) .

وقد لاقت الدعوة الفاطمية السياسية منها والدينية نجاحا عظيما في خلافة الحاكم بأمر الله ؛ فقد بذل مجهودا كبيرا في سبيل نشر هذه الدعوة ، حتى لقد أرفق كثيرا من الناس على اعتناق المذهب الفاطمي بما سته من القوانين الجائرة . كما كان من أثر إقبال الناس على الدخول في هذه الدعوة أن جعل لهم يومان في الأسبوع تلتقي تعاليم هذا المذهب^(٥) . وفي السادس عشر من رجب سنة ٣٩٧ هـ (٩٣٨ م) صرف قاضي القضاة عبد العزيز النعمان ، وأقر في الدعوة مكانه مالك ابن سعيد الفاروق ؛ فسلم منه كتب الدعوة التي كانت تقرأ على الناس في القصر^(٦) .

أما كتب الدعوة التي يشير إليها المقرئ ، فهي من غير شك الكتب التي ألفوها رجال من أمثال أبي حنيفة النعمان المغربي ويعقوب بن كلثوم ؛ وقد وصف لنا المقرئ نسخة من كتاب ابن كلثوم

(١) المقرئ (خط ج ١ ص ٣٩١) .

(٢) زاد المقرئ (خط ج ١ ص ٣٩١) على هذا قال : إن النجوى كانت ثلاثة دراهم وثلاث ؛ ومن مرآة الاسماعيلية من دفع النجوى ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاث دراهم ، فيمتاز بذلك عن غيره في الدول ، ويسمى رقعة مديلة بأضواء الخليفة ، وفيها ما يأتي : " يارك الله فيك وفي مالك ووليك ودينك ! " ، فيستر ذلك ويخبره .

(٣) شرح (ج ١ ص ٢٩١)

(٤) المقرئ (خط ج ١ ص ٣٩١ وج ٢ ص ٣٤١ - ٣٤٢)

(٥) و (٦) شرح (ج ٢ ص ٢٨٦)

كانت في حوزته . هذا ، ويجب أن نشير هنا الى وثيقة أخرى لها أهمية عظيمة ، وهى الرسائل المخطوطة بدار الكتب الملكية بالقاهرة^(١) وعنوانها : "رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بأمر دعوته" . وأنا أشك في أن هذه الرسائل الموجودة بدار الكتب الملكية بالقاهرة هى نسخة ثانية من المجلد الأول للمخطوطات الأربعة التى اعتمد عليها دى ساسى في كتابه *Exposé de la Religion des Arabes و Chrestomathie Arabo Druzes* . فقد ذكر لنا دى ساسى في الكتاب الأول أنه لم يطلع من المخطوطات التى تناول الكلام على الدروز الا على ما يوجد منها بمكتاب أوروبا فقط .

"Jo ne puis dispenser de faire connaître sommairement ces différents écrits ; et d'indiquer les manuscrits des diverses bibliothèques de l'Europe dans les quels ils se trouvent." (٢)

ولست هذه المسألة مما يحيط من قدر بحث هذه الرسائل الموجودة بدار الكتب الملكية بالقاهرة ؛ لأننى اقتصرت في بحثها على اقتباس بعض العبارات التى لم يتصد دى ساسى ولا غيره من المؤرخين لترجمتها أو بحثها بشئ من الإسهاب . والمخطوط الذى اطلع عليه دى ساسى هو بالمكتبة الأهلية بباريس تحت أرقام ١٥٨٠ و ١٥٨١ و ١٥٨٢ و ١٥٨٣ و ١٤١٩ ، ١٤١٥ ، ١٤٠٨ ، *(Ancien fonds, io. 1408, 1415, 1419, 1583 و 1582 و 1581 و 1580)* على التوالى ، وعنوانه : "تخيل المشاهد والأسرار التوحيدية لمولانا [الحاكم]" (٣) .

والمجلد الأول من مجلدات هذا المخطوط يشتمل على ست وعشرين رسالة ؛ ويكاد يتفق في ست عشرة منها مع مثيلاتها من رسائل المخطوط الموجود بدار الكتب الملكية بالقاهرة . على أن دى ساسى اقتصر على ترجمة أربع من هذه الرسائل (٤) ؛ أما الأخرى فإنه تناول الكلام عليها بشئ كثير من الإيجاز ؛ فذكر خلاصة كل منها ، وشرح موضوعها ، وذكر التاريخ الذى دقت فيه (٥) .

(١) هذا المخطوط الذى يتولى على ٦٤ ورقة يشتمل على عشرين رسالة ، ويوجد بدار الكتب الملكية بالقاهرة (مخطوطات الشيعة) رقم ٧ .

De Saacy : *Exposé*, Tome I. pp. ccccliv. (٦)

Ibid : Tome I. pp. cccclxx. (٧)

Chrestomathie Arabo, Tome II. pp. 208-226 (٨)

Exposé, Tome I. pp. cccclxxi-ccccxxii (٩)

فقد ذكرت هذه التواريخ حسب تقويم حزة بن على فى الزمان وقائم الزمان (De Saacy : *Chrestomathie Arabo*, Tome II. p. 248, n. 71).

والسنة الأولى من تقويم حزة توافق سنة ٤٠٨ هـ (Tome II. p. 246, n. 73) . ويسمى حزة أيضاً الامام حزة ابن على - المكتبة الملكية بالقاهرة ، مخطوط ٧٠ ، ورقة ٢١ (ب) . وهذه الألقاب بخاتم الزمان وولى ، أضى حزة بن على ، قد ذكرت بوضوح في الرسالة التاسعة عشرة من المخطوط الموجود بالقاهرة ، ورقة ٩٤ ب (ب) حيث يقول : "توسلت اليه بولي قائم الزمان حزة بن على" .

وسمحت الآن في الأساليب التي اتخذها الخلفاء الفاطميون في سبيل تأييد عقائدهم ، والطرق التي اتبعتها أشياعهم في هذا السبيل ، معتمدين في ذلك على خطوط القاهرة ، ومنها يتجلى للقارئ ما ادعاه الحاكم من صفات الألوهية . ولا غرو فقد أصبح قسم كبير في القصر مركز حركة الدعوة الفاطمية . وفي هذا المكان كان داعي الدعاة وأعدائه يلتقون الناس تسالم هذا المذهب في أوقات منتظمة .

أما الالهجة التي كتبت بها هذه الرسائل ، فإنها تملأنا على ما توقعه الفاطميون من مقاومة الأهلين ، وما تباؤا به أيضاً من معارضة من الجانب الأعظم من المصريين . يؤيد هذا القول ما جاء بهذه الرسائل عن الحاكم وأهل مصر: "وتتقره عن سوء الظنون ؛ إشارة ذلك أنه لما غاب ، ظنوا به ظن السوء من العجز والعدم والظلم" (١)

هذا ، وقد قرئت هذه الرسالة بعد أن قام النرزي (حزبة بن علي) بتعليم العقائد الجديدة التي انتظمها الحاكم الذي ظهر سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) بصورة التوحيد ، على ما يتبين من هذه العبارة : "فلبا غاب مولانا الحاكم بصورة التوحيد انكشف المكنون : الإشارة الى قيامه في الكشف سنة ثمان وأربعمائة ، انكشف المكنون ، يعني التوحيد ، واستمر مكنونا من غيبة الباري" (٢)

وهذه الرسائل قد بنيت على آراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية والمعتزلة ؛ لأن الفلسفة ، وهي أساس الشريعة عند الفاطميين ، قد حلت في عهد الحاكم محل القرآن والسنة . وعما تختص به هذه الرسائل ما جاء فيها من أن داعي الدعاة كان يصاحبه مائة وواحد وخمسون داعياً ، فضلاء قام به المؤذنون وخطباء المساجد في سبيل نشر الدعوة الفاطمية (٣) .

والرسالة الأولى ليس لها عنوان يدل على موضوعها ؛ ولكنها بمثابة تمهيد لما تلاها من الرسائل ؛ وهي تبرز للكلام على ما استجد في عهد الحاكم من عقائد . ويقول كاتب هذه الرسالة :

(١) رسائل الحاكم بأمر الله ، خطوط الشجرة ، المكتبة الملكية بالقاهرة ، خطوط ٢٠ ، ورقة ٤٣ ؛ ١

(٢) يدل فقط "كشف" على الفترة التي كانت من اخفاء الحاكم الى وقت دعوته وانظروا ديبه الجديد للناس . وقد ذكرى سامي (Chrestomathie Arabe, Tome II, p. 276, n. 144) أن هذه الفترة يمر هنا في كتب المدروز بالكشف .

(٣) شرحه ، ورقة ؛ (ب) .

بعد ذلك فسر لنا الداعى كلمة إمام التى تقوم مقام "نومعة" ، وهو العقل الكلى الذى يرى الدعاة ، وعنه يتقون العلم (لأن السابق الحقيقى هو الإمام الأعظم... الذى هو العقل الكلى .. أن الامام الكلى هو الذى يرى الدعاة ... يأخذون العلم ، يعنى الدعاة) .

وفى الرسالة الثانية (رسالة النساء) يؤكد الداعى خطر تمدد الآلهة ، ويدافع عن ضرورة الاعتقاد بوحدانية الحاكم (الخالى الرازق)^(١) و (علام النبوء)^(٢) ، ثم يستطرد الداعى فى الكلام فيقول : "والمراد بالدين هنا المجالس والسجلات"^(٣) . ومن هنا يتبين أن الدين الاسلامى قد عطل فى عهد الحاكم ، وعمل بدين جديد مبنى على التعاليم التى قام بها دعائه ، والتى شرحها الشراح فى مجالس الحكمة ، وفى الوثائق التى قامت مقام القرآن والحديث .

والرسالة الثانية تبين لنا أيضا أن مجالس الحكمة إنما كانت تتخذ لتعليم طائفة من الناس أصول مذهب الباطنية ، لئلا يتجنبوا بذلك معارضة السواد الأعظم من المصريين . ومع ذلك فإنه يظهر لنا من نفس هذا الكتاب أن روح السخط قد ظهرت بين المصريين ، بل ولم تلاق هذه السياسة قبولا عند قاضى القضاة عبد العزيز النعمان ، فكان نصيبه أن عزله الخليفة سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) ، وأقر مكانه مالك بن سعيد .

وكان من عزل ابن النعمان أن لعن فى هذه الرسالة . على أن الفارق لم يصادف من النجاح شيئا ، فلحق بسلفه بحجة أنه لم يعتقد بصحة مذهب الحاكم ، ولأنه اعتصب أموال اليتامى . ويتبين ذلك مما جاء فى هذه الرسالة حيث يقول الداعى الذى كتبها :

"لأن المجالس الباطنية لا تهرأ على كل الناس" ... وعبد العزيز كان قاضى مصر ، ثم بعده تولى مالك بن سعيد قضاء مصر... فنظرنا الى قولهم قم من تيوس بنى أمية ... وجدناه عبد العزيز محمد بن النعمان ... ولد عبد العزيز فى أيام العزى أيضا الى أيام الحاكم ، وعزله سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ، وولى مكانه مالك بن سعيد آكل أموال اليتامى والمتبرئ من دين الرحمن"^(٤)

(١) رسائل الحاكم بأمر الله ، ورقة ١٢ (ب) .

(٢) شرحه ورقة ١ (ب) .

(٣) شرحه ورقة ١٠ (ب) .

(٤) شرحه ورقة ٨ (ب) .

لقد كان من أثر هذه السياسة التي سار عليها الحاكم أن أبطلت مجالس الحكمة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ^(١) . نعم ! قد حال دون نجاح الفاطميين ما كان من مقاومة السواد الأعظم من الأهلى واستهجان فريق من علية القوم لهم . ولا عجب في ذلك ؛ فقد بلغت الجراة بالحاكم أن أبطل الأديان كافة ، وطلب الى الناس اعتناق مذهب الذى بنى عليه هذه الكتب التى كانت تتلى فى مجالس الحكمة .

وقد جاهر دعاة الفاطميين بهذا المذهب الجديد (واضطهعت المجالس... أهل التأويل والأقوال الباطلة من جهة المقام جل ذكره والكاتب... ^(٢)) وهذه الفصول التى تقدمت جميعها تشير الى بطلان الشرائع ودحض الألوهىة من الأساس ^(٣) ... والمراد بالدين هنا المجالس والسجلات ^(٤) .

أما الرسالة الثالثة عشرة وعنوانها "المناجاة" ، فهى تشتمل على الدعاء الذى كان يقوله المؤمنون فى مجلس الحكمة . أما الداعى فانه يث الدعوة بين الناس ، مؤيذا ألوهىة الحاكم ومسمىته (سرمدى الثبات) ^(٥) ، وضيها من الصفات التى هى من صفات الله سبحانه .

فكان الحاكم فى نظر هذا الداعى هورب العرش ^(٦) (فانت صاحب العاجلة ، أى الدنيا ، وإليك حكم الآجلة ، أى الآخرة) ^(٧) ، و (بارى البرايا) ^(٨) . ولا شك فى أن غرض الداعى كان حث الناس على اعتناق مذهب الحاكم ونبذ غيره من المذاهب (التى هى باطل وزور) ^(٩) .

والرسالة الرابعة عشرة ، وعنوانها "الدعاء" ، كتبت بنفس الأسلوب والروح الذى كتب به ما سبقتها من الرسائل ، وفيها يوضح الداعى الاصطلاحات التى كان يلقنها من يدين بمذهب الحاكم . ويجذف هذه الشروح المطولة التى لا حاجة الى نقلها لطولها يصبح الدعاء كما يأتى :

(١) القزرى (خطوط ١ ص ٤٥٨) .

(٢) المكتبة الملكية بالقاهرة ، خطوط ٢٠ ورقة ٨ (ب) .

(٣) شرح ، ورقة ١٠ (أ) .

(٤) شرح ، ورقة ١٠ (ب) .

(٥) شرح ، ورقة ٢٠ (أ) .

(٦) شرح ، ورقة ٢٢ (أ) .

(٧) شرح ، ورقة ٢٥ (أ) .

(٨) شرح ، ورقة ٢٧ (ب) .

(٩) شرح ، ورقة ٢١ أوما يتبعها .

«مبجاناتك بامبدع الأشياء ، يا مخترع العالمين ، يا صفوة العالمين ! سبحانك يا من تميز بالكبرياء والجللوت ! سبحانك يا من تعظم أن يكون كنهه شيء ، أو يلحقه وصف واصف ! سبحانك يا من تعالى عن المساوى ! سبحانك يا من لا تلحقه صفة ولا له صفة ! شهدت وأمنت وأيقنت بأنك الله المبدع العزيز الواحد الأحد ، وأنت باري لا باري لك ، وخالق لا خالق لك ، وقادر لا مقدور عليك ، وحاكم لا محكوم عليك . أسألك يا مولانا وسيدنا بعظيم جلال قدرتك ونور سلطانك ؛ أسألك يا مولانا بأول شيء ظهر من توحيدك وتزييك وفق التشبيه عنك ، أن تمنح عليّ بمخالص معرفتك وحيد طاعتك ، والبلوغ إلى مرضاتك والثبات على أمرك والتجنب لثيبك ، والصبر على ما ينالني في عبادتك من شدائد المحن والبلوى . يا أرحم الراحمين ! بمحكك عليّ من يعرف هويته عن تسميحه وتمجيدك إلى سواك . لا أصرف فاني إلى غيرك ، ثائب إليك معترف بالوحيثك ، متبرئ من كل عدوك ؛ لا شريك لك ولا دافع لأمرك ؛ تجاوز فني واغفر ذنبي ، واجعل معرفتك التي منلت بها عليّ مخلدة في قضي . لا إله غيرك ولا معبود سواك»^(١).

وهكذا كانت الدعاء الذي قام به الداعي في القصر والمؤمنون بوحداية الحاكم . ومع ذلك فقد أنكر كثير من الناس هذه الصفات ، على ما يشير إليه كاتب هذه الرسالة . بيد أن هذا الكاتب قد ذكر أن الحاكم ظهر في صورة إنسان ، وتسمى باسم إنسان ، وقام بأفعال البشر ، ثم تجرد عن صفاتهم . وأخيرا دعا الناس إلى الاعتقاد بالوحيثية وتزييه ، إذ صار البرهان المطلق . ويتضح ذلك من هذه العبارة التي نقلها بنصها :

«بني أنهم أنكروا بعد أن ظهرت الصورة عند الإثبات المحض ، يعني وجوده في صورة مرئية ظاهرة مكتشفة حيث صورنا ؛ وتسمى باسمائنا وظهر بجميع أفعالنا ، ثم تجرد عن صفات البشر ، ودعا الخلق إلى معرفته ووجوده وتزييه ، فصار إثباتا عضوا ، أي خالصا»^(٢).

(١) رسائل الحاكم بإمراته ، ص ٢٧ (ب) — ٣١ (١) .

(٢) شرحه ، ورقة ٣١ (ب) .

الباب الرابع

الدعاية الأدبية

تشجيع الشعراء والعلماء والكاتب بالصلوات والمناصب

١ - الكاتب والعلماء

لقد عُنى الفاطميون عناية عظيمة بالشعراء والكاتب وغيرهم من رجال الادب لنشر منعهم وإذاعة ما بلغت خلائقهم من أهبة وسلطان . وكان من بين هؤلاء عدد غير قليل من الكاتب ومن طبقة الموظفين المتصلين بديوان سر الخليفة (السكرية) أو بدار العلم ؛ وكان الخلفاء يميزون لهم الأموال الكثيرة ويحويون عليهم بالنخل .

ولقد أتى لنا الفقهشندى ببيان رواتب الموظفين ، ومنه يتبين لنا أن الكاتب كانوا يتقاضون رواتب كبيرة ، فضلا عما كان يقدق عليهم من هبات ويبلغ لهم من ارزاق . فكان صاحب الانشاء والمكتابات يتقاضى راتبا شهريا قدره مائة وخمسون ديناراً ؛ وكان يتقاضى كل كاتب من الكاتب الذين يعملون تحت ادارته ثلاثين ديناراً^(١) .

وعلى صاحب الانشاء^(٢) في الرتبة صاحب القلم الدقيق الذي كان يوقع على المظام ويمالس الخليفة في خلوته ، فيذكره ما يحتاج اليه من كتاب الله أو سير الأنبياء والخلفاء وعظماء الرجال ، ويحده عن مكارم الأخلاق ويسلمه تجويد الخط . وكان راتبه مائة دينار في كل شهر .

(١) الفقهشندى : ص ٣٤٠ (ج ٣ ص ٤٩٠)

(٢) زاد الفقهشندى على ذلك أن هذا الكاتب كان يطلق عليه أيضا اسم صاحب القلم الشريف ؛ ومن واجباته عمل المكتابات الواردة ، ثم عرضها على الخليفة ليتمها واحداها . ويستشير الخليفة في أكثر أموره (ج ٣ ص ٤٩٠) . وقد ذكر ابن ميسر (ص ١١٣) أن كاتب الانشاء كان يطلق عليه كاتب السر ، وأن أبا الفرج محمد بن جعفر المغربي كان أول من لقب بهذا القب في عهد المستنصر الفاطمي سنة ٤٥٤هـ (١١٠٩ م) .

وأذا جلس وضعت أمامه دواة محلاة بالنهب والفضة ؛ فإذا انتهى المجلس ألقى في هذه الدواة كاغدة فيها عشرة دنانير ، وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل ند (ممزوج بالمسك) ليتجر به عند دخوله على الخليفة في المرة التالية .

وفي الشطر الأخير من الخلافة الفاطمية ، حين أصبح الوزير صاحب السيف والقلم ، كان يجلس الوزير للظالم ، وإلى جانبه صاحب القلم الدقيق يقوم مقام كاتب السر ، وكانت له سلطة التوقيع تحت توقيع الوزير ، بل والنظر في الشكاوى قبل انعقاد الجلسة^(١) .

وعلى صاحب القلم الدقيق في الرتبة صاحب القلم الجليل^(٢) ، ومهمته تسلم رفاع المظالم من صاحب القلم الدقيق ووضعها في الصيغة القانونية قبل أن تمرض على الخليفة للتصديق عليها^(٣) .

وكان الكتاب يختارون عادة ممن اشتهروا بسعة الاطلاع في الأدب ، ويمتازون بالمقدرة في فن الانشاء ، كما كانوا من كبار رجال الدولة ممن تجرى عليهم الصلات والمبات .

٢ - الشعراء

(١) الشعراء في الصدر الأول من عهد الفاطميين

(٣٦٢ - ٤٦٦ هـ ٩٧٢ - ١٠٧٣ م)

(١) الشعراء في عهد المعز :

أكثر رجال الأدب في قول الشعر مدح الخلفاء الفاطميين ، لما كان ينفقه هؤلاء من العطايا الجزيلة والخلع والجوائز والأرزاق المخصصة لهم . ولقد دفعت الرغبة في الحصول على هذه الجوائز والمبات بالشعراء من أهل السنة إلى محاكاة الشعراء الشيعة ، فاصطلح بعضهم بيلاط الخلفاء الفاطميين . على أن الشعراء السنيين ، وإن كانوا في مدحهم أكثر اعتدالا من الشيعة كابن هاني وغيره ، فقد انتشر الغلو في شمرهم للاشادة بمجد الفاطميين . وكثيرا ما دفع بهم هذا الغلو إلى الكفر والإلحاد .

(١) التلخيص (ج ٣ ص ٤٩١)

(٢) ولأن هذه العبارة تدل على أن هذا الموظف كان أهل في المرتبة من صاحب القلم الدقيق ، إلا أن مرتبته كانت في الواقع أدنى من مرتبة صاحب القلم الدقيق ، إذ كانت تسمى الخدمة الصغرى .

(٣) شرحه (ج ٣ ص ٤٩١ و ٤٩٢)

ولما كان ابن هاني^(١) أول من ضرب المثل في ذلك لغيره من الشعراء الذين جاؤوا بعده ، رأينا أن تأتي بشيء من سيرته ، عسى أن نكتين تلك العناية العظيمة بالشعر والشعراء التي كانت تظهر لدى الخلفاء الفاطميين في نشر دعوتهم ونجاح سياستهم . ولقد ناطلنا بـابن هاني الآمال الجبار ، عساه أن يحاكي الشعراء العباسيين ويذهبهم . يؤدي هذا القول أنه لما بلغت الممزر وفاة ابن هاني وهو بمصر ، أسف عليه أسفا شديدا وقال : « هذا الرجل كان نرجوا أن تهاجر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك »^(٢) .

ولا شك في أن الممزر قد أصاب فيما قاله ؛ لأننا إذا تصفحنا ديوان ابن هاني الذي يقع في مائتين وست وأربعين صفحة ، ألقينا أن أكثره قد نظم في مدح الممزر وأسرته . وليس لدينا دليل تاريخي على أن ابن هاني قد اعتنق مبادئ المذهب الشيعي في صباه . غير أنه لا بد أن تكون نفسه قد أشربت روح المطف على هذه العقائد ؛ بلك على هذا ما كان من إظهار هذه المواقف حال وصوله إلى بلاد المغرب .

ويظهر لنا أن ابن هاني أصبح شيعيا متحمسا لهذا المذهب استمرارا لكرهم ، لا حبا في عقائدهم واستمساكا بها ، حتى لقد ذهب به هذا التحمس إلى أن ينسب لحسامه من صفات التشيع ما أنسبه إلى نفسه . وقد تكلم عن ذلك في هذين البيتين :

(١) أبو القاسم ، ويحب بأبي الحسن أيضا ، هو محمد بن هاني ، من قرية أزد . ولد في إشبيلية في بلاد الأندلس قاضي بها أيام صباه . وكان أبوه هاني من قرية من قرى المهديّة في ثمال إفريقيا (في بلاد تونس الآن) . وقد سجلت مواهبه في الشعر والفلسفة ، وانتقل إلى الأندلس ، فولد له محمد الذي أصله فيا بعد صاحب إشبيلية وحظي عنده ، وانهك في اللاذ وأتمم بذهب للفلسفة . ولما اشتهر به ذلك ، تم طيله أهل هذه المدينة وأغلوا بيتيوت الفتن بالملك بسببه ، حتى أتهمه الناس باعتناق مذهب هاني ، فأشار عليه الملك بالهجرة من هذه المدينة ويأوى إلى قرى الناس ما كان من أخباره . فرحل منها وله من المرسع وشعرون سنة (٣٤٧ أو ٣٥٣ أو ٣٥٨ أو ٩٦٤ م) ، فلق جوهر القائل ومنه . ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي أمير الحسيّة وإقليم الزواب ، ومن أخبار العلم والطب ، فبالنا في إكرامه والأحسان إليه ، فمضى غيره إلى المغرب لأخذ حياته والهاق بولاءه . وقد أخذ ابن هاني مسلكه لرسيل رسا يريد مصر . المصرية ، فتبعه ابن هاني ورجع إلى المغرب لأخذ حياته والهاق بولاءه . وقد أخذ ابن هاني مسلكه لرسيل رسا يريد مصر . فلما وصل برية أمانه شخص من أهلها ، فأقام عنده أياما في مجالس الأعراس والطرب . ويقول ابن خلكان أنهم عرفوا طيلة قتلوه . وفي رواية أخرى أنه نرج سكران ، فقام في الطريق فوجد ميتا في الصباح ، فلم يقف الناس على سبب وقته . وكان ذلك صحيحة الأرواء . الثالث والعشرين من رجب سنة ٣٦٢ (٢٠ أبريل ٩٧٣) ، وعمره ستون واثلاثون سنة ، وقيل أثنان وأربعون (يافتى — إرشاد (ج ٧ ص ١٢٦ و ١٢٧) ، ابن خلكان (ج ٢ ص ٥) ، القرطبي — فتح البلب (ج ٢ ص ١٠١) ، أبو الحسن — طيبة جو ينيك (ج ٢ ص ٤٣٧ — ٤٣٨)

(٢) ابن خلكان (ج ٢ ص ٥)

لى صارم وهو شئى كماله يكاد يسبق كراتى الى البطل
إنذا المعز معز الدين سلطه لم يرتقب بالمنايا مدة الأجل^(١١)

وربما كان أمر اعتناقه المنعجب الشيعى راجعا الى ما لقيه من عطف المعز وكرمه ،
كما يتبين لنا من إحدى قصائده فى مدح المعز ، حيث يذكر لنا كيف أخذ يتلمس السبيل الى المعز
طمعا فى صلاته وعطاياه ، فيقول :

٢٧ وطفقت أسأل عن أغر^(١٢) حميل^(١٣) فلما الأثام جيلة^(١٤) دهاء^(١٥)

٢٨ : حتى دُفعتُ الى المعز خليفة فاستُ أن المطلب الخلفاء

٢٩ جودُ كان ألم فيه فثاته^(١٦) وكأنا الدنيا عليه غشاء^(١٧)

ويقول ابن هاني فى قصيدة أخرى رائعة ، قيل إنها أول ما أنشد بالقيروان فى مدح المعز :

٢١ قد كان رشح حليده أجلا وما صاغت مضاربه الرقاق قيون^(١٨)

٢٢ وكأنا يلتقى الضريبة دونه بأس المعز أو اسمه المخزون

٢٣ هذا المعز متوجا والدين هذا مَعَد والخلاق كلها

٢٤ هذا ضمير النشأة الأولى التى بدأ الآلهه وغيها المكنون

٣٨ وصواهل ، لا المصطب يوم مئارها هضب ، ولا البيض الحزون حزون

٤٢ عرفت بساعة سبقها لا أنها علقّت بها يوم الزهان عيون

٤٣ وأجل علم البرق فيها أنها مرّت يما تحتيه وهى ظنون

(١١) ديوان ابن هاني* (ص ١٨٢)

(١٢) الأغر السيد فى قومه .

(١٣) التجميعيل بياض يكون فى قوائم القوس ، وقيل هو أن يكون اللباض فى ثلاث من دون الأخرى فى رجل ويدين

(١٤) الجيلة بمعنى الطليعة والخليفة والفرزة .

(١٥) من الدهمة وهى السواد .

(١٦) أتم البحر .

(١٧) الغداة البقرة .

(١٨) اللطاء أو يد . ديوان ابن هاني* (ص ٧)

(١٩) القيون الخدادون .

ملاحظة : الأرقام التى على يمين الأبيات تشير الى ترتيبها فى قصائدها .

- ٤٤ في النيث شبه من تذاك كأنما مسح على الاتواء منك يمين
٤٥ أما النبي فهو الذي أولتنا فكان جودك بالخلود وهين
٥١ وأنت له يُفوق أمية معلنا ما كل ما دون له مانون
٧٦ النور أنت وكل نور ظلمة والفقير أنت وكل فوق دون
٨٣ فارزق عبادك منك فضل شفاعه وأقرب بهم ذلي فانت مكين^(١)

وعلى هذا النحو نظم ابن هاني مدائحه في المعز معلما ما مره مشيدا بأحقية الفاطميين بالخلافة . وقد غلا في ذلك فنسب الى مولاة بعض صفات النبوة والألوهية . وبهذا مهد ابن هاني السبيل لمن جاء بعده من الشعراء . يدل على ذلك هذه القصيدة الطويلة التي أشتدها في حضرة المعز ، تنقل منها هذه الأبيات :

- ٣١ هو علة الدنيا ومن خلقت له ولسلة ما كانت الأشياء
٦٨ ولك الجوارى المنشأت مواثرا^(٢) تجرى بأمرك والرياح رثا^(٣)
٨٦ فنت لك الأبصار واقادرت لك ال أفئدة واستجيت لك الأنواء
٩٩ لا تسألن عن الزمان فانه في راحتك يدور حيث تشاء^(٤)

هذا ، ولم يفتر ابن هاني عن مواصلة مدحه للمعز ، ولكنا رأينا أنه يفرق فيجعله في مستزلة عيسى ومحمد ، بل وينسب اليه بعض صفات الألوهية ، كما يتضح ذلك في قصيدة أخرى حيث يقول :

(١) ديوان ابن هاني (ص ٢١١ — ٢١٦)

صداق ديوان ابن هاني هذه القصيدة مقدمة تغلها فإلى :

” روى أن هذه القصيدة أول ما أشتده بالقيروان ، وأنه (المعز) أمره بدست قيمة ستة آلاف دينار ، قال له : ” يا أمير المؤمنين ! مالي موضع يسع الست إذا بسط “ ، فأمره ببناء قصر ، فخرم عليه ستة آلاف دينار ، وحمل اليه آلة تشاكل القصر والست ، قيمتها ثلاثة آلاف دينار “ .

(٢) مقتبسة من القرآن سورة ٥٥ آية ٢٤

(٣) شرحه سورة ٣٧ آية ٣٦

(٤) ديوان ابن هاني (ص ٧ — ١١)

- ١٤ ندعوه منتقما عزيزا قادرا غفّار موبقة الذنوب صفوحا
٥٨ أنصمتُ لولا أن دعيت خليفة لدعيت من بعد المسيح مسيحا
٥٩ شهدت بمفخرك السموات العلى وتزل القرآن فيك مسيحا^(١)

وفي قصيدة أخرى يصف المعز فيشبهه بحمد ، ويشبه أشياؤه بأنصار النبي حيث يقول :

- ١ ما شئت لا ما شامت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار
٢ وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار
٦ هذا الذي تُجدي شفاعته ضلّا حقا وتحمّد أن تراه النّار^(٢)

ولم يفت ابن هاني أن يعل من شأن الانتصار الذي حازته جيوش المعز على جند البيزنطيين في سورية حيث يقول :

- ١ يوم حريص في الفخار طويل ما تنقضي غرر له ومحجول
٢٠ لو أبصرتك الروم يومئذ درت أن الإله بما تشاء كفيل
٢١ يا ليت شعري عن مقاولم اذا سمعت بذلك منك كيف هول
٢٢ ودوا ودادا أن فلك لم يكن صدقا وكل تاكل مشكول
٢٥ قل للمُسْتَقِي مور الجمع الذي ما أصدرته له قنا^(٣) ونصول
٢٦ سل رهط منويل وأنت غررته في أي معركة نوى منويل
٢٧ منع الجنود من التقول رواجبا تبأ له بالثنيات قُصُول
١٠٣ من يتلدى دون المعز خليفة إن الهداية دونها تضليل^(٤)

وبما قاله في ميد التحريمندح المعز ويذكر هذا العيد :

- ١٩ هذا ابن وحى الله تأخذ هديها عنه الملاك بكرة وأصيلا

(١) ديوان ابن هاني (ص ٣٤ - ٣٦)

(٢) شرح (ص ٩٦)

(٣) القنا الأع

(٤) شرح (ص ١٤٧ - ١٥٣)

٣٠ دَعَرَتْ مَوَاتِكُهُ الْجِبَالَ فَأَطْنَت هَضْبَاتُهَا التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ

١٠٨ وَطَلَّتْ مِنْ مَكُونٍ مَرَاهِقَهُ مَا لَمْ يُوْتْ فِي الْمَلَكُوتِ مِكَائِيلَا

١١٢ لَوْ كَانَ آتَى الْخَلْقَ مَا أَوْتِيَتْهُ لَمْ يَخْلُقِ التَّشْبِيهَ وَالتَّهْلِيلَ^(١)

هذا ، ولقد بلغ تمجيد ابن هانيَ الغزاقصى حد يمكن أن نتصوره ، حيث ينسب إليه القدرة على إتيان المعجزات فيقول :

١٤ فَقَدْ شَهِدْتُ لَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ كَمَا شَهِدْتُ لَهُ بِالْوَحِيدِ وَالْأَزَلِّ^(٢)

ويغلب على ظننا أن ابن هانيَ تأثر في عقائده بأراء الفلاسفة اليونان ، وأن كرم المعز أوحى إليه أن يشيد بذكر مآثر الفاطميين ، وأن يأخذ بنصيبه فيما قاموا به في سبيل نشر دعوتهن ، كما يتجلى ذلك في هذين البيتين من قصيدة قد تكون آخر ما نظمه هذا الشاعر ، وقد بسّط بها إلى المعز وهو بمصر فيقول :

٣١ وَرُوحٌ هَدَى فِي جِسْمٍ نَوْرٌ يُمِدُّ شُعَاعٌ مِنَ الْأَعْلَى الَّذِي لَمْ يُحْصَمْ

٣٦ فَأَقْسَمُ لَوْ لَمْ يَأْخُذِ النَّاسُ وَصْفَهُ مِنْ اللَّهِ لَمْ يُقَلَّ وَلَمْ يُتَوَهَّمْ^(٣)

(٢) الشعراء في عهد العزيز وإلحاحكم (٣٦٦-٤١١هـ ٩٧٥-١٠٢١م) :

لقد قلنا لك ما كان من أثر هذه الأموال التي كان ينفقها الوزير ابن كلثوم والخليفة العزيز على الشعراء ، مما دفع بهم إلى نظم القصائد الرائعة . والآن تأتي بأمثلة قليلة تبين أعمالهم في هذا السبيل :

من هؤلاء أبو عبد الله محمد بن أبي الجبرج ، وهو من الشعراء الذين عاشوا في زمن العزيز الفاطمي . ولقد بلغ هذا الشاعر مرة أن الوزير كان يشكو من ألم في يده ، فنظم ابن أبي الجبرج

(١) ديوان ابن هاني (ص ١٥٣-١٦٠)

(٢) شرحه (ص ١٦٤)

(٣) شرحه (ص ١٨٨)

قصيدة يُظهر فيها شديد حزنه لمرض الوزير ، ويصف ما كان لمتع العزيز عليه من أثر . وفي ذلك يقول :

يُدّ الوزير هي الدنيا فان ألت رأيت في كل شيء ذلك الألبا
تأمل الملك وانظر قَوط عتسه من أجله وأسأل القرطاس والقلم
وشاهد البيض في الأغماد حائمة إلى العدا ، وكثيرا ما روينَ دما
وانفس الناس بالشكوى قد اتصلت كأنما أشعرت من أجله سقا
هل ينهض المجد إلا أن يُريده ساقُ تهلّم في إتهاضه قدما
لولا العزيزُ وآراءُ الوزير معا تميّفتنا خطوب تُشعبُ ^(١) الأئما
قلّ لهذا وهذا أتما شرف لا أوهن الله ركنيه ولا انهما
كلاهما لم يزل في الصالحات يدا مهسوسة ولسانا فاطقا وفا
ولا أصابكما أحداثٌ دهركما ولا طوى لكما ما عشنا ملما
ولا انمحت عنك يا مولاي عافية فقد محوت بما أوليتي السدا ^(٢)

يضاف الى ذلك ما أورده لنا ابن خلكان ^(٣) ، وهو أنه غداة وفاة ابن كلث زار الشعراء قبره ، فراه مائة شاعر ، فأجيز كل منهم .

ولم تقتصر هذه المنع على الخلقاء والوزراء ، بل كان لغيرهم من كبار رجال الدولة يد في ذلك أيضا . ومن هؤلاء القائد الفضل بن صالح ، وكان من الأمراء الذين يسرون في ركاب الخليفة العزيز اذا خرج في الموكب . ولقد نظم أبو القاسم عبد الغفار شاعر الحاكم قصيدة يمدح فيها الفضل ، نذكر منها هذه الأبيات :

إنما الفضلُ غُرّة في وجوه المدائح
أزجى رباحه حبات الروائع

(١) تشعب بمعنى تصدع .

(٢) القرطاس (مخطوطة ج ٢ ص ٧)

(٣) (ج ٢ ص ٤٤٣)

كعبة الجود كفه من غاد ورائع

إنما تصلح الأمور برأى ابن صالح^(١)

ومع ذلك فإن ما أظهره الوزراء من جود وكرم لم يكن الا صورة مصغرة لمبات الخلفاء أنفسهم ، وعلى الأخص في الصدر الأول من أيام الفاطميين ، حين كانت مطوعة الخلفاء لا تزال في أشدها .
يدلك على صحة ما نقول هذه الأبيات التي نوردنا من هذه القصيدة التي أنشدتها الشاعرة المشهورة أبو حامد الأنطاكي^(٢) يمدح فيها العزيز ووزيره ابن كلس . ومن هذه الأبيات ندين أن الوزير كان يستمد نفوقه من نفوذ مولاه وتضيقه :

لم يدعُ للعزيز في سائر الأثر ض عدوا إلا وأحمد ثاره
كل يوم له على توب الله ر وكر الخطوب بالذل غاره
نور يد شأنها الفوار من البخ حل وفي حومة الندى كواره
قد أقلت عن العزيز عداه بالعطايا وكثرت أنصاره
هكنا كل فاضل يده ثمى حتى وتضحي نقاعة ضراره
فاستجره فليس يأمنُ الا من قهياً ظلالة واستجاره
واذا مارأته مطرفا به حل فيما يريدُه أنفكاره
لم دغ بالذكاه والنحن شيئا في ضمير الغيوب إلا آثاره
لا ، ولا موضعا من الأرض الا كلف بالرأى مُدركاً أقطاره
زاده الله بسطة وكفاه خوقه من زمانه وحذاره^(٣)

(١) النجاشي ، قيمة العصر (ج ١ ص ٣٤٧)

(٢) كانت أبو حامد أحد الأنطاكي من أهل أنطاكية بالقرب من مدينة حلب ، وكان من مشهورى الشعراء . وقد تكلم عنه النجاشي في كتابه "قيمة العصر" (ج ١ ص ٢٣٨) قال : "هو تاددة الزمان وجملة الاحسان . . . وهو أحد المداح المجلدين والشعراء المحسنين ، هو بالشام كاتب ججاج بالعراق" وذكر ابن خلكان أنه أقام بمصر زمنا طويلا ، وأن معظم شعره قد نظم في مدح أمراءها ووزرائها ، فمدح من الخلفاء الفاطميين العزيز والعزيز والحاكم ، وشاد بذكر جوهر واين كلس وغيرهما . وقد ذكره المسبج في كتابه "تاريخ مصر" قال إن وفاته كانت سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨-١٠٠٩ م) - ابن خلكان (ج ١ ص ٤٨-٤٩)

(٣) النجاشي ، قيمة العصر (ج ١ ص ٢٣٩)

ولم ينقطع تشجيع الخلفاء للشعراء الى آخر أيام خلافتهم . ويحدثنا المقرئ^(١) في عبارة شائعة أوردها في سياق كلامه عن المنظرة التي كانت تطل على بركة الحبش ، التي شيدتها الخليفة الأمر فيقول : " في هذه المنظرة طاقات ، وعليها صور الشعراء ، كل شاعر وباسمه وبلده . وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعة من القماش ، كتب عليها قطعة من شعر الشاعر في الملاح . وعلى الجانب الآخر رف لطيف منذهب . فلما دخل الخليفة وقرأ الأشعار ، أمر أن توضع على كل رف صورة مخومة فيها خمسون ديناراً ، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده " .

(٣) الشعراء في عهد الظاهر (٤١١-٤٢٧ هـ ١٠٢٠-١٠٣٥ م) :

هكذا كان تشجيع الشعر والشعراء على يد الفاطميين ، مما دفع بكثير من الشعراء إلى هجرة أوطانهم والاستقرار في مصر رجاء التمتع بسناء الفاطميين ورجال بلاطهم . ولا غرو فانهم لم يلقوا من تشجيع في بلاط الخلفاء العباسيين في بغداد ، وقد ذهب ما كان لهم من حول وطول . بيد أن بلاط الفاطميين كان يرحب بمن يفد عليه من الشعراء النابيين ، سنين كانوا أو شيعيين .

فقد كان عبد الوهاب بن نصر المالكي من أهل بغداد ، وكان فقيهاً مالِكياً مبرزاً ، كما كان أديباً وشاعراً . وقد وصفه أبو بكر البغدادى في كتابه " تاريخ بغداد " فقال إنه كان ثقة في الحديث ، وأنه لم يبق من المالكيين أحداً أوثق منه^(٢) . وكان عبد الوهاب هذا من كبار الشعراء الذين تركوا بغداد وارتحلوا الى القاهرة .

ولقد تولى ابن نصر القضاء بإدوايا وأكساي ، وهما مدينتان تقعان على مقربة من النهروان . وقد روى ياقوت عن ابن بسام ، أنه تولى القضاء أيضاً بمدينة إسمرند الواقعة في أرض الجزيرة ، على مقربة من نهر دجلة ، على مسيرة يوم ونصف يوم جنوبى ميفارقين . ونرجح في آخريات أيامه الى مصر بعد أن نبذته بغداد^(٣) .

(١) خطب (ج ١ ص ٤٨٦-٤٨٧)

(٢) ابن خلكان (ج ١ ص ٣٨٢) والكنى (ج ٢ ص ٢٧) .

(٣) ياقوت : سيم البلدان ، انظر لفظ بغداد .

ويحدثنا ياقوت أنه في اليوم الذي رحل فيه ابن نصر المالكي عن بغداد ، خرج كبار رجالها يودعونه ، فقال هذا الفقيه والشاعر الكبير ، معبرا عما كان يشعر به من ألم الفراق ، إنه ما فارق هذه المدينة ^(١) عن كره لها ، بل لأن الأرزاق فيها لم تساعفه ^(٢) ، ثم ختم كلامه بهذه الكلمات : ^(٣) «لو وجدت بين ظهرانيكم رغيين كل غداة وعشية ، ماعدلت عن بلدكم بلوغ أمنيته» ^(٤)

ولقد أصاب ابن بسام حيث يقول هذه الكلمات التي تطوى على غاية الاحتمار : «واللهز يومئذ كل ثمانية رطل بينار . وهذا في غاية التهم لم ، لأنه أراد أن يخبرهم بسقوط (سقاطه في الأصل) همتهم وخسة قلوبهم» ^(٥)

وقد أظهر ابن نصر ما كان يخالج نفسه من حزن لمفارقة بغداد في إحدى قصائده ، وفيها يودع بلده ويشير إلى هذه الأحوال التي أحاطت برجله حيث يقول :

سلامٌ على بغداد من كل مقل وحقٌ لها مني السلامُ المضاعفُ
فوافقه ما فارقتها عن قل ^(١) وإني بشغفٍ جانيتها لمارف
ولكنها ضاقت عليَّ برُحبها ولم تكن الأرزاقُ فيها تساعف
وكانت لكل كنت أهوى دقوه وأخلاقه تنأى به وتحالف ^(٢)

ويصف لنا ابن نصر في قصيدة أخرى معيشته في بغداد فيقول :

بغدادُ دارُ لأهل المال طيبة وللقاليس دار الضنك والضيق
أصبحتُ فيها مضطرباً بين أظهرهم سكانى مصحفٌ في بيت زنديق ^(٣)

هكذا كان ما عاناه هذا الفقيه الكبير ، والقاضي والشاعر المشهور ؛ فقد بلغت معاملة الناس له إلى هذا الحد من الإهمال ، حتى هام على وجهه في شوارع حاصمة الباسيين ، حيران لا يلوى على شيء . وقد بلغنا في النهاية إلى القاهرة حاصمة الخلافة الفاطمية الشيعة واتخذها مقراً ووطناً ثانياً له .

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٣٨٢)

(٢) ابن الجوزي ، مكتبة بردليان بأكسفورد ، غسوطات بركوك ، القسم الشرقي ، غسوط ٣٧٠ ، ورقة ١٦٦

(٣) القيل البني

(٤) ابن خلكان (ج ١ ص ٣٨٢)

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، انظر لفظ بغداد .

رحل ابن نصر إلى مصر^(١١) ، واجتاز في طريقه مرة النعمان^(١٢) ، وبها يومئذ أبو العلاء المعري ؛ فأضافه عنده ، ثم أشار إلى هذا الحادث في قصيدته إلى خازن دار العلم ببغداد حيث يقول :

والمالكي ابنُ نصر زار في سفر بلادنا فحَسَدنا النَّاسَ والسُّفْرا
إذا تَفَقَّهَ أَحْيَا مالكا جدلا ويُنْشِرُ الملكَ الضَّليلَ إنْ شَعُرَا^(١٣)

ولما وصل إلى مصر ، استقبله الناس أحسن استقبال . وقد وصف ذلك ابن خلكان^(١٤) في هذه العبارة حيث يقول : "فحمل لواهما ، وملاً أرضها وسماها ، واستنبح ساداتها وكبرائها ، وتناهت إليه الثواب وانتالت في يديه الرغائب " . وقد زاد هذا الكاتب فذكر أن ذلك كان في خلافة الظاهر سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م) ، وهي نفس السنة التي مات فيها . وذكر لنا ابن خلكان سبب موت ابن نصر فقال : إنه ما كاد يصل مصر حتى مات من أكلة اشتهاها ، وقال وهو على فراش الموت : " لا إله الا الله ، إذا عشنا متنا ! " .

(ب) الشعراء في الشطر الأخير من أيام الفاطميين

(٤٦٦-٥٦٧-١٠٧٣-١١٧١م)

لقد أمدنا كاتب من الكتاب المعاصرين لهذا العهد ، وهو عماد الدين الأصفهاني^(١٥) ، بمادة غزيرة استعنا بها في كتابة هذه الكلمة عن أثر الشعراء في الشطر الأخير من أيام الدولة الفاطمية .

(١١) أيد ابن الجوزي (مكتبة بردليان باكسفورد ، غسوطات بروك ، القسم الشرق ، غسوط ٣٧٠ ، ورقة ١٦ "١") هذا القول ، مستندا إلى ما ذكره ابن عساكر من أن ابن نصر وصل إلى دمشق في طريقه إلى مصر سنة ٤١٩ هـ . ويظهر لنا عدم صحة هذا القول لأن ابن نصر وصل إلى مصر سنة ٤٢٢ هـ قبل وفاته بقليل . وغير محتمل أن يكون قد أنعم ستين في دمشق والمهرة ، لأن عبارة " مجتازا إلى مصر " تفيد أن إقامته كانت قصيرة الأمد . " وذكره الحافظ ابن عساكر وقال : قدم دمشق سنة تسع عشرة وأربع مائة مجتازا إلى مصر "

(١٢) هي مدينة من أعمال حمص ، وتقع بين مدينتي حلب وحماء .

(١٣) الملك الضليل لقب لأمرئ القيس الذي صلى الله عليه وسلم أشهر الشعراء . وقد روى الكنتي (ج ٢ ص ٢٧) هذه الأبيات الأربعة التي ذكرها في كلامه عن ابن نصر .

(١٤) أبو العلاء المعري : ديوان سقط الزند (ص ١٣٤)

(١٥) ج ١ ص ٢٨٣

(١٦) ولد أبو عبد الله محمد بن الربيع ... حبة الله الأصفهاني الملقب بعماد الدين بأصبهان سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) ؛ وكان قسما شافعي المذهب ، تفتق بالدراسة النظامية ببغداد وتخرج فيها ، وأتقن المجادلة وفنون الأدب ، وأصل بمجتمعة الوزير عرقم =

على أن هناك كثيرين من الكتاب المعاصرين غير عماد الدين ، من أمثال عمارة الجني وأسامة بن مقد ، وكنا يتصلان بغيرهما من شعراء هذا العصر بروابط المودة والصداقة . وقد أمدنا كل منهما بمعلومات عن هذا الموضوع . وكذلك الحال مع ابن ميسر الذي استقى أخباره من بعض الكتاب المعاصرين للفاطميين .

والعصر الذي يتكلم عنه عماد الدين في كتابه يمكن تقسيمه إلى قسمين :

الأول - ويبحث في الشعراء الذين عاشوا في المدة التي تتخلل سنتي ٤٨٦ و ٥٤٩ (١٠٩٣ - ١١٥٤ م) ، وذلك في عهد الخلفاء المستعلي ٤٨٧ - ٤٩٥ (١٠٩٤ - ١١٠١) والآخر ٤٩٥ - ٥٢٤ (١١٠١ - ١١٣٠ م) والحافظ ٥٢٤ - ٥٤٤ (١١٣١ - ١١٤٩ م) والظافر ٥٤٤ - ٥٤٩ (١١٤٩ - ١١٥٤) .

الثاني - ويتناول الكلام على الشعراء الذين عاشوا في عهد الخلفيتين الأخيرين من الخلفاء الفاطميين ، وهما الفائز ٥٤٩ - ٥٥٥ (١١٥٤ - ١١٦٠ م) والعاقد ٥٥٥ - ٥٦٧ (١١٦٠ - ١١٧١ م) .

لقد بينا فيما تقدم أن كثيرين من الشعراء هاجروا إلى مصر رغبة في التمتع بتعصيد الخلفاء الفاطميين ووزرائهم وغيرهم من كبار رجال الدولة ، وضر بنا لذلك مثلا هذا الشاعر الكبير عبد الوهاب بن نصر المكي . ولقد أمدنا عماد الدين الأصفهاني بفوائد عظيمة عن غير من ذكرنا من الشعراء الذين غادروا بلادهم إلى مصر فاتخذوها دار إقامة .

== الدولة بن هيرة ، فأحسن إليه وقربه وشمله بمطلعه . فلما تولى الوزير رسل عماد الدين إلى دمشق ، فوصلها سنة ٥٥٢ هـ (١١٦٥ م) ، وهناك عهد إليه بإدارة البريد . وفي سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ، فوض إليه التوليس بالمدرسة في دمشق - فلما تولى تورا الدين ذهب إلى الموصل حيث مرض بها مرضا شديدا ، وبنى فيها حتى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) . ولما عاد إلى دمشق ، رسل إلى حلب واتصل بمندة صلاح الدين ، فحازته . ولما تولى صلاح الدين عاد إلى دمشق ، وكس بقية حياته على الأدب حتى توفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) .

أنظر فتيوت ، ارشاد الأديب (ج ٨ ص ٨١ - ٩٠) ، وابن خلكان (ج ٢ ص ٩٧ - ١٠٠) ، وأبا القاسم (ج ٨ ص ١٠٥)

(١) الشعراء بين سنتي (٤٨٦-٥٤٩-١٠٩٣-١١٥٤م) :

نزل مصر أبو الفتيان مفضل بن حسن بن خضر العسقلاني ، فتمتع بما أغدقه عليه الأفضل بن أمير الجيوش من صلات . ولقد امتدحه ابن خضر في قصيدة تهتلف منها هذه الأبيات :

- ١ أقولُ والنجمُ مرقومٌ بغيرته سطرا نظرتُ وضوءُ الصبحِ مبتم
- ٣ أماءُ خديه أضحى في زجاجه يدير أم ماؤها في وجتيه دم ؟
- ٤ صبح الصبح ضياءٌ من مياحه فاستبظت حلكا في شعره العتم^(١)

هذا ، وقد اجتذب جود الأفضل وكرمه إلى مصر شاعرا آخر ، هو أبو الحسن علي بن إبراهيم الملقب بابن العلاني ، من أهل معرة النعمان منبت الشاعر أبي العلاء المعري . أتى ابن العلاني إلى مصر لحاز تشجيع الأفضل وتيم بما أغدقه عليه من صلات . يدل على ذلك هذه الأبيات القليلة التي نقلها من قصيدة يمدح فيها ولي احسانه ونصمه حيث يقول :

- ٣ فككُ مصرٌ والحجيج وفوده ويمناه ركنُ البيت والليلُ زمزم
- ٤ وشاكرُ ما تولى مقررٌ بسجزه ولو أنه في كل عضو له قم^(٢)

وهناك طائفة أخرى من الشعراء الذين وفدوا على مصر ، رجاء الحصول على ما حصل عليه غيرهم من تشجيع الخلفاء الفاطميين ووزرائهم . ومن بينهم أبو الحسن علي بن جعفر بن البون^(٣) ، وهو من أهل المعرة أيضا ، ولقد اعتمد عماد الدين في عبارته على ما ذكره أسامة بن منقذ^(٤) ، وهو أن ابن البون "سازنة الأفضل وثال حظوته ، وأنه أفاض عليه من محائب إحسانه ، وأدر عليه حاوية إنعامه ، وقلبه بأمين الملك واستخلصه " .

(١) عماد الدين الأسفهاني ، المكتبة الملكية بباريس ، مخطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ١٨١ (ب) .

(٢) شرحه ورقة ١٣٣ (ب)

(٣) ذكر أسامة بن منقذ (Dornbourg, Vie d'Omara, p. 504) اسم ابن البون فقال : ان جده شديد الملك أبو الحسن علي بن منقذ اتخذ كتابا له . وزاد على ذلك أنه تقابل معه في بيت أبيه ببغداد ، ثم هربه أبوه لكبره . لكنه لما سمع اسمه عرفه واحتفى به وقال له : أنت الشاعر النحوي الكاتب ؟

(٤) لم يذكر أسامة شيئا من ذلك في كتابه . ونحن نعلم أن عماد الدين دوزن هذه العبارة بعد أن التقى بأسامة في سورية أو في غيرها من البلاد .

ويحسن بنا أن ننقل هنا بضعة أبيات من قصيدة يمدح فيها الأفضل :

يا بْنَ تنافس فيه السَّمْعُ والبصر
كما تنافس فيه الشمس والقمر
ومن تحكَّم في الأرواح فاحتكمت
ألا يحكَّم فيها بسله بشر^(١)

وقد أمدنا أيضا عماد الدين بمعلومات نافعة عن أبي الحسن علي بن عبد الأخفش ، وهو شاعر من أشراف المغاربة ، أجاد في مدح الخلفيتين الأمر والحافظ وغلا في تمجيد الفاطميين وإعلاء شأنهم . يدل على صحة ذلك هذا البيت الذي تنقله من قصيدة يمدح فيها الخليفة الأمر :

إلى ذروة النور السلائي^(٢) إنه إلى ذروة النور الإلهي يُنسب^(٣)

وقال هذا الشاعر في قصيدة أخرى يتمدح فيها الخليفة الحافظ :

بِشْرٍ في العين إلا أنه من طريق العقل نورٌ وهدي
جلَّ أن تدرَّكه أعيننا وتعال أن تراه جسدا^(٤)

هذا كان حال الشعراء الذين وفدوا على مصرفي ذلك العصر . أما غيرهم من الشعراء المصريين الذين رحلوا عن بلادهم ، فانهم لم يلقوا ما لقيه هؤلاء من رعاية وتقدير في عاصمة العباسيين . وجعفر ابن أبي زبيد مثال صالح لما ذكرنا ؛ فقد صرَّ عما خالجه ضيقه من أمي بعد مغادرته مصر إلى بغداد في قصيدة تذكر منها هذين البيتين :

وما قصيدتنا بغداة شوقاً لأهلها ولا خفيت مد قط أبصارنا عنا؟
ولا أننا آخرتنا على مصر بلدة سواها ، ولكن المقادير ساقتنا^(٥)

وقد يتبين مبلغ جود الخلفاء الفاطميين وكرمهم من هذين البيتين اللذين نظمهما أبو العباس أحمد بن مفرج ، أحد الشعراء الذين عاشوا في عهد الخليفة الحافظ ، الذي أمر الشعراء أن يختصروا قصباتهم إذ يقول :

(١) عماد الدين الأصفهاني شرحه ، خطوط ٣٣٢٩ ، رقة ١٤٣ (١)

(٢) ذكر هذا البيت في المخطوط " السلائي " . ويظهر أنه نسخ خطأ بدل بيت لقط السلائي .

(٣) شرحه ، رقة ١١٨ (١)

(٤) شرحه ، رقة ١٤٢ (١)

(٥) شرحه ، خطوط ٣٣٢٨ ، رقة ١١٠ (١)

أمرت أن نصوصغ المدح مختصرا لم لأمرت ناكفيك بمختصر؟
والله لا بد أن تجرى سواقتنا حتى يبين لها في مدحك الأمر^(١)

والآن نسوق اليك مثلا آخر من الشعراء الفاطميين الذين كان لهم أثر عظيم في نشر العقائد الفاطمية ؛
مثل أبي الحسن بن الزيد^(٢) الذي وصفه عماد الدين ، قلا عن القاضي الفاضل ، فقال :
” وإنه في فنه لم يسمع الدهر بمثله “ . وقد قال يحيى الخليفة الحافظ بالانتصار على الصليبيين :
” الحمد لله الذي فضل دولة أمير المؤمنين على سائر الدول ... وجعل أيامه واضحة المجول والغرر ،
مخصوصة بالفتوح والغفر ، يخفي النصر على بنوده ، وتسير السعادة أمام جنوده ، نسأل الله أن يجعل
الأرض قبضة يده ، والأفلاك الجارية من أوصانه وعُده^(٣) “ .

ولم تقتصر مدائح ابن الزيد على الخلفاء الفاطميين وحدهم ، بل تعدتهم إلى غيرهم من الوزراء
وكبار رجال الدولة ، فقرأ بمدح الأفضل في قصيدة يقول فيها :

خلق الزمان على حلة مفسر شرفا بمدح الأفضل المفضل
يلقى الملتاح بالملتاح وإعبا ويصدق الأقوال بالأفعال^(٤)

ويعمد ابن الزيد هذا الوزير في قصيدة أخرى فيقول :

لولا وجودك في الزمان وجودك المحيي المكارم بعد بعد وفاتها
لم يُعرف المعروف في الدنيا ولو طفنا عليه في جميع جهاتها^(٥)

وقد ذكر عسارة^(٦) ابن الزيد عند كلامه عن الخطاب في عهد الوزير ابن رزيك ،
فوصفه بأنه كان من رجال الدولة الذين نالوا حظوة لدى الوزير ، وأنه كان يتردد عليه ، وزاد أنه
كان فاطميا مغاليا . وقد بلغ من وفائه لبني رزيك أن خاطر بجماعته في الدفاع عن هذا الوزير ،
وقاتل عنه أشد قتال ، ولم يزل يضرب بسيفه حتى اقتطع من وسطه . وهنا ألقي بنفسه على الوزير
ووقاه من الضربات التي أنهالت عليه ، وبذلك هيا السبيل لنجاة الوزير .

(١) عماد الدين الأصفهاني ، خطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ١٠٨ (ب)

(٢) أطلق عليه عماد الدين (خطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ١١٠ “ب”) اسم أبي علي حسن بن زيد . وخالفه في ذلك
عسارة (ص ٣٥) حيث أطلق عليه علي بن الزيد ، وسماء في مكان آخر (ص ١٤٤) المكرم علي بن الزيد .

(٣) شرح ، خطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ١١٠ (ب)

(٤) شرح ، ورقة ١١٨ (ب)

(٥) شرح ، ورقة ١٢١ (ب) .

(٦) (ص ١٤٤ و ١٤٥)

فلئیس من عجب اذا ارتفعت مرتبة ابن الزبد وطئت منزله في عين الوزير ، فأمر الشعراء أن ينظموا القصائد في مدحه ^(١) . ولقد أشار عمارة الجني الى ذلك في بعض قصائده حيث يقول :

أَوْجِبَتْ في ذمة الأشعار والخطب تَبَا أبا حُسنٍ سَبَقَ على الحِطِّبِ
أَيامُكَ اليَصفُ لا تُحصى ، وأفضالها يَوْمٌ خُصِّصَتْ به في قاعة الذهب
وَقِيَتْ للصالح الهادي وقد غدرت به الصنائعُ من ناء ومقرب ^(٢)

وبالرغم مما قام به ابن الزبد في سبيل نشر الدعوة الفاطمية ، فقد ختمت حياته بأماسة محزنة . فقد روى عماد الدين عن القاضي الفاضل ، أن رجلا يدعى ابن قادوس ^(٣) نظم بيتين من الشعر هجا قيما الحسن بن الخليفة الحافظ ، ثم دسهما ضمن أوراق لابن الزبد وسعى به الى الحسن فأمر به قتل ^(٤) .

ولقد أتى عماد الدين بعبارة أخرى رواها عن علي بن عباد ^(٥) ، وهو من أهل الاسكندرية ، وكان شاعرا نابها ، قال في بلاط الحافظ الفاطمي حظوة كبيرة . ولما اعتقل أبو علي بن الوزير الأفضل الخليفة الحافظ ، نظم ابن عباد قصيدة يخفي فيها الوزير وفيها يقول :

تَبسم الدهر لكن بعد تبيس وقَوَّض الدهر لكن بعد تعريس
إذا دعونا بأنت تبقى لأنفسنا دعاؤنا : فابق يا ابن السادة السوس
وقد أعاد إليه الله خاتمته فاسترجع الملك من محضرين الجيس ^(٦) ^(٧)

(١) عمارة الجني ، الفتى المصرية (ص ٦٣ — ٦٥ و ٤٨ و ٥٠ — ٥٣ و ١٤٦ و ١٤٧)

(٢) شرحه (ص ١٤٦)

(٣) ذكر عمارة (ص ٣٥) أبا الفتح محمد بن قادوس في سياق كلامه على رجال الأدب الذين اتصل بهم في مصر ، فرصفه بأنه من مشهري شراء هذا الصر . ويسميه ابن ميسر (ص ٩٧) لقاضي الفضل أبا الفتح محمود بن قادوس ، ويذكر أنه توفي في ٧ المحرم سنة ٥٥٣

(٤) عماد الدين الاصفهاني ، مخطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ١١٠ (ب).

(٥) القنط الذي جاء في المخطوط هو ابن نجادة . ومع ذلك فقد ذكر هذا القنط ثلاث مرات : عبادة وعباد وعباد . وواضح أن القنط الأخير خطأ ، إذ لا يسمى به غير القنط . أما القنط عبادة فهو الصحيح (مخطوط ٣٣٢٨ ورقة ٩٧ (ب) وما يتبعها) . انظر ابن ميسر (ص ٨١)

(٦) هو اسم ابن علي الذي أخذ الخاتم من سليمان بن داود ، الذي يوازن هذا الشاعر في قصيدته بته ودين الوزير . (انظر تفسير البلاطين — طبعة القاهرة سنة ١٩٤٢ ، ج ٢ ص ١٣٨) . وهذه الأبيات عبارة عن مقارعة بين الوزير الأفضل وسليمان الذي قد خاتمه وملكه ، ولكنه استرده بعد أربعين يوما (أنظر الباب الثامن من هذا الكتاب) .

(٧) شرحه ، ورقة ٩٨ (١) =

وهذا البيت الذي هجا فيه ابن عباد الخليفة كان سبياً في قتله بعد أن أطلق الخليفة من اعتقاله ، واسترجع ملكه بعد وفاة هذا الوزير .

ولم تقتصر مدائح الشعراء على الخلفاء الفاطميين ووزرائهم ؛ فقد كان لغير هؤلاء من كبار رجال الدولة نصيب وافر من مدائح هؤلاء الشعراء الذين طمعوا في صلاتهم . ومن الأدلة على هذا أبو الفضل جعفر بن المفضل الملقب بالمهذب ، وكانت معظم قصائده في مدح الوزير الأفضل . وقد بين لنا عماد الدين ما كان بين المهذب ووالى الاسكندرية من علاقات ، ويقول إن أحد الحاضرين سأل المهذب أن ينظم شعراً يصف فيه خاتم الأمير وقد ضاق عن خنصره ، فقال مرتجلاً :

قَصَّر في أوصافك العالمُ فاعترف النائر والناظم
من يكن السحر له راحةً يضيق عن خنصره الخاتم^(١)

فأمر له الأمير ببطاء فأخذه ، فسئل أن يصف غزالاً قد استأنس في حجر الأمير ، فأنشد على الفور :

عجبتُ لجرأة هذا الغزال وأمرٍ تخطى له واحتمد
وأعجب به إذ بدا جائياً فكيف اطمان وأنت الأمد^(٢)

فأمر له الأمير ببطاء آخر ، فسأله الرجل ممحناً أن ينظم في هذه الشبكة المسدولة على هذه الدار فقال :

رأيتُ بياضك هذا المنيف شباكاً فادركني بعضُ شك
وفكرت فيما جرى لي فقلت مكان البحار يكون الشبك

فقال الأمير لمتحتنه : دمه وإلا أخذ ما علي !^(٣) .

= ذكر ابن ميسر (ص ٨١) للشعر الأول من البيت الأول ، وذكر البيت الرابع كإلى :

هذا سياتكم قد ردت خاتمته واسترجع الملك من صحرين الجبس

وزاد ابن ميسر على ذلك أن عباداً لما أنشد البيت الرابع في حضرة الوزير ، قام القاضي عبد الله بن ميسر طرباً لهذا البيت ، فكان ذلك سبباً لصرقه من القضاء وقتله بعد أن أطلق الخليفة من اعتقاله .

(١) عماد الدين الأصفهاني ، خطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ٨٧ (ب) .

(٢) شرحه ، ورقة ٨٧ (ب) .

(٣) » ، » ٨٧ (ب) .

وهكذا كان كرم الخلفاء الفاطميين ووزرائهم وقادة عصرهم . فلا ندعش اذا غلا بعض هؤلاء الشعراء في مدحهم ، حتى أدى بهم ذلك الى الإخلاد والمروق عن الدين . وكان عماد الدين — كما بينا — سنيا ، يرى أن الشعر الذي يتعرض لهذه المسائل يؤدي بصاحبه الى الخروج عن الدين . لذلك لا نجد في هذا الكتاب القيم الذي خلفه لنا عماد الدين ، إلا أمثلة قليلة من هذه القصائد التي نظمها غلاة شعراء الفاطميين .

هذا ، وكان ابن الضيف ، وهو من شعراء الفاطميين الذين عاشوا في عهد الخليفة الأحمر ، ملجدا في نظر عماد الدين ، الذي أبى أن يودع كتابه بعض القصائد التي نظمت في مدح الفاطميين ، معللا ذلك بهذه الكلمات :

” ابن الضيف كان من دعاء الأديماء ، المغالين لم في الولاة . وكان في حدود سنة خمسمائة في عهد أمرهم . وله فيه مدائح كثيرة ... وكنت لازما على خطه ، لأنه أساء شرعا وإن أحسن شعرا ، بل أظهر فيه كفرا ... لكنني لم أر أن أترك كتابي منه صفرا ؛ لأن البحر الزاخر يركبه المؤمن والكافر ، ويقصده البر والفاجر “ (١١) .

(٢) الشعراء بين سنتي (٥٤٩-٥٦٧هـ / ١١٥٤-١١٧١م) :

والمهمل أبو عبد الحسن بن علي بن الزبير^(١٢) ، الذي وصفه عماد الدين بقوله : ” ولم يكن في زمانه أشعر منه “ (١٣) ، مثل من للشعراء الذين جلبهم تعزيد الخلفاء الفاطميين ووزرائهم وضيروهم من طلبة القوم ، آملين في نيل عطاياهم والتمتع بصلاتهم .

(١١) عماد الدين الاسفهاني ، خطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ٥٢ ب وما يتبعها .

(١٢) ذكر حمارة (ج ١ ص ٨٦ و ٩٦ و ١٨٤ و ٢٦٨) و (ج ٢ ص ٥١٤ و ٥٥٥ و ٥٧٣ و ٦٠٠ و ٦٠٢ و ٦٣٦ و ٦٣٧) الرشيد بن الزبير ورفقه أحد الحسن . ووصف ودي (ج ١ ص ١٨٤) بأنهما شاعران ثابان ، عاشا في زمن الوزير الصالح بن رزيك . وفي إحدى قصائده (ج ١ ص ١٨٤) يلح حمارة أحد هذين الشاعرين (اليت الأخير من هذه الصفحة هو في مدح الحسن) . ويقول في ” التكت البصرية “ (ص ٣٥) إن الحسن كان من مشجوري شعراء هذا العصر ، عن كانوا يحضرون مجلس الوزير بن رزيك . وقد سماه حمارة المهمل في موضع آخر (ص ٤١٥) .

وقد اختصر أسامة بن منقذ (سيرة أسامة ص ١٨ حاشية ٤) و (ص ٢٠٧ و ٢٨٩ حاشية ٦) و (ص ٤١٩ و ٥٣٢ و ٦٢١) و عماد الدين (المكتبة الأهلية بباريس خطوط ٣٣٢٨ ورقة ٣٥ ب) وابن ميسر (ص ٩٥) وابن خلكان (ج ١ ص ٦٣) على ذكر أبي الحسين القصب بالقاضي الرشيد أحمد بن الزبير .

وقد أورد لنا الكنتي (ج ١ ص ١٥٩ — ١٦١) نبذة عن الحسن بن علي بن الزبير ، وقال انه اتصل بالوزير ابن رزيك ، فاستفاد كثيرا من وراء اتصاله به (شرح ص ١٥٩) .

(١٣) عماد الدين الاسفهاني ، المكتبة الأهلية بباريس ، خطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ٣٧ ب) .

واليك ما قاله في قصيدة طويلة يخاطب بها الوزير الصالح طلائع بن رزيك ويصفه بأنه بطل من أبطال المسلمين حيث يقول :

أفارس المسلمين اسمع ، فلا سمعت عدلك غير صليل البيض في القليل
مقال ناء غريب الدار قد علم ال أنصار ، لولاك لم يسمع ولم يقل
يشكو مصائب أيام قد أنسعت فضاق منها عليه أوسع السبل
وكيف أتى من الأيام مُرزية حلت ولي من بني رزيك كل ولي^(١)

هذا من جهة الوزراء . أما من جهة الخلفاء الفاطميين ، فإن الشعراء كانوا يدركون ما بينهم وبين وزرائهم من تباين في الرتبة ، يدل عليه ما قاله هذا الشاعر في إحدى قصائده يمدح فيها رضوان ابن النخشي حيث يقول :

ما كان بعد أمير المؤمنين نبي فيه الشجاعة إلا أنت والنبل^(٢)

ويمدح ابن الوزير هذا الوزير في البيت الآتي مترنما يمجده وكرمه حيث يقول :

لا يرتضى في الجلود سبق سؤال من يرحوه حتى يسبق الآمالا

وإن هذا البيت الذي زويه لابن الوزير ، ليدلنا على مبلغ ما كان يلقاه الشعراء في مصر من حفاوة ولا كرام .

حيث اغتربت قل من عفتي وطن آوى إليه وأهل من ذوى الأدب^(٣)

وقد شاد بعض الشعراء بذكر الفاطميين وأنصارهم ، وهم في بلادهم لم يندوا إلى مصر في وقت من الأوقات . ومن بين هؤلاء المهذب بن أسعد . وكان من أهل الموصل ، ثم اشتغل بالتدريس في مدرسة حمص . وقد كان من الفقهاء الأعلام ومن الشعراء النابغين . استمع الأصفهاني لشعره عند ما لقيه بمحس سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧-١١٦٨ م) . وهو مثل ي لمؤلاء الشعراء الذين يشوا بقصائهم رغبة في عطاء الوزراء ونواهم .

(١) عماد الدين الأصفهاني ، خطوط ٣٣٢٨ شرحه ، ٣٩ (١)

(٢) شرحه ، ٤٢ (١)

(٣) شرحه ، خطوط ٣٣٢٩ ، ورقة ١٧٧ (ب) .

وقد قال عماد الدين إن ابن أسعد نفسه أنشده في سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ — ١١٧٠ م) قصيدة يمدح فيها الوزير ابن رزيك ، وكان قد نظمها وبث بها إليه ، فأثمت من هذا الوزير جائزة سنية . ومن هذه القصيدة الأبيات الآتية :

- ٩ هادي الدعاء أبو الغارات خير قتي أدنى عطياته أدنى أمانيك
١٤ بشكو اليك بنو الآمال فقرهم فيثنتون ويدئ المال بشكوكا
١٥ يخافك الملك ناء عنك مثله ويقتر المرء من بعد فيرجوكا
٣٠ من أرجمي يا كريم الدهر تمنني جدواه فخاب سمي في رجايك ؟
٣١ أمدحُ الترك أبني الخير عندهم والشعر مازال عند الترك مرقوا (١١)

ولما دالت الدولة الفاطمية وضأ الأيوبيون أصحاب النفوذ في مصر ، نظم ابن أسعد قصائده في مدح نور الدين وصلاح الدين . وقد زاد عماد الدين أن صلاح الدين لما وصل عن مصر إلى بلاد الشام سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) وصكر بظاهر حمص ، قصده ابن أسعد وملهه . وكان القاضي الفاضل لا يزال يذكر هذا البيت الذي نظمه ابن أسعد عن الترك (سطر ٣١) ، فأشده صلاح الدين وقال له : " فحصل جائزته لتكذيب قوله وتصديق ظنه " ، فأجابه إلى ذلك صلاح الدين (١٢) .

ولقد ساعد ما بلله الفاطميون من عطاء وما أغدقوه من صلوات على زيادة أنصارهم وأشياهم . ولا غرو فان هذا الاطراء الذي صاغه قلم شاعرنا به كآين أسعد في مدح الفاطميين ، قد اشتهر أمره ونافح خبره في كافة الأنقطار الاسلامية . ويتبين لنا ما كان من إغداق الفاطميين الحبات على الشعراء من هذا البيت الذي نظمه ابن أسعد (١٣) يعبر فيه عن امتيحه في العودة إلى وطنه — الموصل — ويذكر أن تحقيق هذه الأمنية يتوقف على جود ابن رزيك وكرمه :

فني بلإبني عن قسري فاني يهود ابن رزيك على القرب واثق (١٤)

(١) المكتبة الأهلية يادريس ، خطوط ٣٣٢٩ ، ورقة ١٧٧ (ب) — ١٧٨ (ب)

(٢) المكتبة الأهلية يادريس ، خطوط ٣٣٢٩ ، ورقة ١٧٨ (ب)

(٣) ذكر ابن خلكان (ج ١ ص ٢٩٨ — ٢٩٩) المذهب جدا لله بن أسعد ، وهو من أهل الموصل وزيل حمص ، في العبارة التي أوردها من الوزير ابن رزيك .

(٤) عماد الدين ، خطوط ٣٣٢٩ ، ورقة ١٨١ (ب) .

ولم يكن لهذا الجلود الذى أظهره الفاطميون إلا غرض واحد ، هو تعظيم خلائقهم وإيجارهم سلطان دولتهم . وكان ذلك هو الغرض الذى كانت ترى إليه أعمالهم .

ولقد عرف الوزير ابن رزيق ما للشعراء من أثر . فكان يؤثر هؤلاء الشعراء على نفسه ويترلم منزلة أصدقائه . ولا غرو فقد كان بعض وزراء الفاطميين شعراء (بطبيعتهم) . فكانت طبيعيا أن ينصروا الشعر والشعراء ، بذليل ما كان هنالك من روابط بين ابن رزيق وهذا الفقيه والشاعر المشهور ، وهو نصير بن عبد الرحمن ، وكان من أهل الاسكندرية ، وقد لقيه عماد الدين في بغداد سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م) . وقد أورد لنا عماد الدين قصيدة نظمها ابن رزيق ، يرد بها على قصيدة أخرى يمدح فيها هذا الشاعر . وفيها يقول الوزير :

أهدى لي القاضي الفقيه عرايسا فيه بديع الوشى من تقيقه
فأجلك طوفى في بديع رياضه من ورده وبهاره وشقيقه
فكأنما اجتمع الأجنة فأنبرت يد عاشق تهبى الى مشوقه
تزهت في بستان نضلك ناظري فخلطت من زهر الربا بأنيقه
وأنا أرى تقديم حاجة صاحبي من دون حاجاتي أقل حقوقه
وكذا الكريم فهمل لحقوقه لاهمل أبدا حقوق صدقيه^(١)

ولم تقتصر جميع قصائد ابن نصر على امتداح الوزير ، فقد خص بعضها بالاشادة بذكر الخلفاء الفاطميين . بيد أننا ، لسوء الحظ ، نرى عماد الدين لم يضرب لنا أمثلة مما قاله هذا الشاعر في مدح الخلفاء . ويحتمل أن يكون ذلك لما كان من غلو هذا الشاعر في تعظيم الفاطميين والاشادة بذكرهم ، كما يتجلى ذلك من وصف عماد الدين الأصفهاني لابن نصر حيث يقول : " وما أكله ، لولا أنه من مداح المصرى والله له عاقر " (٢) .

ولقد روى لنا عماد الدين بضعة أبيات نظمها أحد الشعراء ، وقد اتصل به أن رجلا من أنصار الشعراء يست إليه مع رسول بنصف دينار فلم يوصله إليه :

(١) المكتبة الأهلية باريس ، خطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ٦٩ (١)

(٢) المكتبة الأهلية باريس ، خطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ٥٩ (١)

أَنَا نَصْفُ دِينَارٍ سَمَاءًا فَهَمَّتْ لَهُ فِي نَصْفِ شَكْرٍ
وَهَذَا مِمَّا لَوْصُولُ هَذَا فَتَوَصَّلَ مِثْلَهُ قَدْرًا يَقْدَرُ
وَلَوْ زِدْتُمْ عَلَى الْأَحْسَانِ زِدْنَا وَأَحْسَنًا لَوَاحِدَةٍ بِمِثْرِ^(١)

ولقد أمدنا أبو محمد هبة الله بن علي بن عرام السدي^(٢) بمثل آخر لشاعر عبر عن استيائه ويخطئه ، وقد خابت آماله في اكتساب جائزة ريل من أنصار الشعر بعد أن مدحه على غير جدوى فقال :

أَتَيْتُ قَعِي وَفَكَرَى فِي مَلْحٍ قَوْمٍ لَأَمُ
وَعَرَفْتُ حَسْبَ بَشِيرٍ سَهْمٍ وَطِيبُ كَلَامٍ
فَا حُصِّلْتُ لِسَهْمٍ أَلَا عَلَى الْإِسْلَامِ
وَلَوْ جَعَلْتُ قَرِيضَى مَرَاتِيَا فِي الْكِرَامِ
لَجَزْتُ ذِكْرًا جَمِيلًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ^(٣)

ويقول ابن عرام من قصيدة أخرى يمدح فيها الوزير رضوان بن الوثنيشي ويشيد في بعض أبياتها بذكر الأسرة الحاكمة ويصفها بأنها حامل قوى من عوامل تمكين قوة الاسلام فيقول :

جَلَدَتْ بِدِ دَوُوسَةِ الْإِسْلَامِ وَحَوَّتْ عَنْهُ الظُّلْمَ وَالْإِظْلَامَا
وَطَوَيْتْ رَايَاتِ الضَّلَالِ مَجَاهِدًا وَنَشَرْتُ فِي غُرَاهْدَى أَعْلَامًا^(٤)

(١) عماد الدين الأصفهاني ، المكتبة الأملية ياريس ، مخطوط ٣٣٢٨ ورقة ١٤٢ (ب) - وقد زاد هذا الكاتب أن هذا الشاعر عاش في أيام الوزير ابن رزيق (فرسه ورقة ١٤٣ ١٠٠) .

(٢) قل عماد الدين الأصفهاني (فرسه ، ورقة ١٧٦ "ب") من فاضل أسوان التي أهدى إليه ابن عرام ديوانه ، فنقل مع عبارته التي يصف فيها هذا الشاعر . وقد مات ابن عرام سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٥ م) ؟ وروى الأصفهاني بأنه كان شاعرا ثانيا .

(٣) فرسه ، مخطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ١٧٦ (ب) .

(٤) فرسه ، مخطوط ٣٣٢٩ ، ورقة ١٨١ (ب) .

عمارة اليمن^(١) :

لقد كان لغزو الخلفاء الفاطميين الأدبي ، ذلك الغزو الذي عملوا على تأييده بعطفهم على الشعراء وتشجيعهم رجال الأدب ، أثر عظيم في نفس عمارة اليمن ، حتى أصبح من أنصارهم ومن الشعراء المائلين لهم . وكان عمارة هذا شاعرا سنيا شافيا المذهب ، ظهرت له أعمال عظيمة في تاريخ الخلافة الفاطمية . ولكنه قتل في آخر أمره لاشتراكه في المؤامرة التي قامت لتقويض سلطان الأيوبيين .

وهو من الأمثلة الواضحة على تعلق الفاطميين بالشعراء والاستفادة من شعرهم . ويمكن بنا أن ننقل بعض أبيات من أولى قصائده ، وقد أنشدتها في قاعة الذهب في قصر الخلفاء الفاطميين :

- ١ الحمد للعيس بعد العزم والهمم
- ٢ قرب من بعد مزار العزم من نظري
- ٣ ورحن من كعبة البطماء والحرم
- ٤ حيث الخلافة مضروب مُرادقها
- ٥ والامامة أنوار مقلدتها
- ٦ وللنبوة آيات تنص لنا
- ٧ وللكارم أصلهم تعلمنا
- ٨ والمثل السن تلى عاملها
- ٩
- ١٠

(١) لقد خلف لنا عمارة بن أبي الحسن الحكيم نغم الدين أبو محمد سيرته ، وكان من أهل تهامة باليمن (التكت السيرة ص ٨٧) . وفي سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ - ١١٥٥ م) حج إلى مكة ، وبث في القام بن قتيبة أمير مكة رسولا من قبله إلى مصر ، فدخلها في غرة ربيع الأول سنة ٥٥٠ (١١٥٥ م) ، فلقاه الخليفة الفاطمي وزيره الصالح طلائع بن رزيق بالطفيل والقتيل على أثر انشاده أول مدائحه في قاعة الذهب بالقصر . وقد أقام في مصر إلى شوال سنة ٥٥٠ (شرحه ص ٣٢ - ٤١٠٣٤) . ثم عاد إلى مكة ، ومنها أقامها بحجة أخرى في صفر سنة ٥٥١ (أبريل سنة ١١٥٦) (ص ٤٢) . ومن ثم أقام في القاهرة وسار من مشاهير شعراء البلاط في عهد الخلفيتين الفاطميتين ، آخر خلفاء الفاطميين . وقد شق في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة ٥٦٩ (أبريل سنة ١١٧٤) .

أنظر أيضا عماد الدين الأصفهاني ، المكتبة الأهلية بإديس ، خطوط ٣٣٢٩ ، ورقة ٢٥٧ (١) وما يتبعها ، وعمارة اليمن (ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦) ، وابن خلكان (ج ١ ص ٤٧٥ - ٤٧٧) وابن دقاق (ج ٥ ص ٩٣ - ٩٤) .

- ١٢ أَصْمَتُ بِالْفَأْزِ الْمَعْبُومِ مَتَقَدَا فَوَزَّ النِّجَاةَ وَأَجْرَ الْبِرِّ فِي الْقَسَمِ
١٣ لَقَدْ حَمَى الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَأَهْلَهُمَا وَزِيْرُهُ الصَّالِحُ الْفَرَجُ لِلْغَمِ
١٤ اللَّابِئُ الْفَخْرُ لَمْ تَقْسُجْ غَلَاظِلَهُ إِلَّا يَدُ الصَّائِغِينَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
١٥ وَجُودُهُ أَوْجَدَ الْأَيَّامَ مَا اقْتَرَحَتْ وَجُودُهُ أَعْدَمَ الشَّاكِينَ لِلْعَدَمِ
١٦ قَدْ مَلَكَتْهُ الْعَوَالِي رَقٍّ بِمَلَكَتِ تَمِيرُ أَفْ الثَّرِيَا عِزَّةَ الشَّمَمِ
١٧ أَرَى مَقَامًا عَظِيمَ الشَّانِ أَوْهَنِي فِي يَقْتُلِي أَنَّهَا مِنْ جَمَلَةِ الْحَلَمِ
١٩ لَيْتَ الْكَوَاكِبُ تَدْنُو لِي فَأَنْظِلَهَا حَقْوَدُ مَدِجٍ لَهَا أَرْضِي لَكُمْ كَلِمِي
٢٠ تَرَى الْوِزَارَةَ فِيهِ وَهِيَ بِإِذْنُهُ عِنْدَ الْخِلَافَةِ نَصَحًا غِيَمُ مَتْنَمِ
٢٢ خَلِيفَةُ وَوَزِيرٌ مَدِ مَدْلُمَا ظِلَالٌ عَلَى مَفَرَّقِ الْإِسْلَامِ وَالْأَلَمِ
٢٣ زِيَادَةُ الْبَيْلِ تَقْصُ عِنْدَ قِيْضِهِمَا لَهَا عَصِي يَتَعَاطَى مِنْهُ الدِّيمُ (١)

ولقد نخب الخليفة الفائز ووزيره في استحصان هذه القصيدة كل مذهب ، كما يحدثنا بذلك عمارة نفسه ، حيث يقول إنه بعد أن أُنشد قصيدته خلعت عليه الخلع الموشحة بالذهب ، ودفع إليه الوزير خمسمائة دينار ، وأتته مثلها من السيدة أخت الخليفة . يضاف الى ذلك هذه الرسوم التي أطلقت له من دار الضيافة في مناسبات كثيرة مما لم يطلق لأحد قبله ، وما كان أيضا من الولائم التي أقامها أمراء الدولة في بيوتهم تكريما له ، ومن نظمه في ملك جلساء الوزير ، يدل عليه ما ذكره عمارة وهو : " فأوسعني إكرامهما توقيرا وإنعامهما توفيرا " (٢) .

بقي عمارة في مصر يرحح في مجبوحة الرفاهة والمجد . وقبل رحيله بزمن قصير ، أُنشد قصيدة يودع فيها الخليفة ووزيره ، فضحه الخليفة وأخته ألف دينار ، ومنحه الوزير ابن رزيق مائتي دينار لقصيدة أخرى أُنشد لها في داره . كما كان تدخل هذا الوزير أثر في إعفاء عمارة من دفع ثلاثة آلاف دينار كانت عنده لدى اليمن السابق وقد مات ، فأشير على ولده ووريثه أن يحل من دعواه في المطالبة بها . ويحدثنا عمارة عن هذه المسألة فيقول : " قلبا وقف طيه (كتاب الوزير اليه) صاحب عدن ، أسقط عني الآلاف الثلاثة وأبرأني منها " (٣) .

(١) الفتك المصرية ، (ص ٣٢ — ٣٤)

(٢) ، (ص ٢٧)

(٣) ، (ص ٣٨ و ٤٠)

ولما مات ابن رزيك آلت الوزارة الى شاور^(١) ، فتقلد أعباءها تسعة أشهر^(٢) . ففقد هذا الوزير عمارة اليه ، وأولاده رعايته وضمه إلى جماعته ؛ فصار يتردد على داره ويجلس الى مائدة مرتين في كل يوم ، وقال الخليل الكثير على يديه .

ولقد أحصى لنا عمارة هبات الوزير ابن رزيك^(٣) وفوى قرياه وغيرهم من الأمراء ، وختم هذا الشاعر قوله بهذه الكلمات : " ذكر الله أيامهم بحد لا يكل نشاطه ولا يطوى بساطه ، فقد وجدت فقدمت وهنت بدمهم^(٤) .

ولما عاد عمارة الى مصر في شوال سنة ٥٥٠ (ديسمبر سنة ١١٥٩) ، أحسن اليه الوزير الصالح بن رزيك وبنوه وأهله كل الاحسان ، وحبوه لما امتاز به من حسن الصحبة وسمو المواهب ، بالرغم من اختلافه عنهم في العقائد المذهبية^(٥) .

ولقد أبى عمارة احتناق عقائد الفاطميين ، وأشار الى ذلك في ديوانه بأبيات خاطب بها الوزير الذي ألح عليه في التحول الى المذهب الشيعي ، ومنحه ثلاثة آلاف دينار ، ووعد أن يزيد في إعذاقه عليه إن هو أجاب الى ما طلبه منه . ولكن عمارة لم يكن بالرجل الذي تنفع معه الحيلة . فرفض في شيء من الحصة ، ولم يتأثر بنصح الوزير^(٦) . وبشير عمارة الى هذا الاختلاف في العقيدة الذي كان بينه وبين الفاطميين في هذا البيت :

مناهمم في الجلود مذهبٌ مُنْتَفٍ . وإن خالفوني في اعتقاد التشيع^(٧)

ولما مات ابن رزيك في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ (سبتمبر سنة ١١٦١) ، أصبح حزن عمارة على وفاته مثارا لنظم أشعاره ، وظل على ولائه للفاطميين حتى بعد أن زال سلطانهم وسقطت دولتهم . وقد نظم في هذا الحادث قصيدة طويلة تناقلها عنه الكلاب ، من أمثال ابن واصل

(١) التكت المصرية ، (ص ٦٨)

(٢) > ، (ص ٧٢)

(٣) > ، (ص ٩٣ — ١٢٠)

(٤) > ، (ص ١٢٠)

(٥) ابن طلكان (ج ١ ص ٤٧٦)

(٦) التكت (ص ٤٥)

(٧) ديوان عمارة (ص ٢٨٨ و ٤٩٣)

والقلقشندى والمقرزى . ولقد نظم عمارة شعرا كثيرا فى الإشادة بذكر صلاح الدين وفضله من أهل بيته . ولكن إخلاص هذا الرجل للفاطميين أقصاه عن عطف هذه الدولة الجديدة . وتستطيع أن نقف على مبلغ ما لحقه من يؤس وشقاء من هذه القصيدة التى وجه بها الى صلاح الدين ، وعنوانها : « شكاية المتظلم ونكاية المتألم »^(١) .

ولا غرو فان تحيز عمارة للفاطميين قد جلب عليه كراهة الأيوبيين ، وانتهت حياته الخافلة بسنته فى رمضان سنة ٥٦٩هـ (١١٧٤م) لاتهامه بالاشتراك فى الأمر لإعادة سلطان الفاطميين^(٢)

(١) ديوان عمارة البنى (ص ٢٨٧ — ٢٩١)

(٢) » » (ص ٢٨٧ — ٢٨٨)

ابن دلقق (ج ٥ ص ٩٣ — ٩٤) ، قلاع ابن الخوج (٥٧٣٠ هـ ، ١٣٣٠ م) فى كتابه خطط مصر المسى
إخاط المتظلم واتماظ المتألم . انظر الحاشية التى كتبها سيودرنود (سيرة عمارة ج ٢ ص ٥٥٢) .

الباب النجس

إسناد المناصب إلى الملتبيين خاصة — عمل الفاطميين على حمل المصريين على
اعتناق المذهب الفاطمي

قد يتأثر أنه بعد أن تم للفاطميين فتح مصر، لم يلبث جوهر أن أمر بإبطال الخطبة للعباسيين على كافة المنابر في أرجاء هذه البلاد، وحرم لبس السواد شعار العباسيين، وأمر بأن تضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي بدل اسم الخليفة العباسي؛ وأدخلت مراسم المذهب الشيعي في المساجد لتحل محل مراسم المذهب السني. ولقد خطا الفاطميون خطوات واسعة في سبيل تحويل جميع المصريين إلى جماعة واحدة تعتنق المذهب الفاطمي وتدين بفوائده.

على أن نجاح هذه السياسة نجاحا تاما لم يكن بالأمر السهل، وبخاصة في أوائل حكم الفاطميين؛ فقد كان السواد الأعظم من السكان سنيا، على حين كان الشيعة أقلية ضئيلة، تتألف من بعض المصريين ومن مقاتلة المغاربة. ولهذا لم يكن بد من أن تستند أمور الدولة إلى هؤلاء المغاربة، وإلى الكفايين منهم بوجه خاص.

ولا يوزب عن أن الفاطميين قد اعتبروا مصر إقليا آل إليهم بطريق الفتح والغزو. فكان طبيعا إذا أن تؤول أكثر وظائف الدولة إلى أنصارهم — وهم المغاربة كما قدما — كما كانت الحال في الدولة العباسية، حين أسند المنصور كثيرا من أمور الدولة إلى الخراسانيين لا بلوهم من مساعدة في إقامة دولتهم، وكما فعل المأمون معهم بعد أن وقعت بغداد في يده بفضل مساعدتهم ومعونتهم.

ولقد أخذ كل أثر من آثار قوانين المذهب السني وقاليده، سواء أكان من الوجهة الدينية أم المدنية، يزول وينهار شيئا فشيئا. ولا عجب في ذلك، فقد كانت الفاطميون ينظرون إلى السنيين نظرة الخارج على الدين. ولقد فعلت هذه السياسة التي انتهجها الفاطميون ضلها في الناس؛ فلعنوا أبابكر وعمر وعثمان، بل والصحابية من أمثال طلحة والزبير ومعاوية وعمر بن العاص، ممن قاتلوا عليا بعد مقتل عثمان.

ومنذ بدأ سلطان الفاطميين بسود ربيع هذه البلاد ، أمر الفاطميون فتشت فضائل على وأولاده من بعده على السكة ، وعلى جدران المساجد والمنازل والحوانيت . على أن هذا لم يكن كل ما قام به الفاطميون في سبيل نشر دعوتهم . فقد عملوا أيضا على نقش السباب في لمن الصحابة ، كما حاولوا أن يثبوا عقائدهم ، وعملوا على أن يمتنع الناس منذهبهم ، لا في مصرفسب ، بل في كافة أرجاء العالم الاسلامى .

على أنه لم يكن من المنتظر أن تصادف هذه السياسة شيئا من النجاح في مصر لو كان القائمون على تنفيذها من أهل السنة . فكان طبيعيا إذا أن تسند المناصب الكبرى — كما قمنا — الى رجال ممن يستقون منذهبهم ويلبسون بختهم في التشجيع .

ولما كان السنيون يشغلون أكثر مناصب الدولة في العهد السابق ، كان من شأن كل تشهير بقاى في حالة هؤلاء الموظفين كافة أن يحدث ارتباكا في سير الأعمال الادارية . ولقد فطن جوهر نفسه الى هذه السياسة ، فآثر جمعفر بن القرات في وزارته .

بيد أنه يلوح لنا أن ابن القرات لم يكن له من مركز الوزارة إلا الاسم فقط . يملك على ذلك ما ذكره المقرئى^(١) من أن جوهر ا عين خادما فرض عليه أن يلازم الوزير في داره ، وأن يسير في ركابه أنى سار ، ليكون عينا عليه ياقب حركته وسكاته . وهذه العبارة التى أدلى لنا بها المقرئى لا تترك مجالا للشك في أن سلطة الوزير قد زالت أو كانت ، وأنه إنما سمح له بالبقاء في مركزه لإرضاء شعور السنيين لا غير .

ولقد ذكر ياقوت أن الخليفة الفاطمى المعز مرض الوزارة على ابن القرات ، فاعتذر عن قبولها ، فأظهر له الخليفة رغبته في ضرورة بقائه في هذه البلاد بعد اعتزاله ، ليستأنس برأيه في مهام الأمور ، فأجابته الى ذلك^(٢) .

وفي المحرم سنة ٣٩٣ هـ أسند الخليفة المعز الى ابن كلس وعُسلوچ بن الحسن ادارة شؤون الدولة الحربية والمدنية . ولاريب في أن استاد ادارة شؤون الدولة الى هذين الرجلين قد آذن بانتهاء سلطة ابن القرات .

(١) إتمام الخطا (ص ٥٨) .

(٢) ارشاد الأدهب (ج ٢ ص ٤١٢) .

ومع ذلك فقد بقي اسم ابن الفرات قائما بعد هذه السنة ، كما ذكر ابن خلكان في عبارة التي أوردها عن الوزير يعقوب بن كلس^(١١) أن ابن الفرات هذا كان يندو إليه ويروح ، وأن الوزير قد أولاه ثقته ، وكان يعول عليه في محاسبة المال ، ويحاسب الوزير ، فيدعوه الى تناول الطعام معه^(١٢) . ومن المدهش أن تكون هذه العلاقة بين الرجلين على هذا النحو الذي ذكره ابن خلكان ، بالرغم مما كان بينهما من العداوة القديمة التي كان منشؤها التنافس على الوزارة .

ويتضح لنا مما ذكره ابن ميسر عن وزراء العزيز الفاطمي ، أن ابن الفرات تقلد الوزارة في عهد هذا الخليفة ، وأن وزارته في عهد الفاطميين لم تدم أكثر من سنة واحدة ، وأنه تقلد بعض المناصب الحكومية مرتين في عهد العزيز : فقد تقلد الخراج في سنة ٣٨٢ هـ ، بعد أن قبض على الوزير أبي الحسن على بن عمر العباس لاثامه بتبديد أموال الدولة ، ثم أسندت إليه الوزارة في ربيع الأول من السنة التالية^(١٣) .

ويقول ابن ميسر^(١٤) أن ابن الفرات بقي في دست الوزارة سنة واحدة . وفي سنة ٣٩١ هـ^(١٥) توفي هذا الوزير العظيم ، بعد أن تقلد الوزارة في عهد الباسيين والأخشيديين والفاطميين .

١ - إسناد المناصب العالية للتشيعيين

بعد أن تم للفاطميين فتح مصر ، أصبح أكثر المناصب العالية في أيدي التشيعيين ، حتى اذا ما دخلت سنة ٣٩٣ هـ ، كان من بين كبار الموظفين الذين شغلوا هذه المناصب في عهد المعز ، القائد جوهر ، وكانت إليه إدارة الدواوين وجباية الخراج والإشراف على أمور الدولة ، وأبو الطاهر ،

(١١) ١٨ رمضان سنة ٣٦٨ (ابن خلكان ج ٢ ص ٤٤٠) . وقد ذكرنا باقتراح أن أبا العباس الفضل بن الوزير ابن الفرات تزوج بأبنة الوزير ابن كلس . وقد كان لهذا الزواج أثر كبير في تمكن أواخر الصداقة بين حليف الوزيرين .

(١٢) ابن خلكان (ج ٢ ص ٤٤١) .

(١٣) ابن منجب (ص ٢٤ و ٢٥) .

(١٤) (ص ٥١) .

(١٥) باقوت : إرشاد الأدهب (ج ٣ ص ٤٠٥) . وقد ذكر ابن خلكان (ج ٣ ص ١٢٩) أنه توفي في يوم الأحد الثالث عشر من صفر ، وذكر في رواية أخرى أن وفاة هذا الوزير كانت في ربيع الأول من هذه السنة . وقد أورد ابن سبويه (كتاب المغرب ص ٨٧) أنه توفي في صفر سنة ٣٩١ هـ ، وفي رواية أخرى في سنة ٣٩٢ هـ .

وكان مل القضاء ؛ وعبد السميع بن عمر العباسي ، وكانت إليه إمامة الجامع العتيق وخطابته ؛
والحسن بن موسى الخياط ، وكان إماما للصلاوات الخمس ؛ وشقيق الصقلي ، وكان صاحب
المظلة ؛ وموسى بن العازار ، طيب الخليفة الخاص .

أما جاية الخراج فقد جعلت قسمين : أحدهما في يد مل بن محمد بن طباطبا وصيد الله بن
عطاء الله ، وثانيهما في يد الحسن بن عبد الله والحسين بن أحمد الروقباري ^(١) . وكان صاحب
بيت المال محمد بن الحسين بن مهذب ؛ كما قسمت الشرطة قسمين : (٢) الشرطة العليا ^(٢) ،
وقد أسندت الى جبر (ب) والشرطة السفلى ، وقد أسندت الى عروبة بن ابراهيم وشبل المعرضي ^(٣)

ولم يمض قليل من الزمن حتى أدخل مل على ادارة المناصب الحكومية تغيير كبير . فقد ذكر
ابن ميسر ^(٤) أن يعقوب بن كلس وصلح بن الحسن قد عهد اليهما سن نظام جديد للضرائب ،
وقلدهما الخليفة في منتصف المحرم سنة ٣٦٣ الخراج وجميع وجوه الأعمال والحسبة ^(٥) والسواحل

(١) كان هؤلاء الموظفون تحت اشراف يعقوب بن كلس وصلح بن الحسن ، يعون عنها في جاية الخراج .

(٢) ذكر ابن دقاق (ج ٤ ص ١١) أن الموظف الذي كان يشغل هذا المنصب قد تولى في اليوم الذي وصل فيه
بجوه الى مصر .

أما عن الشرطين ، فانه بعد فتح مصر مل يد عمرو بن العاص ، كانت دار الشرطة في مدينة القسطنطينية . ولما تأسست
مدينة مصر أنشئت فيها دار أخرى للشرطة أطلق عليها دار الشرطة العليا ؛ كما أطلق على دار الشرطة الأولى الشرطة السفلى .
وفي أيام الفاطميين انقسمت الشرطة قسمين :

(أ) الشرطة العليا ومقرها القاهرة .

(ب) والشرطة السفلى ومقرها القسطنطينية .

(٣) القرطبي : احوال الخلفاء (ص ٩٥)

ذكر ابن ميسر أن بجوها صرف عن ادارة هذه المناصب في يوم الجمعة ١٤ المحرم سنة ٣٦٣ ؛ ولا بد وان يكون
استاد الأعمال الادارية الى يعقوب بن كلس وصلح بن الحسن قد أُرْفِي قود بجوه .

(٤) (ص ٤٥)

(٥) كانت أعمال الخسب ، على ما ذكره المسعودي (ص ٢٢٧ — ٢٣٠) متعددة غنقة . فكان اليه النظر
في الأسواق ، والمحافظة على الآداب والقضية ، وادارة الشرطة . وكانت وظيفة واسعة بين القاضي ومناصب النظر في الختام
(ص ٢٢٩) . ومن أهم أعماله المحافظة على الآداب وعلى القضية والأمانة ، وإيقاف مضايقة الجمهور ، والاشراف على
الموازين والمكاييل ، وعلى احتفاء الديون ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمحيولة دون بروز الخواص على
تظام المرور .

والأعشار^(١) والحوالى^(٢) والأحياس^(٣) والمواويز والشرطين وكل ما يضاف الى ذلك في مصر وسائر الأعمال^(٤).

٢ - جباية الخراج

يقى على بن يحيى بن العزم قائما على جباية الخراج ؛ ولكنه لم يمض شهر حتى شاركه في ذلك رجل آخر ، هو وجاه بن صولاب^(٥) . ومع أن المقرئ لم يذكر لنا أكان هذا العامل الجديد مصريا منيا أو شيعيا ، أو مغربيا ، فانه من المحقق لدينا أنه كان مغربيا ، كما يؤخذ من العبارة التي نقلها عن المقرئ (اعطاء ص ٨٧) وهي : " أن جوهر لم يدع عملا الاجل فيه مغربيا شريكا له فيه " .

== وقد ارتقى نظام الحسبة في عهد الفاطميين ؛ فكان المنصب ، على ما رواه المقرئ عن ابن الطور (مخطوط ج ١ ص ٤٦٣ و ٤٦٤) ، يشعب من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين ، لأن وظيفته كانت دقيقة الى حد كبير . وكان يوب منه في الثام بهذه الأعمال ثواب في القاهرة ومصر وغيرها من المدن . وكان يجلس الحكم في جاسي القاهرة ومصر يوما بعد يوم ، وطوف ثوابه على أرباب الحرف وعلى التجار ، ويفتشون قعدو الأطمعة ويختصمون الحوم ، ويأشرون عمال الجواراة والطعام ، ويحولون دون مضايقة التجار ، ويؤمنون رؤساء المراكب بالأعمال أكثر مما يجب حله من السلع . وكانوا كذلك يشرفون على السفائن لفضايف تعليمهم القريب ، ويريقون لبسم السراويل حتى لا يخرجوا على الآداب العامة ، ويراصون عباد القريب (وهو أوجه وعشرون ذلوا) ، ويمنعون معلمى الكتّاب من ضرب سفار الأولاد ضربا مبرسا ، ويحولون دون تهرير معلمى السباحة بالصغار ، وينظرون الموازين والمكاييل . والمنصب النظري ضرب العيار . وكان يتبع طيه ويقرأ مجله بمدينة مصر (القسطنط) والقاهرة على المنبر ؛ فنددت سلطته من الانماع بحيث لا يحال عنه وبين ما يريد ؛ كما كان له أن يبعين بالشرطة على تنفيذ أحكامه الحافظة على الآداب والنظام . وكانت يتقاضى مرتبا قدره ثلاثون دينارا في كل شهر .

أق ابن خلدون (" مقدمة " ، طبع بيروت سنة ١٩٠٠ ص ٢٢٥ و ٢٢٦) على كثير من أعمال المنصب التي ذكرها المقرئ .

(١) كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عادلا من فرضها على التجار من ضيق المسلمين ، لأنهم كانوا يأخذون في بلادهم مشرعا مع المسلمين من التجارة ؛ ففرض عليهم عمر الشر ، وعلى أهل القبة نصف العشر ، وعلى المسلمين ربع العشر .

(٢) الجوالى هى اختيار الأحسن من كل شىء ، سواء أكان من المنطكت أو من الشام ، الهزلى منها والصغير . وربما كانت هذه هى وظيفة البائل في الزكاة .

(٣) الأحياس هى كل ما يوقف على جهة من جهات الخير ؛ وما تحصل من أموالها يصرف فيما أراداه الرواقف .

(٤) ابن ميسر (ص ٤٥)

(٥) أورد القضاى (المكتبة الأهلية يادريس ؛ مخطوط ١٤٩١ ، ورقة ١١٧ ب) هذا اللفظ " ربا " . وقد اتى لنا نفس مؤلف هذا المخطوط على أحسن نمرة من المرتفقين فقدوا هذا المنصب في عهد جوهر فقال : " بتولى الخراج منذ دخل =

وقد أبطل نظام جباية الضرائب القديم ، وأثنى نظام جديد في تقدير الأملاك وتعيين ما يخص كل منها من الضرائب ، وجمعت كل دوائره في مركز واحد وفصت مصادر الضرائب على اختلافها ، وتسلدت الحكومة الجديدة في تحصيل ما تأخر منها ، كما اهتمت بالنظر في كل ما تقدم اليها من الاتفاقيات والشكاوى . وسلكت الحكومة في تنفيذ نظام الضرائب الجديد سبيل الحزم ، وحثت دافعي الضرائب من دفع الأموال كرها وعسفاً . فكانت نتيجة هذه السياسة الرشيدة أن زادت موارد الدولة زيادة كبيرة ، فبلغ ما كان يستخرج من القسطنطين في يوم واحد مقداراً يتراوح بين خمسين ألفاً ومائة وعشرين ألف دينار ، واستخرج من تنيس ودمياط والأشمنتين في يوم واحد أكثر من مائتين وعشرين ألف دينار .

٣ - الوزير

ولم يكن سلوك الوزير ابن الفرات إزاء هذه الدولة الشيعية أقل أثراً من سلوك غيره من المتصيين السنيين . فقد أبى في بادئ الرأي أن يستقبل المعز في الاسكندرية ، غير مكترث بما قد يحمره هذا الامتناع عليه وعلى السنيين جميعاً من اضطهاد الحكومة الفاطمية . ولكن تدخل كبار السنيين من المصريين ، ونصحهم للوزير بالعدول عن هذا العمل ، قد حال دون الوقوع فيما كانوا يخشونه من أعمال العنف والقوة . فقد أتوا اليه في الليلة السابقة ليوم وصول المعز القاهرة ، واتهموه بتعرض أرواح السنيين لخطر وتهيشة الأسباب للفاطميين للحلمهم على الانتقام والتشفى .

فلم يكن بداً من أن يذعن الوزير لهم ، حتى إذا ما بزغ صباح اليوم التالي ، دخل فيمن دخلوا على الخليفة المعز . وقد حاول الخليفة أن يتلمس وسيلة للإقناع به واتخاذ الشدة والعنف معه ، فسأله قائلاً : "أجج الشيخ ؟ قال : نعم ! فقال الخليفة : وزدت قبر الشيعين (أبو بكر وعمر) ؟"

== جوهر على بن المرمز ، أبو محمد الروذباري ، رجاء بن صولاب ، عبد الله بن عطاء الله ، أبو الحسن الكرخي . " على أن هذه العبارة لا تدل على أن هؤلاء الموظفين الخمسة تقدموا هذا المنصب في وقت واحد ، فان المؤلف أو الناصح لم يضع علامة السلف الدالة على الترتيب بين كل اسم وآخر . هذا الى أن لفظ " من " يقرب الى الظن أن هؤلاء الخمسة قد تقدموا هذه الوظيفة بالتتابع ، أو شغلها واحد منهم أو اثنان أحياناً ، وذلك من استولى جوهر على مصر سنة ٣٥٨ هـ ، الى أن وصل المعز الى هذه البلاد سنة ٣٧٢ هـ ، وأست كافة أمور الدولة الى يعقوب بن كاس وعسلىج بن الحسن .

وكان الوزير ذكي الفؤاد حاضر البنية ، فأجابه على الفور : " شغلني عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولي العهد ؛ السلام عليك يا ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته ! " .

وقد زادنا يقوت (١) أنه كان من أثر هذا الحديث أن عرض المزمز على ابن القرات أن يستمر في الوزارة ، فاعتذر . وبذلك انتهت مدة وزارته في عهد الدولة الفاطمية بدخول المزمز .

وكان لسكر المغاربة قاض يدعى علي بن الوليد ، وكل إليه النظر في قضاياهم . ولا شك في أن هذا القاضي كان إليه النظر أيضا في كثير من القضايا التي نشأت من هذا العداء الذي ظهر بينهم وبين المصريين .

ع - حالة مصر الداخلية

لم تكن الحالة الداخلية قد استتبعت بعد في مصر ؛ لأن أنصار الاخشيديين وجماعة الكفورية لم يكن قد تم القضاء عليهم . أضف الى ذلك الحملات التي وجهها القرامطة الى هذه البلاد ، وانتصار كثيرين من المناوين لسلطان الفاطميين لهذا العدو الطارئ (٢) .

ولإيضاح ذلك قول ، انه في سنة ٣٦١ هـ ثار عبد المزيين هيج الكلابي في الصعيد ودعا للمباسين . فأرسل اليه جوهر جيشا قضى على الثوار وأمر رئيسهم ، وبعث به الى القاهرة مكبلا في قفص ، فسلخ جلده وصلب جسمه (٣) .

وطالب أثار المغاربة الفتن والقتل بما آتوا من أعمال العنف والشدة ضد الأهليين . فلم يكن بد من أن يهدم هؤلاء من أعمالهم ، لاختلافهم في المذهب ، ولاعتصامهم ما كان لهم من حقوق سياسية . ويتضح فك من هذه الحوادث التي تأتي بها للقارئ على سبيل التمثيل : قى شهرذى النجمة

(١) ارشاد الأديب (ج ٣ ص ٤١٠ ، ٤١١)

(٢) ابن القلائص (ص ٣)

(٣) المقرئى : اعاظ الحضا (ص ٨٧)

من سنة ٣٩١ ، نهبت المغاربة بعض أحياء مدينة مصر ، فثار الأهليون ، ونشب بين الفريقين القتال . فأنفذ إليهم جوهر سعادة بن حيان في الحال ؛ فحسم النزاع وعرض جوهر الثامن ما نهب منهم ^(١) .

ويظهر لنا أن سلوك المغاربة قد استثار الأهليون ودفعهم إلى إعلان ماجاش في نفوسهم من الاستياء والسخط في مناسبات مختلفة . ففي ربيع الأول من سنة ٣٩٢ أنب المحتسب جماعة من الصيارفة ، لسبب لم يكشف لنا التاريخ اللتام عنه . وكانت نتيجة ذلك أن شغب غيرهم من الصيارفة احتجاجا على ما أتاه هذا المحتسب وصاحوا بهذه الكلمات : " معاوية ابن م علي بن أبي طالب " ؛ كما أن شعور الكره الذي أضمره السنيون نحو الشيعة يكشف لنا عما كان يضمه السنيون في مصر للفاطميين .

ولم يبين لنا المقرئ ^(٢) السبب الذي أدى إلى إثارة هذا الشغب ؛ وإنما اقتصر على القول بأن جوهرًا فكر في إحراق رحبة الصيارفة . وكان المحتسب إلى عهد الفاطميين مصرًا ، فأقيل (ربيع الثاني سنة ٣٥٩) على أثر الفتح — كما تقدم — وحل محله رجل آخر من المغاربة .

أما سليمان بن عَمْرٍو الذي حدث هذا الشغب في عهد ولايته الثانية على الحراج ، فقد أعيد إلى الحسبة بعد موت المحتسب المغربي . ونستطيع أن نستخلص من أقوال المقرئ أن المحتسب كان مصريًا سليًا ؛ لأنه لو كان شيعيًا ، لأقوه جوهر في منصبه .

ولم تنقطع القلاقل والاضطرابات بعد وصول المعز . فمن ذلك ما حدث عند الاحتفال بعيد فديرتهم (١٨ ذى الحجة سنة ٣٩٢) . ولم يُدَلِّ لنا المقرئ ^(٣) بشيء جلي عن كانوا سبب إثارة هذه القلاقل . وكل ما قاله أن جوهرًا قتل جماعة ، لأنهم نهبوا بعض جهات القرافة . إلا أن هذا لا يمتنا أن نقول إن المغاربة كانوا السبب في إثارة هذا الشغب الذي آل إلى التطاحن ، وأن جوهرًا أمر بجماعة منهم فُضِرَت أعناقهم ليضخ بذلك حدا لما أتوه من ضروب التعدي ^(٤) .

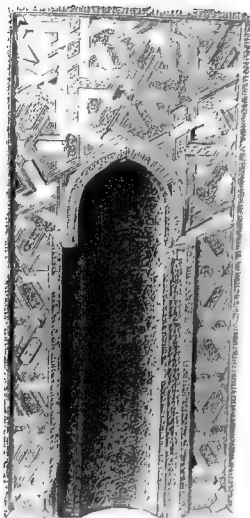
هذا ، وإن مسألة قيام المتشيعين من المصريين بنصرة المغاربة ، أو وقوفهم في صف بني وطنهم وأبناء جلدتهم دفاعًا عن أملاكهم ، مسألة جديرة بالنظر والاعتبار . وإنه وإن لم يكن في المصادر

(١) المقرئ : انماط الحفا (ص ٨٧)

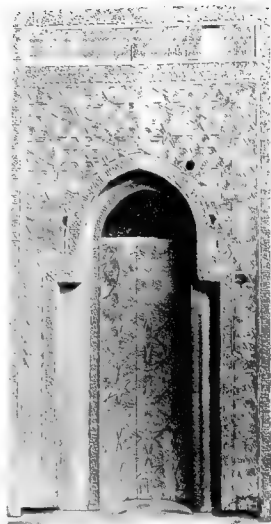
(٢) شرحه .

(٣) شرحه (ص ٩٤)

(٤) ابن ميسر (ص ٤٥) ، والمقرئ : انماط الحفا (ص ٩٤)



محراب من خشب أصله من مشهد النية نفيسه



محراب من خشب أصله من مشهد لانية رقيه

التي رجسنا إليها ما يريح أحد هذين الرأيين ، فلا شك في أن المغاربة إنما قاموا بنهب أملاك الأهلين ، غير آبهين بأى حزب أو دين يقتضى إليه أى شخص ، وأن الأهلين — سنيين وشيعيين وغير مسلمين — هموا يدفعون من أنفسهم هذا التعدي الذي كان قوامه السلب والنهب ، وإن إظهار الشيعيين شعورهم العدائى نحو أهل السنة ، أمر كان يتجلى في احتفالاتهم ببعض أعيادهم ومواسمهم .

وفي سنة ٣٩٣ هـ تخافم شر هذا العدوان الذي أضمره المتشيعون للصريين . وعاد المغاربة سيرتهم الأولى في القرافة ؛ فاحتلوا الدور وأجلوا سكانها عنها ؛ فشكا الأهلون إلى الممزر واستنقوا به . وكان قد أمر المغاربة أن يسكنوا أطراف المدينة — فأصلوا الأواصر إلى المغاربة بإخلاء هذه الدور والتحول إلى الخندق الكائن على مقربة من عين شمس ؛ وركب هو بنفسه فين مواضع لتزولهم ، وأقر للمال المطلوب للبناء ، كما جعل لهم وإلياً وقاضيا عهد إليهما بالتفرغ في أحوالهم ^(١) .

على أن هذه الاجرامات لم تكفل للصريين الاطمئنان على أنفسهم وأموالهم من المغاربة ؛ فقد ظلوا يخالطون أهل مصر حتى يتم إعداد مساكنهم الجديدة . أما المتشيعون من المصريين فكان عددهم قليلا ، غير أنهم كانوا أقوياء بالمغاربة الذين كانوا يشنون أزدهم ، وبوجود حكومة شيعية تعاضدهم ، ولا سيما بعد وصول الممزر .

وطالب كل ينور بركان العدا المستعكم بين هاتين الطائفتين في مناسبات كثيرة ، وبخاصة عند الاحتفال ببعض الأعياد والرسوم الشيعية . أما الشيعيون فكانت تصارهم الحكومة طوال العهد الفاطمى ، كما كان المغاربة يشنون أزدهم .

وكثيرا ما كان يصحب هذا العدا الذي أضمره السنيون للشيعيين الفتن والقلاقل . ففي الماشر من المحرم سنة ٣٩٣ هـ — وهو ذكرى اليوم الذي قتل فيه الحسين بكربلاء — انصرف جماعة من المصريين المتشيعيين ، ومعهم فريق من فرسان المغاربة ورجالهم من مشهدى أم كلثوم (بنت محمد بن جعفر الصادق) وقيسه ^(٢) ، وساروا في موكبهم ينوحون ويبكون على الحسين ؛ وحملوا الناس على مشاركتهم في الحزن جملا ؛ فكسروا ألوانى السقاين في الأسواق ، ومسحوا من ظهرينير مظاهر الحزن والأسى في هذا اليوم . فأضقت الدكاكين وتعطلت حركة الأسواق ، وكثرت القلاقل

(١) ابن ميسر ٤٥

(٢) هي قبية بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . دخلت مصر مع زوجها اسمعيل بن جعفر الصادق وكانت صالحة بنية ، سمع منها الثنا في الحديث . ولما مات أدخلت إليها جنازة فسلمت عليه ؛ وتوفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين .

بين السنيين والشيعة . فخرج ابن عمار - وكان من زعماء المغاربة - على جناح السرعة ، وتم على يديه انفصال الفريقين بعضهما عن بعض (١) .

وكانت تقوم هذه الاضطرابات في مصر عند الاحتفال بهذا العيد ، حتى قبل أن يتم فتح هذه البلاد على يد الفاطميين . ففي عهد الدولة الأخشيدية ، كان يتجمع السودانيون الذين أتى بهم كافور - وقد عرفوا بالتمصب ضد منذهب الشيعة - في الطرقات ، وكانوا يسألون كل من يمر عليهم : من خالك ؟ فإن قال معاوية ، أكرموه ومحموا له بالمسير ؛ وإن سكت لقي المكروه ، وانزعجت ثيابه وأخذ ما معه . ولقد حاول كافور أن يحول دون وقوع هذا العدوان ، فكان يعين في هذا اليوم حراسا على أبواب المدينة المؤدية إلى الصحراء ، فيمنعون الناس من الخروج (٢) .

وقد تم عزل المغاربة عن أهل مصر بإنشاء الأحياء الخاصة بهم ؛ فحظرت عليهم السكنى مع المصريين والمبوء في المدينة . وكان ينادى كل عشية ، ألا بيتن في المدينة أحد من المغاربة (٣) . ولم يُسمع بعد موت المعز بشيء من أعمال العنف الكثيرة التي كانت تسمع بها من قبل ، اللهم إلا عند إقامة بعض الأعياد الدينية ، حيث كانت تتجدد الشحنة بين السنيين والشيعة .

٥ - قاضي القضاة

كان جوهر ينوب عن الخليفة الفاطمي في حكم بلاد دخلت في حوزة الفاطميين منذ أمد قريب ؛ وكانت سياسته تتطوى على كثير من الحكمة وبعد النظر . ولقد رعى جوهر من وراء هذه السياسة إلى إفصاح المجال أمام المغاربة ، ليأتمروا بالنظم الإدارية التي كانت تسير عليها الحكومة المصرية . ولكنه رأى بصائب نظره أن يكون تنفيذ هذه السياسة تدريجيا ؛ لأن العلاقات التي كانت بين السنيين والشيعة ، وبين المغاربة والمصريين ، لم تكن على صفاء دائم .

يؤيد هذا القول أن صياح شهر رمضان عند السنيين ينتهي بمجرد ظهور القمر ، سواء أكان شهر شعبان تسعة وعشرين يوما أم ثلاثين ، وذلك عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : «صوموا لرؤيته

(١) المقرئى : أتماظ الحفا (ص ٩٦)

(٢) شرحه (ص ٩٧)

(٣) ابن ميسر (ص ٤٥)

(هلال رمضان) وأفطروا رؤيته (هلال شوال) ؛ فإن غم عليكم (يعنى إذا لم يكن من الممكن رؤية الهلال في نهاية اليوم التاسع والعشرين من شعبان بسبب تكاثف الضباب في السماء) ، فأكبلوا عدة شعبان ثلاثين يوما .

ولكن جوهرًا لم يرتض السير وفق هذه الطريقة التي لا تتفق مع أصول المذهب الشيعي . ففي سنة ٣٥٨ هـ أبطل الصوم بعد اليوم التاسع والعشرين من رمضان ، وصلى العيد قبل رؤية الهلال . فاعترض أهل القسطنطينية على ما فعل ، وصاموا اليوم الثلاثين حسب أصول المذهب السني ، ثم جعلوا العيد بعد ذلك بيوم ، أى بعد رؤية الهلال ؛ واتبعوا في ذلك قاضيه السني الذي تلبس الحلال جربا على هذه المادة فوق سطح الجامع العتيق ، وأعلن اقضاء شهر الصوم . ولما بلغ ذلك جوهرًا أنكر كل القاضي ما فعل وتهده (١) .

ونزل أبو الطاهر — الذي تقلد القضاء قبل وصول الفاطميين — في منصبه حتى سنة ٥٣٦ هـ . ولكن سلطة القاضي قد ضعفت ضعفا شديدا على أثر وصول المماليك إلى القاهرة ؛ وكان في ذلك أشبه بالوزير الذي أقر في منصبه لاعتبارات سياسية لأخبر .

وأولى هذه الاعتبارات هي أن المصريين لم يكن يتظر منهم أن يسارعوا إلى اعتناق المذهب الشيعي . لذلك كان بقاء أبي الطاهر رغم كونه سنيا من الأمور السياسية التي لا منووعة عنها ، وإن كان ذلك صوريا ، ولا سيما أن جوهرًا أخذ على نفسه اليهود والمواثيق بأن يطلق للصيريين الحرية التامة في اعتناق مذهبهم . فكان عزل هذا القاضي الذي ظل في منصب القضاء منذ ربيع الأول سنة ٣٤٨ هـ وإحلال قاض من الشيعة عمله ، مما يشير شعور الجمهور .

وإن سلوك أبي الطاهر عند وصول المماليك إلى مصر على مقدار ما كان يضمه المتصحبون من المسلمين من عداة للتشيعيين في شخص هذا الحاكم الشيعي ؛ فقد نزل جميع المستقبليين عن مطالبهم وبقبلا الأرض بين يديه ما عدا أبا الطاهر . بذلك حل ذلك ما أورده لنا المقرئ في خطوطه المقتنى الكبير حيث يقول :

« لما ورد المماليك مصر ، استقبله الناس على طبقاتهم مشاة ؛ فلما رأوه ، قبلوا الأرض بين يديه كلهم ، سوى القاضي أبي الطاهر ، فإنه كان راكبا . ولم يقبل الأرض . فالتفت المماليك خواص مجابهة وقال : من هذا الذي خالف الناس كلهم ؟ فقيل قاضي

مصر ، وهو من أهل العلم والدين . ثم لأمه أحد الحجاب سرا (هكذا) فيما فعل ؛ فرفع صوته وقال جهوريا بحيث يسمع المعز : وما (هكذا) هذا ؟ (أ) هو الشمس التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها ، وقال الله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ؛ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واحمدوا الله الذي خلقهن أن كنتم إياه تعبدون) ؟ ، فارضاه بذلك ، واستحسن قوله ؛ فرفع وهو قاض وعلت مترلته^(١)

وليس ما يمنعنا من أن نظن أن هذا القاضي انما بقى في منصبه طبقا لهذه السياسة العامة التي جرى عليها الفاطميون ؛ لا لأن الخليفة قد اقتنع بخطابه الذي نقين من ثناياه ما أضمره هذا الفقيه من كراهة لأهل الشيعة ؛ فان سلطة أبي الطاهر ما لبثت أن اضمحلت ، وأزم في أواخر عهده في القضاء أن يصدر أحكامه وفق قوانين المذهب الشيعي^(٢) .

٦ - تضاول نفوذ القاضي

ظل القضاء والإمامة والخطابة في يد رجال من السنين الذين تقلدوا هذه المناصب في أواخر أيام الأخشيديين . ثم ظهر تضاول نفوذ القاضي في سنة ٣٦٣ هـ ، بل ألزم — كما قلنا — أن يصدر أحكامه طبقا لأصول المذهب الشيعي الذي ساد البلاد في ذلك الوقت ، كما اشترك معه في منصبه قاضيان من المغاربة .

ويحدثنا ابن ميسر^(٣) أن أبا سعيد صديق بن أبي توبان ، الذي صحب المعز إلى مصر ، تقلد في شوال سنة ٣٦٣ النظر في المظالم^(٤) الخاصة بالمغاربة . ولم تلبث أن ازدادت سلطة ابن أبي توبان هذا ، فلم تقتصر على النظر في قضايا المغاربة وحدهم ، أوفى القضايا المشتركة بينهم وبين المصريين ،

(١) القرطبي : المقتنى الكبير ، مكتبة الجامعة بليدن ، مخطوط ١٣٦٦ ، المجلد الأول ، ورقة ٨٢ .

(٢) الكتبي ص ٨٤ .

وقد خالف ابن زريق ذلك فقال ، انه بعد أن وصل الخليفة المعز إلى الاسكندرية ، خلع على أبي الطاهر الذي سار معه إلى القاهرة وهو معتق بجاوده ، وقد سأله المزور في الطريق : " كم رأيت يا قاضي خليفة ؟ " فقال القاضي : " واحدا وإني لم ألق ملكا ! " .

(٣) (ص ٤٤)

(٤) هي محكمة طحا كانت تقدم من قبل بإسبة الخليفة نفسه .

بل آل إليه النظر أيضا في قضايا المصريين أنفسهم ، وغدا يطلق عليه اسم قاضي مصر
والإسكندرية (١) .

كذلك نُسب من المغاربة قاض آخر - صحب المنز الى مصر أيضا - وشارك القاضي أبا الطاهر
في سلطته . وهذا التنصيب يدل على ما ظهر في سياحة الفاطميين من تغير جديد بعد أن تم لهم فتح
مصر ، حيث أصبح القضاء يقبل لاثنين من الموظفين ، أحدهما سني والآخر شيعي . وليس معنى
ذلك زوال سلطة القاضي السني تدريجيا حسب ، بل ذلك إيذان أيضا بانتهاء عهد تقلد السنيين
منصب القضاء (٢) .

(١) الكنتى (ص ٢٨٧)

(٢) نعم ! كان منصب القضاء يهد به لبعض السنيين أحيانا ، اذ ان الفاطميين في أواخر عهدهم لم يسيروا
دائما على قاعدة استناد القضاء الى التشييع خاصة . ولتفرب قلبك مثلا ما كان من استناد الحاكم بأمر الله هذا المنصب في
المشرين من شبان سنة ٤٠٥ هـ (ريل من أهل السنة) ، بين فيه اتقى عشرة سنة وسبعة أشهر ، ثم مات في عهد الخليفة الظاهر .
ويحدثنا ابن جرير (ريع الإصر ، ورقة ٢١٤ ب) أن القاضي مالك بن سميد الفارقي قتل لأربع بقين من شهر ربيع الأول
سنة ٤٠٥ هـ ، خلفا لمنصب القضاء ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ، أى الى المشرين من شبان ، فقتله أبو العباس
ابن العوام الحنبلي المذهب . وان ظهر هذا المنصب طوال هذه المدة يريد ما ذهبنا إليه ، من أنه لم يكن من السبل الشورى
على قبة من الشيعة يصلح لثول هذا المركز . وقد أهد لنا ابن جرير (ريع الإصر ورقة ٤٣ ب) روايتها (بالظروف التي
أدت الى تقلد ابن العوام أعباء هذا المنصب فقال : " وكأنت قد تقدم مصر رجل يكفوف يقال له أبو القنصل جعفر ،
من أهل العلم بالنسب والحق ، قد علم على الحاكم فأعجب به وخط عليه ، وأعطاه اقطا وقبة عالم العلماء ، ووجهه يجلس في دار
السل الى أنشأها ، ليدرس الناس اللغة والنحو . خلفا له الحاكم بفصل يباه به الناس واحدا واحدا ، من يصلح منهم
لقضاء ، وكان الحاكم عارفا بهم ثم يزل يذكر ، حتى وقع الاختيار على أبي العباس ، فقبل لهاكم : ليس هو على
مذهبك ، ولا على مذهب من سلف من آبائك ، فقال : هو قبة مأمون مصرى ، عارف بالقضاء وبأهل البلد ، وما في
المصريين من يصلح لهذا الأمر غيره " .

ومن المهم أن نلمح ذكر ابن جرير (ريع الإصر ، ورقة ٤٥ أ) من أن ابن العوام قد شهد عند القاضي محمد بن العيان
(الكنتى طبعة روم ، سنة ١٩٠٨ ، ص ١٦٢) في سنة ٣٨٤ هـ . ومن هنا يتضح ما كان لمصنوب القضاء من حرة
وقداسة ، حيث يقف رجل سبق له تولية هذا المنصب أمام القاضي . ويطلب أن يكون ذلك في القضايا المهمة التي قد يكون
هذا القاضي أعلم بها من غيره .

وربما حدثنا ابن جرير (ريع الإصر ورقة ٤٤ ب) أن ابن العوام تقلد القضاء وخط عليه (وأخفى اليه في الأحكام مصر
وبرة وصقلية والشام والحرمات ، ما دعا لظلمين ، فان الحاكم كان قد ولاها أبا طالب بن بنت الزيد الحسيني ، وجلس
العباس الظفر في المياد ودار الضرب والصلابة والمواريث والمساجد والجرام) بسبب ما كان لأبي القنصل من تودد الى الخليفة
الحاكم . ولكنه لما لم يكن هذا القاضي يدين بمبادئ المذهب الشيعي ، اشغل بجهته الذي تولى في القصر وحمل منبر الجامع
التيق على قرة شرطتها عليه أن يصد أحكامه طبقا لقانون الشيعة ، وأن يكون مصف في مجلس القضاء أوبة من القضاة
(الشيعة بلا مراد) . يبينون من قبل الخليفة . ومن ذلك يتضح أن تعيين غير الشيعة كان قليلا جدده ، ودل شريحة
خضوعهم لأحكام مذهب الشيعة .

ولم يذكر لنا المؤرخون تاريخ تقلد علي بن النعمان القضاء . غير أنه يظهر مما ذكره ابن ميسر (ص ٤٤) أنه بدأ حياته في القضاء منذ سنة ٣٦٣ هـ ، أي بعد أن تقلد ابن أبي ثوبان منصبه بأشهر قلائل .

ولما انقسم القضاء ابن النعمان وأبو الطاهر ، كان لكل منهما شهوده الذين يستعين بهم في أحكامه . وجلس أولهما للحكم في الجامع العتيق ، وثانيهما في الجامع الأزهر^(١) ، وظلت الحال على ذلك الى شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ ، وفيه اضطلع علي بن النعمان بالقضاء عامة .

وتظهر لنا صحة ما رواه ابن حجر عن استقالة هذا القاضي . وهو يختلف عما ذكره القاضي^(٢) والمقرئى ، فقد أبد كل منهما القول بأن القاضي قدم استقالته الى الخليفة العزيز^(٣) لأسباب صحيحة . وزاد المقرئى أن العزيز ركب في صفر سنة ٣٦٦ الى الموضع المعروف بالحنان في جزيرة الروضة على مقربة من جامع عمرو ، حيث يقعد أبو الطاهر مجلس الحكم . وهناك استقبل أبو الطاهر وشهوده الخليفة العزيز ، وسأله أن يأذن له في استخلاف ولده^(٤) بسبب ضعفه . ولقد قبلت استقالة القاضي على الفور ، وكان الخليفة كان ينظرها بتلief .

ونحن نعلم أن سياسة الفاطميين كانت ترمي الى إضعاف هود السنيين تدريجيا ، بحيث لا يقف معها دولا بال الأعمال الحكومية أو يتكدر صفاء البلاد بشذم السنيين ويضطهم . ولم تقض ثلاثة أيام على تقديم القاضي استقالته ، حتى قلد العزيز علي بن النعمان الشيى المنصب^(٥) .

ويحدثنا الكندي^(٦) أنه قرئ على مبر الجامع العتيق بحبل بتقليد ابن النعمان القضاء . وزاد ابن حجر^(٧) فقال إنه "ولى القضاء على مصر وأعمالها ، والخطابة والإمامة والقيام فى الذهب والفضة" . ويستطرد هذا المؤلف الكلام فيقول إن أب الطاهر امتنع عن العمل مع ابن النعمان ، فاستخلف

(١) ابن حجر : رفع الإسر ، المكتبة الملكية بالقاهرة ، خطوط ٢٢١٥ ورقة ١٩٤ ب .

(٢) المكتبة الألية بباريس ، خطوط ١٤٩١ ، ورقة ١١٩ ب .

(٣) ذكر المقرئى (المقتى الكبير ، ليد ، خطوط ١٣٦٦ ورقة ١٨١) أنه الخليفة المزم (المرفى سنة ٨٣٦٥) . ويرجح عتدا أن ذكر نقط العزيز خطأ من النسخ ، دليل إرادته بعد ذلك فى سياق أقوال هذا المؤرخ .

(٤) قد أورد ابن زولاق هذه الحقيقة التاريخية (الكتنى ص ٥٨٧) .

(٥) الكتنى ص ٥٨٥ .

(٦) شرحه .

(٧) رفع الإسر ورقة ١٩٤ ب .

هذا أخاه عمدا والحسن بن خليل الفقيه الشافعي ، وشرط عليه أن يصدر أحكامه وفق المذهب الشيعي الذي يدين بمقتله الفاطميون .

ولقد ظل القضاء في يد الشيعيين من الاسماعيلية ، وبقى أولاد النعمان يتقلدون هذا المنصب الى سنة ٣٩٨ هـ ، ففي صفر سنة ٣٩٣ هـ ، قتل الحسين بن علي بن النعمان القضاء في مصر وما يتبعها من الأعمال ، وأسندت مقاليد الدعوة أول مرة لقاضي القضاة ؛ فعلا يطلق علي ابن النعمان لقب "قاضي القضاة وداعي الدعاة" .

أما عن الخطابة ، فقد أقبل بنو عبد السميع بعد أن قتلوها نحو أربع وستين سنة ، وأسندت الى جعفر بن الحسن الحسيني في الجامع العتيق ، وإلى أخيه في الجامع الأزهر^(١) .

وفي سنة ٣٧٩ هـ كانت أكثر أمور الدولة المدنية والحربية والدينية قد تحولت الى أيدي الشيعيين ، وكان لزاما على الموظفين السنيين الذين ظل في أيديهم بعض المناصب الصغيرة ، أن يسيروا وفق أحكام مذهب الاسماعيلية . وأصبح عزل كل من رعى منهم بالتقصير في مراعاة هذه الأحكام أمرا لا مفر منه ؛ وقد يكون ذلك خشية العزل أو الاضطهاد ، أو لغيرة الناس في قتل مناصب الحكومة أو الترقى في سلكتها ، مما دفع الكثيرين من الموظفين السنيين وضيغم الى اعتناق مبادئ المذهب الفاطمي .

وكذلك كانت الحال بالنسبة الى غير المسلمين من النصارى واليهود ؛ فقد دفع بهم الخوف من سوء معاملة الحكومة الى سلوك الطريق الذي سلكه ضيغم من المصريين .

٧ — قانون الوراثة في عهد الفاطميين

لقد ذكر لنا ابن حجر قضية رجل ادعى ملكية حمام كان بلده ، وكان ينبغي أن يتقل الى أمه حسب قانون الشيعة . وكان القاضي أبو الطاهر قد حكم في هذه القضية بأنه لم يكن لهذا الشخص حق في ادعاء الملكية ، لأن جده قد وقف هذا الحمام على الأعمال الخيرية . ولقد أثارت هذه القضية شعور القاضيين السني والشيعة ، وهذا الأخير قد حكم للدعي ، وأبطل بذلك ما حكم به أبو الطاهر .

(١) ابن دقاق ج ٤ ص ٦٤ ، والمقرئ خط ج ٢ ص ٢٤٨ . كان ذلك في سنة ٣٧٩ هـ ، على ما ذكره ابن

دقاق (ج ٤ ص ٦٤) .

ويظهر أن هذه المسألة قد أحدثت اهتماما خاصا ؛ لأنها أنضت إلى الخلاف في وجهة نظر كل من القاضيين اللذين حكم كل منهما حسب قانون المذهب الذي يدين بمقتضاه . ويحدثنا ابن حجر قسلا عن ابن زولاق (المتوفى سنة ٢٨٧ هـ) أن المدعى شكا إلى الخليفة المعز ، فأمر قاضيه الشيعة بأن ينظر هذه القضية ثانية ^(١) .

ولقد ذكر ابن زولاق أن هذه الحوادث هاجت شعور القرد في قوس الشهود الذين كانوا يعملون مع ابن أبي ثوبان ، حتى أن الخليفة المعز أمر أخيرا بإبطال الحكم الذي أصدره ابن أبي ثوبان ، ليزيل السخط الذي دب في قوس الشهود السنيين في ذلك الوقت على الأقل ^(٢) .

وكانت نتيجة هذه الحوادث أن امتنع الشهود عن حضور مجالس الحكم التي كانت تمقد برئاسة ابن أبي ثوبان ، فبدلهم هذا بشهود آخرين ، ولعلهم كانوا من الشيعة . على أن هؤلاء اضطروا إلى الاستقالة . وكانت غضب أبي الطاهر والشهود سببا في علة ابن أبي ثوبان التي أودت بحياته ^(٣) .

ونستطيع مما أدلى به ابن حجر أن نقول إن العلاقات بين أبي الطاهر وابن أبي ثوبان لم تكن تنطوي على شيء من الود والصداقة . وهذا أثر الخلاف المذهبي الذي أدى بهذين الرجلين إلى الحالة التي وصفناها . فقد أصدر القاضي الشيعة أحكامه طبقا لمقتضى مذهب الشيعة الذي يخالف مذهب القاضي السني .

ويميز قانون الشيعة للبنات أن ترث كل ما يترك أبواها ، إلّا لم يكن لها أخ أو أخت . وهذا يخالف قانون مذهب السنة الذي يقضى بالآثر البنات أكثر من نصف التروة . ولقد تمسك القاضي الشيعة بتطبيق قانون الشيعة على أحكامه ، وغدا في استطاعته تقض ما يصدره أبو الطاهر من أحكام .

(١) الكنتى ص ٨٧ و ٨٨ .

(٢) شرحه ص ٨٨ .

(٣) شرحه .

والقرنيزى كلام مستفيض عن قانون الوراثة في عهد الفاطميين ، عند كلامه عن الفقيه المالكي محمد بن الوليد الطرطوشى . ويحدثنا ياقوت أن الطرطوشى ينسب الى مدينة طرطوشة^(١) التى ولد فيها سنة ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م) . وهى مدينة بالأندلس تقع الى الشرق من مدينة بلنسية التى تتصل بالكورة المسماة باسمها .

وقد تنقل الفقيه الطرطوشى في الججاز والشام والعراق ، وتلقى العلم على أئمة العلماء والفقهاء في أمهات العواصم الاسلامية ، من أمثال مكة وبيت المقدس وبغداد والبصرة ، ثم رحل أخيرا لمشاهدة مصر ، ونزل الاسكندرية واستوطنها ، وبقي بها الى أن مات سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) . ولم يلبث أن هُتِبَ الى الوزير المأمون ، وأُهدى اليه كتابه "مراج الملوكة"^(٢) .

وكان من مظاهر سرور الوزير باهداء الطرطوشى له هذا الكتاب ، أن رتب له خمسة دنانير في كل يوم من مال الجوائى ، فلم يقبل منها غير دينارين كان الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجبالى قد أبرهما عليه .

وقد عدلت القاعدة التى تجيز للبنت بمقتضى قانون الشيعة أن تستولى على جميع الثروة التى يملكها أبواها^(٣) ، اذا انفردت بالميراث . "وكان الناعى لحضور الطرطوشى أمر المواريث ما يأخذه أمناء الحكم من أموال الأيتام ، وهو ربع العشر ، وتورث البنت نصف المال ، وكانوا يورثونها جميع المال مع وجود ذوى العصبة ، كما هو منذهب آل البيت . فاعتذر المأمون (البطاحنى) بأن هذه قضية لم يقل بها ، وأن أمير الجيوش بدر هو الذى ابتكرها واستجوت المناقشة الى أن

(١) ذكر هذا القصد السخاوى في كتاب الأنساب (ورقة ١٣٧٠) ، وابن خلكان (ج ١ ص ٦٠٧) . ونافقه في ذلك ياقوت ، فذكره في "معجم البلدان" طرطوشة .

(٢) ذكر ابن خلكان (ج ١ ص ٦٠٦) أن هذا الكتاب ليس "مراج الملوكة" ، وإنما هو كتاب "مراج الهدى" .

(٣) السرى أن الشيعة يورثون البنت كل المال ويحولونها حاجية لآل عامر أميران : أحدهما أن أباً يكرأخذ فذلك (قربة بخير) من يد فاطمة ، وكان رسول الله أعطاه تلك النية لارتفاقها ، فادعت أنها رثت ذلك ، فحجج أبو بكر بأن الأنبياء لا يورثون ، واستدل بحديث سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك . فأنه لما أن بنى العباس يهرون أيلولة ميراث رسول الله من إمامة المسلمين لم ، لأنه لم ير رسول الله والفرارث له يوم وفاته ، لأن ابنة فاطمة لا يحوز كل المال ، وعلى أنزل من العباس . فقالوا هم أنها تحوز كل الميراث ، فبينوا بنى العباس من دعواهم . والى ذلك يشير شاعر بنى العباس بقوله :
أنى يكون وليس ذلك بكان لى البيت وراثة الأعلام ؟

قال المأمون للفقهاء : أنا لا أرى مخالفتك ، وكتب توقيع شملته العلامة الأحمريّة والمأمونية ، وهذا نصه بعد التسليم :

(١) يَخْلُصُ لحرم نوى الشيعة الوارثات جميع موروثهم ، وهو المنهاج القويم لقوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، إن الله بكل شيء عليم) (١) .

(٢) إن كل دارج من الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم واعتقاداتهم ، يحمل ما يترك من موجوده على حكم مذهبه في حياته ، والمشهور من اعتقاده إلى حين وفاته ويحمل من سواهم على مذهب تخلفهم ، ويشترك معهم بيت مال المسلمين في موجودهم ، ويحمل إليه جزء من أموالهم إلى أهلها الله لمن يهدم .

(٣) إن أخذ ربع العشر من أموال الأيتام يعود إلى ما كانت عليه الحال .

(٤) أن يؤوض أثناء الحكم عن ربع العشر من مال الموارث الحشرية .

(٥) من لا وارث له ، حاضراً أو غائباً ، فوجوده لبيت المال ، إلا ما يستحقه ^{زوج} أو دين عليه .

(٦) وإن كانت التوفى وارث غائب ، فليحفظ الحكم والمستخدمون بركته . وإذا حضر وأثبت استحقاقه في مجلس الحكم بالباب على الأوضاع الشرعية الخالصة من التشبه والارتباب ، فليخرج الأمر بتسليمه إليه .

(٧) يعتمد القاضي ذلك بالباب ، ويصدر الإعلام به إلى سائر النواب . وبعد تلاوة هذا التوقيع بالمسجدين الجامعين (٢) ، بالمعزية القاهرة المحروسة ومدينة مصر على رموس الأشهاد ، ترسل نسخ منه إلى جميع النواب عنه في البلاد ؛ وليُخلد في مجلس الحكم بعد ثبوته في ديوانى المجلس والخاص الأحمري .

الليتين بقيتا من ذى القعدة سنة ١٩٦ هـ (٣)

ومما هو جدير بالذكر أن تغير قانون الوراثة أوائل القرن الرابع في حكم العباسيين قبل هذا التغير الذى حصل في عهد الفاطميين . وذلك أنه في سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) مات ببغداد رجل من أصحاب اليسار يدعى أبا عيسى أحمد ، ولم يخلف ولداً ، فالت ثروته إلى بيت المال بمقتضى قانون الوراثة المعمول به في ذلك الحين (٤) .

(١) سورة ٨ آية ٧٦

(٢) جامع عمير راجع الأثر .

(٣) المتن الكبير لفرزى ، لين ، خطوط ١٦٤٧ ، المجلد الثالث ، ورقة ١٩٥ أ — ١٩٧ ب .

(٤) حلال الصابي ، تاريخ الوزراء ص ٢٤٦

حدث ذلك في خلافة المعتد العباسي ٢٥٦ — ٢٧٩ هـ (٨٦٩ — ٨٩٢ م) ، فأمر خلفه المعتضد ٢٧٩ — ٢٨٩ هـ (٨٩٢ — ٩٠٢ م) بإرجاع القانون الى ما كان عليه من قبل . وظل الحال على ذلك الى عهد المكتفي ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ (٩٠٢ — ٩٠٨ م) ^(١) ، فصدرت الأحكام في الميراث على حسب التعديل الذي أدخل على هذا القانون ^(٢) .

ولقد أُنكر هذا التعديل الوزير أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وعنه غافقا لما جرى به قانون مذهب السنة ، فحصل على موافقة الخليفة بتعديل قانون الوراثة ، وصدر مرسوم مذيّل بإمضاء الخليفة المقترى ^(٣) :

١ — بأن يُصرف القائون بأعمال المواريث في سائر النواحي ويسطل أمرهم ، ويرد النظر في أعمال المواريث الى الحكام على ما كان يجري عليه قبل أيام المعتد على الله .

٢ — وبأن يُردّ على ذوى الأرحام ما أوجب الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن الخطاب وصلى بن أبي طالب ، ومن اتبهم من أئمة الهدى .

٣ — وبأن ترد تركة من مات من أهل السنة ولم يخلف وارثا على أهل ملته .

٤ — وأن يعمل على ائاعة ما أمر ، وإظهاره وقراءته على الناس في المسجدين الجامعين بمدينة السلام (بغداد) ، ليكون مشهورا متعارفا ، والخبر به الى الأذاني والأناصي واصلا ^(٤) .

ولنشرع الآن في الكلام من حالة غير المسلمين من المصريين في عهد الفاطميين .

كان الأقباط عادة أعرف من مواطنهم المسلمين بالأعمال الكتابية والحسابية والتحرير في ديوان الخليفة ، وكانوا هم وبعض النصارى الملكيين يستخدمون في كافة فروع الإدارة ، وتخرجوا في المناصب حتى أُنعت إليهم الوزارة .

(١) حلال البائس ص ٢٤٧ — ٢٤٨

(٢) شرحه ص ٢٤٨

(٣) شرحه ص ٢٤٨

(٤) شرحه ص ٢٤٨ — ٢٥٢

ولقد حازت هذه السياسة القبول من الوجهة العملية . إلا أنه قد دبت الكراهة لهم في النفوس عند ما أصبح منهم كل جباة الضرائب والقائمون على أموال الدولة .

ويقول أوليري (O'Leary) : ^{١٥} إن النظام الإدارى للشئون المالية فى الشرق قد أمد القبط واليهود بفرصة أظهرها فيها ما انطوت عليه قوسهم من الظلم والخصاصة ، تلك العواطف التى لم يستطيعوا كبح جماحها ، حتى لقد قام الدليل على صحة ما زعموا به من التهم الكثيرة . على أن استخدام النصارى واليهود فى المناصب المدنية هو عُرف شائع قليلا أو كثيرا فى البلاد الإسلامية ، فقد بالغ الفاطميون أنفسهم فى استعماله أكثر مما جرت به العادة من قبل ^{١٦} .

والآن نبحث فى سياسة الفاطميين مع المصريين . ويمكن تقسيم هذا الموضوع الى ثلاثة أقسام من حيث العلاقة التى كانت بينهم وبين : (١) أهل النمة — وهم النصارى واليهود (٢) أهل السنة (٣) السكان عامة .

(١) O' Leary De Leary, p. 114

الباب الثاني

سياسة الفاطميين للصيرين

١ - سياسة الفاطميين للنصارى واليهود

سلبين في هذا الباب كيف كانت أعمال الفاطميين السياسية والدينية موجهة الى غاية واحدة ، هي العمل بكل جد لجل الناس على اعتناق مذهبهم وجعل المذهب الفاطمي سائدا في كافة أنحاء الديار المصرية وغيرها من البلاد التي كانت تحت حكمها .

لقد كان العزيز يحطف على النصارى واليهود كما كان أبوه قبله . ولكن العزيز كان أكثر عطفاً على النصارى لما كان بينه وبينهم من صلة النسب ؛ فانه تزوج بنصرانية وعمل على تعيين أخويها بطريرقين ملكيين — أحق بطريرقين للكنيسة الناصرة للكنيسة الاغريقية الأرثوذكسية المخالفة للكنيسة البطركية — وجعل أحدهما في الاسكندرية ، والآخر في بيت المقدس ^(١) .

ولقد توالى عطف الخليفة على الكنيسة القبطية ، كما توالى أيضا على حماة الملكيين التي كانت تتبعها زوجته ، وصيحه للبطريرق القبطي إفرام بإعادة كنيسة أبي سفيان المخرقة بظاهر القسطنطينية ^(٢) .

ورفع العزيز عيسى بن بسطوروس الى كرسي الوزارة ، كما عين منشأ اليهودي واليا على الشام . فأظهر ابن بسطوروس ومنشأ عناية جليلة لبني ملتهم ؛ فعينهم في مناصب الدولة بعد أن أقصوا المسيحيين عنها ^(٣) ؛ ومن ثم عاد شعور الكراهة نحو أبناء الطائفتين اليهود والنصارى . ولقد تجل

(١) يحيى بن حماد ص ١٤٤ — ١٤٥

(٢) أبو صالح ص ٤٦٤٥

(٣) أوجياع ص ١٨٦ pp. 19, 20 Mann : The Jews in Egypt, etc.

ذلك الشعور ، فقام المسلمون الاحتجاجات على تلك الحماية التي أظهرها الخليفة لغير المسلمين .
ويبلغ من حال هؤلاء السachsen أن كتب أحدهم شكاية وأعطاها امرأة^(١) ، ورغبها
بالمال لتقف في سبيل الخليفة العزيز^(٢) . وقدمها إليه ، وفيها : " بالذي أعزّ النصارى يعيسى
ابن نسطورس ، واليهود بمنشا بن ابراهيم القرار ، وأذل المسلمين بك ، إلّا نظرت في أمري ؟ "

ويقول أبو شجاع إن العزيز أمر بالبحث عن هذه المرأة ، فلم يعثروا عليها . فأمر في الحال
بالقبض على ابن نسطورس^(٣) . وسائر الكتاب من النصارى ، وكتب إلى الشام بالقبض على منشا
وفيه من الموظفين اليهود ، وأمر برد الدواوين والإعمال إلى الكتاب المسلمين ، وعين القضاة
والإشراف على أعمالهم في جميع أنحاء الامبراطورية الفاطمية . ولكن الأميرة ست الملك ابنة الخليفة
شفعت له ، فرد العزيز الوزارة إلى ابن نسطورس ثانيا ، وشرط عليه استخدام المسلمين في دواوين
الحكومة^(٤) .

(١) روى أبو القاسم (ج ٢ ص ١٣٨) وابن أبياس (ج ١ ص ٤٧ و ٤٨) عن المسيحي ، أن هذه المرأة
التي اشترت العزيز لم تكن امرأة حقيقية ، وإنما هي صورة مصنوعة من الورق على هيئة امرأة . ويقول ابن أبياس
إن الصورة كانت مباركة عن سيرة حنيفة في ذي امرأة ، ويدها ممتدة بالشكوى ، وهذا يخالف ما ذكره أبو شجاع
وفيه من الكتاب الذين عاشوا قبله كآمن القلائس (ص ٢٣) ، بل وفيه من المؤرخين الذين جاءوا بعده كالسيوطي (ج ٢
ص ١٧) .

(٢) ذكر أبو البري (ص ١٤٣) أن هذه الحادثة كانت في خلافة الحاكم ، وربما كان ذلك لأن أبا القدا ، الذي
روى أولي عن هذه الحكاية ، قد ذكرها عند كلامه على سنة ٣٨٦ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها العزيز وتولى الحاكم .
ويظهر لنا أن رواية أبي القدا لا تعتمد على مرجع صحيح ، لأن هذه الحادثة وقعت في سنة ٣٨٠ هـ (انظر "أبرهجام"
ص ١٨٦ وابن القلائس ص ٢٣) .

(٣) ذكر ابن زولاخ (المكية الألفية ياريس ، خطوط ١٨١٧ ، ورقة ٥٠ أ) أن العزيز " أرسل من وجه
وسامه وصلب الصرافى على باب القصر ، وأرسل اليهودي يدمشق ، وصلبه على باب المدينة " . ولكن ابن زولاخ
لم يبين لنا أن كانت هذه المدينة هي القاهرة أو دمشق . هل أنه يظهر من كلام ابن زولاخ أن الصلب كان على باب
القاهرة ؟ لأن قوله " أرسل لليهودي يدمشق " (صلا يضره) تحرب إلى القمن أن الصلب كان على باب مدينة القاهرة ،
وأن صلب ابن نسطورس لا يقتضى موته ، لأنه عاش بعد ذلك ما يقرب من سبع سنين . وموته مع ابن زولاخ في سنة واحدة ،
وهو عمدنا في هذه المسألة ، مما يجعل هذه الرواية أقرب إلى الصحة من غيرها . فان رواية ابن أبياس (ج ١ ص ٤٩)
التي نقلها عن المسيحي بأن ابن نسطورس ومنشا شقا ، وأن الأول شتى على باب القصر وثلاثي على أحد أبواب دمشق ،
جيدة من الصحة ، لأن ابن نسطورس عاش بعد ذلك عدة سنوات .

(٤) أبرهجام ص ١٨٧

غير أن رد ابن مسطورس إلى الوزارة لم يرضى المسلمين ، بل زاد في كراهتهم ؛ فسرطت ما اتجر بركان هذه الكراهة عندما ارتقى الحاكم عرش الخلافة . فتقدم الكتاكيون — وهم عصب الخلافة الفاطمية وقتها في مصر — إلى الخليفة الجديد ، طالبين عزل ابن مسطورس وتولية زعيمهم أبي محمد الحسن بن عمار ، وهددوا هذا الخليفة بالامتناع عن تقديم فروض الطاعة والولاء ، بل وبالقتل إذا لم يصغ إلى شكواهم ويسم على تحقيق رغباتهم ^(١) . فلم ير الحاكم بدا من إجابتهم . وفي ٢ شوال سنة ٣٨٦ قتل ابن عمار أزمة الأمور ، وتلقب بأمين الدولة ^(٢) . وكان الحاكم في غضون الأربع السنوات الأولى من خلافته (٣٨٦-٣٩٠) صنيلا لا يستطيع القيام بمهام الدولة ، فانه ارتقى عرش الخلافة في الحادية عشرة من عمره ؛ وعهد بالوزارة — التي كان يطلق عليها "الوساطة" في ذلك الوقت — إلى ابن عمار (٣ شوال سنة ٣٨٦ — ٢٧ شعبان سنة ٣٨٧) ، ومن بعده إلى برجوان ^(٣) (٢٧ شعبان سنة ٣٨٧ — ٢٦ ربيع الثاني سنة ٣٩٠) أستاذ الحاكم ومستشاره ^(٤) .

ولقد ظهر سوء إدارة ابن عمار في كثير من الأعمال بما آلاه في عهد تهادي الوساطة . إذ بالغ في محاباة الكتاكين وأبطل أعطيات الأتراك ^(٥) ، واعتمد على مصونة أحداث المفاربة الذين أتوا من الأعمال ما آثر عليهم الأتراك وأدى إلى التلاحن بين الفريقين . وكان برجوان ينافس

(١) ابن القلائس ص ٤٤ و ٤٥ .

(٢) أبرجياج ص ٢٢٢

(٣) انظر ترجمة برجوان في ابن خلكان (ج ١ ص ١١٠) . وقد أطلق عليه أبرجياج وابن الأثير (ج ٩ ص ٤٢) أبرجوان . وذكر هذا القبط الأستاذ مروجيوت في ترجمته لكتاب "تجارب الأمم" لمكويه ، اللذي بتاريخ أبي جياج . ويستعمل هذا القبط في أغلب كتب تاريخ الأدب باسم برجوان ، ولا يزال ياقا إلى اليوم في الحاضرة المسماة بمسرة برجوان في القاهرة بجهة الخرقش . ويطلق عليه أبرجياج يخلص . وقيل تادر الأصل البري تاريخ أبي جياج هذا القبط من ابن القلائس (ص ٤٤) .

انظر يحيى بن سيد (ص ١٨٤) وابن القلائس (ص ٤٤) وابن منجب (ص ٢٧) وابن ميسر (ص ٥٢) وابن خلكان (ج ١ ص ١١٠) والقرنزي (مجلد ٢ ص ٢٨٧) .

(٤) ابن منجب ص ٢٧

(٥) هذه الحقيقة قد أدلى بها ابن منجب (ص ٢٧) .

ابن عمار ويناقضه العلاء ، مع تعضيد الأثر له ، فكان من أثر هذا التطاحن أن هرب ابن عمار إلى الصحراء^(١) وحل عليه رجوان^(٢) .

وبالرغم مما أظهره الكاظميون من الكراهة الشديدة للنصارى واليهود ، فإن الحاكم قد قلده ابن نسطورس ديوان الخاصة . ويطلب على الفطن أن ذلك كان بسعى رجوان وقنود ست الملك أخت الخليفة التي كانت السبب في حفظ حياته وإرجاعه إلى مركز الوساطة . ويحدثنا ابن ميسر^(٣) أن ابن نسطورس قتل في المحرم من سنة ٣٨٧^(٤) ، أى بعد تقلده هذه الوظيفة الجليلة بعدة أشهر .

والعبارة التي أوردها لنا أبو شجاع^(٥) عن قتل ابن نسطورس تشوبها شائبة الغموض . فانه قد ذكر أن ابن عمار قتله (ابن نسطورس) وهو في الوزارة . وفي ذلك يقول : " وكان عيسى ابن نسطورس على حاله في الوزارة ، قبلته عنه ما أنكره فضرب عنقه " ^(٦)

ولعل هذا الغموض الذي يبدو في عبارة أبي شجاع يرجع إلى جهله بالتاريخ الذي تقلده فيه ابن عمار مقاليد الوساطة (الوزارة) ، ويؤيد ذلك أنه لم يذكر لنا شيئاً عن هذا التقليد . ولكن ما ذكره أبو شجاع من زعامة ابن عمار للكاظميين وتلقيه بأمين الدولة ، يجعلنا نميل إلى القول بأنه تقلد الوزارة قبل قتل ابن نسطورس .

يضاف إلى ذلك ما قاله يحيى بن سعيد من أن ابن نسطورس لم يكن حين وفاته في دست الوزارة حيث يقول : " وكان عيسى بن نسطورس قد رسم أيام نظره رسوما جارة ، وأحدث مكوساً زائفة . . . فحذف ابن عمار جميع ذلك ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، وقبض على ابن نسطورس واعتقله ثم قتله " ^(٧) .

(١) ذكر ابن منبج (ص ٢٧) أن ابن عمار قدم استقالته إلى الخليفة الذي بادر إلى قبولها وعين رجوان في محله . ولكن فراره إلى الصحراء مع جماعة من أهوانه وبقاءه مخفياً مدة من الزمن إلى أن أتمته رجوان ، يقرب إلى القدر أنه لم يستقل (انظر أبو شجاع ص ٢٢٦) . وقال يحيى بن سعيد (ص ١٨١) إنه بن مخفياً في داره في القاهرة ، وخالفه ابن القلاسي في ذلك فقال إن ابن عمار اختفى في بيت رجل من العامة ، وهذا أرجح في نظري .

(٢) ابن القلاسي ص ٤٤

(٣) ص ٥١ و ٥٤

(٤) يقول القرطبي (غلطج ٢ ص ٢٨٧) إن وفاة ابن نسطورس كانت في سنة ٤٠٣ ، وهو خطأ واضح .

(٥) يظهر أن ابن القلاسي (ص ٣٣) قد قتل هذه العبارة .

(٦) ص ٢٢٣

(٧) ص ١٨٠

ومع ذلك فإن ما أورده يحيى بن سعيد يناقض ما ذكره ابن ميسر^(١١) ، من أن ابن نسطورس قتل ديوان الخليفة خليفة إلى أن قتل بعد شهر قتل .

وإنما نيل إلى صحة عبارة ابن منجب ونزلها أرجح من رواية يحيى بن سعيد ، ولو أن وفاته (٥٤٢ هـ) كانت بعد وفاة يحيى بن سعيد (٤٥٨ هـ) بما يقرب من ثمانين سنة . فانه فضلا عن كونه مصري المولد والدار ، فقد قتل أيضا ديوان الرسائل ؛ فيحتمل أن يكون قد حصل على هذه الأخبار من وثائق رسمية . وإذا فانا أرجح أن ابن نسطورس قد قتل إلى ديوان الخليفة خليفة عند صرفه من الوزارة ، أو بعد ذلك بقليل ، وأنه قد اتهم بالبيت بأموال الدولة ، فأعطى بذلك خصمه زعيم الحكاميين سلاحا للتخلص منه بقتله .

وقد ظل الخليفة الحاكم تحت إشراف برجوان إلى اليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ٣٩٠ هـ ، وهو اليوم الذي قتل فيه برجوان^(١٢) . وفي الشطر الأول من خلافة الحاكم (٣٩٠-٣٩٥ هـ) ، حين أصبح عقله مغلا وسياسته مضطربة ، أظهر تمعبا شديدا للذهب الفاطمي . وفي الشطر الثاني من خلافته (٣٩٦ - ٤٠١ هـ) ، اضطرب أن يغير سياسة التمعب المنهي ، لما كان من اضطراب جبل الأموري داخل البلاد ، بسبب ما تزل بها من المجاعة والضنك وتهديد الأعداء بالإغارة على حدودها الغربية ؛ فكان لا بد له من القضاء على الثورة الداخلية وصد هؤلاء الأعداء المهاجمين .

في سنة ٣٩٣ هـ نشط في عمارة المساجد وفي إغراق الإحسان على المساجد .^{١٣} واهتم مع ذلك بتشجيع مبادئ المذهب الفاطمي ، وقسا على اليهود والنصارى في المعاملة ، مسوقا بضغط الرأي العام الذي لا يشك في أنه قد حاجه ما رآه من الخلفاء الفاطميين من محاربة غير المسلمين^(١٤) .

كان من أثر هذه السياسة التي جرى عليها الحاكم أن قتل فهد بن ابراهيم في الثامن من جمادى الأولى سنة ٣٩٣ هـ . وقد يتنا قبل أن برجوان قتل الوساطة في السابع والعشرين من

(١١) ص ٥٤

(١٢) ذكر هذا التاريخ ابن منجب (ص ٢٧) . وقال أبو شعاع (ص ٢٢٠ و ٢٢١) بعد أن أدل بالأسباب التي أغضت إلى قتل برجوان ، إن وفاته كانت في سنة ٣٨١ هـ ، أي قبل ولاية الحاكم الخليفة بثمان سنين . وذكر ابن قفلاص (ص ٥٥) أن الخطوط التي أغضت لقتل برجوان بدأت في سنة ٣٨٩ هـ . وأحق القوي مع ابن منجب (فرس ، حاشية ١) ، ذكر كل منها أن وفاة برجوان كانت سنة ٣٩٠ هـ .

(١٣) O'Leary, 143.

رمضان سنة ٣٨٧ هـ ، وجعل فهدا كاتباً له ، وتلقب بالرئيس ، وعهد اليه بفض الشكايات والاشراف على غلمان القصر ، ومعاونة برجوان في ادارة شئون الدولة والنيابة عنه اذا غاب . فلما مات برجوان وصل عمله الحسين بن جوهر ، كان فهد معه كما كان مع سلفه ، وبقى كذلك الى أن قتل في أيامه^(١) .

ولقد كان لتعصب الجمهور وتعصب الحكامين بوجه خاص ، وروح التبرم التي أثارت عليه حفيظة رجال الدولة ، وشعور الكرامة التي سادت النفوس ضد النصارى تأثير كبير في قتل فهد بن ابراهيم .

ففي جمادى الثانية من سنة ٣٩٣ هـ أشار ابن العداس - وكان من وزراء العزيز الفاطمى - على أبى طاهر النحوى الذى كان يعرف بالكاتب ، وكان يتولى ديوان الشام^(٢) ، أن يجبر الخليفة بما تشكوه العامة من النصارى ومناصرة فهد لم وتفويضه الهم الأموال والنواوين^(٣) ، وأن يضيف الى ذلك أن فهدا " آفة على المسلمين وعدة للنصارى " .

وقد أجاب أبو طاهر الى ذلك . ولقى الحاكم عشية ذلك اليوم وكر ما كان قد سمعه من ابن العداس ثم قال : " يا مولانا ! ان كنت تؤثر جمع الأموال واعزاز الإسلام ، فأرى رأس فهد بن ابراهيم فى طست ، وإلا لم يتم من هذا شيء " . فقال الحاكم : " ويحك ! ومن يقوم بهذا الأمر " ؟ فاقترح اسم ابن العداس ؛ فرضى الحاكم على كره منه ، كما يظهر ذلك من ملاحظته على كلام ابن النحوى^(٤) .

ثم أعلم ابن النحوى ابن العداس بما كان من موافقة الخليفة ، فلم يشك هذا في أن الحاكم سوف يثار لقتل فهد وقال له : " ويحك ! قتلتي وقتلت نفسك " .

وان هذا رأى الذى أبداه ابن العداس ، بين بوضوح أن الحاكم شعر بشئ من التبرم لارتكاب هذا العلوان على رعاياه من غير المسلمين . وعلى كل ، فقد خلف ابن العداس فهدا في مركزه ، ولم يمض تسعة وعشرون يوماً حتى قتل وأحرق (٦ شعبان سنة ٣٩٣) .

(١) يحيى بن سعيد (ص ١٨٥) ، وابن القلائى (ص ٥٦)

(٢) كان أبو طاهر متقدماً ديوان الجباز على ما ذكره ابن القلائى (ص ٥٩) .

(٣) ابن القلائى (ص ٥٩) .

(٤) ابن القلائى (ص ٥٩ و ٦٠) ، والمقرئى غطط (ج ٢ ص ٣١) .

وفى الخامس عشر من رجب — أى بعد مقتل فهد بأسبوع واحد — لحق به أبو طاهر^(١) . أما فهد ، فإن الحاكم أحضر أولاده على أثر مقتله ، وخلع عليهم وكتب لهم سجلاً بمجاثمتهم ومنع الأذى عنهم^(٢) .

وكانت الخطوة الأولى التى اتخذها الحاكم لتنفيذ سياسته أن اشتد على كبار موظفيه وحملهم على الإسلام ، لينزىل بذلك الأمور التى اتهموا بها ، فأمر بالقبض على بعض رؤساء الكتاب من النصارى . ولكن الحاكم قد أطلق سراحهم وأعيدوا الى مراكم بشفاعه أبى الفتح سهل بن مقشّر النصرانى ، طبيب الخليفة الخالص الذى كان مقرباً منه كما كان مقرباً من أبيه العزيز^(٣) .

وفى سنة ٥٣٩٥هـ (١٠٠٤ — ١٠٠٥م) أمر الحاكم النصارى واليهود بشد الزنار وليس النيار^(٤) . وفى سنة ٣٩٨هـ (١٠٠٧ — ١٠٠٨م) بدأت سياسة الحاكم للعدائية إزاء النصارى واليهود ، فهدم بعض الكنائس ونهب البعض ، واستولى المسلمون على ما فيها من الأواني المقدسة والأثاث ، وبيعت الأواني فى الأسواق^(٥) .

وقال يحيى بن سعيد^(٦) إنه قد سمع للنصارى بأن يبنوا ثلاث كنائس فى مقابل الكنائس التى هدمت . وقد يكون السبب الذى دعا الى ذلك أن موقع الكنائس التى بنى على أطلالها مسجداً الحاكم وراشدة قد اعتبر من المنافع العامة ، فهلمت لذلك لالتىء آخر .

وفى سنة ٤٠٠هـ تقلد الوزارة منصور بن عيرون النصرانى بدل صالح بن على الروذبارى^(٧) (١١ صفر سنة ٤٠٠) ، فى وقت كان الاضطهاد قائماً على قدم وساق . ولقد أطلقت يد ابن

(١) ابن القلانسى (ص ٦٠ و ٦١) .

قد تناول كل من أبى نجاش (ص ٢٢٦ و ٢٣٠ و ٢٣٢ و ٢٣٦) ويحيى بن سيد (ص ١٨٥) الكلام على هذه المسائل بإيجاز .

(٢) ابن القلانسى (ص ٦٠) .

(٣) يحيى بن سيد (ص ١٨٥ و ١٨٦) ، ولفظي (١٧٨ و ١٢٨) .

(٤) هو الشارة التى يعرف بها كل من الرعايا غير المسلمين التابعين للحكومة الإسلامية .

(٥) يحيى ابن سيد ص ١٨٦ و ١٩٥ .

(٦) ص ١٨٦ .

(٧) هذا اللفظ مشتق من روذبار وهى ، على ما ذكره السمعاني (تجيب الأسباب روه ٢٦١ ب) ، أما كى مينة تقع فى جهات مختلفة على الأنهار الكبيرة . ويطلق هذا اللفظ كذلك على قرى كثيرة تقع على مقربة من أسيان ، وعلى قرية قرية بن ينداد .

عبدون وأصبحت له السلطة التامة في إدارة البلاد ، حتى إنه كان يوقع نيابة عن الخليفة .
وعهد تقي الدين عبدون الوزارة أمر جدير بالملاحظة ، لما كان من إشارته على الخليفة بوجود هدم
كنيسة القمامة^(١) في بيت المقدس^(٢) .

وقد أصدر الحاكم الأوامر بمنع النصارى من الاحتفال بالتوروز على شواطئ النيل ، وحرّم
الألعاب التي كانت تقام عند الاحتفال بهذا العيد^(٣) .

ويقول ابن زولاق إن المعز أبطل إقامة هذا الاحتفال (وربما كان ابنه العزيز هو الذي أعاده)
بسبب ما كان يلازمه من المفاصد ؛ فكان ينادى بعدم الاحتفال وصلب كل من لم يقطع أمره .
ونحن ننقل قول ابن زولاق للقارئ : "ثم لما تولى المعز بمصر ، منع القبط من صب
المياه في يوم التوروز في الطرقات ، ووقود النار [في تلك الليلة ، ومن التوروز في المراكب ،
وضرب الخيل على شاطئ البحر (يعني النيل) عند المقياس ، لأنه كانت تحصل بسبب ذلك مفاصد
عظيمة ، فأبطل ذلك جميعه ، ونادى أن كل من يفعل ذلك يصلب "^(٤) .

ولقد اتسع نطاق اضطهاد النصارى الذي قام به الحاكم . وربما كان ذلك ناشئا من إسناده
مركز الوزارة إلى بعض النصارى واليهود ؛ فقد كان ذلك يوغر صدور المسلمين عليهم . ولما غضب
عليهم الحاكم ، اشتدت حكومته عليهم في تنفيذ الأوامر التي تقضى بلبس النصارى .

في المحرم سنة ٤٠١ أقبل ابن عبدون من الوزارة بعد أن تمسكها أحد عشر شهرا ، وترجع
في دمسها رجل من المسلمين ، هو أحمد بن محمد القشيري^(٥) . ولكن هذا عزل بعد عشرة أيام^(٦) ،

(١) إطلاق لفظ القمامة على الكنيسة المروقة في القدس ، لأن موضعها كان قد احتله اليهود مزبلة ، حتى جاءت هيلة
أم تسططين وسالت من المكان الذي يزعمون أن المسيح صلب وغسل ودفن فيه ، فقلت على القمامة . فأزالت مع القمامات وبنت
في موضعها الكنيسة . ويطلق هذا اللفظ أحيانا على الكنيسة التي أداها القصر فيف .

(٢) يحيى بن سعيد ص ١٩٤ ، ابن القلائص ص ٦٧ و٦١

(٣) يحيى بن سعيد ص ١٩٦

(٤) المكتبة الأتلية بباريس ، خطوط ١٨١٧ ، ورقة ٤٨ أ . ذكر ابن اليسر (ص ٤٦) وابن لباس من المسيحيين
(ج ١ ص ٤٦) أن المعز أصدر الأوامر بمنع إحياء النيران في الليلة التي قبل يوم التوروز ، ومنع صب الماء
في هذا اليوم .

(٥) قد أوردته يحيى بن سعيد (ص ١٩٨) القسوى . ويحتمل أن يكون هذا اللفظ محرفا عن لفظ القشيري (انظر كتاب
الأنساب للسماقي ، ورقة ٤٥٥ ب) . وذكره ابن منجب (ص ٢٨) قشورى ، وصححه كاذكه السماقي (كتاب
الأنساب ، ورقة ٤٥٣ أ وما يتبعها) قشورى ، منسوب إلى بني قشور وهي قبيلة كانت تقيم في البصرة ، ينتسب إليها المحدث
المشهور مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صاحب الصحيح .

(٦) أروسته أيام على ما ذكره يحيى بن سعيد ص ١٩٨

ثم قتل وحل محله في الوزارة زُرعة أخو عيسى بن نسطورس ، وتلقب بالشافى ، وظل يطلق عليه هذا اللقب الى حين وفاته في صفر سنة ٤٠٣ هـ^(١١) .

وفي ذلك الوقت بدأت سياسة الحاكم تظهر بظهر أكثر تقبلا وتغذبا ، وأصبح عقله أكثر ارتياكا واضطرابا . أما سياسته مع غير المسلمين ، وخاصة النصارى ، فقد كانت تابعة لراى جمهور الأمة . ولم يكن استياؤهم راجعا لنحلهم الدينية فحسب ، بل ولأنهم كانوا يشتغلون بجمع الضرائب .

وفي سنة ٤٠٠ و ٤٠١ هـ لم يقتصر الاضطهاد على غير المسلمين ، بل تعداهم الى بعض ذوى المناصب العالية من الفاطميين ، ثم انتهى بشموله جميع السكان كل اختلاف طبقاتهم . فهرب من البلاد الحسين بن جوهر وأولاده ، وعبد العزيز بن النعمان قاضى القضاة سابقا ، وأبو القاسم الحسين المغربى^(١٢) ، من الوزراء السابقين ، وقتل كثير من كتاب " البلاط " والخواص وخدام القصر . وفي شوال سنة ٤٠٠ قتل صالح بن علي الروذبارى الذى كان قد أقيل وحل محله ابن عبيدون . وقتل أيضا أحمد بن عبد القشبرى (١٤ المحرم سنة ٤٠١) ، ولحق به بعد قليل ابن عبيدون وصودرت أملاكه . كذلك قتل الحسين بن جوهر والحسين بن النعمان وصودرت أموالهما ، بعد أن أخذنا من الحاكم أمانا حادا على إثره الى القاهرة^(١٣) .

وفي سنة ٤٠٢ هـ صدرت قوانين ضد النصارى واليهود أكثر صرامة من القوانين التى سبقتها . فقد أمرهم الحاكم بلبس العليالس وبوضع صلبان على أعناقهم ، طول كل صليب منها قدم وزنته خمسة أوطال (أى ما يقرب من عشرة أوطال الآن) ، وأمر اليهود بحمل قرأى الخشب في رقابهم ، زنة كل منها زنة صليب النصارى ، وألا يركبوا البواب الحلاة للسروج ، وأن تكون ركابهم من خشب ، وألا يستخدموا أحدا من المسلمين ، وألا يركبوا حمارا لمكاري مسلم ، ولا سفينة ربابها مسلم ، وأن تكون الصليبان في أعناق النصارى اذا دخلوا الحمامات العامة ،

(١١) عيسى بن سعيد (ص ١٩٨ و ١٩٩) .

وقد رافقا ابن منجب (ص ٢٨) بتاريخ وفاته .

(١٢) قتل ابنه عبد مقتل ابن النعمان والحسين بن جوهر (أبو نعيم ص ٢٢٣) .

(١٣) ابن القلائى (ص ٦١) .

والجلال في أعناق اليهود لتمييزوا بذلك عن المسلمين^(١). ثم افرد في سنة ٤٠٨ حمامات اليهود^(٢) وحمامات النصراني عن حمامات المسلمين ، وميز حمامات النصراني بوضع الصلبان فوقها ، وميز حمامات اليهود بالقرامى^(٣) .

ومن الصعب علينا أن نحدد الوقت الذى انتهى فيه الاضطهاد لمحمدينا تماما . ولكنا نظن — كما يظن دى سامى — أن وطأته أخذت تخف حول سنة ٤٠٠ ع^(٤) . وزادنا دى سامى أنه حول سنة ٤٠٤ اجتمع النصراني واليهود وقابلوا الحاكم ، كما يعلم ذلك من كتب الدروز .

وبينا كان الحاكم يسير يوما في مقبرة قباب الطير ، اذ قابله جماعة من ممثلى الطائفتين ، وكانوا في انتظاره ، واستأذنوه في الكلام والتعبير عما خالج قوسهم من أحزان وآلام . فأذن لهم وأمنهم ، وأعطاهم الحرية في القول ؛ فتكلموا وقالوا له إن سلوكه معهم ينافر ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ، وسألوه كيف يبرر هذه السياسة التى تناقض العهد والميثاق الذى أعطى لهم . فأمرهم بالانصراف والحضور لمقابته في نفس المكان من الليلة التالية مع علمائهم ، وأكدهم أنه لا يتألم منه ضرر اذا ما تكلموا عما بأنفسهم .

وفي الليلة التالية ، أخبرهم الحاكم بأن هذا السلوك الذى كان في عهد النبي ، كان القصد منه الترغيب في الدخول في الدين الاسلامي ؛ ولكنه لم يؤت ثمرته المنتظرة . والآن وقد مضى على الاسلام أربعة قرون ، وكان في مكنتهم الدخول فيه ، لأنه في تناول كل انسان ، وكانت مبادئه تحت أنظار الجميع ، وفي قدرتهم أن يفحصوها ويحسبوها ، فليس لكم الآن عندى الا اختيار واحدة من اثنتين : اما اعتناق الاسلام بكل هذا التأخير ، واما العقوبة العاجلة اذا أبيت الدخول فيه . فلم يحسر المنذوبون على الاحتجاج على ما فاه به الخليفة وانصرفوا من حضرته^(٥) .

(١) يحيى بن سعيد (ص ١٨٧) .

(٢) يظهر من كلام ابن زولاك (رددة ١٥١) وابن لياس (ج ١ ص ٥٠) أن تخصيص سارة زينة اليهود كان في ذلك الوقت .

(٣) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) .

(٤) Vie du Khalife Hakim-Bisr—Allah, Vol. I, P. 376 .

(٥) شرحه (ج ١ ص ٣٧٦) وما يتبعها .

ويحدثنا يحيى بن سعيد^(١) أن الحاكم أجاز لليهود والنصارى الذين لم يدخلوا في الإسلام ولم يخضعوا لقوانينه بالهجرة إلى بلاد الأغرقي^(٢) . فهاجر كثير منهم إلى بلاد الدولة الرومانية الشرقية ، وإلى بلاد النوبة والحبشة ؛ ومن بقى منهم دخل في الإسلام^(٣) .

كانت سياسة الحاكم مضطربة لا تستقر على حال . ففي سنة ٤١١ هـ تأثر بتعاليم الدرزي الذي كان ينادى بأن روح الآله حلت في الحاكم^(٤) ؛ وكذلك تأثر بتعاليم الأخرم الذي نادى بكل جساسة في المسجد العتيق وبحضرة قاضي القضاة ، " باسم الحاكم الرحمن الرحيم ! " ؛ وبذلك أعطاه الصفات التي هي من صفات الله سبحانه . كما أنه تأثر بتعاليم حمزة الذي كان أصحابه يركبون^(٥) عند ما يرون الحاكم في الشوارع ويصيحون قائلين له : " أنت الواحد الأحد والمحيي الميت " . وبذلك انصرفت الحكومة الفاطمية عن تأييد المذهب الفاطمي إلى تأييد هذه العقائد الجديدة .

انتهى في ذلك الوقت اضطهاد النصارى واليهود تماماً ؛ وزاد اختلال عقل الحاكم ، فاعتقد أنه الشخص الأعل والمخلوق الأعظم ، وأن الإسلام ليس بأرقى من الأديان الأخرى . وهذا التغيير الجذبي في سياسة الحاكم كان في غضون المدة من سنة ٤٠٨ هـ إلى ٤١١ هـ . ولا شك في أن هذا الانقلاب كان راجعاً إلى التمايل الإسماعيلية التي تلقاها في أرقى درجاتها من العلو .

ففي سنة ٤١١ هـ (نوفمبر — ديسمبر سنة ١٠٢٠) رجع جماعة ممن اعتنقوا الإسلام خوفاً إلى دينهم القديم^(٦) . وفيها أمر الحاكم بإعادة بناء الكنائس التي كان قد هدمها ، وأعاد إليها

(١) (ص ٢٠٧)

(٢) ذكر المقرئ (خطوط ج ٢ ص ٢٨٨) أن كافة النصارى واليهود أمروا بالهجرة إلى بلاد الأغرقي . ويظهر أن دى سامي (Vie de Khalifa Hakim, etc. Vol. I, p. 378) أخذ عبارة عن يحيى بن سعيد (ص ٢٠٧) .

(٣) المقرئ (خطوط ج ٢ ص ٢٨٨) .

(٤) يحيى بن سعيد (ص ٢٢٠ و ٢٢١) .

(٥) ذكر أبو الحسن (ج ٢ رقم ١ ص ٩٧) أن عادة الزكوة كانت شائعة منذ سنة ٨٣٩ هـ ، حين أقيمت الخطبة للحاكم ، لا في مصر وحدها ، بل وفي المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، وسائر الولايات الفاطمية .

(٦) يقول ابن زولاقي (المكتبة الأهلية بباريس ، خطوط ١٨١٧ ، ورقة ٥١ ب ، وابن أبي جاس ج ١ ص ٥١) أنه قد ارتد أكثر من سبعة آلاف يهودي إلى دينهم القديم في يوم واحد .

أنلأكلها . وكان من أثر هذا التنبر الجليد في سياسة الحاكم إزاء النصارى واليهود أن عاد إلى مصر كثير من كانوا قد هاجروا إلى البلاد الأجنبية — وذلك في سنة ٤١١ هـ ، وهي السنة التي انتهى فيها الاضطهاد^(١) .

هكذا كان مسلك الحاكم طوال حياته في منتهى الفرية . وبعد وفاته ، أو بعبارة أدق بعد انتهاء اضطهاده الذي دام تسع سنين (٣٩٨ — ٤٠٧ هـ) ، تمتع النصارى واليهود بحريتهم الدينية في عهد الخلفاء من بعده ؛ وأخذ الشعور العدائى الذى كان في قلوب المسلمين نحو مخالفيهم في الدين يقل ويضعف . وما كان يظهر له أثر إلا في فترات قصيرة ، وبخاصة عند ما يتقلد نصرانى أو يردى منصبا من مناصب الدولة ، ولا سيما الوزارة ؛ فان انتقالها إلى يد رجل من غير المسلمين يترتب عليه تقوية نفوذهم واستئثارهم بكثير من هذه المناصب .

وقد أمدنا ابن ميسر بمثلة كثيرة من هذا النوع ، حيث يصف لنا وفاة أبى سعيد التستري اليهودى عند كلامه عن سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) . وقال ابن أم الخليفة المستنصر كانت من قبل أمة في بيت التستري ، وأنه أهدها إلى الخليفة الظاهر . وبعد وفاة الظاهر ارتفع قدر التستري وتقرب من الخليفة المستنصر ، وإن كان لم يستطع أن يناوئ سلطة الوزير أبى القاسم الجرجاني^(٢) .

ولكن بعد وفاة الجرجاني عظمت سلطة التستري ، لأنه تولى نظارة الخاوية لأم الخليفة المستنصر ، وقبض على أزمة الأمور في عهد الوزير أبى منصور صدقة بن يوسف الفلاحى^(٣) . لحقد عليه الوزير ، لأنه لم يكن له من الوزارة معه إلا الاسم فقط^(٤) .

أما الأسباب التي أدت إلى قتل التستري فقد وافانا بها ابن ميسر ، فذكر أن بنى قرة من سكان البحيرة قاموا بثورة عظيمة اشتد وقها على الدولة . فأنفذ المستنصر إليهم عزيز الدولة

(١) يحيى بن سعيد (ص ٢٣١ و ٢٣٢) .

(٢) ذكر ابن منجب (ص ٣٦) أن الجرجاني تقلد الوزارة في ذي الحجة من سنة ٤١٨ هـ ، وأتى لنا ابن الفلاحى (ص ٨٠ — ٨٤) بنسب جعل تقليد الوزارة التي بين فيها إلى حين وفاته في ٦ رمضان سنة ٤٣٩ هـ .

(٣) أطلق عليه ابن الفلاحى (ص ٨٤) أبا نصرمة بن يوسف .

(٤) ابن منجب ص ٧٦ و ٧٧ ، وابن ميسر ص ٢٠١

ريحان على رأس قوة كبيرة لقمعها . وكانت نتيجة انتصاره عليهم أن نال الخطوة عند الخليفة ، وشمله بسطفه ورعايته ، وقربه إليه ، واجتذب ريحان المغاربة إليه بزيادته في إعطياتهم وتقليله من إعطيات الأتراك واشتداده عليهم . فكان من أثر هذه السياسة أن وقع الخصام والتطاحن بين الفريقين . ومات ريحان في ذلك الوقت من مرض ألم به على حين غفلة ؛ فانهز الوزير الفلاحي هذه الفرصة ونال من خصمه التستري القديم الذي كان يحقد عليه لاستنثاره بالسلطة دونه ، وعزا موت ريحان إلى أنه سقاها سماً ونشر ذلك بين الجنود .

وفي ٣ جمادى الأولى من سنة ٤٣٩ (١٠٤٧ م) ، بينما كان التستري في طريقه إلى القصر ، انقض عليه ثلاثة من الأتراك وقتلوه . ثم مثل الأتراك بجثته ؛ فقطعوها إرباً إرباً ، وأحرقوا بعضها ، ثم دفنوه في التراب ؛ وما بقي من جثته أخذه أهله ووضعوه في نضج وأحاطوه بالشموع الموقدة ، وتركوه في مكان منعزل ؛ فامتدت النار إلى العشب فأحرقته بما فيه^(١) .

وبعد مقتل التستري أسند الخليفة المستنصر ديوان خاصته إلى أخيه أبي نصر ، وقلد ابنة إدارة أحد الدواوين الحكومية . ولكن قتل التستري قد ألم أم الخليفة ، ولم يكن بالحادث الذي تناساه . ولا غرو فقد أثار حفيظتها على الفلاحي ، فأقيل وحبس ، ثم قتل في المحرم سنة ٤٤٠^(٢) .

والحقيقة أن شعور المسلمين السلجوقي نحو التستري وأهل ملته كان من الشدة بحيث أعطى الفلاحي فرصة للايقاع به . ويحدثنا ابن ميسر أن التستري كان مكروها لدى المسلمين ، وأن أبناء دينه الذين كانوا بيدين من مناصب الحكم بدلوا يشغلون في عهده كثيراً من مناصب الدولة ويضطهدون المسلمين إلى درجة أن شاعرا من الشعراء المعاصرين يسمى الرضى^(٣) كتب هذه الأبيات :

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك

(١) انظر ابن ميسر (ص ٢)

(٢) ابن متجب (ص ٣٧ و ٣٨) ، وابن ميسر (ص ٢)

(٣) يحتدل أنه الرضى بن البراء . وقد ورد في تاريخ ابن ميسر لفظة "البواب" من غير قط ، الأمر الذي يحقق صحتها . والخطوط الموجودة بالكتابة الألفية ياريس لا يحمل هذه الصيغة ، فإن ناسخ هذا الكتاب لم يستطع أن يبين صحة هذا القول .

يا أهل مصراني قد نصحت لكم تهودوا ، قد تهود الفلك^(١)

(١) السيوطي (ج ٢ ص ١١٦)

وقد نقل هذه الآيات الأستاذ أ - ج - براون في كتابه "الأدب الفارسي في عهد التار" ١٢٦٥ - ١٥٠٢ م - ص ٣٢ ، (١) آله عبد الله بن فضل الله المعروف بوصاف الحضرة - أظن كتاب "كشف الظنون" لحاجي خليفة ، طبعه يولاق ج ١ ص ١٨١ ، عند كلامه عن أرغون (١٢٨٤ - ١٢٩١ م) الذي كان وزيره سمس الدولة يهوديا ، وكان مكروها لدى المسلمين الذين اتهموا مولاه بأنه يكيد الإسلام ويتآمر عليه . وهذه المسألة تشبه كثيرا ما كان من التسترى مع أبناء دينه ؛ فإن اليهود قد استفادوا من مركز سمس الدولة ، وتغلطوا في الحكومة وشغلوا كثيرا من المناصب العالية ، وزادوا في ذلك إلى درجة أحفظت المسلمين حتى تعلم شاعر من الشعراء المعاصرين قصيدة نقل منها هذه الآيات :

يهود هذا الزمان قد بلغوا
مرتبته لا يشأها فلك
المالك فيهم والمال عندهم
ويشتم المستأر والمالك
يأمنش الناس قد نصحت لكم
يهودا ، قد تهود الفلك
فانتظروا صيحة السلب لم
فن قليل تروهم طكروا

والحق أن هذه الآيات تشبه الآيات الأولى في مجرىها وثافتها ، بل وجعل ألقاظها . وليس الشاعر الثاني أكثر من تغريب بسيط في بعض الألفاظ . وهذا يبيّن زجج أن هذا الشاعر ، الذي عاش بعد الشاعر الأول بقرنين ونصف قرن قد نقل من البحر والثقافة والمضى وكثيرا من الألفاظ . وما يجب ملاحظته ، أن ابن سيرناقل الآيات الأولى قد توفي في القرن السابع الهجري (سنة ٦٨٨ هـ) ، وصاحب "تاريخي وصاف" توفي بعد سنة ٧١٧ هـ (لم يبين حاجي خليفة تاريخ وفاة هذا الرجل) ، وهي أثرمة تناول الكلام عليها في تاريخه^(٢) .

والبيت الرابع من آيات الشاعر الثاني ينشأ بما سبيل اليهود جميعا من الاستطهاد . وقد كان ما تنبأ به هذا الشاعر . فإنه بعد مقتل سمس الدولة ورواة أرغون ، حلت بهم الاستطهادات من نهب وقتل في كثير من الأحيان . وهناك قصيدة تالفة من البحر والثقافة لا بأس من نقل آيات منها ، فإنها تمدنا بمادة أخرى مشابهة للوحدات السابقة . وناظم هذه القصيدة هو زين الدين بن سعيد الخليلي ؛ ومنها نستدل على ما كان يضره سلوك هذا العصر من كراهة اليهود ، وكيف كان يتألم المسلمون منهم عند منوج القرصة ، لأنهم كثيرا ما اضطهدهم عند ما كانت أمور الدولة بأيديهم :

١ نمس من دار باسمه الفلك
هذي القردة اليهود قد طكروا
٢ وقارق النص سمس دولهم
واقتضوا في البلاد وانتهكوا
٣ وشنت الله حمل طكهم
وبالحسام الصقيل قد منكوا
٤ كم حكوا في البلاد لا حكوا
وارتكوا المرفقات وانتهكوا
٦ مقام الحف سادة خشن
قاملات بالجانب السكك
٧ وانتظروا المال من ديارهم
والحريم الجبرام قد طكوا
١٠ فأنتم فرأمة سلفت
وأتم فرأمة تركوا
٢٢ هربتكم ، أبتى بهجوم
جنان خط يزيها السكك
٢٣ زحما لم ن قال في قصيدته
تهودوا ، قد تهود الفلك

(١) حاجي خليفة ، طبعه القاهرة (ج ١ ص ١٨١) Brown : Persian Literature under Tartar Dominion, p. 33 seq.

(٢) سمس الدولة هنا معناه حسن حظ الدولة . وفي هذا البيت من المحسنات البديعة التقابل بين هفتي سمس الذي يطلق على أئالكواكب السعيدة ، والنص الذي يطلق على أئالكواكب المشعومة .

هذا ، ولقد وصف لنا ابن ميسر^(١) عند كلامه على حوادث سنة ٥٢٣هـ (١١٢٨-١١٢٩م) سبب موت أبي نجاح ، وهو نصراني يعرف بالراهب ؛ وكان موته على يد المقداد والى مدينة مصر في ذلك الوقت . وقد أمر بختانه قُصِّل ، ثم أُنزل وربط على لوح من الخشب ، ثم قُنف به في النيل . وأصدرت المنشورات الى الأقاليم داعية الناس الى التفرج عليه ، وكان جنائنه كلما جذبه التيار الى جهة من الجهات ، خرجوا لرؤيته . وكانوا يضعون في طريق الجلطة شيئا يرفعها الى الأعلى ؛ فلما تم لهم غرضهم من التفكه برؤيتها ، رفعوا هذا الحاجز ، فتتحد الجلطة الى النهر . وهكذا دواليك ، حتى سار جنائنه الى البحر الأبيض المتوسط ، فكان مقره الأخير .

وزيدنا ابن ميسر أن أبا نجاح كان في خدمة أبي البركات يوحنا بن الليث . ويظهر لنا أنه نصراني كما يدل على ذلك اسمه هذا . وقد اتصل أبو نجاح بخدمة الخليفة الأمر بعد وفاة المأمون البطاشي (٢٠ رجب سنة ٥٢٢) ، وبُذِل له في مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار ؛ فأطلقت يده فيهم ، وامتد بلاؤه الى كبار الموظفين ومن بينهم القضاة والكتاب ، بل وسائر الناس عامة .

وكان مجلس بالجامع العتيق ويستدعى من أراد مصادرته . وقد طلب يوما رجلا من العلول المتنازين يعرف بابن القوس ، وهو ممن نال اجلال الناس واحترامهم ، فأهانته . فخرج من عنده ووقف في الجامع في يوم الجمعة حيث يشتد ازدحام الناس ، ومبرعما شعره من الآلام وأحزان فقال : "يا أهل مصر ! انظروا عدل مولانا الأمر في تمكينه النصراني من المسلمين" . فهاجت هذه الكلمات عوامل الغضب في النفوس ، وكادت تُفضي الى نشوب الفتن والاضطرابات ، لولا أن تدخل خواص الخليفة في الأمر ، وأعطوا مولاهم بما حل بالمسلمين من عدوان الوزير ، وخوفوه سوء العاقبة^(٢) .

فيمت الخليفة في طلب أبي نجاح . فلما مثل بين يديه انطلق رجل من الأشراف كان في حضرته ، فأنشده هذا البيت :

ان الذي شُرِّفَ من أجله يضم هذا أنه كاذب

وعندئذ انفتحت الخليفة الى أبي نجاح وقال له : ما تقول ياراهب ؟ فسكت ؛ فامر به فقتل^(٣) .

(١) ص ٧١

(٢) شرحه .

(٣) شرحه (٧٢، ٧١) .

وهذه الحادثة تشبه ما حدثنا به ابن ميسر عند كلامه على سنتي ٥٢٩ و ٥٣٥ ، حيث يقول إنه في ١٦ جمادى الثانية^(١) من سنة ٥٢٩ ، قدم الى القاهرة بهرام الأرمني والى القرية ، فحاصرها يوما ، فأرأى الخليفة الحافظ أن يوليها الوزارة ، فأشار عليه بعض خاصته أن يعدل عن هذا رأى : أولا — لأنه نصراني ، فلا يرضى عنه المسلمون انا نقله هذا المنصب .

ثانيا — ان الوزير كان حتما عليه أن يصعد المنبر مع الامام في الأعياد ليزرر عليه المنزة (السارة) التي تحببه عن الناس .

ثالثا — ان القضاة كانوا نواب الوزراء منذ أيام أمير الجيوش . وكانت هذه النيابة تذكر في الوثائق الرسمية التي تنفذ الى الآفاق ، كما كانت تكتب أيضا في وثائق الزواج^(٢) .

فلْيُصْغِح الحافظ لقول النصباء ، ونقله بهرام الوزارة بالرغم من نفور الناس من هذا التقليد الذي لم يدم طويلا^(٣) .

ويزيد ابن ميسر على ما تقدم أن نفوذ بهرام سرعان ما تزايد ، وأنه سأل الخليفة أن يأذن له باحضار إخوته وأهله وكانوا في تل باشروأرمنية ، وما لبث أن بلغ عدد الأرمن ثلاثين ألفا بعد زمن قصير ؛ فسلخوا مع المسلمين مسلحا عدائيا وصادروهم في أموالهم وجاروا عليهم ، وبنوا الكنائس والأديرة حتى بلغت من الكثرة درجة أفلقت بال المسلمين وخوفتهم طاقية هذا وطفان المسيحية على الاسلام .

(١) أورد ابن ميسر هذا التاريخ في محل كثر ، وهو اليوم الحادى عشر من نفس هذا الشهر .

(٢) كانت اتصال التي يلحق نوافرها عند تعيين القاضي ، على ما أورده الماوردي كما يأتي :

(١) أن يكون ذكرا بالفا . بيد أن أبا حنيفة يرى أنه يجوز أن تقضى المرأة فيما تصح فيه شهادتها ، أما العلوي ف يرى أنه يجوز أن تتولى القضاء مطلقا .

(٢) الثقل ، بمعنى أن يكون صحيح التمييز بين النقطه بعيدا عن السور والفتنة .

(٣) الحرية . ولكن الرق لا يمنع من الفئيا ؛ لأن مركز الافاء لم يكن معتبرا في ولاية الحكم .

(٤) الاسلام . ولا يجوز أن يقبل القاضي القضاء على المسلمين .

(٥) المال .

(٦) السلامة في البسر والسبع . ولا يصير مالك السي ما فاما من القضاء .

(٧) أن يكون علما بالأحكام الشرعية علما بأصولها وفروعها .

و يقتضى قوانين التهمة الفراء لم يطق في بهرام الشرط الرابع . ويعد أدب يكون متصفا فيه الشرط السابع (الماوردي ص ١١٤) .

(٣) ابن ميسر (ص ٩٧) .

لم يجد المسلمون بدا من رفع شكاياتهم الى الخليفة من هرام ومن أهله . وزاد في غضب المسلمين ما لاقاه أهل قوص من أنى هرام المعروف بالباساك واليه من الجور والتظلم واستباحة الأموال . وقد ظلت الحال على ما وصفتها حتى قد صبر المسلمون ؛ فبعث الأسراء الى رضوان ابن الوثليجي^(١) وإلى النرية يستحثونه على المسير اليهم وتخليصهم مما هم فيه من كرب وبلاء^(٢) .

فوصلت الى رضوان استغاثة الأسراء ؛ فاتجهت أماله الى الوزارة . وفي سجن - إحدى مدن النرية - صعد المنبر وخطب في الناس خطبة بيعة حضهم فيها على الجهاد ؛ ثم جمع ثلاثين ألف رجل سار بهم الى القاهرة . فلما دنا رضوان من هذه المدينة خرج هرام على رأس جيش كثيف لصد هجماته .

ولما تقارب الجيشان أمر رضوان برفع المصاحف على رموس الزمراع ؛ فلم يكن من عسكر المسلمين إلا أن اعتزلوا هرام وانضوا تحت لواء رضوان . ويحدثنا ابن ميسران هذا الأمر كان على اتفاق سابق بين المسلمين من جند هرام وجند رضوان^(٣) . وهذه الخلدعة الحربية تشبه من بعض الوجوه الخطة التي ابتدعها عمرو بن العاص في موقعة صفين المشهورة .

ولما وقف هرام على حقيقة الحال أرسل الى الحافظ يمامه بكل ماحدث ؛ فأمره الخليفة بالمسير الى ولاية قوص بالوجه القليل ، والإقامة مع أخيه حتى يرى رأيه ويقرر ما ينبغي اتباعه في هذا الأمر . فنادى هرام الى القاهرة وأخذ معه ما خف حمله وغلا ثمنه ، وسار في الحادي عشر من شهر جمادى الأولى ؛ فأتاح مسير هرام للفوزاء فرصة نهب دور الأردن في حي الحسينية - الواقع في ظاهر باب الفتوح - وبعض كتائبهم ، ونهب قبر أخيه الذي كانت بطريقا للأردن . وفي هذا الوقت ثار أهالي قوص المسلمون على الباساك أنى هرام وقتلوه ، وجعلوا في رجله كلبا ميتا ، ورموا بجثته في صنوق القلعة .

(١) ذكر ابن ميسر (ص ٧٩ - ٨٠) أن رضوان كان على حيازة باب ابن الخليفة الحافظ وقت قتله هرام الوزارة ؛ وكان من الأسراء ، عرف بالشجاعة والافتداء ، كما كان شوكا في جنب هرام الذي كان يخشى من أن يكيد له ويحل محله ؛ فجد هرام في التخلص منه ، فولد صفلان في أترجيب من سنة ٥٢٩ . ولم يكديستقر رضوان المقام في مركزه الجديد ، حتى علم بوصول جماعة من الأردن الى صفلان قاصدين مصر ؛ فوضع المراقيل في سبيلهم وأدغم كثيرين منهم على الرجوع الى بلادهم . وكان من أثر هذه الإبرامات التي اتخذها ضد هؤلاء القوم أن صرف عن هذه الولاية ، واستدعى الى القاهرة ، ودلى النرية في صفر سنة ٥٣١

(٢) شرحه (ص ٨٠) .

(٣) شرحه (ص ٨١) .

ثم وصل بهرام الى قوص بعد قتل أخيه بيومين في جماعة من أهله وجنده ؛ فثار له ونهب المدينة وقتل الكثير من أهلها ؛ ثم رحل الى أسوان ، فأقام في الموضع الحصين المعروف بالأديرة البيض^(١) .

أما رضوان فقد خلا له الجو بمبارحة بهرام القاهرة ؛ ففقد الوزارة في الحادى عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ ، وُخلع عليه وتلقب بالأفضل . وكان أول ما بدأ به رضوان أن أخذ اخاه ناصر الدين على رأس جيش كثيف ، فوصلوا الى الأديرة البيض . غير أنه لم يدريين الفريقين قتال ؛ وتم الاتفاق على أن يبقى بهرام في هذه الجهة ، وأن يطلق من كان معه من الجند ليعودوا الى القاهرة ، ومنها يرحلون الى بلادهم^(٢) .

ولكن هذا الاتفاق لم يطل أمده . فقد ذكر لنا ابن ميسر أن العلاء ظل مستحكما بين المسلمين والأرمن الى سنة ٥٣٥ هـ ، وأنه في سنة ٥٣٢ هـ شدد رضوان على أعوان بهرام واستولى على أملاكهم وقتل الكثير منهم ؛ وأدى به ما كان يجيش بنفسه من حقد لبهرام الى العمل على إبادة الأرمن . ويظهر أن هذه الأعمال لم ترض الخليفة الحافظ ، بليل أنه بعث في سنة ٥٣٣ هـ من حضر بهرام ، فأسكنه في قصره وأحله من نفسه عمل الاكرام والتعظيم^(٣) . فعظم ذلك على رضوان ، وأخذ الحافظ يثير الجند على هذا الوزير ؛ فنشب التطاحن بين الفريقين . وطلب رضوان من الخليفة أن يتره في القصر ؛ فلم يجب طلبه ولم يجره التفاوض ؛ فأدى ذلك الى ازدياد الوحشة والتفور بينهما .

بذلك ضعف أمر رضوان ؛ فلم يقو على منازلة خصمه ، وخرج في الخامس عشر^(٤) من شهر شوال من هذه السنة هاربا من القاهرة ، ولحقه بوالى صرخد^(٥) ؛ فلقاه بالاكرا ، وأقام معه الى آخر المحرم سنة ٥٣٤ هـ ، حيث عاد الى القاهرة على رأس جيش كثيف^(٦) ، وحارب جند الخليفة بقرب باب الفتوح . ولكنه أرغم على المسير الى الوجه القبلى ؛ وهناك طارده الأمير أبو الفضل ابن مصال ، فلحق به وأمنه . وفي اليوم الرابع من شهر ربيع الثانى ، مَثَل رضوان بين يدى الخليفة ؛ فأمر به فُخِس في القصر^(٧) ، على حين عفا عن الجند الأتراك الذين حاربوا معه ؛ ولكنه فر في سنة ٥٤٢ هـ^(٨) .

(١) ابن ميسر (ص ٨١) . (٢) شرحه (ص ٨٢) . (٣) شرحه .

(٤) خالف ابن ميسر ذلك فذكر اليوم الثالث عشر من شوال .

(٥) يد ملاحق لبلاد حوران من أعمال دمشق - أنظر فقط صرخد في " صميم البلدان " لياقوت .

(٦) ابن القلانسي (ص ٢٧٠) .

(٧) ابن القلانسي (ص ٢٧٢ و ٢٧٣) ، وابن ميسر (ص ٨٣ و ٨٤) .

(٨) ابن القلانسي (٢٩٦) .

وكانت سنة ٥٣٥ هـ نهاية هذا النزاع الطويل الذي قام به بهرام ورضوان ، وفيها انتهت حياة بهرام . ويحدثنا ابن ميسر أن بهرام عاش في القصر مع الخليفة ، يشاورة في أمور الدولة من غير أن يخلع عليه أو يقلده عملا من الأعمال الرسمية .

وقد ظلت الحال على ما وصفتنا إلى أن توفي بهرام في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ٥٣٥ هـ . فحزن عليه الخليفة حزنا شديدا ، وأمر بإغلاق الدواوين ثلاثة أيام ، وبعث في طلب بطريق الأرمن ، وأعلنت معدات المآتم . فلما حان وقت صلاة الظهر ، أخرج النعش من القصر بحمله الديباج ويحف به النصاري يحملون المباخر ، وشبهه الأشراف وغيرهم من طلبة القوم مشاة . وصار الخليفة الحافظ في المركب راجعا بقلعة ، وعليه عمامة خضراء وثوب أخضر . وما زال الناس في سعيهم ، والنسب يترتلون الإنجيل ، حتى وصلوا إلى دير الخندق ، فترل الخليفة وجلس على حافة القبر ، وبكى بكاء شديدا^(١) .

وبالجملة ، فقد عامل الفاطميون النصاري واليهود معاملة تتطوى على العطف والرعاية . وما كان الاضطهاد الذي قام به الحاكم إزاعم الإحقة من سلسلة حلقات الظلم الذي حاق بالمصريين عامة . والحقي ، أن أبناء هاتين الطائفتين قد حوّلوا غير مرة معاملة تتجمل فيها الحماية^(٢) .

ولقد تقلدوا أرقى المناصب وأعلاهما في عهد الخليفة العزيز ٣٦٥-٣٨٦ هـ (٩٧٥-٩٩٦ م) ، وشغلوا في عهد المستنصر ٤٢٧-٤٨٧ هـ (١٠٣٥-١٠٩٤ م) ومن جاء بعده من الخلفاء معظم المناصب المالية في الدولة ، بل وتقلدوا الوزارة أيضا ، وتمتعوا بقسط وافر من سياسة التسامح الديني ، وهو أمر نستطيع تحقيقه بما كان من بناء عدد من الكنائس أو من إعادتها إلى ما كانت عليه .

ولم تقتصر هذه المعاملة على ما تقدم ، فقد ولّح بعض الخلفاء الفاطميين - كالحافظ مثلا - بزيارة أديرة النصاري . وكان الأمر يعطى الرهبان في ديرنيا الواقع إلى القرب من الجيزة عشرة آلاف درهم كلما خرج للصيد بالقرب من هذا الدير^(٣) . ويحدثنا أبو صالح النصاري أن موارد الكنائس المصرية زادت زيادة عظيمة في عهد الفاطميين^(٤) .

(١) ابن ميسر (ص ٨٤) . (٢) أبو صالح (ص ٣٢ و ٤٤ و ٧٧ و ٧٨) .

(٣) شرحه ص ٧٨ و ٧٧ وأمرى خسرو ص ١٥٥ و ١٥٦ والأسكاذير توماس أوفوك "عالم الإسلام" .

ص ١٠٦ و ١٠٧ . Prof. Sir Thomas W. Arnold : The Preaching of Islam, pp. 106, 107.

(٤) أنظر قلت "Xib" في دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam; Mann, The Jews

in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphate).

٢ — سياسة الفاطميين مع أهل السنة

لقد عمل الفاطميون على لعن الخلفاء الثلاثة الأول (أبو بكر وعمر وعثمان) وضياعهم من الصحابة ، إذ ملوهم أعداء لهم^(١) ، ونقشت فضائل علي وأولاده من بعده على السكة وعلى جدران المساجد . ويحدثنا ابن زولاق^(٢) أن الخطباء كانوا يلغون الصحابة على كافة منابر مصر .

ولقد أزم جميع الموظفين المصريين أن يشتقوا المذهب الفاطمي ، كما حتم على القضاة أن يصدروا أحكامهم وفق قوانين هذا المذهب . ويلاحظ لنا أن الرغبة في الحصول على مناصب الدولة هي التي دفعت بفريق من السنيين إلى التحول إلى المذهب الشيعي ، كما دفعت تلك الرغبة أيضا بعض الذين إلى اعتناق الإسلام واتخاذ التشيع مذهباً لهم .

ويظهر أيضا أن هذه الرغبة كانت في أشدها حتى قبل تأسيس الخلافة الفاطمية في مصر . ولقد أشار ابن خلكان إلى هذه الحقيقة ، معتمداً في ذلك على ما ذكره أخوه محسن الذي شهد هذه الحوادث بنفسه حيث يقول : ^(٣) « رأيت يعقوب بن كلس قائماً يسار كافور ؛ فلما مضى ، قال لي : أي وزير بين جنهيه ! »^(٤) ويحدثنا ابن عساكر أن كافورا قال : ^(٥) « لو كان مسلماً لصلح أن يكون وزيراً » ؛ فأسلم طمعاً في الوزارة^(٦) .

وعند ما عهد ابن ميسر^(٧) أسماء من تقلدوا الوزارة للسنة (٤٣٧—٤٨٧ هـ) ، ذكر أسماء عدة من الوزراء غير المسلمين ؛ ومن هؤلاء الوزراء أبو علي الحسن بن أبي سعيد بن سهل التستري ، وأصله يهودي ثم أسلم . ولكن ابن ميسر لم يذكر لنا إذا كان التستري قد اعتنق الإسلام قبل تقلده الوزارة أم بعده .

كذلك تكلم ابن ميسر عن أبي منصور بن أبي أيمن^(٨) بن مَهْرَوَاه بن زُبَيْر — وكان نصرانياً — فاتخذ الإسلام ديناً ، وذكر أن النصاري قد أنكروا إسلامه^(٩) .

(١) المكتبة الأهلية ياريس ، مخطوط ١٨١٧ ، ورقة ٤٨ ب .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٤٤٢ .

(٣) المكتبة الأهلية ياريس ، مخطوط ٢١٣٧ ، ورقة ١٨ أ وما يليها .

(٤) ص ٣٢ .

(٥) ذكر ابن ميسر (ص ٢٣) أن هذا الاسم « أبو الميم » .

(٦) ابن منجب ص ٥٤ وابن ميسر ص ٢٣ .

وكانت تزل العقوبة الصارمة بمن يتحدّث بذكر الخلفاء السنيين . ويحدثنا المقرئ^(١) أن الخليفة العزيز أبطل صلاة التراويح^(٢) في سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ - ٩٨٣ م) من جميع مساجد الديار المصرية . ويظهر أنها قد أبطلت في سورية قبل ذلك بعدة سنوات . ويدلنا على ذلك ما ذكره الذهبي عند كلامه على حوادث سنة ٣٧٣ هـ (٩٧٣ - ٩٧٤ م) ، وهو أنه في أوائل شهر رمضان أصبدر المعز الأواس بإبطال التراويح . وما كاد أبو القاسم الواسطي يرفع صوته احتجاجا على هذا القانون ، حتى قبض عليه أعوان الفاطميين وأودعوه غياهب السجون ؛ وكان من أثر رفع هذا الحادث إلى السلطات في القاهرة أن صدر الأمر بقطع لسان أبي القاسم وضربه بحصاة سوط وصلبه بعد ذلك^(٣) .

واشتد الفاطميون في ذلك الوقت على أهل السنة ومنعهم من إقامة مراسيمهم . ففي سنة ٣٨١ هـ - في عهد الخليفة العزيز - ضرب رجل من أهل مصر وطيف به في المدينة ، لأنهم وجدوا عنده كتاب "الموطأ" لمالك بن أنس^(٤) . وفي صفر سنة ٣٨٥ (٩٩٥ م) أمر الخليفة

(١) الخطوط ج ٢ ص ٢٤٠

(٢) التراويح (جمع ترويح) هي سنة كان يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الشاء في رمضان ، ولكنه أبطلها بعد ذلك خشية أن يتصور فرسا . وما جاء عمر بن الخطاب أسيا هذه السنة ، وجمع الناس على إمام واحد ، وراقه المسلمون على ذلك ، فكان إجماعا سكوتيا . والسري امتناع الشيعة من صلاة التراويح هو ما يتقدمه من أن عمر ابن الخطاب هو أول من منعه .

(٣) ونحن نشك في صحة ما أورده لنا القمي وزاد بعيدا عن الحقيقة التاريخية . ويتبادر إلى الأذهان من سياق هذه العبارة أن أبا القاسم كان مؤذنا في بعض مساجد سورية ، ويحتمل أنه بيت المقدس ، بالرغم من أن فقط المقدس لم يذكر . أما عبارة الذهبي فهي كما يأتي : "قال مشرف بن مرتضى المقدسي : أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن قال : كنت مجاورا بيت (هكذا ذكر) ، فأمروا في أول رمضان بقطع التراويح ، فصحت ، أنا وعبد الله والأسلام ، وأعداءه ! فأخذوا الأعوان وحجبت ، ثم جاء الكتاب من مصر بقطع لسان قطع . وبعد أسبوع رأيت النبي صلى الله عليه وسلم نزل في فتن يرد ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد زال عني الألم . فوضعت وصليت ، وعدت إلى الماشقة فأذنت : الصلاة غير من النوم ! فأخذوني وحجبت وقيدت ، وكتبوا إلى مصر ، فورد الكتاب بقطع لسان وبشري بحصاة سوط ؛ ووصلني ، فظل في ذلك" .

المكتبة الملكية بالقاهرة ، (خطوط ٤٢ ، ورقة ١٠٥) .

وما أورده لنا القمي من قطع لسان أبي القاسم وعدم استطاعه أداء الأذان ، وأنه هو الذي تحدّث بما ناله بعد قطع لسانه المرة الثانية ، وضربه بحصاة سوط ثم صلبه - كل ذلك يظهر لنا أنه بعيد عن الصحة كل البعد . أما أنه قد ناله بعض العقوبة على هذه الحادثة ، فأمر محتمل الوقوع ؛ لأن هذا هو ممالك الفاطميين ضد من يجهر بمناقضتهم في عقائدهم .

(٤) المقرئ (خطوط ج ٢ ص ٢٤١) .

العزيز بنقش سب الصحابة على الجدران داخل الجامع العتيق وخارجه ، وكذا على أبواب الخوانيت والمجمرات وصل المقابر ، ولون ذلك كله باللذهب في كثير من أحياء القاهرة وفي غيرها من المدن . وقد كان لهذه السياسة أثرها في تحويل كثير من السنين الى المذهب الشيعي ^(١) .

وعندنا كثير من الأدلة على أن تعصب الفاطميين لمنههم زاد في أيام الحاكم مما كان عليه في عهد الخلفاء من قبله . ذلك أنه في جمادى الأولى من سنة ٣٩١ ، ألقى القبض على رجل من الشام لاثامه بدم الاعتراف بفضل علي ، وحمله قاضي القضاة وبسب أربعة من الفقهاء لتحقيق معه ؛ فبذلوا قصارى جهدهم في حمله على الاعتراف بإمامة علي . ولكن هذا الرجل ظل على إيمانه ، بالرغم من تمخل قائد القواد الحسين بن جوهر في الأمر وعمله على إقناعه . ولما لم يفلح رفع أمره الى الحاكم ، فأمر به قتل وصلب ^(٢) .

وفي سنة ٣٩٣ هـ قبض في مدينة القاهرة على ثلاثة عشر رجلا ، لأنهم صلوا صلاة الضحى ، وهي من السنن التي ينفى إقامتها مع الصلوات الخمس ، وإن كان الشيعة لا يعترفون بها . وقد شهر هؤلاء المنذنين في الشوارع وضربوا وحسوا ثلاثة أيام ^(٣) .

أضف الى ذلك ما ذكره المقرئ وأبو الحسن ، من أن رجلا من أهل دمشق يدعى الأسود الحنكي حلت به العقوبة في شهر ربيع الثاني من السنة فمساها (٣٩٣ هـ) لارتكابه جريمة لم يأت لنا هذان المؤرخان بتفصيلها . ولكن يظهر لنا أنها كانت من أجل محبة هذا الرجل للثقيتين أبي بكر وعمر ، بدليل أنهم طافوا به في شوارع المدينة نادوا عليه : " هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر " ؛ ثم أمر به فضربت عنقه ^(٤) .

وفي شهر صفر سنة ٣٩٥ (١٠٠٤-١٠٠٥ م) أمر الحاكم أيضا بنقش سب الصحابة على جدران المساجد ، وفي الأسواق والشوارع ؛ وصدرت الأوامر بذلك الى سائر العمال في البلاد المصرية ^(٥) .

(١) المقرئ (خط ج ٢ ص ٢٨٦) .

(٢) شرحه .

(٣) شرحه .

(٤) المقرئ : " فتح القليب " (ج ٢ ص ٦٦٥) ، وأبو الحسن (ج ٢ ص ١٠١) .

(٥) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) .

وفي سنة ٣٩٥ هـ صدر قانون يحرم بيع الملوخيا^(١) ، لأنه اثر عن معاوية أنه كان يجها ؛ وينهى أيضا عن أكل الجرجير ، لأن عائشة كانت تأكله ؛ وعن المتوكلة ، وهي النبات المنسوب الى المتوكل الخليفة العباسي . وزاد ابن زولاقي أن الحاكم نهى أيضا عن أكل القرع ، وطلب الى الفلاحين أن يعطوه وثائق كتابية بدم زرع الملوخيا والقرع .

ولم يكن لهذا التميمين من سبب سوى أن أبا بكر وعائشة كانا يجبان أكلهما . وقبض على جماعة كانوا يأكلون الملوخيا ، وضربوا بالسياط وطيف بهم في الشوارع ثم ضربت أعناقهم^(٢) . يتبين لك ذلك من عبارة ابن زولاقي التي نقلناها فيما على :

” ومنع من أكل الملوخيا وأكل القرع ، وكتب قسما على الفلاحين أنهم لا يزرعون ذلك ولا يبيعونه ، لأن أبا بكر الصديق كان يكثر من أكل ذلك ، وأن عائشة كانت تأكل ذلك أيضا . ثم إنه رأى جماعة يأكلون الملوخيا ؛ فقبض عليهم وضربهم بسيطا ، وطاف بهم البلد وأمر بضرب رقابهم “ .

وفي هذه السنة نهى الحاكم عن بيع القنقاع (وهو نوع من الخمر) وشدد في ذلك ، لأن عليا كان يكرهه . كذلك نهى عن أكل اللبليس (وهو نوع من السمك الصغير لا قشر له) لسبب لم يذكره لنا المؤرخون ؛ وصدت الأوامر في منع بيع كافة أنواع السمك الذي لا قشر له .

وقد دعا الحاكم السامانيين الى اجتماع أخذ فيه عليهم اليهود ألا يبيعوا هذا النوع من السمك ؛ ومن أبي إمامة هذه الأوامر كان جزاؤه القتل^(٣) . وهذا التشدد يعلنا على الظن بأنه لا بد أن يكون هذا المنع راجعا الى أحد أمرين جرت بهما عادة الشيعة : إما لأن أحد الصعابة كان يكثر من أكل هذا السمك ، وإما لأن عليا أو بعض أهل بيته كانوا يكرهون أكله . وإما أن هذه التزعة يهودية ، لأن التوراة نصت على تحريم السمك الذي لا خزف له (أى لا قشر له) . ولا يبعد أن يكون أحد اليهود المقرين الى الحاكم أفضى اليه بذلك فعلق بخلته .

(١) هذه الأشياء ونحوها مما يجب الى الخلفاء العباسيين وأشيائهم من سب الصعابة والظن بهم ، ما بلغ نفا ؛ ويعد صديقي كثيرتها ، لاسيا لأن الطعام الذي ربما لم تكن موجودة في مصر . ونحن نرجحها هنا على علانها غير واقعين بصحتها .

(٢) ابن زولاقي ، المكتبة الأهلية بباريس ، (مخطوط ١٨١٧ ، ورقة ٥٢ أ) .

تناول ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) الكلام على تحريم بيع هذه الخضراوات بشيء من الإيجاز .

(٣) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) .

هنا ، ولقد اشتملت القوانين الكثيرة التي عاد الحاكم فأصدرها ضد النصارى واليهود في سنة ٣٩٥ هـ ، وكذا المراسيم التي صدرت بالتشدد في مراعاة هذه القوانين ، على كثير من عبارات الطعن في أبي بكر وعمر^(١) .

وفي هذه السنة أمر الحاكم بأن تقام صلاة الظهر في الساعة السابعة ، والعصر في الساعة التاسعة^(٢) (من التوقيت العربي) . ولو قارنا بين ما جرى عليه الحاكم وما يجري عليه المسلمون الآن ، لوجدنا أن الحاكم قد راعى في التوقيت الساعات ، ولم يراعِ التقاليد الإسلامية في التوقيت بالشمس . فان الظهر يدخل وقتها بالزوال ، والعصر يدخل وقتها بأن يصير ظل كل شيء مثله بعد ظل الزوال ؛ ويحتشد تكون صلاة العصر حاضرة اذا وقعت في الزمن الذي تأخذ فيه الشمس في الانحراف عن كبد السماء ، وصار ظل كل شيء مساويا له بعد اعتبار ظل الزوال . وكذلك العصر تكون حاضرة اذا وقعت في الزمن الذي بين هذا الوقت وغروب الشمس . ونحن نرى أن الحاكم قد قبل بهذا العمل ما كان يجري عليه المسلمون وما كان معمولاً به الى هذا الوقت ، وألزيمهم بالصلاة في ساعات معينة مستعينين بالزوال .

ولا شك في أن هذه الأوامر قد أساءت أرباباً إلى أهل السنة ، الذين كانوا لا يزالون السواد الأعظم من الأهليين . وتعتبر الفتنة التي أثارها أبو ركة^(٣) (٣٩٦-٣٩٧ هـ) دوراً هاماً من الأدوار التي حرت بها سياسة الحاكم إزاء رعاياه السنيين .

ففي سنة ٣٩٧ هـ خفف من تشلده في مراعاة عقائد المذهب الفاطمي ، ليصلح بينه وبين رعاياه السنيين ؛ فأبطل بعض ما قام به من الأعمال الموجهة ضد هؤلاء الرعايا ، كمن الخلفاء الأول وغيرهم من الصحابة ؛ وسلك مسلكاً أكثر شدة مع النصارى واليهود . وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة أمر بحج ما نقش في لمن هؤلاء الخلفاء ، وعوقب كل من أقدم على لعنهم وعنف في الشوارع على مرأى من الناس^(٤) .

(١) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) -

(٢) القرطبي (خط ج ٢ ص ٣٤١) -

(٣) أنظر يحيى بن سيد (ص ١٨٨ - ١٩٢) ، وابن القلاسي (ص ٦٤ - ٦٥) ، رابا القدا (ج ٢ ص ١٤٥)

لغرة الثورة التي قام بها أبو ركة .

(٤) يحيى بن سيد (ص ١٩٢) -

وفي هذه السنة صدر مرسوم يميز للناس صوم رمضان وفطره بمقتضى حساباتهم الفلكية ، بدون أن يظفروا رؤية الهلال . كذلك أجازت القوانين الجديدة للمؤذنين أن يستعملوا البارات المعتاد ذكرها في الصلاة حسبا يرون ، وألا تقدم شكاوى لسبب من الأسباب التي تتعلق بذكر هذه العبارات ، وألا يُسبَّ أحد من الخلفاء الأول ، ولا يمنع أحد من أن يقول هذه العبارة التي تتطلب على احترامهم وإجلالهم وهي : " اللهم ارحمهم ! " إذا ما ذكر اسمهم ، وبذلك عوملوا معاملة الأبرار . وإذا أراد أحد أن يستعمل هذه العبارة التي تدل على اسمي مراتب التعظيم لعلى وهي : " اللهم ارحمه " ! فلا حرج عليه . وجعل لكل مسلم الخيار في اتباع الرسوم السنية أو الشيعية ^(١) .

وقد أبطل الحاكم بعد ذلك استعمال كثير من الرسوم الشيعية البحتة ، فأمر بإعادة الفتوى في الصلاة ، وكان قد أبطل في سنة ٣٧٠ هـ . ومنع كذلك للمؤذنين من إضافة عبارة تدعى على خير العمل " إلى الإذنان ، وسمح بصلاة الضحى ، وهذه من الصلوات التي تؤدي في ضحى اليوم من ارتفاع الشمس قدر ربع إلى الزوال ، وكان قد منعه منها باتا في سنة ٣٩٣ هـ ^(٢) .

وقد أنشأ الحاكم في هذه السنة نفسها مدرسة لتعليم المذهب السني ، الذي كانت يدن بعقائده السواد الأعظم من المصريين قبل وصول الفاطميين إلى هذه البلاد ، وأهدى هذه المدرسة دار كتب ، وصين أبا بكر الأنطاكي ناظرا لها ، وخلع عليه وعلم مدرسي هذه المدرسة وأجلمهم في مجلسه ^(٣) .

فكان من أثر هذه السياسة التي مار عليها الحاكم أن سادت سمته عند المتشيعين الذين وفدوا على القاهرة ، حيث وجدوا أنفسهم في مدينة تسير في اتجاه طاعات المذهب السني ^(٤) . ولكن الحاكم حوذاً للعقل في سياسته وأهوائه .

نعم ! لقد جعلته بعض الحوادث الأخرى مبعثاً جلياً حتى عند الشيعة في تلك الآونة . وذلك أنه في سنة ٤٠٠ هـ أرسل بعض الموظفين إلى المدينة المنورة ليفتحوا المنزل الذي كان لمجهر الصادق ويحضروا منه ما قد يثرون عليه . فلما فتح المنزل ، وجد فيه هؤلاء الموظفون نسخة من القرآن الكريم وسريرا وحصيرا وبعض الأثاث . وقد حمل هذه الأشياء الداعي ختكن الذي كلف بالإشراف على فتح هذه الدار ، وأخذ الموظفون في الوقت نفسه الضرائب التي كان يدفعها الأشراف .

(١) المقرئى (خط ج ٢ ص ٢٨٧) . (٢) المقرئى (خط ج ١ ص ٤٠٨) وما يتبعها .

(٤) شرحه .

(٣) أبر الحاسن (ج ٢ رقم ١ ص ١٠٠) .

ثم عاد ختكين الى مصر وبصحبته عدد كبير من الأشراف كانوا يؤملون أن ينعموا بكرم الحاكم وحسن معاملته لهم . ولكنهم لما مثلوا بين يديه ، لم يعطهم غير جزء يسير من المال الذى عاد به ختكين ، وأبقى أكثره لنفسه قائلاً إنه أحق به منهم ، لأنه كان رأس الأشراف باختياره وريث على حقا . فعاد هؤلاء الأشراف الى المدينة ، وألستمهم تتطلق بالسخط والدعاء عليه^(١) .

وظلت سياسة اللين التى سار عليها الحاكم إزاء السنين ثلاث سنوات ، غير أنها ما لبثت أن تبدلت حل حين وفاة . ففى سنة ٤٠١ هـ أمر بإعادة الأذان الى الصو الشيعى ، وكذلك أعاد التثويب وجارة نعى على خير العمل^٢ الى ما كان عليه من قبل ، كما أبطل صلاتى الضحى والتراويح . ولما اتصل بالحاكم ما كان من صلاة التراويح فى شهر رمضان فى الجامع العتيق ، أمر بإمام هذا المسجد فضربت عنقه . وقد أعاد فى الوقت نفسه مجالس الحكمة فى القصر ، كما أمر بأن تجمع النجوى ، وهى التبرعات التى كانت تؤخذ من كل من يتعلم أصول المذهب الاسماعيلى ثانية ، وكانت قد أبطلت منذ سنة ٤٠٠ هـ .

وأعزم الحاكم بعد ذلك نبش قبر أبى بكر وعمر بالمدينة ، فرشا الرسل الذين أنفذهم لتأدية هذه المهمة رجلا من العلويين كان يسكن فى منزل قريب من مدفن الخليفتين ، ومن ثم شرطا بمعاونته يحفران طريقا يوصل الى ما يريدون . الا أن عاصفة شديدة ثارت ، وبلغ ثورانها درجة أدخلت الخوف والملع فى قلوب الأهالى ، فتلهم كثير منهم ملجأ فى الحرم حيث يوجد الجسد الشريف وأجساد الخلفاء الأول . ولما لم تهدأ هذه العاصفة ، خشي ذلك العلوى وأبلغ الأمر لوالى المدينة ، فأحل به عقوبته وحل دون إتمام ما كان يريد الحاكم^(٣) .

وجملة القول أن لمن السنين كانت تفيض به السنة الناس من حل المنابر فى كافة أرجاء مصر طوال الحكم الفاطمى هربيا . ويحدثنا ابن خلكان أن العاضد آخر الخلفاء الفاطميين كان من غلاة الشيعة ، فكان له ولع خاص بلعن الصحابة ، حتى إنه كان لا يتردد فى قتل أى منى هم عليه عيناه .

(١) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) والقرزى خط (ج ٢ ص ٣٤٢) .

(٢) القرزى خط (ج ١ ص ٣٣٨) .

٣ - سياسة الفاطميين مع المصريين عامة

أقام الفاطميون في مصر حكومة منظمة قائمة على أساس معين ؛ فخلعت البلاد نحو الرق بفضل هذه النظم الرشيدة التي احتلها من جاء بعدهم من الملوك . غير أن سياسة الفاطميين (التي كانت ترمي أولا الى نشر مذهبهم) كثيرا ما كانت تصادم مع صالح الأهليين وسعادتهم ؛ وذلك لأن أكثرهم الساحقة كانوا سنيين .

ولقد تطلب نجاح تلك السياسة أن يحل أنصار الفاطميين - حتى من غير المسلمين - محل السنيين في مناصبهم . ومن ذلك نرى السنيين من أول حكم الفاطميين ينظر إليهم بين السخط والكراهة ؛ فحملوا لذلك كثيرا من جور القوانين التي كان يسنها الفاطميون . وذلك أنه كان لزاما على أبناء الطوائف الثلاث (السنيين والنصارى واليهود) الذين كان منهم المصريون ، أن يطيعوا تلك القوانين ، حتى ما كان منها غير متفق مع معتقداتهم الدينية .

ولقد أضاف الفاطميون الى القنوش التي كانت تنطق بسب السنيين ، كتابة أخرى كلها إشادة بمدح علي وأهل بيته . وقد كان من أثر تعاليم دعاة الشيعة والقوانين الجائرة التي كانت تسن لمن عداهم ، أن تحول كثير من غير الشيعيين الى هذا المذهب . ولقد حفز ذلك التحول الكبير الى ناحية الشيعة قاضى القضاة علي بن النعمان - الذي كان يطلق عليه أيضا داعي الدعاة - فأمل على مجتمع حافل في الجامع العتيق في شهر صفر سنة ٣٦٥ خلاصة الكتاب الذي كان قد صنفه أبوه أبو حنيفة النعمان المغربي في أصول للمذهب الشيعي ^(١) .

وكان يعقوب بن كلث - ذلك الرجل الذي كانت له منزلة ممتازة لما كان يقوم به من تمضيد المذهب الشيعي - يعقد الاجتماعات ، فيحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم ، ويقرأ عليهم مصنفه في القانون الشيعي ، ذلك القانون الذي كان لزاما على القضاة أن يصيدروا عنه في أحكامهم ، كما كان مصنفه هذا من الكتب التي تقرر تدريسها في الجامع العتيق ، فيتدارسه الطلبة وأساتذتهم ^(٢) .

(١) يحيى بن سيد (ص ٢٠٦) وابن ميسر (ص ٧٥) والمقرئ خط (ج ٢ ص ٣٤١) وأبو الحسن المجد

الثاني (ج ١ رقم ٤٣) .

(٢) يحيى بن سيد (ص ١٧٢ و ١٧٣) .

ولقد سبق أن ذكرنا أن محمد بن النعمان منع لقب أستاذ للدعوة بالقصر في ربيع الثاني سنة ٣٨٥ في خلافة العزيز، فقرأ قانون أهل البيت على جمع عظيم، كما فعل أخوه الحسين في القاهرة من قبل وأبوه بالمغرب. ويحتمل أن الجلع الذي سمع لمحمد بن النعمان كان من الكثرة بحيث مات أحد عشر شخصا من دفع الناس بعضهم بعضا.

ولقد كانت سياسة الحاكم تمتاز بنصف كثير تناول جميع المصريين، وخاصة من لم يكن شيعيا. وظهرت تلك السياسة جلية واضحة بعد أن شعر بأنه صار خلوا من كل رقابة، وذلك بعد وفاة برجوان، وحينما بدأ الاضطراب ينال من عقله، ذلك الاضطراب الذي كانت مصدرا لتقلباته في سياسته.

وكان أول ما بدا من أعمال الحاكم الفرية، أن أصدر قانونا سنة ٣٩٠ هـ حرم فيه على الناس أن ينادوه بلقب "مولانا" أو "سيدنا"، وحتم فيه عليهم أن يقبوه بأمر المؤمنين، وجعل نصيب من يخالف ذلك الموت العاجل. كما كان من آثار حالته العقلية أن أصبح يفضل الليل على النهار. ففي سنة ٣٩٢ هـ بدأ يقول في المدينة ليلا؛ فكانت الأنوار تسطع في جنبات المدينة، كما كانت محلات التجارة تفتح في الليل بدل النهار. وكان المرور يتم الجميع لهذه المناظر التي كانت تزيدها روعة الأنوار الصناعية، حيث أخذ الناس يتنافسون في تعليق الثريات على بيوتهم كي يكسبوا بذلك رضا الخليفة^(١).

وقد ظل الحاكم على عادته من التجول ليلا في أنحاء المدينة إلى عام ٣٩٣ هـ. وزاد فخره على الناس الخروج ليلا من مغرب الشمس حتى مطلع الفجر؛ ففي سنة ٣٩١ هـ أصدر أمره بمنع النساء من الخروج في الليل، وأتبع ذلك بعد قليل من الزمن بقانون آخر حرم فيه على الأهالي فتح محلاتهم للتجارة ليلا.

ويحتمل السيوطي أن الحاكم رأى شيئا "يعمل التجارة في أشاء النهار فقال له: ألم تنهكم عن هذا؟ فقال: يا سيدي! أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار؟ فهذا من جملة السهر! فنههم وتركه^(٢)."

(١) الخطط (ج ٢ ص ٣٤١ و ٣٤٢).

(٢) يحيى بن سيد (ص ١٨٥ و ٢٠٥).

(٣) السيوطي (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ ج ٢ ص ١٧—١٨).

وفي سنة ٣٩٥ أصدر قانوناً منع فيه النساء من الظهور سافرات^(١) ، وألا يقبلن الجنائز أو يظهرن للناس في حالة منافاة للأدب والحشمة ؛ كما حرم أيضاً أن يدخل أحد مطلقا الحمامات بدون إزار^(٢) .

وقد ذكر لنا النجاشي عند كلامه على حوادث سنة ٤٠٤ أن الحاكم منع النساء من الخروج من المنازل ومن الظهور في أعلاها ، ومن دخول الحمامات العامة ؛ كما منع أيضاً أن يصنع صانعو الأحذية أحذية خاصة بهن . وزاد على ذلك أنه كان إذا توفيت امرأة ، ذهب أحد أقاربها إلى قاضي القضاة^(٣) وأعلن إليه نبأ وفاتها ، وطلب إليه أن يميز لإحدى النساء أن تعقب معه لتولى أمر غسلها وما إليه . وكان قاضي القضاة طبقاً للأمر المتبعة يحيل المسألة إلى صاحب المعونة ؛ وهذا يجتاز إحدى النساء لقضاء هذه المهمة ، ويندب معها اثنتين يحرسانها ، حتى تفرغ مما استندبت له وتعود إلى منزلها^(٤) . ويتضح ذلك مما جاء في عبارة النجاشي التي نقلها للقارئ بنصها : " فإذا ماتت امرأة جاء وليها إلى قاضي القضاة يشمس غاسلة ، فيكتب إلى صاحب المعونة ، فيرسل غاسلة مع اثنتين من عنده ، ثم تعاد إلى منزلها " .

على أنه من الحق أن نقول إن كثيراً من التبعة يقع على عاتق النساء أنفسهن لما نالهن من تضيق الحرية . ذلك أنهن كن يكثرن الخروج ليلًا وينغمسن في حمأة الملاحى والزناطل . ولهذا يحدثنا ابن خلكان^(٥) أن النساء قَبِرنَ في بيوتهن سبع سنوات ، حتى ارتقى عرش الخلافة ابن الحاكم ، وهو الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ)^(٦) .

(١) يحيى بن سعيد (ص ٢٠٨) .

(٢) القرطبي مخطوط (ج ٢ ص ٢٨٥) .

(٣) ذكر يحيى بن سعيد (ص ٢٠٨) أن وفاة أى امرأة إما كان فيها الحجب لا تاتى القضاة .

(٤) النجاشي ، المكتبة الملكية بالقاهرة ، مخطوط ٤٢ ، ورقة ١٤٧ أ .

(٥) ج ٢ ص ١٦٦ .

(٦) ذكر يحيى بن سعيد (ص ٢٠٨) أن النساء ظنن على هذه الحالة إلى سنة ٤٠٩ ، أى قبل وفاة الحاكم بسنتين .

وفي سنة ٣٩٥هـ أمر الحاكم بقتل جميع الكلاب^(١) ، نفلت منها الطرقات ؛ كما حرم بيع "الفقاع" (الجمعة) والتمسك الذي لا فصوص له^(٢) ؛ ونهى أيضا عن ذبح السلم من البقر الا في عيد لأخصى^(٣) . وكان العقاب الشديد نصيب من يبيع هذه القوانين ؛ فكان من يتهم ببيع شيء من المتنوع بيعها يُشهر ويُضرب ثم يقتل^(٤) .

ولقد أدت هذه الأعمال الى تحول كثير من المصريين — كما قدمنا — الى المذهب الفاطمي . كما كان من أثر هذه القوانين الجائرة أن دخل كثير من الناس في القاهرة وفي الجهات الأخرى في المذهب الإسماعيلي ؛ ومعنى هذا دخولهم في المذهب الشيعي^(٥) .

وقد شغل الحاكم في سنتي ٣٩٦ و ٣٩٧ بقمع ثورة أبي رَكوَ ، كما اضطرته تلك الثورة الى مصانعة السليين ، وإلى القسوة على غير المسلمين . وقد سبق أن أشرنا الى القوانين الأخرى التي سنّها الحاكم في سنة ٤٠١ ، والتي كانت وليدة التقلبات الفجائية في سياسته حيال السليين .

وقد كان من أثر انخفاض النيل الذي دام ثلاث سنوات متواليات تبتدئ من سنة ٣٩٨هـ ، أن صدرت قوانين تحرم الاجتماعات للهو واللب على شواطئ الخليج ، أو أن تفتح الأبواب والنوافذ على هذه الشواطئ . وقلتها قوانين أخرى بمنع بعضها سماع الموسيقى والاستمتاع بالألعاب وما إليها ، ومنع البعض الآخر سماع المغنيات أو بيعهن^(٦) .

وفي سنة ٤٠٢هـ منع الحاكم بيع الزبيب قليلا أو كثيرا ؛ ونهى التجار من أن يستوردوه ، كما جمع كيات كبيرة منه وأحرقها . ومن ففقات ائتلاف هذه الكيات البالغة خمسمائة دينار — على ما يحدثنا به ابن خلكان — يمكننا أن نتصور مقدار ما أحرق من الزبيب . وفي هذه السنة أيضا منع بيع العنب ، وأرسل رسله الى الجزيرة^(٧) قهطعوا ما بها من الكرم وألقوها للثيران فداستها .

(١) ذكر يحيى بن سعيد (ص ١٨٨) أن كلاب الصيد كانت مسنطة .

(٢) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) .

(٣) لم يكن لهذا الأمر الذي أصدره الحاكم خاصا بالبقر أية صلة بالرسوم الشيعية . وقد ذكرنا أبو الحسن (ج ٢ رقم ١٣٤) أن الخليفة الظاهر أصدر في سنة ٤١٧هـ أمرا يقضى أيضا بمنع ذبح البقر الصالح لحرث الا في عيد الأخصى ؛ وأرسلت بذلك الكتب فحرثت باسم الخليفة .

(٤) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) .

(٥) أنظر العبارة التي أوردتها عن سياسة الفاطميين في دار العلم والمقصود في الباب الثالث .

(٦) المقرئى غلط (ج ٢ ص ٢٨٧) .

(٧) المراد بها هنا طيبة جزيرة الروضة .

كذلك أرسل الحاكم الى حكام الولايات بأن يخموا هذا السبيل ، كما منع بعد ذلك أن يشتري أحد أكثر من أربعة أرطال من العنب دفعة واحدة ، خشية أن يتخذ منه نبيذا . وشمل هذا المنع أيضا السبل ، حتى لقد جمع خمسة آلاف جرة ، وذلك ما كان بالمخازن ؛ وألقي بها في النيل حيث أهرق ما بها ، كما أهرقت أيضا إحدى وخمسون زجاجة من عسل النحل . وتبع ذلك أن حرم بيع الرطب ؛ فقد جمعت منه مقادير كثيرة ثم أحرقت ^(١) .

وفي سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ - ١٠١٤ م) نهى الحاكم أيضا أن يسترد الناس بالتجوم ، وأن يباشروا علم الفلك ، وأمر بنى جميع المنجمين عن البلاد ؛ فاستأثروا بهاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى ، وتابوا على يديه مما ظنه الحاكم جريمة . و ذلك ألغيت عقوبة النفى ؛ وعومل نفس هذه المعاملة المشتغلون بالموسيقى ^(٢) .

وبعد وفاة الحاكم (٤١١ هـ) وتولية ابنه الظاهر (٤١١ - ٤٢٧ هـ) ، تمتع المصريون مدة ولايته بالسلام والطمأنينة . وهذا ما كان مرجوا ، لأن الظاهر كان رجلا عاقلا حليما دامت الأخلاق عادلا ؛ فألغى القوانين التي كان قد أصدرها أبوه ؛ وتشتت هذه الفترة بالعدل الشامل والعمل لصالح الرعية ^(٣) .

وفي أوائل عهد المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ظهرت روح العدا والكراهة إزاء أهل السنة ، عندما تقلد أمير الجيوش بدر الجمال مقاليد الحكم وحكم البلاد حكما مطلقا ؛ فأمر بإضافة "نسى على خير العمل" إلى الآذان ، وهش لمن الصحابة على الجدران ، كما أمر بأن يكون التكبير على الميت خمسا فقط ^(٤) .

(١) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٦) ، والمقرئى خط (ج ٢ ص ٢٨٧) .

(٢) يحيى بن سيد (ص ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٠٦) .

(٣) يحيى بن سيد ص ٢٣٤ و ٢٣٥ ، وابن الفلاس ص ٨٠ ، وأبو الحسن - المجلد الثاني رقم ٢ ص ١٣٠ .

Oxyrhynchus Papyri, Tome II, Egypte, p. 86.

(٤) أبو الحسن - المجلد الثاني (ج ٢ رقم ٢١ ص ٢٧٦) .

وفي عهد المستعلي (٤٨٧—٤٩٥هـ) ، الذي سار على نهج أبيه في التصصب للشيعة ، زاد النباح والصياح والبكاء والعويل في اليوم العاشر من المحرم ، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين ، وظهر ذلك بصورة لم تعهد من قبل . ولكنه كلف مع الأفضل بن بدر الجمالي مسلوب السلطة والارادة كما كان المستنصر مع أبيه بدر . وبعد سنة ٤٩٧هـ أصبح التتوذ والسلطان المطلق في يد الوزراء . وكان التحمس للذهب الشيخي ونصرته ، أو إضعافه ومناهضته ، تابعا لرغبة الوزراء وميولهم .

ولما تولى أبو علي أحمد بن الأفضل الملقب بالأكل وزارة الحافظ (٥٢٤—٥٤٤هـ) ، عزله وشل يده عن التصرف في أمور الدولة في سنة ٥٢٤هـ ، ومنع الناس من زيارته إلا بأذن منه ؛ ثم استولى على مافي القصر ، ومنع ذكراهم الخليفة في الخطبة . ولما كان يدين بهذه الإمامية ، أمر بالدعاء للامام المنتظر في الخطبة ؛ وبذلك قضى على شيء من تقاليد المذهب الاسماعيل الذي كانت منتشرا الى عهده . كذلك أمر الخطباء بذكر اسمه في الخطبة ، وبتلقيه بالقباب اختارها لنفسه ، مثل "ناصر إمام الحق" ، وهدى القضية إلى اتباع شرع الحق واعتاده ، مؤلى النعم ، ورافع الجور عن الأمم ، مالك فضيلتي السيف والقلم" (١) .

ولم يكن هذا كل ما عمله الأكل . فقد زاد على ذلك أن عين في سنة ٥٢٥هـ أربعة من القضاة: اثنين من الشيعة ، واثنين من السنيين . وكان القاضيان الشيعيان أحدهما إماميا والآخر اسماعيليا . أما السنيان ، فكان أحدهما شافيا والآخر مالكا . وأعطى لكل السلطة المطلقة في إصدار أحكامه على وفق مذهبه . وقد حدثنا المقرئ أن هذه السياسة التي اتبناها أبو علي الأكل أثارت غضب دعاة الشيعيين وحققهم ، وكذلك الأمراء وضيعهم من أعيان المتشيعيين ، حتى بدروا مؤامرة لاغتياله . وفي اليوم السادس عشر (٢) من المحرم سنة ٥٢٩هـ ، بينما كان الأكل سائرا في طريقه ممتطيا جوادا لمشاهدة لعبة الكرة ، كمن له جماعة من أنصار الخليفة . ولما اقترب منهم هجم عليه أحد غلمان الخليفة وقتله ، واحتربا القون رأسه . بعد ذلك أطلق هؤلاء الغلمان سراح الخليفة ، ودانوا له بالطاعة والعبودية ، وهاجم الناس بيت الوزير واتهبوه (٣) .

(١) ابن ميسر (ص ٧٥) .

ويجب الأكل أيضا بكتيفات أرغنتيات . ويرجح الأستاذ غنيت (G. Wiet) أن اسمه كتيفات ، لأنه كان في بغداد زين الباسمير طيب اسمه كتيفات (الفتل ص ٢٦٧) .

(٢) ويقول أبو الحسن (المجلد الثالث ، ج ٣ رقم ١ ص ٤) إن هذه الحادثة كانت في العشرين من هذا الشهر . ويؤكد في ذلك ابن ميسر (ص ٧٥) والمقرئ (خطوط ج ١ ص ٤٩٠) ، الذي يقول إن إطلاق سراح الحافظ كان في السادس عشر من هذا الشهر ، وإن الحكومة أختفت هذا اليوم ميدا سنو باقوام فيه الاحتفالات بخلص هذا الخليفة .

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ .

واستمرت الحال على ذلك إلى سنة ٥٢٦ هـ ، وهى السنة التى قتل فيها الأكل . وبذلك عادت السلطة ثانية إلى الاسماعيلية ، وبقيت على ذلك إلى أن جاء صلاح الدين ؛ فعمل فى سنة ٥٦٤ هـ على القضاء على الخلافة الفاطمية ، وحبس الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين ، واضطهد الأمراء وكبار رجال الدولة ، وأسس فى سنة ٥٦٦ مدرستين لتعليم الفقه : إحداهما على مذهب الإمام الشافعى ، والأخرى على مذهب الإمام مالك .

وبسعى قاضى قضائه صدر الدين عبد الملك بن درباس ، صرف صلاح الدين جميع قضاة الشيعة (٢٢ جمادى الثانية سنة ٥٦٦) ، وعين بطعم قضاة من السنيين الشافعية الذين كان يدين بمذهبهم . وبذلك أخذ المصريون يرجعون شيئا فشيئا إلى المذهب السنى ، وهو المذهب الذى كانت له السيادة من قبل الدولة الفاطمية ، وأخذ المذهب الشيعى بنوعيه الاسماعيلى والإمامى يضمحل من الديار المصرية ، إلى أن قضى عليه نهائيا^(١) .

(١) أورشامه (طبعة القاهرة) ج ١ ص ١٩١

الباب السابع

ثروة مصر . صلات الخلفاء

١ - مصادر ثروة مصر

لم يكن يتم فتح شمال إفريقيا حتى وجه الفاطميون أنظارهم إلى فتح مصر ، لعلهم أنهم سيجدون من ثروتها ما يساعدهم على نشر عقائهم في ميادين أخرى أوسع مما في بلاد المغرب ، ولأنهم يستطيعون بذلك أيضا نشر حضارة فاطمية تنافس حضارة الأباطورية العباسية ، بل وتتفوق عليها .

وفي الحق إن ثروة مصر الضخمة مكنت الفاطميين من بسط سلطانهم على الشام وفلسطين والجزائر بعد أن فتحوا مصر بقليل ، كما تسنى لهم بعد قليل أيضا أن يقيموا الدعوة باسمهم في الموصل واليمن ، بل وفي بغداد أيضا نحو من ثمانية أشهر .

يضاف إلى ذلك أن نظام الضرائب الذي وضعه يعقوب بن كلس وصلاح بن الحسن ، كانت نتيجته أن زاد خراج مصر بمقدار كبير في المحرم من سنة ٣٦٢ ، حتى لقد كان خراج القسطنطين وحدها يتراوح بين ٥٠,٠٠٠ و ١٢٠,٠٠٠ دينار في اليوم ، كما زاد خراج مدن دمياط وتبليس والأشمونين عن ٢٠٠,٠٠٠ دينار من تلك السنة ، وذلك كله أمر لم تمهده مصر من قبل ^(١) .

على أن تلك الثروة الضخمة أغرت الفاطميين ، فأسرفوا في نفقاتهم التي جرم إليها البذخ وحب الظهور ، حتى لقد أصبح ذلك من سمات الدولة الفاطمية ، فكانت النتيجة التي لا مئاس منها أن انحطت أخلاق الأهلين ووقعت البلاد فريسة ذلك الانحطاط ، وكان ذلك أحد أسباب انحلال الدولة الفاطمية وسقوطها في النهاية .

(١) ابن ميسر .

وقد ذكرنا ابن أبي عمير (ج ١ ص ٤٦) قلا عن المسبح أن خراج مصر بلغ في عهد جهرم ١٢٠٠,٠٠٠ دينار .
لمحة خراج مصر في عصورها المختلفة منذ الأزمان القديمة ، راجع الفهرس الذي عمل عليه إيتس لكاب أبي صالح المسمى "كنز وأرداة مصر" (Khatat' Inlier to Abu Salih's "Churobes and Monasteries of Egypt")

٢ - عرش الخلفاء الفاطميين

استقر المعز منذ وصوله للقاهرة سنة ٣٩٢ هـ (٩٧٢ م) هو وأمرته وحشمه وأتباعه وظلمانه وعبيده في القصر الذى ابتناه وأثته له جوهر القائد ؛ وفى إحدى غرف القصر اتخذ المعز عرشه الذى نقل المقرئى^(١) لنا وصفه من كتاب "النخائر والتحف" . فقد ذكر أنه كان به من الذهب ما يزن ١١٠,٠٠٠ مثقال ، كما كان ما رصع به الستر ١,٥٦٠ قطعة من الجواهر المختلفة الألوان ؛ وكان هذا الستر - وهو من عمل الوزير اليازورى - موضوعاً قبالة العرش ، وقد حُلّ بما زنته ٣٠٠,٠٠٠ مثقال من الذهب الخالص .

٣ - هدية جوهر للعز

وفى منتصف شهر رمضان من سنة ٣٩٢ هـ ، مثل الأشراف والرماء وكبار الموظفين بين يدى الخليفة ، فقدمهم إليه جوهر . وبعد ذلك تقدم قليلا إلى الأمام ، وأرى الحضور هديته التى أهداها لمولاه ؛ وكانت - كما يقول المقرئى^(٢) - قلا عن ابن زولاق وهو من الثقات فى هذا الموضوع - تتألف من مائة وخمسين فرساً مرسجة ملجمة ، بعضها مذهّب وبعضها مرصع ، والبعض الآخر ممتبر ، وإحدى وتلاثين قبة على نوق بجمّات بالسياج والفُرش . وكان من هذه البضائع تسع نوق محملة بالحرير ، كما كانت النوق الأخرى ولودا . واشتملت الهدية أيضاً على ثلاث وتلاثين بئلة ، كان منها سبعة ملجمة مرسجة ، تبها مائة وتلاثون بئلة معدة للنقل وتسمون نجيباً ؛ كما اشتملت على أربعة صناديق يرى ما بداخلها ؛ وجعل فيها أواني الذهب والفضة . وكان فى الهدية مائة سيف محلاة بالذهب والفضة ، ودرجان من فضة غرقة فيها ثمين الجواهر والشيشان المرصعة بالجواهر .

ولم يكن هذا كل ما قدمه جوهر لمولاه فى هذا اليوم . فقد اشتملت الهدية أيضاً على سبعة آنية فيها طرائف مختلفة اتخبها له هذا القائد من ذخائر مصر .

(١) انشطج ١ ص ٣٨٥ ٣٨٦

(٢) شرحه ١ ص ٣٨٥

٤ - الكُسوة التي عملها المعز للكعبة

وبقين لنا مدى ثروة مصر في ذلك الوقت من وصف الكسوة التي أمر المعز بعملها للكعبة ، كما يبين لنا هذا أيضا كيف نافست مصر بغداد ، بل كيف خوقت عليها وعلى غيرها من المراكز الإسلامية . ففي يوم عرفة أمر المعز بنصب الكسوة التي اتخذها للكعبة على الإيوان الذي جعله لعقد الجلسات الرسمية .

وكانت هذه الكسوة مربعة الشكل من دياج أحمر ، وسعتها مائة وأربعة وأربعون شعرا ، وكان في حافتها اثنا عشر حلالا ذهبيا ، في كل حلل أربعة ذهبية ، وفي داخل كل منها خمسون درة تشبه بيض الحمام في الكبر ، كما كان فيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق . وقد قش في حافتها الآيات التي وردت في الحج ^(١) بمجروف الزمرد الأخضر ، وزينت هذه الكتابة بالخواهر البنية . وكانت هذه الكسوة معطرة بمسحوق المسك ، وكانت موضوعة في القصر بحيث يراها جميع الناس من داخل القصر أو من خارجه ^(٢) .

(١) القبط الذي استعمله القرظي هنا هو "شمسية" ، ويريد به طبع السور التي كانت تكتب بها الكعبة . وقد تناول كترير (Quatremère) الكلام على اشتقاق هذا القبط في المجلد الثاني من تاريخ الممالك في مصر التي حربه عن القرظي (ويرى باسم كتاب السلوك في معرفة دول الملوك) . وتبنا لذكر كترير ، نجد هذا القبط (شمسية) مستعملنا يأتي :
١ - نافذة مربعة في أهل الحواط ، ترك مفتوحة عادة ، أرتزين بالزجاج حسب بناء المرء من مردود الهواء أو الضوء .
قط (رحلة ابن بطوطة ، طبع وترجمة ديفريجي وبانجيتي D.G. DeFreney et B.R. Sanguanetti) ، (باريس سنة ١٩١٤ ج ١ ص ١٩٩) . وفي هذه الرحلة يقول ابن بطوطة في وصفه لجامع دمشق : "ان به أربعة وسبعين من شمسيات الزجاج ؛ وجاء ذكر شمسيات الزجاج في صورة القرطبة في كتابه "فتح القليب" (ج ١ ص ٢٩٣) . وبعد كلام القرظي على المسجد الجامع بمراكش ورد في نفس هذا الجزء (ص ٢٦٧) ما يأتي : "وفي أملاء ثلاث شمسيات تسمى وماتات" وفي كتابه صحت المسى "مراكش وفاس" ص ٢٦٥ (Rout. Morocco and Fez) جاء قبط شمسية ، ويراد بها النافذة .

٢ - مظلة : قد جاء في تاريخ ابن خلدون أن الخليفة خرج من شيتته وعليه الشمسية ؛ وهنا أقول أن كترير استعمل في هذا الموضوع قبط parasol ، ومعنى هذا المظلة الخاتمة بالسيارات . لكن أفضل استعمال لقبط (umbrella) الدال على المظلات التي يستعملها الرجال ، لأنها أكبر وأصلح لاستعمال الخليفة .

٣ - الكسوة أو السور ، قد جاء ذلك في القرظي في خطه (قلنا من ابن ميسر في تاريخ مصر ص ٤٤) ، ومن الأول أخذ كترير) . فانا نجد في القرظي "أن المعز أمر بنصب الشمسية (يراد بها هنا كاقدم الكسوة التي مناعها السور) التي عملها للكعبة على إيوان القصر .

أظهر ترجمة كترير لكتاب "السلوك في معرفة دول الملوك" (Histoire des Sultans Mamlouks) القرظي ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ص ٢٨٠ - ٢٨١

(٢) القرآن الكريم سورة آية ٣٩٥ ، وسورة آية ٣

(٢) ابن ميسر ص ٤٤

٥ - دار الوزير ابن كلس وثروته

وفي وصف قصر الوزير ابن كلس وبيان ما تركه من الثروة ما يكفي لأن يبين ثروة البلاد في ذلك العصر . ولقد سبق أن ذكرنا أن ابن كلس كان يشجع العلوم والفنون ، وأنه كان يجمع الاجتماعات الكبيرة في بيته في كل يوم خميس ، ويقرأ على المجتمعين مؤلفاته . وكان يحضر هذه المجتمعات القضاة والفقهاء ، وأساتذة القراءات والنحاة ، وعلماء الحديث وكبار رجال الدولة أصحاب المواهب المتنازة ، وكان يتقدم إليه الشعراء حين ينتهي الاجتماع فينشدون مدائحهم .

وكان يجمع في قصره عددا كبيرا من الموظفين : يشغل بعضهم بكتابة نسخ من القرآن ، وبعضهم ينسخ شيئا من كتب الحديث والفقه والأدب وبعض كتب العلوم حتى الطب . وكان هؤلاء النساخ يراجعون ما يكتبونه ، ويضيفون إليه علامات الشكل والنقط ، وكان من بين الفقهاء الذين يحضرون مجلس ابن كلس رجل اسمه الحسين بن عبد الرحيم ، يلقب بالزلزلي ، وهو صاحب كتاب الأصباح .

وجعل ابن كلس في قصره جماعة من القراء والأئمة ، وعين لهم الرواتب الخاصة ووكّل إليهم إقامة الصلاة في المنسجد الذي بناه في هذا القصر . وكذلك جعل ابن كلس في قصره مطابخ خاصة له ولأضيافه ، وأخرى لغلمانه وحاشيته وأتباعه . وكانت تُمد في كل يوم مائة كبيرة للعلماء وصفوة كتابه وأتباعه ولأضيافه ، وموائد أخرى تمد لمجابه وحاشيته وسائر الكُتّاب^(١) .

وجعل في القصر أيضا ميضأة للظهور وثمان غرف كانت معدة على الدوام لمن يأتي إليه من الأغراب . وكان يجلس بعد صلاة الصبح كل يوم ، فيدخل الناس للتسليم عليه ، ثم تعرض عليه الرقاع بظلمات الناس وساجاتهم ، واتخذ كؤلاه العزيز عددا من الضباط منح كلا منهم زينة القائد ؛ فكانوا يصحبونه في غداواته وروحاته ، ومع هؤلاء القواد جماعة من الموالي أطلق على كل منهم لقب القائد أيضا .

(١) ابن بطيحا (ج ٢ ص ٤٤١) قلائد المسجى .



لوح من الرخام مزين بصور الأساك وانعام
وهو من العهد الفاطمي



شاهد من الرخام عليه كتابة بخط الكوفي
من أوائل القرن السادس الهجري

ولم يفت هذا الوزير محصين قصره ودور غلمانه بالدروب^(١) ، فالتخذ لذلك حراما أمدم بما يحتاجون إليه من السلاح والعدد وسائر المؤن ، وأعد لهم وسائل البيع والشراء ، حتى أصبح يحيط بداره ودور أتباعه الخواص التي تباع فيها كل أنواع الحاجيات من ما كل ومشرب وملبس^(٢).

وزادنا المقرئ أن هذا الوزير جعل في قصره عدة دواوين ، بعضها للمزينة^(٣) ، والبعض الآخر للجيش والمالية والكتاب (السكريرية) والسجلات وما يتعلق بزيادة الخراج ، وجعل لكل ديوان ما يزمه من الكتاب. وجعل هذا الوزير أيضا في قصره مخازن لللباس والمشروبات وبيت المال والسجلات ، وكان لكل منها مدير خاص يشرف على أعمالها .

وأفرد الوزير في قصره جانبا خاصا للعلماء والشعراء والأدباء والفقهاء وصاباء الكلام والصناعات ، وجعل لكل طائفة من هؤلاء قسما يخصهم ، كما رتب لكل من الجميع راتبا يدفع إليه بانتظام . ولم يفته أن يجعل في قصره مستشفى فيه عدد كاف من الأطباء يقومون بفحص المرضى ووصف ما يزمهم من الأدوية التي كانت تعطى لهم بدون ثمن .

لم يكن هذا كل ما اتخذه ابن كلس من وسائل الأبهة والعظمة . فقد كان في قصره عدا ذلك طائفة من الحجاب يرتدون الملابس الحريرية ، ويتقادون السيوف ويمتطقون بالمناطق . وقال المقرئ إنه في شهر رمضان كانت تمام اللوامح في قصر هذا الوزير ، فكان يأتيها الفقهاء ومشاهير الرجال ، كما كان يدعى إليها الفقراء وطامة الناس .

(١) كانت الدروب عبارة عن حارات غير مائة ، فكان في نهاية كل منها باب .

(٢) ابن خلكان (ج ٢ ص ٤٤٠ و ٤٤١) قتلان من المسجى .

ذكر ابن خلكان (ج ٢ ص ٤٤١) أن الحارة التي تعرف في القاهرة بالوزيرية ، وهي الواقعة داخل باب سعادة ، نسب إلى أصحابها لاعتقادها مسكنا لهم .

(٣) يقصد بديوان المزينة ، كما يظهر من القسط ، الديوان الذي ينظر في الأمور التي تتعلق بشئ من التولية مباشرة ، كالحرس وشئون معينة .

ومحمدش ابن منجب^(١) أن عطاه الوزير من الخليفة العزيز كان مائة ألف دينار^(٢) (أكثر قليلا من ٥٠.٠٠٠ جنيه) كل عام ، وأنه ترك بعد وفاته من الثغالبان الشبان أربعة آلاف ، ومن الجواهر الثينة ما قدرت قيمته بأربعمائة ألف دينار ، ومن المصوغات ما بلغت قيمته خمسمائة ألف دينار ، وأنه حين توفي كان عليه للتجارة ستة عشر ألف دينار ، فقضاه عنها الخليفة العزيز من بيت المال وأداها لأصحابها على قبه .

هذه هي حياة أحد وزراء الصدر الأول من أيام الفاطميين ، وتلك هي ثروته الضخمة التي يحدسها ابن منجب^(٣) أنها بلغت أربعة ملايين دينار ، علما بمائتي ألف دينار خصصها ليتفق منها في زواج ابنته ، وعلا ستمائة حظية^(٤) ، وأرضا أعطيت له على سبيل الالتزام قدرت بثلاثمائة ألف دينار . ومحمدش ابن خلكان^(٥) أيضا أن ما اتفق في تكفين ابن كلس وفي العطر الذي استعمل لتجهيز جسمه بلغ عشرة آلاف دينار .

(١١ ص ٢٢)

(٢) هذا القبط مشتق من دينار يوس Denarius الأفرنجي اللاتيني ، وهو ، أى الدينار ، اسم وحدة من العملة الإسلامية القديمة . ومنه أدخل الخليفة عبد الملك ٦٥ — ٨٦ هـ (٦٨٤ — ٧٠٥ م) إصلاحه في السكة سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) ، أصبحت قيمته ثابتة (أنظر قبط Dinar في دائرة المعارف الإسلامية) . ومن ذلك الحين أصبح يضرب الدينار في كافة دور الضرب في أرجاء الامبراطورية الإسلامية طوال العهد الأموي . وكان وزن الدينار ٩٥ حبة ، والغرم ٤٣ حبة ، وغل الأمر كذلك حتى العصور الإسلامية المتأخرة . وكان عيار الدنانير العباسية ٩٧٠ حبة ، وظلت هذه النسبة مرعبة قرونا طويلة ، كما كانت تلاحظ أيضا في الدنانير التي تصدر عن دور الضرب عند الفاطميين والموحدين ، وأحيانا عند المرابطين . وكان الدينار يساوي أول الأمر عشرة دراهم ، غير أن ذلك كانت يختلف بين عصر وعصر (Lane-Poole, Coins and Medals, pp. 165-167)

وله ذكر لين بول (Lane-Poole, the Story of Cairo, p. 59) أن الدينار كان عملة ذهبية تساوي في الوزن نصف الجنيه الإنجليزي المسمى guinea ، وأنه — كما ذكره القزويني — كان ٣٦ درهما ، وصل هذا فيكون الدرهم ثلاثة بنسات ونصفا .

ألف القديس (طبعة دي غريغ ص ٢٤٠)

(٣ ص ٢٢) .

(٤) أطلق الأستاذ مرجوليوت في كتابه " القاهرة وبيت المقدس ودمشق " (Prof. Margoliouth, Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 27) طين زوجات .

(٥) (ج ٢ ص ٤٤٣ ، قلاع ابن صاكر) .

وفي الحق ، أن البذخ والامراف هما من مميزات الدولة الفاطمية كما قلنا . فهذا ابن منجب يقول إنه لما مات برجوان وزير الحاكم ، وجد في خزانة ملابسه ألف سروال ديبقي^(١) وألف ثكبة حريرية ، وكية كبيرة من الملابس الأخرى والأثاث والآلات الموسيقية^(٢) . والكتب والطرائف المختلفة^(٣) .

هذا ، وقد كانت سلطة الوزير في الصدر الأول من أيام الفاطميين محدودة ، إذ كان يتوقف بقاؤه في مركزه على تمتعه بتعزيد الخليفة ورضاه ؛ ولذلك نرى المقرئ يذكر لنا أن ابن كلث صرف عن الوزارة في سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٣ — ٩٨٤ م) ، واعتقل في القصر ثمانية أشهر ، ثم أطلق بعدها ، وأقيمت إليه مقاليد الأمور من جديد ، ووهبه الخليفة بهذه المناسبة خمسمائة غلام من الناشئة وألفاً من الموالى المغاربة^(٤) .

غير أنه في العهد الأخير من أيام الفاطميين (٤٦٦ — ٥٦٧ هـ و ١٠٧٣ — ١١٧١ م) ، عند ما صار الوزير ربيب السيف والقلم ، ضعف نفوذ الخلفاء كثيراً ، بحيث أصبحوا طوال هذا العهد تقريباً تحت نفوذ الوزراء الذين استغلت قوتهم وتضخم ثروتهم ؛ فأعانهم ذلك على أن يعيشوا معيشة قوامها حب الظهور وما يستدعيه ذلك من سرف وبذخ أكثر مما كان عليه أسلافهم في العهد الأول .

(١) نسبة إلى مدينة ديبقي الواقعة بين القروا وتونس ؛ وقد اشتهرت بما كان يصنع فيها من الملابس .
أظهر كتاب الحوشى (طبعه برينو Brillanow) ص ١٢٤ وترجمة أسامة بن منقذ ص ١٢٠ . أنظر هذا القول أيضاً في سبب البلدان لياقوت ، وكتاب " مذكرات جغرافية وتاريخية " تأليف كترمير (Quatremere) ج ١ ص ٣٤٠ ،
Von Krenmer: Ostturgeschichte des Orients, vol. XI, p. 280.

(٢) ذكر المقرئ أن برجوان كان شديد الولع بالموسيقى .

(٣) ابن منجب ص ٢٨

ترك لنا ابن أبياس (ج ١ ص ٥١ و ٥٢) صحيفة طويلة بما تركه برجوان . غير أنه لا يمكن الاعتماد عليها كل كلامه إذ أعلن أنه يقول إن برجوان ترك ما تولى مليون دينار ذهباً ، وخمسين أردباً من الدرهم الفضية . أما الدرهم ، فمع أن هذا القول بعيد أن يتركه برجوان ، فإنه رغم ذلك يمكن القول . وأما الفاتنير فأحسب ابن أبياس قد غلط في تقديرها ، وأرسلت الناحيون في تقديرهم ذلك مع . ولولا قال مليونين ، لكان قريباً من الصواب ، وبخاصة إذا عرفنا أن المدة التي ولها برجوان لم تكن من القليل بحيث تسمح بجمع هذا التدر من المال .

(٤) المقرئ خط (ج ٢ ص ٦)

٦ - ثروة الوزراء في العهد الأخير من أيام الفاطميين

أما عن ثروة الوزراء الفاطميين في هذا العهد ، فقد أمدنا ابن ميسر بمعلومات طريقة في هذا الموضوع . فقد ذكر لنا في كلامه عن الثروة التي خلفها الأفضل (٤٨٧ - ٥١٥ م) بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، ما كان من ركوب الخليفة الأمر ٤٩٥ - ٥٢٤ م (١٢٠١ - ١١٣٠ م) إلى دار الوزير وختمه عليها بعد وفاته .

ففي صبيحة الغد بعد صلاة العيد ، غُسل جثمان الوزير وكُفّن وورى التراب ؛ ثم أمر الخليفة بنقل ثروة الوزير إلى دار الخلافة ، وجعل على ذلك جماعة من الكُتاب يقومون بإحصائها . وتم ذلك في أكثر من شهرين بين مع الخليفة وبصره ، حيث كان يقضى صدر النهار في الجزء الذي بين من قصره لنقل تلك الثروة إليه ، كما كان يقضى سائر النهار في أحد دور الوزير ليعمل الترتيب اللازم . ويظهر لنا من عبارة ابن ميسر أن الخليفة قضى معظم وقته في الإشراف على نقل ما في دار الوزارة ودار الملك^(١) . وهذه الدار — كما ذكر المقرئ في كلامه عن مناظر الخلفاء الفاطميين — بناها الأفضل سنة ٥٠١ هـ (١١٠٧ - ١١٠٨ م) ، ثم صارت بعد وفاته ضمن مناظر الخلفاء . وقد جعل الأفضل مسكنه الخاص في هذه الدار ؛ فنقل إلى بعضها الدواوين ، كما جعل فيها محال خاصة تقام فيها الأسبلة في الأعياد ، واتخذ في إحدى أبنائها مجلسا يجلس فيه للعطاء ، كانت تعقد فيه الجلطات . وسمى هذا المجلس مجلس العطاء ، إذ كان الوزير يجلس فيه ويعطى دينارا لكل من يأتيه مستجديا .

(١) قد بان من حفظ دار الملك أن الأفضل كان يقب بالملك أيضا ؛ ولكن اعتادا على ما ذكره أسامة بن منقذ (ص ٢٢) ، ترى أن هذا القب لم ينف إلى القباب الوزير قبل سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٥ - ١١٣٦ م) . وقد كان رضوان بن الرغنى وزير الخليفة الماثل يقب بالسيد الملك الأفضل ؛ وتلل الوزراء الفاطميين يتسمون بهذا القب منذ ذلك الحين .

ابن حنكحان ج ١ ص ٦٦ ، والمقرئ في خط ج ١ ص ٤٢٨ - ٤٨٣ - ٤٨٥ ، Ravaine, Essai sur la Topographie de l'après Maqrîsi (Mémoires publiées par les Membres de la Mission Archéologique française du Caire, tome III, Paris, 1897, pp. 470-471).

وقد كان الأفضل يحتفظ لذلك في دار العطاء بثمانية أكياس من حرير، في سبعة منها خمسة وثلاثون ألف دينار؛ كما جعل في قاعة التؤلؤ بجوار الحشية التي كان يجلس عليها كيسيْن : في أحدهما دنانير، وفي الآخر دراهم يتفق منها إذا كان في الحرم . أما ما كان في مجلس العطاء، فكان يعطى منها للمستجدين كما قدمنا وللشعراء .

وقد ذكر المقرئ أن الأفضل كان إذا انفرط عقد المجلس أمر بكتابة ما أخفق من كل كيس على البطاقة التي كانت ترفق به ، ثم يمضيها ، وتبقى في الكيس ويحتم عليه . ولما جاء رجب سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م) تضاعف عدد الأكياس وتوالى الاحسان بصورة تم عن البذخ ؛ فأخذت العطايا على الشعراء في جوامع مصر المتقاربة من قصر الوزير، وصل الفقراء بحى التفرقة^(١) .

والآن فلنعد الى ثروة الأفضل ، فنجد أن ابن ميسر يقول عنها : « فوجدوا له من النخائر النفيسة ما لا يحصى : فوجد له ستة آلاف ألف دينار عينا ، وفي بيت الخاصة ثلاثة آلاف ألف دينار ، وفي البيت البراني^(٢) ثلاثة آلاف ألف ومائتين وخمسين ألف دينار ، وخمسين أردبا دراهم ورق ، وثلاثين راحلة من الذهب العراق المعزول برسم الرقم ؛ وعشرة بيوت في كل بيت منها عشرة مسامير ذهب ، كل مسمار وزنه مائتا مثقال ، عليها العلام المختلفة الألوان^(٣) ؛ وتسعمائة ثوب ديباج ملونة ، وخمسمائة صنوبر من دق ديباط وتيس برسم كسوة بدنه ؛ ولعبة عتبر على قدر جسده برسم ما يعمل عليها من ثيابه ليكسب الراحة . ومن الطيب والنحاس والالآت ما لا يحصى عددا ؛ ومن الأغفار والجاموس والأغنام والجمال ما بلغ ضمان ألبانه وضياحه أربعين ألف دينار في السنة ؛ ودواة يكتب منها مرسعة بالجواهر ، قوم جواهرها بأثنى عشر ألف دينار ؛ وخمسمائة ألف مجلد من الكتب^(٤) .

وقد ذكر لنا ابن ميسر أيضا طرفا من ثروة الأفضل العظيمة — تفلان الخازن بالقصر — حسب ما تذكره تلك الخازن الذي يقول أن هذا كان قلا من كثر مما استطاع أن يتذكره عند ما ذكر هذا الأمر .

(١) المقرئ ج ١ ص ٤٨٣ و ٤٨٤

(٢) يحصل أنه دار الوزارة في أجنحة من دار الملك والقاهرة .

(٣) هذه المسامير كانت تفصل مشايخ فروع عليها العلام .

(٤) ابن ميسر ص ٥٧

من ذلك أنه وجد في دار الأفضل (دار الملك) ستة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار من الذهب ، وسبعمائة طبق ما بين فضة وذهب ، وما لا يحصى من الأدوات كاللآلئ والصبّاح وأكواب الشراب ، والأباريق والقندور والأواني المستعملة في اللين (الريادي) ، وغير ذلك من القطع المختلفة من الذهب والفضة . وكان هناك غير ذلك شيء كثير من البراني^(١) الصيني الكبيرة الملوّنة بالجوهر ، الذي كان يفضّه منظوماً على هيئة عقود ، وسائر متثورا .

كما كان مما تركه الأفضل أيضاً تسعون ألف ثوب عتاني^(٢) من الديباج ، وثلاث خزانين كبيرة ممتلئة بالثياب الدنيقية من صنع تيس وديباط ، وخزانة أخرى للطيب مملوءة بأسفاط العود وضره ، مكتوب على كل منها وزنه ونوعه ؛ أما أواني المسك والكافور والعنبر فكانت من الكثرة بحيث لا يمكن عدّها^(٣) .

وكان في ثروة الأفضل غير ما تقدم أربع هجرات ملأى بالمقاطع والستور والقرش والوسائد والمسائد الديباج ، وأنواع مختلفة من الدبقي الحرير المذهب ، وعدة صناعات ملأى بأحقاق الذهب خاصة لاستعمال الوزير ، وخزانين أخرى ملأى بمختلف الثياب الديباجية المحلاة بالذهب .

أضف إلى ذلك أربعة آلاف من البسط والستور المصنوعة من خيوط السجاد ، ونعمائة قطعة من البلور ما بين كبيرة وصغيرة ، ونعمائة قطعة منكم^(٤) لنقل الأمتة ، وألف عدل من أمتة اليمن والاسكندرية وبلاد المغرب ، وسبعة آلاف سرج . ولم يكن هذا كل ما خلقه الأفضل من ثروة . فقد كان في يده ثمانمائة جارية ، منهن خمسون حظية ، لكل واحدة منهن حجرة تخصّها^(٥) .

أما مجلس شرب الأفضل فقد وصفه لنا ابن ميسر ، إذ ذكر أنه كان فيه مائة تماثيل لثمان جوار متقابلات ؛ وكان منهن أربع بيض من الكافور ، وأربع سود من عنبر . وكُن مرتديات أغفر الثياب ومقرينات بأتمن الحلّى ، ويمسكن بأيديهن أحسن الأحجار الكريمة .

(١) جمع برنية وهي إزاء معروف .

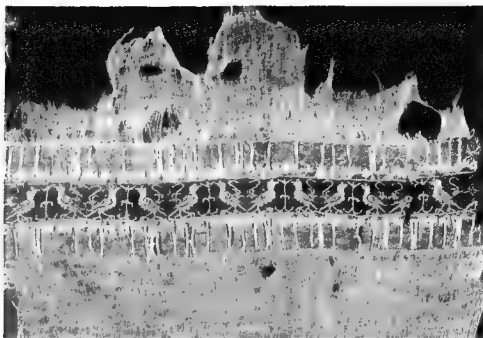
(٢) نوع من الثياب الحريرية ، تشب كما ذكر دوزي في شرح تاريخ هذا القطع ، إلى ابن حفيد عميرة المسمى عتاب ؛ وإلى نسب حتى يبتدأ ، وفيه تصنع هذه الثياب التي صارت تعرف بالثياب الثانية (أنظر Dory, Supplément)

(٣) ابن ميسر ص ٧٥ .

(٤) لم أعر على سنى هذا القطع رغم رجوعى إلى قاموس دوزي المسمى قاموس الملابس عند العرب (Dory, Dictionnaire des vêtements chez les Arabes)

والى غيره من المرسومات العربية كالقاموس المحيط لفيروز بادى .

(٥) ابن ميسر ص ٨٠ .



قطعة نسيج من كتان أبيض مزين بشرط به صور طيور متعاقبة



قطعة نسيج من كتان مزينة بجامات على أرضية حمراء

وكان الأفضل إذا دخل من باب المجلس ، نكس روعسهن إجلالاً له ؛ فإذا ما أخذ مكانه في صدر المجلس استوين قائمات . وهذه التماثيل لم يبين لنا ابن ميسر — وهو المرجع الوحيد في هذا الموضوع — إن كانت حركاتها تلك من تلقاء نفسها أو بواسطة أخرى . والظاهر أن ذلك منها كان بواسطة هندسية مرتبطة بمكان دخوله إلى مجلسه .

وكان الأفضل حين يجلس للشرب يجعل في مجلسه صواني الذهب مصقوفة ، وفيها الأواني المملوءة بالجواهر . فإذا أمر بجعل ما في الآنية على الصينية فيملؤها ، ويجعل بلله الشراب^(١) .

هذا ، وقد ذكر متولى الخزنة في القصر الذي استمد منه ابن ميسر هذه المعلومات الطريفة : "هنا ما حضرنى حفظه في داره ؛ وأما ما كان في غازنه وتحت يد عماله ، وإبلجاة وضمان التواصي ، وأصناف الفلال والحبوب والقطن والكتان ، والشمع والحديد والخشب وغير ذلك ، فما لا يحصى" . أما عن أخلاق الوزير فيقول ابن ميسر : "كان الأفضل من العدل وحسن السيرة في الرعية والتبازار على صفة جميلة... ولم يعرف أحد صودر في زمانه"^(٢) .

هذا هو مبلغ ثروة الوزير في العهد الفاطمي الأخير . ومما ذكره ابن ميسر والمقرضى نستطيع أن نبين ما كان هناك من القوة والثروة ، والحالة الاجتماعية ، والحياة الخاصة التي طاشها الوزراء وغيرهم من أصحاب المراكز الكبيرة . ولأننا في هذا العهد كان يتمتع بالسلطة المطلقة ، كما كان في قبضة يده خراج الدولة ؛ وكانت داره المحور الذي تدور عليه أعمال تلك الدولة الواسعة التي لم تكن تابعة للخلفاء إلا اسمياً فقط .

وإن كثيراً من ثروات هؤلاء الوزراء كانت تصدر عند وفاتهم ؛ إلا أن بعضها كان يرد إلى من يخلفهم من أبنائهم . فقد روى أبو المحاسن أن أبا علي أحمد بن الأفضل لما آلت إليه السلطة بعد أبيه ، حبس الخليفة الحافظ سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) واستولى على ما في القصر ، زاعماً أن ذلك كان لأبيه . غير أن الخليفة قد استرد هذه الثروة بعد وفاة الوزير وجعلها في قصره^(٣) .

وقد كان هذا النزاع بين الخلفاء والوزراء من الميزات التي امتاز بها هذا العهد الفاطمي الأخير ؛ وربما كان ذلك نتيجة تولى الأطفال عرش هذه الدولة . وقد يكون الأستاذ مرجوليوت مصيباً

(١) ابن ميسر ص ٥٨

(٢) شرحه ص ٥٨ و ٥٩

(٣) أبو المحاسن ج ٣ رقم ١ ص ٢

فيا يراه من أنف تقسم أطفال للعرش كان مبعثه حب إطلاق الحرية للوزراء ، مما كان سببا لمصائب كثيرة تزلت بالوزير والخليفة جميعا^(١) .

على أنه في عهد انحلال الدولة الفاطمية ، لم يكن الخلفاء بأقل اغناقا في سبيل الكرم مما كان عليه أسلافهم في أيامهم الأولى ؛ فقد ذكر ابن ميسر أنه لما مات الأفضل ، كانت على قبره أربعمائة وعشرون شخصا من القراء والوعاظ والمفسدين ؛ فأمر الخليفة الأمر ٤٩٥ — ٥٢٤ م (١١٠١ — ١١٣٠ م) لكل منهم ثمانين دينارا . وبالرغم من اعتراض أحد رجال بطانته استكاثرا لذلك القدر ، أمضى الخليفة ما أراده ؛ وكان مجموع ذلك نحو الأربعة وثلاثين ألف دينار أخذت من بيت المال^(٢) .

٧ - ثروة الخلفاء الفاطميين ويُسَرِّهم

لاشك أن ثروة الخلفاء كانت أعظم من ثروة ووزرائهم . وإن ما ذكرناه في وصف عرش المعز وهدية جوهري إليه ، والكسوة التي علقت برسم الكعبة ، ليبين لنا مبلغ ثروة مصر في أيام الخلفاء ، وثروتهم وحالة البذخ التي كانت تسود مظاهرهم . أما وصف القصر وما كان فيه من كنوز ، فذلك ما سنتكلم عليه بعد .

يقول ابن بول : "إن الخلفاء الفاطميين كانوا أكثر الملوك الذين حكموا مصر حبا للظاهر" . ومع هذا يقول : "إن ثروات الفاطميين كما دوتها المؤرخون ليس من الممكن تصديقها بدون تردد ، فانتا نقرأ في المقرئ أن بلتين للمز قد تركت إحداهما (واسمها رشيدة) ما يقرب من مليون ونصف من العملة النخعية (١٧٠٠,٠٠٠ دينار كما جاء في المقرئ أي زهاء ١/٢ مليون جنيه) ، وتركزت الأخرى (عبدة) كثيرا من خزانة الخلق والصناديق التي تحتوي على خمسة أكياس من الزمرد ، وثلاثة قطع من فضة ، وثلاثين ألف ثوب صقلي ، وغير ذلك من النخائر ، حتى كان الشمع الذي استخدم في الختم على هذه الثروة أربعين رطلا . كما أنا نقرأ أيضا أن المز اشتري ستارة من الديباج من فارس بما يقرب من اثني عشر ألف جنيه"^(٣) .

(١) Prof. Margoliouth : Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 38.

(٢) ابن ميسر (ص ٦٠)

(٣) (ص ١٣٢) The Story of Cairo, p. 132. (مقتبس من الخليل القرئزى (ج ١ ص ٤١٥) .)

(١) جامع القرافة

في سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦ - ٩٧٧م) أهدت تفرّد زوجة المزر أموالاً جمة على تشييد مسجد لها بالقرافة . وقد قام برسم المسجد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب ، وتولى زخرفته ونقشه جماعة من الفنانين من أهل البصرة ، وكان يحيط بهذا الجامع من غربيه حديقة غناء وصرح . واختط هذا المسجد على شكل مربع الزوايا ، وفي جوانبه أروقة كالأزهر ، بيد أن نقوشه كانت في غاية الإبداع . أما بابه فكان ذا مصطبة كبيرة تحت المنارة الهائلة ، وكان مصفعا بالحديد ، وكانت المقصورة يدخل إليها من أربعة عشر باباً حربية ، أمام كل باب قنطرة مقوسة على عمودين من الرخام في ثلاثة صفوف . وكانت الأبواب مكنّدة^(١) مدهونة بالأزرق والأحمر والأخضر ، كما كانت السقوف ملونة بختلف الألوان . وكان أمام الباب الأوسط قنطرة على هيئة قوس ، ملونة بألوان مختلفة ، يكاد الناظر إليها يخالها شكلاً طليعياً ، وقد حاول النقاشون أن يحاكيوها فاستطاعوا^(٢) .

وقد أمرت زوجة المزر الحسن بن عبد العزيز المحتسب الذي رسم مسجد القرافة ، فبنى لها قصر القرافة في سنة ٣٦٦هـ . وكان يتصل بهذا القصر بستان لطيف وحمام وبئر ، وكان — كما يقول المقرئ^(٣) — قصراً فخماً يسر الناظرين ، يتردد عليه أهله طلباً للراحة . وكان بهذا القصر قنطرة مقامة على قبو يستظل به المسافرين من الشمس .

وفي الخلط للمقرئ أن اثنين من الفنانين كان يتافس أحدهما الآخر: هما القيصر وابن عزيز المراق ، وكانا يتحمان بحماية الوزير وتمضيده . وكان من أمرهما أن صوّر أحدهما راقصة في ثياب بيض في قوس ملون بالسواد ، يحسبها الناظر داخلية فيه ، وصوّر الآخر فتاة أخرى بثياب حمراء في قوس أصفر ، يخالها الناظر بارزة عن القوس . وقد نالا بذلك إعجاب الوزير ، فرفع عليهما ووجهما ذهباً كثيراً . ويزيدنا المقرئ أنه كانت في إحدى دور القرافة صورة للكنائس أحد نقاشي جامع القرافة ، تمثل يوسف عليه السلام يتألم للراحة وهو في الحب^(٤) .

(١) هو فقط سرب عن كتفه ومناها بجوف .

(٢) المقرئ غلط (ج ١ ص ٤١٥) .

(٣) شرحه (ج ١ ص ٤٨٦) .

(٤) (ج ٢ ص ٣١٨) .

ويستطرد القرظي في الكلام على هذا القصر ، حتى يذكر أن الخليفة الامر جده سنة ٥٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ؛ وكان يجلس في أملاه ويشاهد ذكر الصوفيين من نافذة عملت لذلك ، وألويهم بين أبيهم والشموع تضيء لهم ؛ وكانت تصام لهم الموائد وعليها ما لذ وطاب من سائر أنواع الأطعمة .

وقد امر الخليفة الأمر عند انتهاء الذكر^(١) ، بلقيء بألف نصيفة^(٢) من خزائن الكنوة^(٣) ، فوزعت على الحاضرين . وأمر صاحب بيت المال فأحضر ألف دينار من بيت المال ؛ وبثركل ذلك على الناس من النافذة التي كان الخليفة يشاهد منها الذكر . واختفى بعض هذه الدنانير في الأرض ، فاشتغل كثير من الناس بقرية الأرض طلبا لها في الأيام القليلة التي تلت هذه الحادثة^(٤) .

وقد فاقت دولة العزيز ٣٦٥-٣٨٦ هـ (٩٧٥-٩٩٦ م) ، الذي بنى مسجد القرافة وقصرها في عهده ، دولة أبيه في اتساع الرقعة : إذ دعى له على منابر الجوامع من بلاد العرب الى المحيط الأطلسي . وكان العزيز خيرا بالجوهر ؛ وقد ابتدع نوطا جديدا من المائم عملة بخيوط الذهب ، وسروجا كذلك مطرقة بالذهب ؛ كما كانت أسلحته مكفنة بالذهب أيضا . وأقضى كثيرا من الطرف زين بها موائده . وشيخ تجارويه بن أحمد بن طولون يجوارح الطير الفرية ، وجلب لذلك الطيور والحجوانات من السودان ؛ وكان مغرما أيضا بالصيد ، وخاصة صيد السباع . ومع هذا فقد كان ذكيا أدبيا ، وورث أباه في مواهبه السياسية^(٥) .

ولقد ابقى كثيرا من المنشآت التي تنطق بفزارة ثروته ، والتي يحتاج الكلام عليها الى مجلدات ؛ وذلك كالجامع المعروف بجامع الحاكم الذي أسسه سنة ٣٨٠ هـ ، وقصر الذهب وجامع القرافة العظيم ، وقصور أخرى في عين شمس ، وقصر البحر الذي يقول فيه ابن خلكان لا يوجد شبيه له في الشرق ولا في الغرب^(٦) .

(١) الذكر هداية وتوجيه وتزج عن كل شائبة وقص ؛ ولقد أعزى يشدونها بقريل خاص ونجات خاصة ، مثل الحمد لله ! الله أكبر ! وغير ذلك .

(٢) ثياب تصنع من خليط من الحرير والقطن (انظر Dossy, Supplément)

(٣) وبكر الكاف أيضا . انظر القاموس المحيط قهر وزبدي ؛ وفي مشتقة من كلمة كساء أي لباس .

(٤) القرظي خطب (ج ١ ص ٤٨٦) .

(٥) ابن خلكان (ج ٢ ص ٢٠٠) .

(٦) شرحه .



مناظر تمثل الرقص والصيد والموسيقى



مناظر منقوشة تمثل طيور اوتيسا وصائدات يقتنص سباعا مع جرة من الموسيقى

وكان العزيز فوق ذلك كريماً عجا للعفو ، وصنّبه مع إكتين التركي خير مثل لذلك ^(١) .
فقد عامله معاملة قوامها منتهى العطف والرعاية ، وقد جاء به أسيراً الى القاهرة حين عاد من حربه
منصوراً عليه ، إذ خلع عليه ووصله بهيات ، وخصص له داراً لإقامته ، ثم أذن له أن يدخل بلاط
الخليفة ضيفاً مكرماً ، حتى لقد كان إكتين يقول : "لقد احتشمت من ركوبى مع الخليفة مولانا
العزيز بافته ونظرى إليه ، بما غمرنى من فضله وإحسانه" . فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة :
"يام ! أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة ، وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر ، ولم
الجيل واللباس والضياع والعقار ، وأن يكون ذلك كله من عندى" .

(ب) الثروة التى خلفها الحاكم

كانت الثروة التى تركها الحاكم — كما يقول أبو المحاسن — عظيمة . ولا غرو فقد كان من بين
الخلفاء الفاطميين مشهوراً بسبب العظمة ، حتى إن أبا المحاسن يقول ، إن الحاكم لما اتصل به خبر
رسول إمبراطور الروم وأنه فى طريقه الى القاهرة ، وأنه قد يمثل بين يديه ، أمر بترتين القصر ،
فكان من بين الأكلس التى تحتوى على الحرير المشغول بالذهب كيس عليه رقم ٣٣١ .

وقد نقل كل ذلك إلى الإيوان المعد لاستقبال الرسول وعاق على حواطئه ، فغدا الايوان كله
يتلألأ ببريق الذهب . وقد وضع أمام الايوان قطعة من المسجد على هيئة درقة ^(٢) مرصعة
بالأحجار الكريمة ، فكان لانعكاس أشعة الشمس عليها بريق يحطف الأبصار ويضيء ماحولها ^(٣) .

وزى فى العبارة التى أوردها أبو المحاسن عن ثروة ست الملك أخت الحاكم ، أن تلك الثروة
اشتملت على ثمانمائة جارية ، وثمان جريت ملائى بالمسك ، وكثير من الأحجار الكريمة ، من بينها
قطعة من الباقوت وزن ثمانية مثاقيل ، وكانت مخصصات هذه الأميرة السنوية تحسب ألف دينار ،
وكانت مشهورة بالكرم والحلم ^(٤) .

(١) حلال الصابى ، مكتوب ج ٣ ص ٣٨٤ و ٤٠٤ ، وابن القلائص ص ٢٠ و ٢١

(٢) سرية عن قنطاروس هو "درية" ، وهى درج يضارب الشكل غالباً ، وفيه ترويات فى وسطه ، وله مقبض
فى ظاهره ، ويتراوح طوله بين قدم ونصف وقدامين . وتسمى الدرة غالباً من جلد فرس البحر وغيره من الحيوانات ذات
الجلود السمكية ، وأحياناً من جلد التمساح (انظر Lane's Arabic-English Lexicon) .

(٣) القريزى خطب ج ١ ص ٤١٥ ، وأبو الحسن ج ٢ رقم ١ ص ٧٧

(٤) درسه .

(ج) زيارة ناصرى خسرو مصر

لقد أمدنا ناصرى خسرو ، ذلك الشاعر الفارسي ، حين زيارته لمصر في سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) في عهد المستنصر ، بوصف ضايف عن ثروة البلاط الفاطمي وأهله ، وما كانت عليه القاهرة من يسر وروضاء .

وكان ناصرى خسرو وزيرا في خراسان ؛ ثم اعتزل الأعمال السياسية ومال الى الدين ؛ فحج بيت الله ، وأصبح داعيا للاسماعيلية . وانه ليقص طينا في كتابه "سَفَرُ نَامِه" (١) ما لاقاه في رحلته الى مكة ، ثم الى دمشق في بيت المقدس ، وأخيرا الى القاهرة التي وصلها في السابع من صفر سنة ٤٣٩ (٧ أغسطس سنة ١٠٤٧) ، فأقام فيها الى يوم الثلاثاء ١٤ ذى الحجة سنة ٤٤١ .

وبعد أن شاهد كثيرا من المدن العظيمة في بلاد الفرس والعراق ، رأى أن القاهرة قد فاقت غيرها من مدن العالم الاسلامي في العظمة والجلال . وكان مغاليا في الاسماعيلية ، فاعتبر القاهرة المركز الرئيسي للذهب الذي يدين ببقائه ، كما اعتقد أيضا أن الفاطميين هم الأئمة حقا ؛ وقد عبر عن كل ذلك في كتابه .

ويذكر لنا أن الفنادق والحمامات وغيرها من المنشآت العامة كانت كلها ملكا خاصا للخليفة . وكانت الدكاكين في القاهرة كلها كذلك ملكا له ؛ وكان ايجار كل منها في الشهر من دينارين الى عشرة دنانير (٢) ؛ وكانت النورمحكة البناء ، مبنية بالجير لا باللبن ، يفصل بعضها عن بعض حداثق بهيجة (٣) .

(١) النسخة الفارسية وترجمتها ، قام بشرها وترجمتها شارل شيفير (Charles Schefer) ، باريس سنة ١٨٨١ .

(٢) ناصرى خسرو "سَفَرُ نَامِه" ، ص ١٢٧ .

(٣) شرحه ص ١٣٢ .



باب ذو مصرعین ، اصلہ مع درستان السلطان قلاوون مکان مرکبا علی اُحد ابواب القصر الفاطمی الغربی

ويقول لنا ناصرى خسرو^(١) أيضا أنه كان بالقصر الملكي ثلاثون ألف^(٢) جارية ، وأنه كان فيه اثنا عشر بهوا (سلامك) وعشرة أبواب^(٣) . وكان موضعه وسط القاهرة التي كان بها عشر حارات^(٤) . وكان حراسه ألفا : منهم خمسمائة فارس وخمسمائة راجل . وإذا ما انتهت صلاة العشاء ضربت الطبول والأبواق وعزفت الصنوج ، وكون الحرس من أنفسهم دائرة ، وظلوا كذلك حتى مطلع الشمس^(٥) .

(٥) جبر الخليج

أما عن الاحتفال بوفاء النيل ، فنكتفى بذكر ما قاله ناصرى خسرو أيضا من أنه كان من أعظم الاحتفالات التي كانت تقام في مصر في كل عام . فقد كان يحتفل بوفاء النيل بحضور الخليفة المستنصر ، وفي ركبه عشرة آلاف فارس يتطون الخيول المظلمة اللجمة ، ويلبسون الدروع المحلاة بالذهب والأحجار الكريمة ، المكسوة بديباج مطرز باسم الخليفة . وعلى هؤلاء صفوف من الجبال عليها هودج مزركشة ، تقودها طائفة من جنود الخليفة ؛ وكلما كانت عدد البغال محلاة بالذهب .

أما الجند فكانت تسير في صفوف منتظمة ، فصيلة تلو فصيلة ، ميممين ثم الخليج ، والبربر من هؤلاء يسعون في عشرين ألفا من أشداء قبيلة كامة (من قبائل البربر في شمال إفريقية) من سلالة جند المزم . وعلى هؤلاء خمسة عشر ألفا من المغاربة ؛ ومن المصامدة^(٦) عشرون ألفا . ويسير

(١) ناصرى خسرو ص ١٢٨

(٢) ذكر الفريرى أنه كان بالقصر ثمانية عشر ألفا ، منها عشرة آلاف من الأشراف وخمسة آلاف من الخدم . وفي حارة أخرى للفريرى قفلا عن ابن عبد الظاهر ، أنه كانت بالقصر حين استول عليه صلاح الدين عند سقوط الدولة الفاطمية اثنا عشر ألفا كلهم من الإثبات ، هذا الخليفة وأولاده .

(٣) ذكرنا ابن دقاق (ج ٤ ص ٥٦ و ٥٧) أسماء أبواب القصر للشرق الكبيرى : باب الذهب ، وباب البحر ، وباب الرمح ، وباب الزمرد ، وباب اليد ، وباب قصر الشوك ، وباب الدلم ، وباب تربة الزفران ، وباب الزعومة (أرض الباب الذى يشتم منه رائحة اللحم) .

(٤) ناصرى خسرو ص ١٤٤ و ١٤٥

كانت أسماء هذه الحارات أو الأشياء كما على : حارة برحوان ، حارة زبدية ، حارة الجندوية ، حارة الأمراء ، حارة الديباجة ، حارة الزمرد ، حارة الباطية ، وقصر الشوك ، وعيد الثراء ، حارة المصامدة . وفي الفريرى (خط ج ٢ ص ٢ — ٢٠) تفصيل لهذه الحارات في حارة شاققة تبين أسباب تسمية بعضها بهذه الأسماء الخاطئة .

(٥) ناصرى خسرو ص ١٢٨

(٦) قبيلة من قبائل البربر بشمال إفريقية .

خلف هؤلاء وأولئك الإثراك والفرس في عشرة آلاف ، ويطلق عليهم اسم المشرقين ، ولو أن مسقط رأسهم هو مصر . ويتبعهم من بلد الحجاز خمسة عشر ألفا ، ومن السودان ثلاثون ألفا ، وكان يطلق عليهم عبيد الشراء ^(١) .

وبلى هؤلاء أيضا عدد غير قليل من الأرقاء ورجال الحاشية ، وكذلك الموظفون على اختلاف مراتبهم ، والشعراء والعلماء والأمرء ^(٢) من مراکش واليمن ، وبلاد النوبة والحبشة ، وآسيا الصغرى وجرجان وتركستان ، حتى الأمرء من أبناء سلطان دهل — وكانت أهمهم تقيم في القاهرة .

أما الخليفة فكان شابا في مقتبل العمر ، بهي الطلعة حليق الخفية ، عليه كساء طويل ^(٣) ناصع البياض ، يمتلئ بفضة طارية من كل ما يزينا . وكلت حرس الخليفة يتألف من ثلثائة من الديلم المشاة ، مرتدين الحلل السندسية المصنوعة في بلاد الروم ، حاملين المعاول والمزاريق . ويسير إلى جانب الخليفة أحد كبار رجال الدولة يحمل مظلة الخليفة ^(٤) ، ويحف بهما خصيان يطلقون البخور على جانبي الطريق . حتى إذا ما وصل إلى القسطنطينية المقام عند فم الخليج ويحده له الناس ابتكارا واجلالا ، قذف المزراق في سد النيل . ومن ثم يطلق الناس يعملون في هذا السد بمعاولهم ، فينساب الماء ، وعندئذ يهرع الناس إلى زوارقهم فرسين جزلين ، يتقدمهم زورق يحمل جماعة من الهم والبكم تينا وتقاؤلا ^(٥) .

وأخيرا يقول ناصري خسرو أن مصر كانت في ذلك الوقت في مجبوحة من العيش ، ويقول أن الخليفة كان محبوبا جدا من الشعب ، وأنه لم يكن أحد يخشى سلبا أو تعديا في ظل حكومته . ويقول في كلامه عن أسواق القاهرة وحوالياتها الفخمة الفنية بما فيها من الطرف ، أن تجار الجواهر والصبار لم يكونوا يحفلون بأعلاق حوائثهم ، إذ لا يخشون عليها من اللصوص ^(٦) .

(١) أي الأسارى الذين كانوا يشترون بالمال .

(٢) يقول ناصري خسرو (ص ١٣٩) أن هؤلاء قد كثرنا من أقصهم فضيلة معدة ، غير أنها لم تكن معيرة من جيش الخليفة ؛ وكان بعضهم يعطى مائة قدره خمائة دينار على الأقل ؛ ويصل البض ألفي دينار . أما أن تكون هذه الماشات لشراء لسة ، فذلك ما لم يجه ناصري خسرو . ويبدو أنهم كانوا يتقاضون هذا المبلغ عن الثمر الواحد ، فان مالية الدولة لا تقوى على تحمل مثل هذه المبالغ إذا كانت شهرية .

(٣) يقول ناصري خسرو أن ثوب الخليفة هذا كان من صنع ديق ، وكانت قيمته ألف دينار .

(٤) كانت عمادة صاحب المظلة مزينة بالأجوار الكريمة ، وكان ثوبه من جنس ثوب الخليفة . أما المظلة فكانت مرسمة بالألوان والأجوار الكريمة .

(٥) شرحه ص ١٣٦ — ١٤٢ وقد ترجم معنم ذلك لين بول في كتابه The Story of Cairo, pp. 145, 148.

(٦) شرحه ص ١٥٥-١٥٦

(هـ) النفاس التي كان يحوزها الخلفاء الفاطميون في عهد المستنصر

وبعد زيارة ناصري خسرو لمصر قليل ، حلت بالقاهرة الأيام السيئة وطودتها المصائب التي لم تشعر بها قبل قرن من تأسيسها . وقبض على نواصي العناصر المتألبة للمادية على اختلافها في هذه الأثناء الوزير اليازوري^(١) مدة تسع سنين ، وبذل قصارى جهده في معالجة خطر المجاعة التي كانت تهدد البلاد دائماً ، تلك المجاعة التي كان يصحبها غالباً الوباء والبؤس العام ، وما يتبع ذلك من القوضى والجراثيم . ووجد اليازوري في مخازن الفلال التي كان مستولياً عليها ما أبعد ذلك الخطر مدة حياته . غير أنه بعد قتله (صفر سنة ٤٥٠هـ و١٠٥٨م) لم يكن هناك من يقف في وجه هذه العناصر الخطاينة^(٢) .

وبين لنا عرض مركز الحكومة ما كان من تعاقب أربعين وزارة مختلفة في تسع سنوات . وقد كانت السلطة في هذه الآونة بيد الجنود التركية ، وقد طردوا الجنود السودانية التي كانوا يكرهونها ، والتي كانت تعتمد عليهم أم الخليفة ، وكان عددهم خمسين ألفاً ، فأبعدوا جهة الصعيد حيث استقر منهم خمسة عشر ألفاً . وكان من أمرهم أن أخافوا الأهلين وحالوا دون زراعة الأراضي (٤٥٩ هـ) ، وقد اكتسح الغالة منهم ، وبعدهم خمسة عشر ألفاً ، الدلتا حتى وصلوا الإسكندرية فاستقروا بها .

(١) هو أيرج الحسن اليازوري بن علي بن عبد الرحمن ، من أهل يافق ، وهي قرية من كورة الزفة . وقد عهد إليه بالوزارة في السابع من المحرم سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠م) ، وصحبه بالبقاء في منصبه الأول ، وهو مطر خاصة أم الخليفة . وكان يقبض بهذا القتب المركب : وهو الناصر لعين ، غياث المسلمين ، الوزير الأجل المكرم ، سيد الوزراء ، تاج الأسفياء ، قاضي القضاة ، داعي الدعاة . وبقى في منصبه حتى قبض عليه المستنصر في أول المحرم سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨م) بتهمة مراسلة للفريلك السليقي ودعوته لتزوم مصر . وأبعد اليازوري مع زوجته وأولاده وخنده إلى تنيس ، حيث ظل محبوساً بها ، حتى أُنقذ إليه الخليفة سيقاً قطع رأسه (٢٢ صفر سنة ٤٥٠ هـ و١٠٥٨م) . ثم أرسلت جثته إلى القاهرة ، فأقيمت في مزرعة ثلاثة أيام ، أُنشج بعدها وغسل وحفظ وكفن ودفن - ابن منجب ص ٤٠ - ٤٥ وابن ميسر ص ٨ - ٣ . وهذا الذي ذكره ابن منجب وابن ميسر يختلف عما ذكره لين بول في كتابه "The Story of Cairo, p. 167" من تأحين : (١) أن اليازوري مات مسموماً (ب) وأن موطنه الأصلي يد من كورة يافق .

(٢) ابن ميسر ص ١٣ و١٤ و١٦ و١٧ - ٢٢ و٢٤

اما الأتراك فقد انتهزوا تلك الفرصة واتهبوا المدينة ، وارتكبوا أعمال العنف والشدة لإيذاء الخليفة الذي لم يكن له ظهير ، والذي أصبح يبت ماله خلوا من المال المطلوب لإرضاء مطالبهم التي كانوا يركنون الى القوة في سبيل الحصول عليها ^(١) .

وأُتلف هؤلاء الأتراك في ثورتهم قصور الخلفاء الجميلة ، وبددوا المجموعات الفنية التي لا تقوم ، والأشجار الكريمة والمحجورات ، وأمر من هذا كله ، أنهم أغاروا على المكتبات المنقطعة النظير ^(٢) . وقد شل حركة الفلاحين ذلك الرعب الذي ألقته الجنود السودانية المشتتة في جميع أنحاء البلاد . ومع ذلك لم يكن هناك ما يثقف وطأة انخفاض النيل أو ما يساعد على زراعة الأراضي للفصل الجديد .

ولقد شمرت القاهرة ومصر اللتان حريتا من الإمدادات التي كانت تأتيا عادة من الأقاليم بندرة الأقوات شعورا قاسيا . فقد بلغ ثمن الرغيف خمسة عشر دينارا ، كما كانت تباع بعض المنازل بربع من الدقيق . وكان بعض كريمات النساء يمرضن حليهن النادر الثمين ، فلا يوجد من يشتريه في مقابل شيء من الطعام ، وكانت الخيل والحمر والكلاب والقطط تباع بأثمان فادحة ، ويقبل الناس الجوع على التهام لحما .

وسرعان ما عدست أمثال هذه الحيوانات فلم يوجد ما يذبح منها ، حتى إن اصطبل الخليفة قتل دوابه ، بحيث لم يستطع خدام الخيول الجوع جمع أكثر من ثلاثة أفراس صغيرة لمولاهم . وكانت نتيجة هذا كله أن أصبح الناس يخطف بعضهم بعضا من الطرقات ، وأصبح لحم الإنسان يباع عند الجزارين ^(٣) .

وجاء بعد ذلك الوباء ، فحصد الأرواح بمنجمله حصدا ذريعا ، فكان يكتسح الديار دارا بعد دار . ولم يكن هناك فرق بين عظيم وحقيق ؛ بل نالت المصائب من الجميع على السواء ، حتى إن الخليفة نفسه ، الذي أُلّف الأتراك ماله ، والذي كان معتزلا في داره ، كان مدينا بحفظ حياته إلى بنت أحد الفقهاء ، إذ كانت تجري عليه رغيفين كل يوم . أما زوجته وبناته فقد فرون الى بغداد هربا من الطاعون .

(١) يقول ابن ميسر (ص ١٧) عند كلامه على حوادث سنة ١٤٦٠ هـ ، ان خصومات الأتراك التي كانت قبل ذلك عشرين ألف دينار في الشهر (٢٤٠٠٠٠ في السنة) ، بلغت في ذلك الوقت أربعة آلاف دينار في الشهر (٤٨٠٠٠٠ في السنة) .

(٢) شرحه ص ١٧ و ١٨

(٣) شرحه ص ٢٠

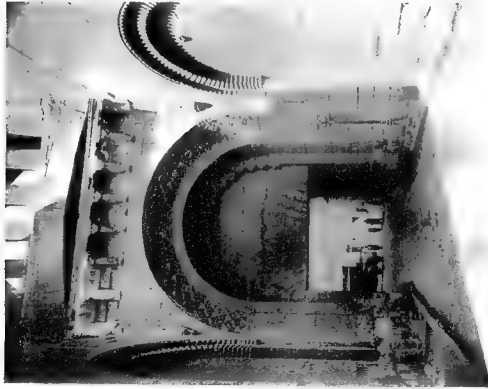


جساع الجبوتى - منظر الجبوتى على سفح جبل القلعة

باب النصر. بنى سنة ٤٨٠ هـ



باب التوحي. بنى سنة ٤٨٠ هـ



وقد ظلت مصر مدة سبع سنوات في حالة يرثى لها من اليأس الذي أعقبته المجاعة وما صحبها من الجرائم ، وبلغت الحالة درجة لم تعرفها البلاد من قبل . وأخيرا انتهت تلك الأيام وما فيها من البلاء ، وجاءت غلة عام ٤٦٥ هـ (١٠٧٣ م) وفيرة . وفي رجب من هذا العام قتل زعيم أشراق الأتراك ناصر الدولة بن حمدان الذي هدد مصر بوضعا تحت سيادة بنناده وجاء الوزير الخطير بدر الجمالي ، فأخذ الدولة الفاطمية المزعزعة الأركان^(١) .

(و) النفاس التي كان يحوزها المستنصر

أمدنا ابن ميسر ببيان موجز عن كنوز المستنصر استقده من مجلد ضخيم يقع في نحو العشرين كراسة ؛ وقد اطلع عليه بنفسه . وكان يشتمل على بيان بما في تلك الكنوز من طُرف وأثاث وملابس وذهب وغيره ، مما قتل من القصر في غضون ثورة الأتراك . ويقل ابن ميسر أيضا ، إن من هذه النفاس ما أرسله الباسايرى الى مصر سنة ٤٥٠ هـ ،^(٢) حين أقام الخطبة باسم الخليفة الفاطمي المستنصر على منابر بنناده ؛ وقد استولى عليها الأتراك أيضا سنة ٤٦٠ هـ . وكان مما بعث به الباسايرى ثلاثون ألف قطعة كبيرة من البلور ، وخمسة ومبعمون ألف ثوب من الحرير الخسرواني^(٣) ، وعشرون ألف صيف محلي بالذهب^(٤) .

وقد أمدنا المقرئى ببيان آخر يضيئ هذا المقام عن قله . لكا نذكر شيئا منه مثلا للثروة التي كانت الخليفة المستنصر يملكها في مبدأ سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) ، تلك الثروة التي تين لنا مصادر ثروة مصر وما كانت عليه من يسر ؛ وذلك كما ما ساعد على تنفيذ سياسة

(١) وصف ابن منجب حالة مصر بإيجاز عند كلامه على وزارة بدر الجمالي (ص ٥٦ و ٥٥) .

راجع ما كتبه ميونفيت (Wies) عن بدر الجمالي في مذكرة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية في القاهرة ، المجلد الثاني والحمدون (Mémoires (Publiées par les membres) de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire (M.I.F.A.O.).

(٢) يقول المقرئى (خطوط ج ١ ص ٤٢٩) إن هذه القنائر أرسلت الى القاهرة سنة ٤٤٧ هـ ، وفيها بدأت العلاقات الدائمة بين الباسايرى والخليفة عباسي القائم ، وانتهت باستيلاء الباسايرى على بنناده سنة ٤٥٠ هـ ، فأصبح في مركز يسمح له أن يتولى على ما في صرا الخليفة من القنائر . غير أن سلطة الباسايرى لم تستقر في بنناده قبل سنة ٤٥٠ هـ . وعليه فإن عبارة ابن ميسر (ص ٢٠) أقرب الى الصديق .

(٣) الخسرواني أو الخسرواني نوع من القماش ينسب الى خسرو شاه أحد ملوك القرس

(انظر Lane's Arabic-English Lexicon)

(٤) يقول المقرئى : وكان من بين تلكات صرا الخليفة القائم التي أرسلها الباسايرى الى مصر ثوبه الخاص وعمامة التي فيها يده (وكانت مخفوفة في صندوق من المرمر) ، وشباك تلح يصفه المقرئى بأنه كان كسرة يجلس فيها الخليفة وينتد يدبه في حاته ، وكان مصنوبا من الخشب المتخاطف (انظر Lane's Arabic-English Lexicon) . ويقول المقرئى أيضا إن هذا الشباك نقل الى دار الوزارة واستعمله الأفضل ، رين في الدار بعد وفاته الى أن نقل أخيرا الى دار الأمير بيبرس . أما عمامة الخليفة عباسي ثوبه الخاص ، فقد أحادها صلاح الدين الى بنناده سنة ٤٦٧ هـ

الفاطميين . وكان من ضمن ثروة المستنصر شيء كثير ورثه عن آباءه ، فاقبته الأتراك سنة ٦٠ هـ ، كما استولوا على بعض ممتلكات القصر ، وعرض البعض الآخر للبيع فيج : بأجنس الأثمان ، ووزع كل ذلك عليهم . وهذا بخلاف ثلاثين مليون دينار من الذهب تقاسمها التوار الأتراك و " ليس لأحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق " .

ويتبين لنا مما ذكره المقرئ أن لم يتأخر شيء من عطاء الأتراك . ويمكن أن نضيف إلى هذا ، أن الأتراك إنما تاروا على الخليفة الذي لا تاصر له ، رغبة منهم في الثار من الجنود السودانيين المكروهين لهم والذين كانوا أنصار أم الخليفة ، وليحوزوا من الأسلاب ما تسمع لهم به الأحوال .

وقد كان من ممتلكات الخليفة الكثيرة التي لا تقوم بحال ، سيفه الخاص ، وسيف الخليفة المعز ، وسيف النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيف الحسين بن علي رضي الله عنه ، وسيف جعفر الصادق ، وكيات من الرماح والقمي وغيرها من الأسلحة ، وعشرة آلاف مرج ، بعضها كان يساوي سبعة آلاف دينار (١) . وكذلك أكواب من العنبر ، وسبعة من الأحجار الكريمة تقوم بثمانين ألف دينار على الأقل (ويبيت بالعين فقط) ، وصندوق من الجوهر قوم بثمانمائة ألف دينار (بيع بمجماعة !) ، وأربع عشرة كيلة من الجواهر أيضا ، وألف ومائتان من الخواتم ما بين ذهب وفضة ، بيع ثلاثة منها مرصعة بالأحجار الكريمة باني عشر ألف دينار (٢) .

يضاف إلى هذا كله مقادير كبيرة من الصّحاف وقطع البلور (٣) ، وأواني الذهب والصواني المحلاة بالذهب ، وأصص الزهر المنقوش عليها اسم هرون الرشيد ، وثمان وعشرون صينية أخرى محلاة بالذهب أيضا ، قوم كل منها بثلاثة آلاف دينار ، كانت مهدة من امبراطور الروم إلى الخليفة العزيز ، وأطباق أخرى مزينة بالذهب ، وكثير من الصناديق الملائم بالمحابر المختلفة الأنواع والأحجام ، المصنوعة من الذهب والفضة وال عاج والأبنوس وغير ذلك ، مرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة (٤) ، وصناديق عدة من السكاكين مذهبة ومفضضة ، بمقابض مختلفة الأنواع ، كلها مرصعة بالأحجار الكريمة أيضا (٥) .

(١) الخطط (ج ١ ص ٤١٨) - (٢) شرح (ج ١ ص ٤١٤) .

(٣) ذكر المقرئ (خطوط ج ١ ص ٤١٤) أن أبا سعيد التبريزي أحد أمراء الحج اشترى في أيام قليلة ثمانية عشر ألف قطة من البلور ، قيمة بعضها ألف دينار .

(٤) ذكر المقرئ أيضا (ج ١ ص ٤١٤) أن بعض هذه المحابر قومت الرائدة منها بألف دينار ، عدا الأحجار الكريمة التي كانت مرصعة بها .

(٥) ذكر المقرئ (خطوط ج ١ ص ٤١٤) أن هذه السكاكين بيعت بأجنس الأثمان ، وبلغ ثمنها كلها ستة وثلاثين ألف دينار .



طبق من ظرف ذی بریق ذہبی



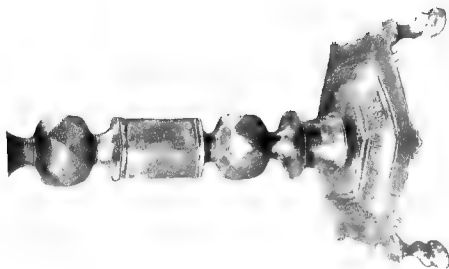
قدس من ظرف ذی بریق ذہبی فرنیہ من اسخارج ثلاث دوائر کل منها صوره طائر فی منظارہ فرج نباتی



شبابيك قلل من فخار مزينة بزخارف تشبه الدنلا



قطعتان من خزف ذي بريق ذهبي. على الأولى رسم المسيح عليه السلام
وعلى الثانية صورت ثلاثة أشخاص مكتوب فوق أو سطهما "ابوطالب"



شمعدان من الشهبان



ظفر مرآة من الشهبان

بالأحجار الكريمة أيضا ، وستة آلاف آنية للفرجس ؛ واثنين وعشرين ألف تمثال من العنبر ، وثمناثة تمثال من الكافور على هيئة البطيخة ؛ وكان أحدهما محفوظا في شبكة من الذهب ، وهو مرصع بالأحجار الكريمة ، وزنته ثلاثة آلاف مثقال ، وأثرتان وزن ستة عشر ألف مثقال ؛ ونحلة من مختلف الجواهر والأحجار الكريمة ، وكان عمرها كذلك أيضا ، ومع هذا ينالها الناظر طبيعية .

ومما بيع في هذه الأثناء طاووس من الذهب مرصع بالجواهر النفيسة والأحجار الكريمة ، وعيناه ياقوتتان وريشه من الزجاج الموه بالذهب ، وديك من الذهب مرصع بالؤلؤ ، ومنضدة قوائمها من العقيق^(١) .

وليس هذا كل ما تركه المستنصر من الكنوز . فإذا ما استلينا الأحجار الكريمة والطرف والطور والأسلحة ، وجدنا أيضا عددا عظيما من الكنوز التي لا تحصى بمال في خزائن أخرى مثل خزائن الأثاث والفرش .

وقد نقل المقرئ عن ابن عبد العزيز الأنصاري أحد أمته البيع أن عدد مقاطع النسيج المنسج في بخسرين ألفا ، وكان أكثره مذهبا . ويقول المقرئ في عبارة أخرى عن ابن عبد العزيز هذا إن عدد هذه المقاطع بلغ مائة ألف ؛ وكان منها حشية خسروانية بيعت بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ، كما بيعت حشية أخرى قلمونية^(٢) بألفين وأربعمائة دينار . وذلك كله عددا عشرين ألف قطعة جديدة من النسيج المنسج . وقد بيع هذا كله في شهر صفر من سنة ٤٦٠ في نحو خمسة عشر يوما^(٣) .

وأخذ بعد هذا بقليل من خزينة الرغوف^(٤) ألفا عدل من القماش الجديد المحلى بالذهب ، كما بيع من خزينة أخرى من خزائن الفرش ثلاثة آلاف قطعة من القماش المنسج لم يستعمل بعد ؛ وكان ذلك معدا لتأثيث بيوت كاملة بما تحتاج إليه من مساند ووسائد وحشيات وبسط وستور

(١) خط (ج ١ ص ٤١٦)

(٢) شبه القلمون ، وهو نوع من القماش ذو ألوان براقة تلالا إذا انكسرت عليها أشعة الشمس . وكان أول ما ظهر في بلاد الريان ، ثم أصبح يصنع في مصر وخاصة في دنياط وتيس (انظر صميم البلدان لياقوت و Dozy, Supplement)

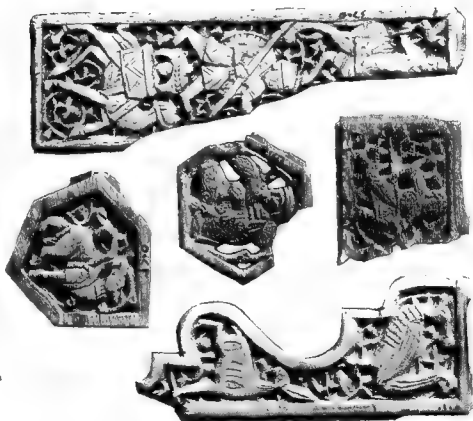
(٣) المقرئ خط (ج ١ ص ٤١٦)

(٤) يقول المقرئ (خط ج ١ ص ٤١٦) إنها سميت بذلك لكثرة ما بها من الرغوف

شوم خشمه شيد مرام صير از كج خانه على كور باغ روتين

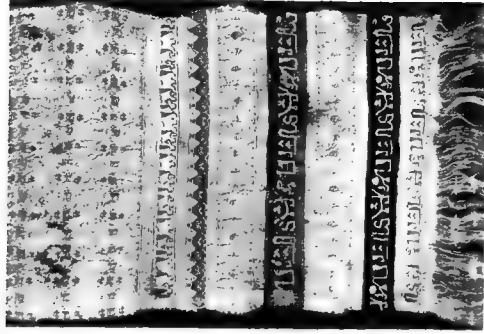


قطعه سترال هاچ مشقوش بيلدا بران ارفا زفا اليه تصوير اشخاص و حيوانات





قطعه نسج من کربلا رضیة باصطرا و بهاصو طرور



قطعه نسج من کاشان و در زمینه تری مثل شیراز

وأحباس^(١) وغير ذلك ؛ وعدد عظيم من الحصر السامق المشغول بالذهب والفضة ، وأربعة آلاف عدل من الخسرواني الجليد المطرز بالذهب ، وكان كل عدل منها كائيا لتأثيث غرفة بالسط والسور وما إلى ذلك^(٢) .

وكان من بين أمتة القصر مضرب الخليفة الظاهر ، وكان منسوجا من خيوط الذهب ومقاما على أعمدة من الفضة ؛ وكانت قيمته أربعة عشر ألف دينار . وكذلك مضرب الوزير البازوي ، وكان مجموعة رسوم فنية ، كلفه ثلاثين ألف دينار ، واشتغل في صنعه مائة وخمسون فنانا مدة تسع سنوات حتى أنه . وكان ارتفاع أعمدته مائة وعشرين قدما ، واتساع محيطه ألف قدم تقريبا ، وقد نقش على أحد جوانبه صور جمع حيوانات العالم^(٣) .

وليس هذا كل ما يمكن أن يذكر من ثروة المستنصر . فقد كان في القصر كثير من التحف الفنية، تركها الخلفاء الفاطميون الذين كانوا يشجعون العلوم والفنون . وإن في وصف المقرري الآتي لبعض مصوراتهم الثمينة المثقنة الرسم ، لدليلا على ما كانوا يحدونه من لذة خاصة في الجغرافية والتاريخ . وتبين لنا طرافتها وما كانت عليه من إبداع وإتقان إذا ما نظرنا إلى مقدار ما أنفق على صنعهما من الثناير . ويقول المقرري في ذلك أن المعز خلف لنا خريطة كان قد أمر بعملها سنة ٣٥٣ (٩٧٣-٩٧٤م) من الحرير الأزرق التستري^(٤) والقرقوبي^(٥) المنسوج بالذهب ، وكان مينا عليها بالذهب كافة أقطار العالم ، بما فيها من جبال وبحار وأنهار وطرق ومدن . ومن ذلك المدينتان المقدستان مكة والمدينة بشكل يتبينه الناظر لأول وهلة . وكان مكتوبا في أسفل هذا المصور: «بأمر بطل المعز لدين الله ، شوقا إلى حرم الله واشهارا لعالم رسول الله ، في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة» ، وهذا المصور الذي كلف الميزاثين وعشرين ألف دينار قد استولى عليه ابن حمدان زعيم الأتراك سنة ٤٦٠هـ .

(١) جمع يئس وهو الملاحة

(٢) المقرري (خط ج ١ ص ٤١٦ و ٤١٧) .

(٣) شرحه (ص ٤١٩) .

(٤) التستري نسبة إلى تستر ، وهي قرية عن شتر ، أشهر مدن خوزستان (انظر Dony, Supplément)

(٥) القرقوب طائر يري في التند والمستنقعات (انظر هذا القوط في معجم البلدان لياقوت) . ومن هذا القوط قيل قش قرقبي ، وهو نوع من القماش كان يصنع أولا في بلاد اليونان ، ثم أدخلت صناعته إلى مصر ، صار يصنع غالبا في دمياط وتيس . وهذا القماش مشهور بألوانه اللامعة التي تتغير دائما ، لاسيما إذا انكست عليها أشعة الشمس .

وقد وصف لنا المقرئى^(١) مصورا آخر تركه الحاكم؛ فقال ان ذلك العمل الفنى الدقيق كان يحلى بكيتين من الجواهر والأحجار الكريمة ، وقد كلف الحاكم سبعمائة ألف دينار ، غير أنه بيع سنة ٤٦٠ هـ بعشرين ألفا فقط .

وكان هناك بالقصر مصورات أخرى كثيرة كان حفظها يحفظ المصورات التى تكلتها عنها . فان المقرئى يستطرد فى الكلام فيذكر أنه قد وجد بالقصر نحو ألف ستر مزركشة بالذهب ، تمثل الممالك المختلفة بملوكها وأسمائهم ، وموجز لحياة كل منهم^(٢) . وهذه الآثار الفنية تشهد بما كان يناله الصناع الحاذقون من الفاطميين ؛ وهى تبين لنا أيضا كيف كان المام الفاطميين بممالك العالم المعروفة لهم فى القرن الثانى عشر الميلادى .

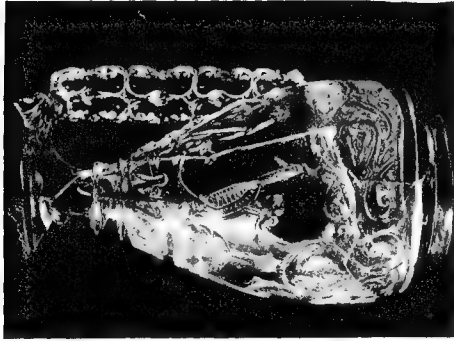
ويظهر أن القصر قد احتوت نزائسه مرة أخرى على ثروة ضخمة من الكنوز ، وذلك بعد سنى المجاعة والوباء التى انتهب القصر فى غضونها ، حتى رأى الخليفة المستنصر نفسه فى إحدى حجراته جالسا على حصير بالية لإبسا قبقابا . وربما لم تكن تلك الثروة أقل مما كانت عليه سنة ٤٦٠ هـ كية وقيمة . ويظهر أنه قد ردى إلى القصر بعض ما كان قد انتهب منه ، وذلك بعد أن أسندت الوزارة إلى أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) الذى صادرت له السلطة المطلقة ، فشتت جميع العناصر المناوئة الثائرة وصادر ممتلكاتهم .

ومع أن المؤرخين لم يمدوا بيان عن الثروة التى خلفها الماضد آخر الخلفاء الفاطميين مثل ما أمدها به ابن ميسر والمقرئى ، فانه من الممكن أن تبين مقدار ضخامة ثروة القصر فى عهد آخر الخلفاء الفاطميين ، وقبل سقوط دولتهم سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) من الوصف الذى أورده لنا الذهبي —
تقلا من ابن أبى طى — الهدي التى قلمها صلاح الدين لنور الدين سنة ٥٦٩ هـ :

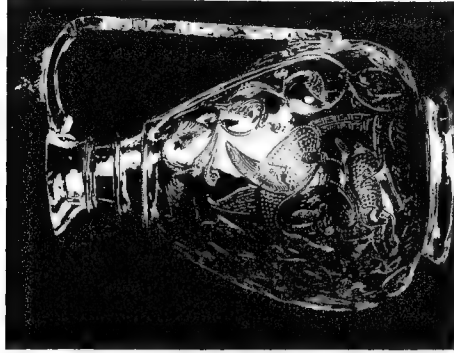
(١) عطل (ج ١ ص ٤١٦) .

(٢) شرحه (ج ١ ص ٤١٥) .

انظر كتاب "صفحة بزرقة العرب" الهمدانى (طبعة) (Heinrich Müller, Leyden, 1884) (ج ١ ص ٦ — ١٠) ،
ورخية العالم للأدريسي n. 1192 (Charta Bogoriana Weltkarte und Kleine Idrisi-Karte, Geschrieben im Jahre 1164 n. Chr.—A.H. 568, des Idrisi vom Jahr 1164 n. Chr.—A.H. 549) .
و هو عمل مفيد جدا عليه مسير كزاد مر (Stuttgart, 1926-1927) Konrad Müller . و منه مجموعة من ترايط أخرى رسمها الأدريسى (١٠ — ٦٤٩ هـ و ١٢٥١ م) .
الذى عاش فى القرن السادس الهجرى ، وهو الصرافى نشر اليه فى كلانا الآن . وهذا العمل الدقيق الذى قام به الأدريسى يرتب مدى معرفة العرب بممالك العالم المختلفة . ومنه يلد لنا أن نعلم أن العرب كانوا لا يجهلون ألمانيا والسويد والنرويج ، ونحوها من الأصمقاع المختلفة . ومن المحتمل أن تكون معلومات الأدريسى هذه نتيجة اتصال المسلمين بأوروبا فى الحروب الصليبية . انظر أيضا (Stuttgart, 1926) Mappae Arabicae, Arabische Welt und Länderkarten .
والجهد الثانى (Stuttgart, 1927) . ولا شك فى أن جميع الممالك التى ذكرها الأدريسى كانت عملة على تلك السور الحرة التى كانت بقصر الفاطميين .



إبريق من السلالة الصفوي مزين بصور طيور وفروع نباتية وكائنات كوفية



إبريق من السلالة الصفوي مزين بصور طيور وحيوانات بخلافات فروع نباتية

«وذكر ابن أبي طي قال : وفي هذه السنة (٥٦٩ هـ) وصل الموفق بن القيسراني إلى مصر رسولاً من نور الدين ، فاجتمع بصلاح الدين وأنهى إليه رسالة ، وطالبه بحساب جميع ما حصله من ارتفاع البلاد ثم أرسل (صلاح الدين) معه هدية على يد الفقيه عيسى (بن القيسراني) : وهي ختمة بخط ابن البواب ، وختمة بخط مهليل ، وختمة بخط الحاكم البغدادي ، وربة مكتوبة بالذهب بخط يأس ، وربة بخط راشد^(١) ، وثلاثة أحجار يَخْشَى ، وست قصبات زمرد ، وقطعة ياقوت وزن سبعة مثاقيل ، وحجر أزرق ستة مثاقيل ، ومائة عقد جوهر وزنها ثمانية وسبعة وخمسون مثقالاً ، وخمسون قارورة دهن بلسان ، وعشرون قطعة بلور ، وأربع عشرة قطعة رِزْج ، [و] صحن صيني وزبادي ، وأربعون وكرتان (هكذا وردت في الأصل) حود قُفاري وزن أحدها ثلاثون رطلاً والآخرى إحدى وعشرون ، ومائة ثوب أطلس ، وخمسون ثوب حرير ، وحُلَّة فُلُفْلِي من ذهب ، وغير ذلك من القماش ، وقيمتها ٢٢٥,٠٠٠ دينار ، وصدقة من الخيل والعلمان والجواري والسلاح ، وخمسة أجمال^(٢) من المال^(٣)».

كما تبين لنا ضخامة ممتلكات القصر عند سقوط الفاطميين مما جاءنا به المقرئ نفا عن القاضي الفاضل حيث يقول : «وفي ثالث عشرية — يعني ربيعاً الآخر سنة سبع وستين [وخمسمائة] — كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر ومقدار ما يمدح أنه خرج من القصر ، ما بين دينار ودرهم ومضاج وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح ، ما لا يقى به ملك الأكاسرة ، ولا تتصوره الخواطر الحاضرة ، ولا يشتمل على مثله الممالك العاصرة ، ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة^(٤)» .

(١) هذه الأسماء هي لها أسماء خطاطين مشهورين .

(٢) هو مقدار الجزية التي أرسل نور الدين رسولاً يطلبها .

(٣) القدي ، مكتبة برديان بأكسفورد ، مخطوطات James ، القسم الشرق ، رقم ٣٠٤ ، ورقة ١٤١ ب .

(٤) خط (ج ١ ص ٤٩٦) .

٨ - هبات المساجد والمكاتب

(١) هبات المساجد

كان الفاطميون يعتبرون المساجد والمكاتب منبعاً للشر دعوتهم ، فقد كانوا يعملون فيها العقائد الفاطمية ؛ لذلك بذل الخلفاء جهوداً خاصة لبناء مساجد جديدة وتأسيس مكاتب كبيرة . ولم يقصروا من وقف الأوقاف وبذل العطايا والحببات للمساجد والأوقاف في زيتها وزخرفتها بالمصاييح والتنانير التي كان بعضها من الفضة ، كما نُقلت إلى المساجد من مكتبة القصر نسخ من القرآن الكريم مختلفة الأشكال والأحجام ، بعضها مكتوب بالذهب . وقد كانت هذه المساجد تزين بأجمل زينة وتضاء بالأنوار الساطعة في المواسم العامة ؛ وكان الخلفاء يشاهدون ذلك من المنابر .

كما كانت هذه المساجد مكتبة للعلماء ، وخاصة فقهاء المذهب الشيعي الذين كان عليهم أن يحاضروا الناس في عقائد المذهب الإسماعيلي ؛ وكانت بعض الوزراء والقضاة يشتركون في تأليف كتب في هذا المذهب يدرسها الأساتذة في تعليم الناس . ومن أعظم تلك الكتب الكتاب الذي ألفه يعقوب بن كلثوم في الفقه الشيعي ؛ وكانت على القضاة أن يصدرُوا عنه في أحكام محاكمهم التي كانت تصعد في المساجد عادة ، كما كان على الطلبة والأساتذة أن يتدارسوه فيما بينهم . ولا ننسى أن نذكر في هذا المقام ما كان من تحويل الأزهر إلى جامعة في عهد العزيز .

وقول القلقشندي عند كلامه على ركوب الخلفاء الفاطميين لصلاة الجمع الثلاث الأخيرة من رمضان ، إنه كان من عاداتهم أن يمشوا دياراً لموطئ كل مسجد يرون طيه في طريقهم إلى القصر في هذه الجمع . وكانت هذه المساجد كثيرة ؛ ولهذا يلاحظ القلقشندي أن عدد الدنانير التي كانت تنفق في هذا السبيل كان عظيماً . أما معرفة مقدار تلك الدنانير بالتحقيق ، فهذا ما لم يذكره القلقشندي ولا غيره من المؤرخين .

(ب) هبات المكاتب

ولم تكن المكاتب أقل أهمية من المساجد في بث عقائد المذهب الإسماعيلي بين الناس ؛ لهذا بذل الخلفاء ووزرائهم مجهودات عظيمة في زيادة عدد الكتب التي تتناول شتى فروع العلم ، حتى فاقت مكتبة القصر كل المكاتب الإسلامية في العالم في ذلك الحين .

وقد كان الخلفاء الفاطميون نوى شغف بتشجيع من يميل إلى عقائد المذهب الشيعي . ففي سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥م) أسس الحاكم دار الحكمة ، وألحق بها عددا من أساتذة العلوم الثقلية كالتفسير والفقه ، والعلوم الطبيعية أو العقلية . وكانت مكتبة دارالعلم متصلة بمكتبة دار الحكمة التي أمدت بكثير من المؤلفات للاطلاع والنسخ والبحث والدراسة . وكان يباح للناس الانتفاع بها ، فيأخذون ما يحتاجون إليه من المداد والأقلام والأوراق والمسائد . وكان مشهورو الأساتذة المتصلين بدار الحكمة يقيمون مناظرات يحضرها الحاكم ، فيصلهم لأجلها بالهبات ويطلع عليهم الخلق ^(١) .

وكانت تُعطى لموظفي المساجد أعطيات معتمدة في مناسبات مختلفة ، فمن أمثلة ذلك ركوب الخليفة لصلابة الجمعة ، أو للاحتفال ببعض الأعياد الدينية ، أو لزيارة أحد القصور ، كدار الملك وقصر القسرافة والموذج ^(٢) ومنازل العزيز ^(٣) التي كان من عادتهم الانتقال إليها تبديلا للهواء .

(١) أنظر العبارة التي أوردناها عن انتشار الرسوم الفاطمية في المساجد والمكاتب .

(٢) المراد به القصر المسمى الذي بناه الخليفة الأمر في جزيرة الرينة (أنظر ابن دقاق ج ٤ ص ١٠٩ و ١١١ و ١١٦) زوجه البدرية العالانية التي كان مشغوقا بها بلها ومواهبها الثرية . وقد بنى هذا القصر على هيئة تمجدها لشمس بؤلة الانتقال من الميمنة البدرية التي كانت تعيشها بين أمرتها ؛ فقد كانت له حديقة رحيمة على شاطئ النيل . ويحدثنا المقرئى أنها كانت تحب ابن عمها المحسى ابن مياح ، وقد ألبسها الزواج من الاتصال به . وقد كتبت إلى ابن عمها الذي كان مرافقيا بأمر الخليفة الأبيات الآتية :

يا ابن مياح إليك المشتكى
مالك من يسدكم قد ملكا
كنت في حبي مطاطا آمرا
قائل ما شئت منك ملوكا
فأنا الآن بقصر حرمصد
لا أدري إلا خيبتا بمسكا
كم تفتننا كأضواء النوى
حيث لا تخفى طينا دوكا

فأجابنا ابن مياح بقصيدة من قصص الروى وثاقفة يقول فيها :

بنت عمى والى قد ظنبتنا
يا لهوى حتى حلا واحبنا
بحب بالهوى وصلى منغها
لو شدا يشع منا المشتكى
مالك الأمر إليه أشتكى
مالك ، وهو الذي قد ملكا

ويقول المقرئى أن ما كان بين هذه البدرية وابن عمها من الحب ، وما كان من زواجها بالخليفة الذي لم تكن تشر محبه بأية عاطفة قد صار مشهورا ، حتى إن كثيرا من المكاتب أقروا في ذلك قصصا تحاكي قصص " ألف ليلة وليلة " (خط ج ١ ص ٤٨٥) .

(٣) هو قصر بنى لابنته الملكة " قنبرد " زوجة المقرئى على شاطئ النيل ، وقد اتخذته ابنة العزيز والخلفاء الفاطميون من بعده مكانا لقصره .

ويقول المقرئى انه كان من عادة الخلفاء الفاطميين أن يقيموا مواكب يركبون فيها في أيام السبت والثلاثاء سائر الشهر ، كما كانوا يركبون في الاحتفال بأول المحرم . وفي هذه الأيام كان يصحب الخليفة وزيره ، وحوله حرسه الخاص ، وكانوا يسمون صبيان الركاب ؛ فيمر الموكب كذلك بالطرق الرئيسية حتى الجامع المتيق . فاذا وصل اليه ، وجد الخطيب في انتظاره على مصطبة في المسجد ، وييده مصحف ينسب خطه الى علي بن أبي طالب . فاذا قرب الخليفة من الخطيب ، تناول المصحف منه فقبله مرات عديدة ، وأمر صاحب الكيس (المشتمل على المال المعتاد توزيعه في هذه المناسبة) أن يعطيه ثلاثين ديناراً ، فيأخذ الخطيب والمشرف على الجامع نصفها ، والباقي يقسمه المؤذنون . فاذا ما انتهت الصلاة ، استأنف الخليفة السير الى دار الملك ؛ وفي اياه يعطى رئيس كل مسجد يمر به ديناراً^(١) .

٩ - هبات الخلفاء

سبق أن بينا ما كان يتناوله الموظفون من المرتبات الكبيرة في الدولة الفاطمية ، فضلاً عما كان يصل اليهم بطريق الهدايا من الفضة والذهب والملابس والأطعمة وما الى ذلك بمقادير وقيمة ، تلك الهدايا التي كان أزواجهم وأولادهم وخدمهم يتقاسمونها معهم .

وقد أمدة القلقشندى بكلام مفصل بين فيه المرتبات التي كانت تعطى لرجال موظفي الدولة ؛ ومنه نعلم أن مرتب الوزير كان خمسة آلاف دينار في الشهر ، وأن ابنه أو أخاه كان يأخذ في الشهر راتباً يقارب بين ما تسين وثلاثة دنانير ، زيادة على رواتب أتباعه وحشمه التي كان متوسط مجموعها أربعاً وخمسين ديناراً في كل شهر .

(١) المقرئى خط (ج ١ ص ٤٨٤) .

وكان من كبار الموظفين تسعة يعرفون بالإستاذين المحنكين^(١) : منهم صاحب بيت المال ، وصاحب الرسالة ، وزمام القصر ، وكان راتب كل من هؤلاء مائة دينار في الشهر . وكان راتب كل من قاضي القضاة ودعاي الدعاة مائة دينار ، وراتب كل من طبلي الخليفة الخاصين خمسين ديناراً^(٢) .

ولدينا فيما صلناه من ثروة الخلفاء الفاطميين وأهبتهم وميلهم للظاهر ميلا شديدا مايدلنا على ثروة كبار رجال دولتهم وسائر الشعب عامة ؛ فقد كان كل هؤلاء يمنحون كثيرا من الهدايا والأطعمة في الأعياد الدينية وضيءها من سائر الأعياد العامة ، كما كانوا يكتسبون من بيت المال هم وأزواجهم وأولادهم وأتباعهم مائة كل عام صيفا وشتاء .

وبعينا أن قرأ عن مخصصات تبلغ ٦٠٠.٠٠٠ دينار ، أخذت من بيت المال عام ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) لعمل الملابس المطلوبة لدار الكسوة التي أنشأها المعز سنة ٣٩٣ هـ (٩٧٣ م) ، وبقيت حتى سنة ٥١٧ هـ ، وهي السنة التي سقطت فيها الدولة الفاطمية . وكان عدد الكسوي التي منحت لموظفي الدولة على اختلاف مراتبهم سنة ٥١٦ هـ ١٤٣٠٥^(٣) .

وقد أمدنا المقرئى بعبارة بين فيها الكسوة الكاملة ، ومقدار قيمة كل كسوة ؛ منها التي كانت تمنح للأمرء على اختلافهم ، ولوظفين والكتاب ؛ ودون أسماهم جميعا . وقد كانت كسوة الأمر من الحرير البديق المزركش بالذهب ، وقيمته خمسمائة دينار . وكان كبار الأمر يتنازرون بلبس الأطواق والأساور وحمل السيوف الخجلة^(٤) .

وكانت هناك كسوة تُصنع خاصة للخليفة في الاحتفالات أو الأعياد ، فيلبسها بمساعد سيدة يساونها ثلاثون خادمة^(٥) ؛ كما كانت تُصنع الحلل الى الوزراء وبعض الأمرء ، وكما كانت توزع الملابس على الأشراف وغيرهم في عيد الفطر بسمة . ومن هنا سُمي هذا العيد بعيد الحلل ، حتى قيل إنه صنع إحدى عشرة كسوة للخليفة الأمر فُضمت إليه في عيد الفطر سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) ، يضيق المقام هنا عن وصفها .

(١) جمع أستاذة حكك ، رجل مدرب ؛ وكان يطم بطرف من عمامة (مئاة يجسمل بعض عمامة تحت ذقنه وذلك (انظر Lane's Arabic-English Lexicon) . ومن الأساكة المحنكين من يتولى شد الحاج ؛ وصاحب المجلس ، وشبه الآن كبير الأبناء ، وصاحب الرسالة ، وصاحب بيت المال ، وحامل الدواة ، وزمام الأتارب ، وزمام القصور ، ويعهد إليه إدارة شؤون القصر (الفقهى ج ٣ ص ٤٨٤ و ٤٨٥) .

(٢) شرحه (ج ٣ ص ٥٢٥ و ٥٢٦) .

(٣) المقرئى خط (ج ١ ص ٤٠٩ و ٤١٠) .

(٤) شرحه (ج ١ ص ٤٠٩) . أما الوزير فكان يلبس عقدا من الأجار الكريمة ، وبعلا يلقه من تحت حلقه ، وجلبا أصيرا ، ودرعا مفتوحا من الشعر الى أسفل ، وأزواره من ذهب مثبك أوفوف ؛ وبذلك يمتاز من سائر موظفي الدولة . وقد منح بدر الجبالى هذا لأول مرة (الفقهى ج ٣ ص ٤٩٠) .

(٥) المقرئى خط (ج ١ ص ٤١١) .

وكان صنع كل كسوة يختلف عن صنع غيره من سائر الكسوة ، وذلك لكي تصلح كل منها لاحتفال خاص ، كاحتفال بآخر رمضان ، وإقامة صلاة العيد ، والجلوس على السباط في أول يوم من أيام عيد الفطر . ويذكر المقرئ أن إحدى هذه الكسوة اشتملت على ٧٠٢ من المتاعيل من خيوط الذهب والفضة ، وقد أنفق في زركشة كل مقال منها دينار^(١) . أما المناديل فقد أنفق على الواحد منها خمسة دنانير^(٢) .

وكانت هناك مناسبات أخرى تهتم فيها الحكمة المزركشة بالذهب للوزير وأئمة الخليفة ، كعيد أول رمضان ، والاحتفال بالجمع الثلاث الأخيرة منه ، وجبر الخليج . وزيادة على ذلك كان الشراء والكتاب وأعيان الرجال الذين يتفق وجودهم في القاهرة بمنحون حالا كان بعضها مزركشا بالذهب وكلها مصنوعة من الحرير الخالص^(٣) .

وقد أمدا ابن منجب بوثيقة^(٤) يرجع تاريخها إلى سنة ٥٣٥ هـ (١١٤٠ م) ، هي نص لكتاب أرفق بحال بعث بها الخليفة لأحد الأمراء في عيد فطر هذا العام ، وهالك نصها :
 " ولم يزل أمير المؤمنين متبا بالرفائب ، موليا احسانه كل حاضر من أوليائه ورفائب ... مجزلا حفظه من مناعه ومواجهه وإنك أيها الأمير لأولاهم من ذلك يحسيه وأخلفهم بالجزء الأوفى منه عند قبضه وتقسيمه ، إذ كنت في سماء المسابقة بدرا ، وفي جرائد المناجحة صدرا ، ومن أخلص في الطاعة سرا وجهرا ، وحظي في خدمة أمير المؤمنين بما عطره وصفا وسير له ذكرا . ولما أقبل هذا التبد السعيد ، والمادة فيه أن يحسن الناس حياتهم ويأخذوا عند كل مسجد زيتهم ، ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه وخلمه فيه ، وفي المواسم التي تجاريه ، بكسوات على حسب منازلهم ، تجمع بين الشرف والجمال ، ولا يبقى بعدها مطمع للأمال^(٥) .

هذا ، وقد جاءنا الفقهشدي عبارة شائقة عن الشكل الذي كانت تهتم به رواتب الموظفين للخليفة المستنصر كي يتمدها ، إذ يقول أن الخليفة لم يغير شيئا في القسامة التي اشتملت على الرواتب ، وأنه كتب فوق أمضائه هذه الكلمات بخط يده : " الفقر مر المذاق ، والحاجة تذل الأعناق ، وحراسة النعم بادرار الأرزاق ، فليجروا على رسومهم في الأطلاق ؛ (ما عندكم يتقد وما عند الله باق)^(٦) .

(١) الخطوط (ج ١ ص ٤١٠) ، بما تقرئ كان كل تسع قصبات من الخيوط البعيدة والفضة زن مقالا ، فكان عدد القصبات ٦٣٢٧

(٢) شرحه .

(٣) شرحه .

(٤) هذه الوثيقة من إنشاء ابن منجب قسمة . إذ كان يشغل في ذلك الوقت منصب كاتب الانشاء .

(٥) تقرئ الخطوط (ج ١ ص ٤١٢) .

(٦) لقول القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩٦ ، الفقهشدي (ج ٣ ص ٤٩٥) .

هذه التفورات المكتوبة بخط الخليفة ، ذات أسلوب خلاب بين لنا قدرته في فن الكتابة وإلمامه بكتاب الله الكريم ، الذي اقتبس منه هذه الآية التي تناسب المقام .

ولم يكن الخلفاء الفاطميون الآخرون أقل من المستنصر في الكرم والجلود . فهذا الخليفة الحافظ (٥٢٤—٥٤٤ هـ و ١١٣٠—١١٤٩ م) قد وقع في إحدى المرات على قائمة كهذه بما يأتي :
«أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثير العطاء ، وليجروا في نسيانهم (هكذا وردت في الأصل) على عادتهم ... كرمنا من أمير المؤمنين وفعلنا مبرورا ، وعملا بما أخبر به عز وجل في قوله تعالى (انما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)» (١).

وشبه هذا ما كانت يحصل في عيد الفطر من توزيع ما جرت به العادة من التقود النخبة والفضية ، والملابس والأطعمة على الموظفين والأضياف . يضاف الى هذا ما كان يعطى لكار الموظفين في غرة المحرم من التقود النخبة التي كانت تضرب خصيصا لهذا اليوم ، ولذلك كانت تسمى تقود الفرة . وكان هؤلاء الموظفون يتبرون هذه التقود بركة من الخليفة (٢).

يضاف الى هذا ما اعتاده الخلفاء الفاطميون من منح موظفي خزائن القصر على اختلافها مقادير من المال عند تفتيش تلك الخزائن . ومن أمثلة ذلك ، أن خازن خزنة القرش كان يعطى خمسة عشر دينارا (٣) ، وأمين خزائن الأسلحة كان يعطى خمسة وعشرين دينارا (٤) ، كما كان يعطى صاحب خزائن السروج عشرين دينارا (٥) ، وكان يعطى صاحب خزائن المشروبات ومعاونوه ثلاثين دينارا (٦).

يضاف الى هذا أيضا ما اعتاد الخلفاء منحه عند وكونهم للناظر لرجال الحاشية والأساذين ، وكتب القصر والشعراء ، والمؤذنين والقراء ومن إلى هؤلاء . وكان هناك أحد الموظفين يحمل كيسا من الحرير فيه خمسمائة دينار (٧) ، لتوزعه على من في الطريق الذي يمتاز به الخليفة من الرجال والنساء الفقراء ، والقراء الذين يقرعون القرآن على جانبي الطريق ، فكان كل من هؤلاء ينال نصيبه من هذه التقود في أكياس خاصة ، في كل منها درهمان أو ثلاثة (٨) .

(١) القرآن الكريم . سورة ٧٦ آية ٩ ، القرطبي غلط (ج ١ ص ٣٩٨) .

(٢) القلقشنجي (ج ٣ ص ٥٠٩) .

(٣) القرطبي غلط (ج ١ ص ٩٢٢ و ٩٢٣) .

(٤) شرحه (ج ١ ص ٤١٧) .

(٥) شرحه (ج ١ ص ٤١٨) .

(٦) شرحه (ج ١ ص ٤٢٠) .

(٧) يقول القرطبي غلط (ج ١ ص ٤٨١) ان هذا الكيس كان يشتمل على ألف دينار في كل من المرات

التي كان يركب فيها الخليفة لأحد الميادين ، وربما كان ذلك لاستعراض الجند أو رجال الأسطول .

(٨) شرحه .

الباب الثامن

مظاهر الأبهة والجلال للخليفة في صلاة الجمعة والأعياد والولائم

لقد بينا ما كان من نجاح تعاليم أبي عبد الله الشيعي في جعل قبائل تامة والبربر يعتقدون أن الخليفة كان قادرا على الإتيان بالمعجزات من إحياء الموتى وما إلى ذلك ، حتى إن كافة سكان شمالي افريقية انضوا تحت لوائه . وهذه التعاليم قد أثرت في عقول الناس تأثيرا عظيما ، كان من أثره أن اعتنق الشعراء ذلك المذهب الشيعي ، وقد خاطب أحدهم المهدي بهذه الأبيات :

حلَّ بِرَقَّةَ المسيحِ حل بها آدم ونوحُ
حل بها الله نواله وكل شيء سواه ربح

وكذا أنشد ابن هاني شاعر بلاط المزمع الفاطمي بين يدي مولاه هذه الأبيات التي تتطوى على القلوب والأفراق ، ومنها :

ما شئتَ لا ما شئتَ الإقْدَارُ فاحْكُمْ فانت الواحدُ القهارُ^(١)

من هذا يتبين مركز الخلفاء الفاطميين في أعين شعراء بلاطهم ، مما جعل هؤلاء الخلفاء يعتقدون في أنفسهم أنهم أهل من سائر البشر ، إذ لم يختصوا ببعض الحقوق الألفية فحسب ، بل بصفات الله أيضا . ومن الحق أن يقول إن هؤلاء الخلفاء لو لم يكونوا يحشون ثورة شعوبهم ، لكشفوا للناس حقيقة معتدلاتهم الضلالة ، التي كان يدين بها خواصهم وحاشيتهم وضياعهم ممن كانوا يحضرون مجالسهم الشيعية في القصر . ولطالما قاوم الأهلون آراء بعض الخلفاء وصادموهم باحتجاجات كانت تأخذ في بعض الأحيان مظهر التهديد ، كما في حادث المرزى والأخزم .

(١) ديوان ابن هاني (ص ٩٦)

غير أن الخلفاء الفاطميين كانوا قادرين على بلوغ أغراضهم بالسياسة ، وبما اشتهروا به من مظاهر الكرم والأبهة والعظمة في كل العهد الفاطمي . من ذلك هداياهم النفيسة من النقود ، وجوائزهم للشعراء وكتاب القصر ، والعلماء وغيرهم من الموظفين ، وكذلك الاحسان للقراء ، وإقامة الولائم في المناسبات المختلفة من الأعياد الدينية وغيرها من الأعياد العامة ؛ وكل هذا كان حقيقا بأن يستعمل كثيرا من الناس إلى اعتناق مذهبهم .

وإن تقاليد البلاط الفاطمي كانت متفقة مع الدواوى التي كان يدعيها الخلفاء . فكان من الشرف العظيم أن يسمح للوزير بلم قدم الخليفة على مرأى من جموع الرعايا المتحمسين . أما قاضى القضاة ، باعتباره حامى الشريعة الاسلامية ، فكان لا يتنظر منه إلا أن يلم قدم الخليفة في الركاب القريب منه ^(١) .

ولم تكن مظاهر الاحترام هذه نحو الخلفاء مقصورة على وزرائهم وقضاتهم وغيرهم من مشهورى رجال دولتهم . فقد كان على عامة الناس أن يقوموا وقفا كلما ذكر اسم الخليفة في الخطبة ، كما كان طيعم أن يظلوا واقفين أيضا إذا مر الخليفة في إحدى الطرقات ^(٢) .

وكان من المناظر المسلية أن يرى الخليفة الفاطمي جالسا في إحدى مناظره ^(٣) عند الاحتفال ببعض الأعياد الدينية أو العامة ، وحوله أنوار الشموع والمصابيح الوضاءة ؛ فقد كان شخصه المقدس يرى ظاهرا لرعاياه المتحمسين إذا ما فتحت نافذة المنطرة ، وأمامه أحد الأستاذين يلوح للناس بكم قبائه ، يحمل إليهم سلام الخليفة في هذه الكلمات : " أمير المؤمنين يرد عليكم السلام " . وعقب نفوه الأستاذ بهذه الكلمات تهفل النافذة ؛ فينصرف الناس المفعمون سرورا ، والذين كانوا يركبون إذا مارأوا شخص الخليفة .

وإن في الأبهة التي كانت تصاحب الخلفاء الفاطميين في مجملهم ^(٤) لدليلا آخر على ما كانوا يستقنونه مما كان يطلق عليه حق الملوك المقدس ؛ حتى كان بعضهم يعتقد لنفسه بعض صفات الله .

(١) المقرئى غلط (ج ١ ص ٤٧٧)

(٢) ابن زلقات ، المكتبة الأهلية بباريس ، مخطوط ١٨١٧ ، ورقة ٥٣ ، ٥٦٠ أ والقاضى ، المكتبة الأهلية بباريس ؛ مخطوط ١٤٩١ ، ورقة ١٢٧ أ .

(٣) يقول المقرئى غلط (ج ١ ص ٤٣٥) في كلامه عن باب اليد — الذى كان مبنيا عليه قبة على شكل قبر ، كان الخليفة يمر من تحتها عند ذهابه إلى المصل حيث تنقام صلاة اليد — إن الخليفة كان يلوح بكم ، فيمسك به الناس ويثبثونه . وهذا ، كما لاحظ المقرئى ، بعيد عن الصديق . وربما كان يحدث في مناسبات أخرى ، حين يسمح للناس بتقديم رضات تظلهم إلى الخليفة وهو راكب ، فكانت لهم فرصة يثبثون فيها كؤمى مولاهم . وهذه العادة لم تزل باقية في بعض أنحاء العالم الاسلامى ، حيث يثبث بعض الناس البركة من لم أبى وأكلم العلماء ، وحتى يلم بعض أجزاء المساجد ، كتبة القبر النبوى والكعبة المشرفة .

(٤) يسمى هذا المجلس الإيراني ، ويصرف بقاعة الذهب .

١ - قاعة الذهب ومجلس الملك

اعتاد الخليفة أن يبعث صاحب الرسالة الى الوزير يحمل اليه امره الملكي بانقاد المجلس . وصاحب الرسالة هذا كانت أستاذا مميزا ، وعمله هو حمل أوامر الخليفة الى الوزير متى آن انعقاد المجلس . وكان إذا انتهى الأمر للوزير ، ركب في حبة الأمراء الى مكان الوزارة من القصر ، حيث يترجل ويمشي الى قاعة الذهب^(١) .

أما قاعة الذهب فكانت مؤتة اثنا عشر ، ومزينة بالسور والطنافس الحريرية المزركشة بالذهب ، التي كانت كلها من رسم وطراز ولون واحد . وكان في صدر قاعة الذهب حشية عليها عرش الخليفة المحجوب بستور ، حتى إذا ما استوى الخليفة على عرشه والتأم المجلس ، رفعت تلك الستور .

وكانت العظيمة الملكية تظهر بأجل مظاهرها إذا ما أخرج الستار الحريريان بفعل اثنين من الأمانة بأمر زمام القصر ، فيبين شخص الخليفة ، وحوله جماعة من القراء ، يأخذون في ترتيب بعض آيات بأنغام طالية . ثم يأتي حامل البوابة — وهو أستاذ محبك أيضا — فيضعها على طرف الحشية المخصص لها . وكان زمام القصر وصاحب بيت المال والحجاب والأمناء يأخذون أمكنتهم عند الأبواب في الوقت الذي يكون الحاضرون قد أخذوا فيه أمكنتهم المخصصة لهم ، ويضبط يأخذ أحد الأمناء في تقديم من يرى من المناسب تقديمه للخليفة .

والوزير كان أول من يقدم الى الخليفة . فيخطو الى الأمام ، ثم يحيي الخليفة بتم يديه ورجليه ، ثم يتراجع الى مكانه الرفيع ويظل واقفا نحو ساعة ، فيؤذن له بوسادة يجلس عليها في جانب الخليفة الأيمن . ثم يتلوه قاضي القضاة ، فيقترب من الخليفة ويحييه برفع يده اليمنى ، ويشير بسبحته قائلا : " السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته " ! وكانت هذه التحية مبنية له على سائر أعضاء المجلس اعترافا بمركزه الديني الرفيع . وكان أيضا يسمح لزعماء الطوائف المختلفة بتحية الخليفة باسم جماعاتهم . وكان أحد الأمراء يزودهم قبل أن يتقدموا للخليفة بتعليقات تين لهم ما يجب عليهم اتباعه في هذا السبيل .

(١) كان على الملك ينقذ في الإبروان الكبير قبل أن يتي المزينة قاعة الذهب . أما الإبروان الكبير فقد استعمل فيما بعد دارا للسلح .

وإذا رأى الوزير أن يشاور الخليفة في أمر من الأمور ، وجب عليه أن يقترب منه ويعتمد على سيفه ، ثم يشرع في حديثه . وكان مجلس الملك ينقد ثلاث ساعات في العادة ؛ فتنقضي فيه الأمور الهامة لبحثها واعتادها من الخليفة . وللوزير أن يقترح خلع الخلع أو إسناد المناصب المختلفة إلى من يقدم أسماهم .

فإذا انقضى عقد المجلس ، انصرف الحاضرون والوزير في آخرهم بعد أن يلتم يدي مولاه ورجليه مرة ثانية ؛ ثم يركب إلى داره يحف به سائر أعضاء المجلس ؛ ثم يترك الخليفة من سرير الملك وينادر الإيوان ، فتسدل الستور ويقفل الباب^(١)

هكذا كانت الأجهزة التي تحيط بالخليفة حيناً يرأس مجلس الملك ؛ غير أن هذه التقاليد لم يكن الفاطميون أول مبتدعيها ؛ فقد كانت من رسوم آل سامان ملوك القرس (٢٧٩ — ٦٥٢ م) قبل ظهور الدولة الفاطمية في عالم الدول بنحو سبعة قرون .

يقول الأستاذ براون (E. G. Browne) : " إن آل سامان كانوا يعتبرون أنفسهم آلهة ، أو أناساً إلهيين ، من سلالة أسرة الكاياتي الخرافية المقيمة في القدم ، ووارثي العظمة المملوكية (Farri-Kayani) . وذلك نوع من الحق الإلهي الذي وصل إليهم بطريق الإشارة والرمز ، وبفضل هذا الحق كان لهم وحدهم حق حل التاج الفارسي — فعملوا كل ما في مكتهم للتأثير في رعاياهم ، حتى يلعبوا لهذا الحق الملكي الرفيع " .

وقد اقتبس الأستاذ براون في صدد كلامه عن عظمة " آل سامان الملكية " واعتلائهم العرش ، أسطورة أوردها ابن هشام في " سيرة النبي صلى الله عليه وسلم " (٢) حيث يقول : " وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي به تاجه ؛ وكان تاجه مثل الفيل (٣) العظيم فيما يزعمون ، يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة ، مطلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقاة في مجلسه ذلك . وكان عنقه لا يحمل تاجه ؛ إنما يسترطيه بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك . ثم يدخل رأسه في تاجه ؛ فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا محمد هبة له " (٤)

(١) القشيري (ج ٣ ص ٤٩٨ — ٥٠٠)

(٢) Literary History of Persia from Earliest Times until 1298 .

(٣) الخردقة العظيمة .

(٤) ابن هشام (طبعة وستفالد) (ج ١ ص ٤٢)

ويلاحظ الأستاذ براون^{٢٢} أن نظرية الحق الملكي المقدس لم تكن في دولة من الدول أثبت وأكثر ذيوها منها في فارس في عهد آل ساسان^{٢٣} . غير أن هذه النظرية كانت بمصر في زمن أعرق في القدم من عصر آل ساسان ، في عهد الفراعنة الذين ادعوا لأنفسهم كل صفات الله ؛ وأوضح مثل لذلك هو فرعون موسى عليه السلام .

وكان تأثير هذه العقيدة في العصور التي تلت عظيما ؛ فقد تأصلت وخطت الى الأمام في عهد الخلفاء الفاطميين الذين كانوا يعتقدون أن لم بعض صفات الله

٢ - المناظر وليالى الوقود^(١)

إن بناء المناظر التي كان يشرف الخلفاء منها على الاحتفال ببعض الأعياد ، يبدنا بمثل آخر من أمثلة حب الظهور الذي ملك قلوبهم ، فاستطاعوا أن يستميلوا به أكثر ما يمكن من الناس الذين يعتقدون المذهب الشيعي .

أما لىالى الوقود الأربع ، فقد كان الخلفاء الفاطميون يحتفلون بها بأبهة عظيمة ، وكانت المساجد في كل من هذه المناسبات تضاء بالأنوار الساطعة بعد غروب الشمس . وكان قاضي القضاة

(١) كانت المناظر غالباً في القاهرة ومصر والروسة والقراة ؛ وكانت تستعمل أيضا أيا ما كن لثقة الخلفاء . وقد حدد المقرئى هذه المناظر في خطبه ؛ ووصف لنا بعبارة شائعة الاحتفال ببعض الأعياد . ويمل أن تذكر أسماء المناظر هنا ؛ لأننا مشير الى مضامير الكلام من الاحتفال ببعض الأعياد هي : الأزهر ، القلوة ، البكة ، القس ، باب الفتوح ، الجبل ، التاج ، الخمس ورجوه ، البساتنة ، دار الملك ، منزل الز ، المروج ، بركة الخيش ، الأكلس ، قبة الهواء ، والسكر (خطب ج ١ ص ٤٦٥) .

(٢) لىالى الوقود هي الليالى التي تسبق أول منتصف شهر رجب وشعبان . وكان الناس يبنوا لتسليم الشيعية يصومون بعض هذين الشهرين كصومهم رمضان . وذلك كانوا يحتفلون بهذه الأيام الأربعة كما يحتفلون بـرمضان . واستمر الاحتفال بهذه الأيام الى وقتنا الحاضر .

يتقدم الموكب تالبا عن الخليفة ؛ فكان يظهر ممتطيا جوادا ، يحيط به ثلاثة من ممثلي الخليفة وعشرة من المحاب والقراء ، ومؤذنون المساجد المختلفة يمدحون الله ويدعون للخليفة . وكان الشهود يتمطون الجياد أيضا ، وبأيديهم الشموع ^(١) المضاءة ، ويحفون بقاضى القضاة حرسا له .

وكانت الجموع الغفيرة تقبع الموكب الذى يبدأ من دار قاضى القضاة ، ويسير مختفيا الطرق الكبيرة فى القاهرة حتى يصل الى باب الزمرد ؛ وهناك يكون الخليفة جالسا فى منظرته التى تسطع فيها الأنوار لانتظاره . وهنا يشتد زحام هذه الجموع فى القضاء حول المنطرة ، والكل يترقب الفرصة كي يرى وجه الخليفة ^(٢) .

وكان خطباء مساجد الأنور والأزهر والحاكم يخطبون بين يدي الخليفة كما يخطبون على منابر مساجدهم ؛ فاذا ما انتهى الخطباء ، فتحت نوافذ المنطرة ؛ فيظهر وجه الخليفة وحوله الشموع الساطعة الضوء ؛ ثم يحيي أحد الأساتذة المحنكين المميزين هذه الجموع المتلهفة ، ويلوح لهم بوجه علامة للانصراف ويقول : "أمير المؤمنين يرد عليكم السلام" . وبعد هذا يستأنف الموكب سيره حتى دار الوزير ؛ وهناك يقرب قاضى القضاة والشهود ويمثلون بين يدي الوزير ؛ ثم تلقى الخطب تكريما ^(٣) . بعد هذا يعود الموكب مارا بالمساجد المضاءة فى طريقه الى مدينة مصر .

وكانت الحكومة تسمى عناية خاصة بتنظيم هذه الاحتفالات ؛ فكان حكام القاهرة ومصر يمينون بعض رجال الشرطة والخفر لحفظ النظام ؛ وكان على الوكيلين أن يصحبا قاضى القضاة فى موكبهم ويطيما أمره فيما يأمر به . وكانت الأسواق تسطع بالأنوار ، وتكثر فيها الحلوى سدا لحاجة المشتريين ^(٤) .

(١) ذكر المقرئى عن ابن الوردي أن قاضى القضاة كان مخصصا له خمسون شمة فى كل يوم من هذه الأيام ؛ وكانت كل شمة تزن نحو خمسة عشر درهما ، غير الشموع التى كانت تحيط بالشهود ؛ وكان يسلى كل منهم عددا من الشموع يتراوح بين شمة وثلاث حسب درجته . وكانت توزع كمية كبيرة من الزيت على المساجد المنطقفة لإضاءتها فى تلك الليالى ؛ فكان ما يفيض الجامع الضيق لكل ليلة أحد عشر قطارا . هذا ما كان يوزع من المياه والإحسانات المعتادة للحلوى ونحوها (خط ج ١ ص ٤٦٦ — ٤٦٧) .

(٢) التفتيشى (ج ٣ ص ٥٠١) .

(٣) شرحه (ج ٣ ص ٥٠٢) .

(٤) المقرئى خط ج ١ ص ٤٧٦) .

٣ - توديع الحملات الحربية

كان الخليفة يجلس بمنظرة باب الفتح لتوديع الحملات الحربية ، وخاصة ما كان مرسلًا منها إلى أهالي الشام وفلسطين الذين كانوا في ثورة متواصلة ضد سلطة الفاطميين ؛ وفي هذه المنظرة كان يؤذن لقائد الحملة بالتول بين يدي الخليفة ، فيخلع عليه خلعاً منركشة بالذهب . أما الصناديق والخزائن التي كانت تودع فيها معدات الجيش من أموال وسلاح ومؤن ونحو ذلك ، فقد كان من المعتاد أن يقوم صاحب بيت المال بتسليم القائد قوائم مفصلة بما حوته تلك الصناديق . وكانت نواغذ المنظرة تفتح ؛ فلذا رأى الجند وبه الخليفة ، نمرؤا له مقبلين الأرض ؛ ثم يومئ الخليفة للجيش فتسير (١) .

بعد هذا يركب الخليفة لمنظرة المقص ، حيث يكون هناك أمير "الأسطول" . (٢) وبعد أن يستعرض الخليفة للراكب الحربية ، يأذن للأمير بالتول بين يديه ؛ فيخلع عليه خلعاً ويودعه ؛ فيبدأ الأسطول في المسير (٣) .

٤ - العقائد الفاطمية

كان أصحاب الخلفاء الفاطميين يؤيدون دعوى هؤلاء الخلفاء بأن لهم قوة إلهية . ويرجع ذلك إلى أيام حيد الله المهدي الذي كان يعتبره بعض رجال الشيعة الخالق الرازي ، كما كانت تعتقد جماعة أخرى أنه نبي . وهناك طائفة تالفة كانت تزعم أنه النبي حقا (٤) . يلنا على هذا ما رواه النهي عن ابن عبد الجبار حيث يقول : " كانت طائفة تزعم أنه الخالق الرازي ، وطائفة تزعم أنه نبي ، وطائفة تزعم أنه النبي حقيقة " .

(١) القرطبي غلط (ج ١ ص ٤٨٣) .

(٢) ذكر القرطبي عن ابن أبي علي أن المرز بنى مراكب حربية ، فكان منها الأسطول المصري . غلط (ج ١ ص ٤٨٣) .

(٣) القفطندي (ج ٣ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

(٤) النهي ، المكتبة الملكية بالقاهرة ، غلطوط ٤٢ ، ورقة ٤٤٤ .

ويستطرد النهي في الكلام قلا عن ابن عبد الجبار ، حتى يذكر أن أبا القاسم بن عبيد الله أمر بلن الأنياء وأطلق مناديا ينادى بلن الثارومن لاذ به ، وأنه كان يكتب أبا طاهر القرمطي ، ونصح له بأن يحرق الكعبة والمصاحف . وقد أثارت أفاعيل أبي القاسم هذه مخط جماعة من الخوارج ، فتلوا تحت لواء ابن كيداد^(١) . هذا ما رواه النهي . ولكنه كان يفتض الشيعة ؛ فندس عليهم ذلك وكذب في نسبة هذا إليهم .

إن من السهل أن تصدق أن الفاطميين كثيرا ما قهوا على السنين . لكن ما يروى عنهم من أنهم لعنوا الأنياء ، وأنهم أشاروا على أبي طاهر القرمطي بحرق الكعبة والمصاحف ، يكذبه بعض الكتاب الأقدمين كسكويه (ج ١ ص ١٦٦ و ١٦٧) ، وهو حجة في ذلك العصر ، وتلويحه خال من التحيز والهووى .

وقد عضد سياسة الفاطميين السابقة وبثها شعراء الشيعة الذين درسوا العلوم الفلكية التي انتهت بهم إلى نسبة بعض القوى الإلهية إلى الخلفاء . ومن ذلك نصح بعضهم للعز بأن يقضى يوما خاصا محتججا عن الناس ؛ لكنه ظل غرضيا تحت الأرض سنة كاملة^(٢) ، فاعتقد للناس أنه صعد إلى السماء ؛ وبلغ من هذا الاعتقاد أن الجندي كان إذا رأى صحابة في السماء ، ترجل وقال للسلام عليك يا أمير المؤمنين !^(٣)

إن الخلفاء الفاطميين الأول لم يفلحوا في استمالة جميع المعمرين لهذه الاعتقادات وأمثالها ؛ ولذلك نرى أن عقيدة تأليه الحاكم الجديدة قد أثارت أخيرا مخط الأهليين ، إذ كان لا يزال هناك كثيرون يناوئون سياسة الفاطميين ؛ فقد كتب ذات مرة أحد الشعراء بيتين من الشعر في ورقة وضمت على المنبر ، فوقعت في يد الخليفة العزيز ، وقرأها قلنا فيها :

بالظلم والبلور قد رضينا وليس بالكفر والجماقة .
إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة^(٤)

(١) شرح ورقة ٦٩

(٢) ذكر ابن زولاق أن المزل غرضيا نحو من أربعة أشهر . غير أن ذلك يتضه ما ذكره فيه ، كلين الفلاني وابن الجوزي وابن الأثير الذين اتفقوا على أن مدة انخفاء المزل تحت الأرض كانت نحو سنة .

(٣) ذكر ذلك ابن زولاق (المكتبة الألفية بباريس ، مخطوط ١٨١٧ ، ورقة ٤٨ ب) وابن الفلاني (ص ١٤) وسبط بن الجوزي (مكتبة بوديان بأكسفورد ، مخطوطات يوكوك (Poussok) ، القسم الشرق رقم ٣٧٠ ، ورقة ٨٦ أ) وابن الأثير (ج ٨ ص ٢٢٩) وأبو الحسن طيبة جوينبول (Juyinboll) (ج ٢ ص ٤٤١ و ٤٤٢) .

(٤) ابن خلكان (ج ٢ ص ٢٠٠) وابن أبي ديار (ص ٦٥) .

وقد أمعن الحساك في هذه الدعوى ، حتى إن ابن زولاق^(١) فص طينا في هذا الصدد حكاية ، وإن كان من البعيد تصديقها ، إذ يقول إنه كلف على التجار أن يتركوا حوانيتهم مفتوحة ، فإذا سرق منهم شيء ذهبوا إلى القصر يشكون ما حل بهم . ففى ذات مرة ذهب جماعة منهم ورفضوا شكواهم الى الحساك من سرقة بعض صلهم . وكان عنده تمثال يدعى أبا الهول يملس في داخله رجل ، يجلس الحساك أمام التمثال ، وقد أذن للشاكين أن يمثّلوا بحضرته ، فوصفوا ما قدوه من متاع . فتكلم أبو الهول ذاكرة أسماء اللصوص واسم المكان الذى خباوا فيه المتاع ، فكان كما أخبر به ، وقبض على اللصوص وصلبوا . وأضاف ابن زولاق الى هذا أن هذه الأعمال ساعدت على استتباب الأمن والنظام ، حتى إن التجار كانوا يتركون حوانيتهم غير مغلقة كسائر الناس الذين لم يكونوا يغلّقون أبواب دورهم طوال الليل . ولنتقل للقارئ فيما على عبارة ابن زولاق بنصها :

«... وندى في الناس ألا ينلق أحد بابه ولا حانوته... وأصبح الناس يستنبثون ، فأحضر صنبا كان عنده يسمى أبا الهول ، فكان كل من ضاع له شيء يملس بين يديه ويقول له : يا أبا الهول ! ضاع كذا وكذا ، فيقول له شخص داخل الصنم (إن ضايك — هكذا وردت في الأصل) ، ما ضاع منك أخذه فلان ووضعه في المكان الذى يقول عليه الصنم ، فيحضر لصاحبه ، ثم ما زال على ذلك حتى قرر جميع ما ضاع لأربابه . ثم صلب اللصوص ، وعادت الناس في أمان ينعمون في بيوتهم وأبوابهم مفتوحة وحوانيتهم كذلك ، لم يسرق لهم شيء ، حتى إذا وقع من أحد دورهم (يستمر — هكذا وردت في الأصل) ، يبقى في مكانه لا يحسر أن يأخذه أحد ، حتى يأتى إليه صاحبه فيأخذه ، ثم ينادى : رحم الله من اعتبر بغيره !»^(٢) .

(١) يلاحظ في الباب الذى أوردته ليان المصادر أن مخطوط ابن زولاق الذى عنوانه "فضائل مصر" (المكتبة الأهلية بباريس ، مخطوط ١٨١٧) ، هو من هذا السفر الضخم الذى ألقه في تاريخ مصر ، غير أن ذلك المخطوط قد أمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ انتفاء القاطنين الأول الى سنة ٣٨٦ هـ . وقد ذكرت في هذا الباب أن هذا المخطوط قد اكمله أحد الأتراك ، ومن المحتمل أن يكون قد أدخل عليه معلومات استقفا من المؤرخين المتأخرين ، أمثال القفصاى ، وأبي الفرج بن الجوزى ، وسبط بن الجوزى ، والقمي . ومن الملاحظات على هذا الكتاب ما يحال الكلام على سنة ٣٨٧ (أى سنة وفاة ابن زولاق) وما تلاها من السنين . ومع هذا فذلك كله منسوب الى ابن زولاق نتيجة للعمل الذى بدأ فيه ، كما هو الحال في كتاب الكندى (كتاب قضاء) ، الذى بدأه الكندى (حتى وصل الى سنة ٢٤٦ هـ) ، بخلاف ابن زولاق ما بين جمرنا وكلامه . ومع ذلك فالحقائق التى وردت في الكلام على سنة ٢٤٧ وما تلاها تحسب أيضا الى الكندى ، مع أنه لم يكتب الا الجزء الأول من ذلك الكتاب الذى نسب اليه ويعرف بنفس هذا الاسم .

(٢) ابن زولاق ، المكتبة الأهلية بباريس ، مخطوط ١٨١٧ ، ورقة ٥٣ أ وما فيها . ذكر ابن زولاق أن هذا التمثال سرق وكسر ، فارتاع الرجل الذى بداخله حتى قدس حاسة التلق . ولو صحت تلك الحكاية ، لكنت تلك السرقة من صنع أحد اللصوص الماديين ، أو أحد المسلمين المتحمسين الذين لم يكونوا يرضون عن سلوك الحساك .

وذكر نفس هذا المؤرخ حكاية أخرى يقول فيها : " . . . إنه وقع من شخص كيس فيه ألف دينار عند باب جامع ابن طولون ، واستقر في مكانه أسبوعا كاملا لم يحسر أحد على أخذه ، حتى مر به صاحبه " وأقام الدليل على ملكه له (١) .

والظاهر أن هذه الحكاية لا تخلو من المبالغة ؛ إذ من الممكن جدا أن يكون رجال الشرطة قد أخذوا هذا الكيس أمانة لهم ، حتى يستطيع صاحبه العثور عليه . على أن ما رواه ابن زولاق من أنه من لم يكن هناك أحد يحسر على أخذ مثل هذا الشيء ، يمكن تصديقه ، لا سيما في عهد الحاكم الذي كان يعاقب كل هذا بالقتل .

وهذه المناسبة نقول ، إنه ليس لدينا من الأدلة التاريخية ما يثبت أنه كان عند العرب ما يسمى الآن "مكتب الأمانات" . ومع هذا فقد كان ذلك موجودا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي شرع أحكام القطة .

ففي البخاري ما معناه أن رجلا وجد صرة فيها مائة دينار ، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن ذلك فقال له : "عزفها حولا" . لكنه لم يجد من يعرفها ، فأمره النبي بتعريفها حولا آخر ، فلم يحصل لها حل صاحب أيضا . فجاء الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره بتعريفها سنة ثالثة ، وبعدما تصير ملكا له . وفي البخاري في موضع آخر أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عما يصنعه في القطة فقال له : "عزفها سنة فإن لم يظهر لها صاحب ، فشأك بها" (٢) .

هذا ، وقد تكلم ابن زولاق على آداء الحاكم للألوية ، ذلك الخليفة الذي كانت تملك نفسه تلك الرغبة التي استولت على كاليبجولا من قبل في أن يجعل نفسه في مصاف الآلهة . فذكر أن الحاكم اتخذ لنفسه جواسيس من النساء يتدسسن في دور بعض أناس مخصوصين ؛ وكان من واجبه أن يكشفن ما يحصل فيها ، ثم يقدمن تقاريرهن عن ذلك إليه في اليوم التالي . فإنا ما أصبح الخليفة استدعى هؤلاء الناس للثول بحضرته ، فيخبرهم بتفصيل كل ما حدث في دورهم . ولم ينس أيضا أن يتخذ جواسيس آخرين ، مهمتهم أن يقدموا إليه تقارير كل ما يحدث في الطرقات ؛ وكانت نتيجة هذا وذاك أن أصبح بعض الناس يستقلون أنه يعلم النيب (٣) .

(١) شرحه ورقة ٤٤ ب .

(٢) صحيح البخاري ، (٣ ص ١٢٤ و ١٢٥) .

(٣) ذكر هذا ابن زولاق (شرح ورقة ٥٦ ب) وابن الجوزي (مكتبة بردلان باكفورد ، مخطوطات مبروك ، القسم الشرق رقم ٣٧٠ ، ورقة ١١٣) قلا من خلال السابق ، وقال ابن زولاق إنه كان يبيت هؤلاء الجواسيس إلى دور الأمراء ، ولأنهم كان يخلون مراتب رفيعة .

هـ - دعوى الحاكم الألوهية

لم يترك الحاكم اذعاء الألوهية الذى شغل كل حياته الاقرة لم يطل أمدها ، ثم سرعان ما ادعى تجسم الإله فى شخصه - وإن لم يصرح علنا بذلك - فقد كانت يوافق على آراء أنصاره كالأنتم والدرزى^(١) ، الذين نسبوا اليه الصفات التى لا يتصف بها إلا الله ، لهذا اعتقد الناس أن بيده الحياة والموت^(٢) . ولهذا كان اذا بدا للناس فى للطرق ، نروا له مجدا وقبلوا الأرض^(٣) ، ومن أبى ذلك كان نصيبه الموت^(٤) .

وقد شجع بعض الشعراء المتصلين بالباطل القاطمى هذا الاعتقاد ، ولم يترددوا في أن يفسبوا الى الحاكم بعض صفات الله وهم يقرمون القرآن بمحضرة . فقد أمدا ابن خلكان بوثيقة عن الحافظ السلفى^(٥) بخط يده ، وهالك نصها : " أن الحاكم المذكور كان جالسا فى مجلسه العام وهو حقل بأعيان دولته . فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فى شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسألوا تسلياً)^(٦) ، والفارنى فى أثناء ذلك يشير الى

(١) تكلم ابن سبويه (ص ٢٢٠ - ٢٢٤) عن الدرزى ، وذكر (ص ٢٢٤) خلافا لكثير غيره من المؤرخين أنه كل مدينة مصر . أما غيره من المؤرخين فيزعمون أن الدرزى أرسل الى لبنان ، حيث نجح فى بث طائف مدع به فيما يخص الحاكم .

(٢) ابن زولاى ، المكتبة الأهلية ياروس (خطوط ١٨١٧ ، ورقة ١٥٦) .

(٣) القضاى ، المكتبة الأهلية ياروس ، (خطوط ١٤٩١ ، ورقة ١١٢٧) .

(٤) ابن زولاى ، المكتبة الأهلية ياروس ، (خطوط ١٨١٧ ، ورقة ١٥٦) .

(٥) هو أبو طاهر أحمد بن محمد . . . السلفى من أمال أصبان ، وكان يقب بصدور الدين ، وكان حافظا غزير العلم شافى المذهب . رسل الى بلاد كثيرة طلبا للهدى الذى أخذه عن أساتذته المرزى ، ومن فى رحلته بأصقاع مختلفة ، وساح فى بلاد كثيرة ، فركب البحر من صور الى الاسكندرية ، فوصلها فى ذى القعدة سنة ٥١١هـ (مارس سنة ١١١٨م) . ولما استقر به المقام ، انظمه كثير من أمال البلاد الثانية يستمعون لدروسه . وفى سنة ٥٤٦هـ (١١٥١م) أنشأ العادل بن السلار كلية فى الاسكندرية ، وجعله عبدها . وكانت وفاة عبده الدينية فى الخامس من ربيع الثانى سنة ٥٧٦هـ (أغسطس سنة ١١٨٨م)

ابن خلكان (ج ٢ ص ٣٧ و ٣٨) .

(٦) سورة آية ٦٨

الحاكم . فلما فرغ من القراءة ، قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر ، وكان رجلاً صالحاً :
(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا
له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله
حق قدره ، إن الله لقوى عزيز)^(١) . فلما انتهت قراءته ، فتعرجه الحاكم ، ثم أمر لابن المشجر
المذكور بمائة دينار ، ولم يطلقه إلا ترشيحاً . ثم ان بعض أصحاب ابن المشجر قال له : أنت تعرف
خلق الحاكم وكثرة استمالاته (تلاميذه) ، وما تأمن أن يخذلك ، وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت ،
ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى منه ، ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه . فتجهز ابن المشجر للحج ،
وركب في البحر وغرق^(٢) .

بالرغم من حالة العداء التي كانت تملأ الناس من سياسة الحاكم الخرقاء ، فقد استطاع أن يدعى
الالوهية . فابتدأت الدعوة التي تقول بأن الله تجسم فيه . وعلى ما جاء في مخطوط القاهرة الذي عنوانه
"رسائل الحاكم بأمر الله" ، نرى أن الحاكم ادعى أن له طبيعة إلهية ، بعد أن كان بشراً كسائر
الناس^(٣) . ومن المحتمل كثيراً أن يكون ما ظهر به الحاكم أخيراً هو نتيجة تمايل الدرزي للمفاهيم
الفاطمية في أشد درجاتها غلوا .

منذ هذا الوقت أعلن الناس الذين اتبعوا سياسة الحاكم الدينية ما يعتقدونه من "عبادته وتوحيده
وتزويده"^(٤) ، وأنه "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد"^(٥) ، وأن "كافة الشرائع الأخرى باطل
وزور"^(٦) . وكان لما فعله الحاكم خطر عظيم ، حتى لقد أرغم من لم يصدع بقوله على دفع
الجزية كأهل الامة^(٧) .

(١) سورة ٢٢ آية ٧٣ و ٧٤

(٢) ابن خلكان (ج ٢ ص ١٦٧) .

(٣) روضة ١٦١ .

(٤) شرحه .

(٥) سورة ٦٢ آية ٤ و ٣ ، ومخطوط روضة ١١١ .

(٦) مخطوط روضة ٢١ ب .

(٧) شرحه روضة ١٣٥ .

لكن تلك المعتقدات أثارت سخط أهالي القاهرة الوادعين ؛ وكان من أثر ذلك أن اغتيل كثير من الدعاة وأنصار المذهب الفاطمي . أما الحاكم المجنون — كما يقول الأستاذ مرجوليوث^(١) — فقد ثار لنفسه ، فأطلق العنان للسودانيين ، فأمر فواقي الاعتداء على الأهليين ، وقد سببت المناوشات بين السودانيين والأهليين خسائر لا يستهان بها .

غير أن سخط الأهالي كان ذا أثر . فقد كانت كتب الأمان التي أعطاها الحاكم لرعاياه المسيحيين سنة ٤١١ هـ — وهي عام وفاته — مفتحة بما كان يفتح به الخلفاء كتبهم . فقد كان فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ! من أمير المؤمنين عبد الله وولي المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأمر الله ابن العزيز الخ^(٢) .

٦ — سياسة الفاطميين الدينية في عهد الأمر

سنة ٤٩٥ — ٥٢٤ (١١٠١ — ١١٣٠ م)

لقد عنى الفاطميون عناية عظيمة بمحفظ رسومهم الدينية حتى في أيام انحلال دولتهم ، حين كان لوزرائهم السلطة المطلقة . وإن مقتل الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجبال لأظهر مثال تلك العناية ؛ لأن الأفضل كان يميل ميل السليين ، فالتى الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد فاطمة وصلّى الله علىهما ، ومولد الخليفة القائم بالأمر . وقد كان ذلك كافيا لتقويض دعائم حكم الفاطميين الذين كانوا يعملون دائما على تأييد دعواهم ، وأنهم من سلالة عليّ مما كان موضع شك رعاياهم طوال حكمهم .

وقد شرح لنا ابن القلانسي (+ ٥٥٥ هـ) الأحوال التي أحاطت بمقتل الأفضل شرحا وافيا . وابن القلانسي هذا توفي بعد الأفضل بنحو أربعين سنة ؛ وقد اعتمد فيما ذكره على الاعتقاد الشائع بأن مقتل الوزير كان تديرا من الخليفة الفاطمي وأنصاره ، لبواعث سياسية وحزبية . أما ابن ميسر فقد نسب من جهة أخرى مقتل الأفضل الى عداء جماعة الباطنية . غير أن ابن القلانسي يعض ذلك ، ويقرر أنه وإن كان قد شاع أن الأفضل لقي مصرعه على يد الباطنية ، فإن ذلك كله كان بتدبير الخليفة الفاطمي .

(١) Prof. Margoliouth : Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 30.

(٢) يحيى بن سيد ، (ص ٢٣٠ — ٢٣٣) .

وإن من الحق أن تقول إن الخلف بين روائى هذين المؤرخين يسير . فإن الفاطميين أنفسهم كانوا باطنيين ، وكانوا في أعمالهم يُصدرون عن العقائد الباطنية التي كانت قوامها ادعائهم علم الباطن وأن لهم قوى غير قوى البشر .

ويمكن بنا أن نأتى بعبارة ابن الفلانى بتصرف وهى : ان الخليفة الأمر الذى ضعفت سلطته كثيرا بتدخل الأفضل ، شعر بالحاجة الى التخلص من وزيره ، فدبر مكيده اغتياله فى إحدى زياراته للقصر . لكن الأمير عبد الحميد بن أبى القاسم بن المستنصر وابن عم الخليفة — الذى صار خليفة فيما بعد وتسمى بالحافظ (٥٤٤ هـ) — لاحظ أن ذلك العمل سيثير سخط الناس ويكون عارا يلحق بالباطل الفاطمى . وذلك أن الناس كانوا يقدرون الأعمال التى أداها الأفضل وأبوه للأمر الفاطمية حتى قدرها ؛ فيكون قتله معناه نكران لهذه الأيادى ، وذلك مما يجب انتقام أنصاره ويزعزع ثقة الوزراء فى الفاطميين .

لذلك كله رأى الأمير أن يعمل لهذه الغاية بطريقة أخرى ، وهى أن يسهل بذلك الأمر الى أحد متبنى المذهب الفاطمى ، ويُعطى من العهود ما يضمن له مركز الوزارة اذا نجح فى هذا السبيل . وقد رأى الأمير أن أبى عبد الله المأمون بن البطائى ، أحد خواص الوزير ، هو ابن يحدتها ، لما كان يستقده من احتمال موافقته على هذا المشروع ، ذلك أنه :

أولاً — كان من متبنى المذهب الفاطمى الذين أخلصوا فى حب الفاطميين ..

ثانياً — لأن نجاح هذا العمل يؤول الى أن يخلف الأفضل فى مركزه .

وقد رأى الأمير أيضا أن يختار البطائى جماعة من الرجال يقومون بذلك ، على أن يُقتلوا عقب إتمامه ؛ كما رأى أن يظهر الخليفة ورجال بلاطه أشد مظاهر الحزن ، ويسعوا للانتقام من اغتيال الوزير ؛ وبذلك لا يتهمهم أحد بأن لهم يد فى هذا العمل^(١)

ولا بأس من أن نورد ما ذكره ابن ميسر فى طريقة اغتيال الأفضل . وذلك أن الأفضل كان قد تولى أحد الباطنية ، واسمه البديع ؛ لكنه وجد من ساعده حتى سمح له بالعودة لمصر ، حيث اتف حول كثير من الأنصار . غير أنه اقترح فيه مرة أخرى الى اليمن ، حيث كان يسودها مذهب

(١) ابن الفلانى (ص ٢٠٣ و ٢٠٤) .

البديعية بزعامه الحرّة بقت الصليحي^(١) . وحدث أن تقدم عشرة من أتباع هذا المذهب ، وعبروا عن رغبتهم في الحاق بالبدع في مجته ، وسرعان ما انضم اليهم غيرهم من أمثالهم فيا رغبوه . ولما رفع الأمر للأفضل أمر بقتل عشرين من هذه الطائفة ؛ فأنار ذلك غضب الباقين ، وصمموا على اغتياله انتقاما منه . وفي اليوم السابق لعيد الفطر سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ، حين كان الأفضل في طريقه الى قصره دار الملك في مدينة مصر ، اعترضه رجلان كانا غنشين في حانوت ؛ فقبض عليهما بعض حراسه وقتلوهما على الأثر . وهناك كان خياط يتبع الوزير من القاهرة ، فباغته وأمسكه من طوقه وطعنه بسكين عدة طعنات عميقة ؛ لكنه لم ينبج ؛ فقد قبض عليه حرس الوزير^(٢) وقتلوه . وقد نال البطانحي الذي نظم اغتيال الأفضل ما كان يرجوه ؛ تخلف فخميته في الوزارة ، كما كان ذلك معتادا في ذلك الحين .

٧ - صلاة الجمعة

وفي الاحتفال بصلاة الجمعة ما يدلنا على العظمة التي كانت تحيط بالخلفاء الفاطميين ، ويرينا الكرم الذي مكّهم من اجتذاب كثيرين من الأنصار اليهم . وقد سبق أن ذكرنا بالتفصيل موكب الخليفة^(٣) في الاحتفال بجور الخليج .

وقد أمدنا الفلقشندي والمقرئزي وأبو المحاسن بوصف صلاة الجمعة ، كما كان يقيمها الخلفاء الفاطميون ؛ ذلك أن هؤلاء الخلفاء كانوا يركبون في الجمع الثلاث الأخيرة من رمضان إلى جوامع الحاكم والأزهري وعبروا على التوالي لصلاة الجمعة .

(١) ذكر ابن خلكان (ج ١ ص ٦٥٥ — ٦٦٧) أنه بعد قتل الصليحي سنة ٤٧٣ (١٠٨٠ م) ، زال الاثراف بسلطان الفاطميين على بلاد العرب . وكانت الخليفة قد أثبت فيها الخليفة الفاطمي المستنصر سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) .
(٢) ابن جرير (ص ٥٧) .

(٣) ذكر الفلقشندي أن الخلفاء كانوا يركبون في مناسبات متعددة . لكنهم حوا حاية خاصة ببعض المراكب التي كانت تسمى بالمراكب الطام : وهي مركب أول العام ، وأول رمضان ، والجمع الثلاث الأخيرة من شهر رمضان ، وصلاة عيد الفطر والأضحى ، وجور الخليج (ج ٣ ص ٥٠٣ — ٥٢٠) . أما المراكب الأخرى فكانت تسمى المراكب المنصورة ، كما يقول الفلقشندي أيضا . وكانت تحدث أربع أو خمس مرات في السنة عند ركوب الخلفاء لمناظرم ، ويكون ذلك عادة في أيام السبت والثلاثاء (شرح ج ٣ ص ٥٢١) .

وكان صاحب بيت المال في صباح كل من هذه الأيام الثلاثة يشرف بنفسه على تأييد المسجد الذي يصلي الخليفة الجمعة فيه ؛ فكانت توضع في المقصورة ثلاث طنافس ديبقية أو سامانية بيضاء - بعضها فوق بعض - وتوضع فوق الجميع الحصى التي يقال إنها كانت لحضر الصادق وأحضرت إلى مصر سنة ٤٠٠ (١٠٠٩ م) في عهد الحاكم^(١) . وكان ينصب على جانبي المنبر ستران ، يكتب على الأيمن البسملة والفاتحة وسورة الجمعة ، وعلى الآخر البسملة والفاتحة وصورة المنافقين^(٢) .

وقبل وصول الخليفة قليل ، كان قاضي القضاة يقف ويديه مبحرة ، فيبخر المنبر والقبعة التي كان الخليفة يقف تحتها وقت إلقاء الخطبة . أما الخطبة فقد كان يضمها أحد كتاب البلاط في ديوان الإنشاء . وكان الخليفة يرتدى في هذا اليوم ثوبا من الحرير الأبيض ، ويتمم بهامة من الحرير الأبيض الرقيق ، ويحمل قضيب الملك بيده ، ويحلف به عند كبير من حرسه الخاص ومن الجنود الأخرى والأشراف^(٣) ، ويتبع هؤلاء جم غفيرة من الناس . وكان الخليفة يركب بين قرع الطبول ورنين الصنوج وقراءة القرآن نبغات شجية حتى يصل إلى قاعة الخطابة ، وهي قاعة استقبله الخاصة ، ويمر بها قائد القواد وكبير الأمراء ونخبة من حرس الخليفة ؛ ويظل في هذه القاعة حتى ينتهي الأذان .

وحينئذ يدخل قاضي القضاة ويقول : "السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله ! " ؛ فيخرج الخليفة وحوله الأستاذون المحضون ، ويتبعه وزيره وجماعة من حرسه مدحجين بالسلاح ، فيتشرون بين قاعة الخطابة والمنبر . أما الخليفة فيستمر في سيره حتى يأخذ مكانه تحت قبة المنبر . ويقف الوزير على باب المنبر ووجهه مقلبة ؛ فإذا أومأ إليه ،

(١) أبو الحسن ، مجلد ٢ (ج ١ رقم ١ ص ٣٣١-٣٣٢)

(٢) الفتوح (ج ٢ ص ٥١١) .

(٣) ذكر أبو الحسن أن الخليفة الأمركان يحلف به القبة والأسود ، وهي مزينة بخاتم الكس ، وطيا الأسلحة الالهة (ج ٢ رقم ١ ص ٣٣٢) . وأخاف هذا أنه بالرغم من شغل الحاكم بأن تكون مواكب في غاية الأبهة ، فقد رأى أن ينبذ وزيره في صلاة الجمعة ، لأنه كان يرتجط في الخطبة ؛ إذ كان لا يجمع مزاي الخليل (مجلد ٣ ج ١ رقم ١ ص ٣٣٠) . وذكر ابن مسير (ص ٤٤) أن الخليفة الأمركان يحيط به في موكب صلاة الجمعة جنده وأولاده الأرية ، يحلق الخليل ، وعليهم الخوذات والدروع ، وفيلان .

صعد فقبل يلى مولاه ورجليه^(١) ، وزر الستين عليه^(٢) ، وبذلك يكون المنبر والقبعة كالمونج ، ثم يتزل الوزير ويظهر على باب المنبر^(٣) .

وكانت الخطبة التى يلقيها الخليفة قصيرة ، وتشتمل على آية من القرآن . وقد نقل المقرئى من المسيعى الذى حضر صلاة الجمعة فى الأزهر سنة ١٢٨٠ هـ (٩٩٠ م) ، وكان موقفه خلف الخليفة العزيز ، أن هذا الخليفة ذكر بعد الآية نفسه وقومه بعبارة موجزة ، ثم قال : " رب أوزنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والديّ ، وأنت أعلم صالحا برضاه ، وأدخلى برحمتك فى عبادك الصالحين " ^(٤) . ودعا بعد ذلك لوالده وجده ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولعلّ رضى الله عنه ، ولحفاه أسلافه . ودعا لنفسه أخيرا قائلا : " اللهم أنا عبدك وابن عبدك ، لا أملك لنفسى خيرا ولا نفعا (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) " ^(٥) .

وكان الخليفة يختم خطبته بالدعاء للوزير وينصر الجيش وخذلان الكفار والمشركين ، فاذا ما فرغ من خطبته قال : اذكروا الله يذكركم . ثم يصعد الوزير فيقبل الستين ، ويظل هو وقاضى القضاة على الباب ، ويقوم الأستاذون المحنكون وكبار الموظفين العسكريين والمدنيين بحراسة المقصورة .

بعد هذا يأخذ الخليفة فى الصلاة ؛ فيبلغ الوزير عنه ، ثم قاضى القضاة ، ثم المؤذنون . فاذا ما انتهت الصلاة ، يخلو الجامع من الناس ، ويخرج الخليفة يحيط به الوزير عن يمينه وقاضى

(١) ذكر أبو الحسن من ابن عبد الظاهر ، أن الخليفة كان يستتره وهو فى قاعة الخطابة ستر من الحرير . وكان قاضى القضاة ، ورفيقه صاحب بيت المال حاملا ميفرة بيده ، يدخلان القاعة من صبا الأذان ؛ فيقدم الأول ، ويحل السّر ، ثم يأخذ الميفرة من صاحب بيت المال فيغير المكان . وبعد ذلك يصادران القاعة ، ويقبلان القرج حال نزولهما (مجلد ٣ ج ١ رقم ١ ص ٢٢٢) .

(٢) ذكر المقرئى أن السبب فى زوال السوء ، أن الخلفاء القاطنين لم يكونوا كسائر الخلفاء يرتجلون خطبهم ، بل كانت تعد لهذا الغرض خاصة فى ديوان الانشاء ، كما كان سبب كتابة آيات من القرآن بغرير حرارية حراء ، على سترين يوضان على جانبي الخليفة (أحدهما على يمينه ليقرا ما فيه فى الركعة الأولى ، والاخر على يساره ليقرا ما فيه كذلك فى الركعة الثانية) ، هو حفظه من السيئات أو التخطئ حال إقامة الصلاة .

(٣) ذكر المقرئى (خطط ج ٢ ص ٢٨١) أنه إذا لم يكن الوزير صاحب السيف ، فإن قاضى القضاة هو الذى يزور الستين .

(٤) سورة ٢٧ آية ١٩

(٥) سورة ٧ آية ١٨٨

القضاة وداعى البطة^(١) عن يساره ، وحرسه انخلص ، ويعود بموكبه الى مقره على الجبهة التى اتجهت لها فى نهابه الى الجامع .

... وفى أيام الجمع الثلاث الأخيرة من رمضان ، كانت تزدان الدوز والجوانيت والأسواق التى يمر بها الخليفة فى طريقه الى الجامع — حيث يصل الجمعة — كما كان يصطف كثير من الناس على جانبي الطريق^(٢) .

٨ — الأعياد والولائم

(١) الأعياد

كانت هناك عدة مواعيد إلتقاء الملكية أيام السبت والثلاثاء ، وأيام الجمع ، ويومى عيد الفطر والأضحي ، أيام دينية أخرى ذكرنا بعضها من قبل . وكان من اللازم ، ليكون لهذه الاحتفالات أثرها العظيم فى النفوس ، أن تمام أسببلة فى قصور متعددة ، وأن توزع الانعامات بمقادير وافية . وفيما يأتى بيان بأسماء الأعياد التى كان يحتفل بها الفاطميون . وسنشير الى بعضها فى كلامنا عن الأسببلة .

وهذه الأعياد هى :

- ١ — رأس السنة ٢ — أول العام ٣ — يوم طاشوراء (وهو يوم مقتل الحسين)
- ٤ — مولد النبي صلى الله عليه وسلم (١٢ ربيع الأول) ٥ — مولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
- ٦ — مولد الحسن عليه السلام ٧ — مولد الحسين عليه السلام ٨ — مولد فاطمة عليها السلام
- ٩ — مولد الخليفة الحاضر ١٠ — ليلة أول رجب ١١ — ليلة نصف رجب ١٢ — ليلة أول شعبان ١٣ — ليلة نصف شعبان^(٣) ١٤ — موسم ليلة رمضان ١٥ — غرة رمضان

(١) ذكر أبو الحسن عن ابن عبد الظاهر أن داعى البطة كان يتبع قاضي القضاة إذا لم يكن قاضي القضاة هو داعى البطة .

(٢) القشقى (ج ٣ ص ٥٠٩ — ٥١٢) والمقرئ (مخطوط ج ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١) .

(٣) كانت تسمى هذه الليال الأوج الأخيرة ليال الرغود .

١٦ - جبر الخليج ١٧ - يوم النوروز^(١) ١٨ - يوم الفطاس ١٩ - يوم الميلاذ
٢٠ - عيد النضر^(٢) ٢١ - خميس العهد^(٣) .

(١) كان النوروز من الموام القديمة . انتقده القرم لإحياء العام الجديد ، وهو أول أيام السنة عندم ، ويقع عند الاعتدال الربيعي ودخول الشمس في برج الحمل ، أى عند ابتداء فصل الربيع . ولقد من ملوك خراسان سنة جديدة ، فانتقدوا هذا اليوم موسماً وليس فيه جنودهم ملابس الربيع والصفى ، وفيه يحتفلون ببد النوروز . وأول من انتقد هذا اليوم - على ما ذكره البيرونى (ص ٢٠٠ و ٢٠١) - هو حميد بن زيد ، وهو - كما يقول الأستاذ براون في كتابه "تاريخ القرم الأدبى" (Prof. Brown: Literary History of Persia, Vol. I, pp. 114-200) - قلاص بعض المصادر العربية - سليمان بن داود (يظهر أن هذه الفكرة أتت للأستاذ براون من بعض المؤرخين كسكويه ج ٢ ص ٢٥ و ٢٤٨ و ٤٠٧ و ٤٩٩ والبيرونى ص ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٥٨ والمقرئى غطوط ج ١ ص ٤٩٤) . وقد أبطل المسلوب الاحتفال بهذا العيد في بلاد القرم بد الفتى الاسلامى ، غير أنه عاد في الصدر الأول من أيام المباسين . ويقول البيرونى (طبعة سنابا Sanaba ص ٣٧) أن ابن بطال نظام النوروز القديم أنشروا بلنجا بالخراسين ، لأن الفجر الجديد قدم يوم النوروز ، فكان يحيى والفرع أخضر ، في الوقت الذى يجب أن تخفى فيه الفرائد .

ويستبعد البيرونى في الكلام حتى يذكر أن الملوك اجتمعوا في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ٨١٢ و ٧٢٤ - ٧٤٣ م) وشكروا الى الله خالدين عبد الله القسرى ، وفرسوا له ما يجسدونه من الصواب ، وسألوه أن يقر النوروز بشراً ، فأبى وكتب الى هشام بذلك ، فأجاب : أبى أخاف أن يكون هذا من قوله (أما القسرى زيادة في الكفر) (مسودة ٩ آية ٣٧) واستمرت الحال كذلك الى أن جاء هارون الرشيد ، فاجتمع الملوك ثانية وشكروا الى يحيى بن خالد البركى ، وسألوه أن يقر النوروز بخيراً من شهرين . فهم يحيى بأجابة طلبهم ، ولكن أعداءه أخذوا يرمونه بالتصعب للعبوسة ، فذل من ذلك ، واستمر الحال على ما كان عليه من قبل (البيرونى : الآثار الباقية من القرون الخالية ، طبعة صفار ص ٤٧) .

ولما جاء المتوكل المباسى (٢٣٢ - ٢٤٧ و ٨٤٧ - ٨٦١ م) أمر بتأخير النوروز ، أو تأثر من شكايه الخراسانيين حين جمعوا الخراج قبل تفضى الفصالات (انظر ارشاد الأديب لياقوت : ج ٢ ص ١٢٨) . غير أنه لما مات المتوكل ودل المستنصر (٢٤٧ - ٢٤٨ و ٨٦١ - ٨٦٢ م) أبطل ذلك ، وأمر بجمع الخراج في الوقت الذى كان يجمع فيه أولاً . ولما ولد المنصور (٢٤٨ - ٢٥٢ و ٨٦٢ - ٨٦٦ م) أمر بتأخير النوروز من جديد (وكان النوروز في عهده في ٢١ يريه ، أى قبله في أيام المتوكل بسنة عشروما) . انظر سكويه (ج ٢ ص ٢٥ و ٢٤٨ و ٤٠٧ و ٤٠٧ حاشية ١) ، وابن صاكر (المكتبة الأهلية بباديس ، غطوط ٥٩٦ ، ورقة ١١٣ أ) .

ويقول البيرونى أن للشمس المضنية كانت تتفق مع الشهور الفارسية الى أولها "فروردين ماه" المقابل لشهر مارس .

أما من أصل النوروز فيقول البيرونى ، أنه يرجع الى أن سليمان بن داود لما قد خاضه ذهب عليه ملكه ، ثم رد إليه بعد أربعين يوماً ، فصاد إليه ملكه ، وأنه الملوك وعكفت عليه الطيور . فقال للقمر "نوروز آند" ، أى جاء اليوم الجديد . نسى هذا اليوم النوروز . وأمر سليمان الرج فقله ، ورأه خلاف فقال : "أيا الملك ! إن لي عشا في بيتنا ، فاعدل لا تحسبها" ، فذل سليمان . ولما نزل على الأرض ثانية ، حل الخلاف في مقاره ماء ، فرشه بين يدي الملك ، وأهداه رجل بريدة ، فذل أصل رش الماء والهدايا في النوروز (البيرونى ص ١٩٩) .

(٢) كان الاحتفال بهذا العيد في ١٦ المحرم صلاة بالخليفة الحافظ ، اذ هو اليوم الذى أطلق فيه سراحه . وذلك أن أباً علي أحمد بن الفضل بن أمير الجيوش بدو الجمال كان - كما تقدم - قد حبس هذا الخليفة وجلسه في مزقة من الناس منذ شهرى القعدة سنة ٥٢٤ و ١١٣ م - (ابن ميسر ص ٧٤ و ٧٥) .

(٣) خميس العهد هو الخميس الذى كان يحتفل التصلى فيه بتأجيلهم ، وذلك قبل الفصح بخمسة أيام . وهو أحد الأعياد التى بقيت في عهد الفاطميين مشاركة للتصلى في شعورهم الدين . وكان الاحتفال بهذا العيد يتاز بالهدايا التى ينالها كبار الموظفين وغيرهم من الرجال المشهورين . ولقد "عهد" استبدلت خطأ بفظ عدس ، واستمر ذلك الى اليوم (المقرئى ، غطوط ج ١ ص ٩٥) .

(ب) الولائم

كانت الولائم في كثير من الأحيان مظهرا من مظاهر الاحتفال بالأعياد ؛ وكانت تقام في بعض المساجد ، وفي القصر ، وفي دار الوزير . ففي القصر كانت تقام في المكاتب المعروف بقاعة الذهب حيث يشتم مجلس الملك . وكان الخليفة المعز الفاطمي أول من سن تلك السنة ؛ واستمر ذلك الى آخر أيام الفاطميين . وكانت الإممطة لا تتقطع من قاعة الذهب أثناء شهر رمضان وأيام العيدين .

وكان السباط يمد من اليوم الرابع من شهر رمضان الى السادس والعشرين منه . وكان يدعى الى هذه الولائم قاضي القضاة (وذلك يوم الخميس عادة) والأمراء وضيعة من رجالات الدولة كل بدوره ؛ وكان الوزير وابنه - أو أخوه - وكثير الأمناء يمثلون الخليفة . أما مقادير الأطعمة فكانت من الوفرة بحيث تكفي لياخذ كثير من الناس ما يريدون . وبلغت القود التي كانت مخصصة لهذه الولائم في ثلاثة وعشرين يوما ٣,٠٠٠ دينار ؛ فيكون متوسط اليوم الواحد ١٣٠ دينارا .

٩ - سباط العيدين

(١) عيد الفطر

لم تكن العناية التي كان يوجهها الفاطميون للإممة العيدين بأقل منها في الإممة الأخرى . وقد كان يقام يوم عيد الفطر سباطان : أحدهما بعد صلاة الفجر ، والثاني بعد صلاة العيد ؛ وهذا يجلس عليه الخليفة . وكان طول السباط الأول الذي كان يمد في الأيوان (قاعة الذهب) ٥٠ ذراع (بحسب ١٧٥ مترا) ، وعرضه سبعة أذرع (بحسب ١٢ مترا) .

أما هذا السباط فكان فيه صحاف ملائ بالقطائف والحلوى . وكان يدعى الناس من كل الطبقات اليه ؛ فيأخذ كل ما يجب ، اذا كانت الأطعمة من الوفرة بحيث كان ما يتبقى من الأطعمة يأخذه السامة الذين كان يسمح لهم بحمله ويبيعه . وكان الخليفة يجلس في إحدى النوافذ ليمتع نفسه بهذا المنظر الذي كان مظهرا من مظاهر جوده وكرمه ، كما كان القصد منه أن يملك قلوب الناس .

وفي السباط الذى كان يمد بقاعة الذهب دليل آخر على رغبة الخلفاء الفاطميين فى استرضاء العامة. فغير أن أعمال الكرم هذه خفضت من بيت المال كثيرا . ولكن من كان يصير على مقاومة رغبات الخلفاء ووزرائهم الذين كانوا يرون أن لهذه الأعمال أثرا هاما فى تقوية مركز الفاطميين ، كما أنها كانت تريد من إجلالهم وحسب الشعب لم ؟

وكان يقام بجانب سرير الملك بقاعة الذهب ديسق مربع ^(١) يجلس عليه الخليفة ، وقد وضعت عليه الصعاف الذهبية والصينية . أما السباط العام فكان من خشب مدهون ، وعرضه عشرة أذرع ، وطوله طول القاعة . وكان يزين بالأزهار ذات الرائحة والألوان المختلفة ، ويوضع فى طرفي السباط ككتان كبيرتان من الحلوى ، كل منهما على هيئة القصر تزن سبعة عشر قنطارا عجلة بطنقة من الذهب ، وقد مثل فيها بالتوتومات صور الانسان وبقيره من الحيوانات المختلفة ^(٢) .

وقد وصف القلقشندي هذا السباط وصفا شيقا ، وأمدنا ببيان عما كان يستعمل فيه من الأواني . فقد كان يوضع عليه احدى وعشرون جفنة ، فى كل منها واحد وعشرون خروفا ، وثلاثة وخمسون من الطير ما بين دجاج وحمام ، وكان يوضع فيها بين هذه الجفان صحاف فى كل منها سبع دجاجات . وكانت هذه الصعاف والجفان تحاط بأنواع مختلفة من الفطائر والحلوى ^(٣) .

ومن هذا البيان نعلم أنه كان يقدم فى هذا السباط ٤٣١ خروفا ، وكذا ١٠٨٥٠ ^(٤) ما بين دجاج وحمام ، ومقدار كبير من الحلوى والتبخر ونحو ذلك . هذا ، وإن الناظر لأول وهلة ليخال أن ما أتى به القلقشندي من قبيل الأساطير ؛ غير أننا نقول ان ذلك لا يبعد تصديقه ، اذا علمنا أنه كان مخصصا لأسئلة المبدئين الثلاثة ٥٠٠ دينار ^(٥) . وكان يدعى لهذا السباط الوزير الذى كان يجلس عن يسار الخليفة ، ويرتدى حلة خاصة للأكل ؛ كما كان يدعى إليه أيضا الأمراء وكبار الرجال . غير أنه لا يمتثل أن يأكل هؤلاء كل هذا الطعام . لذلك يقول القلقشندي إن ما تبقى

(١) الديسق المتوان من الفضة .

(٢) القلقشندي (ج ٣ ص ٥٢٧ و ٥٢٨) .

(٣) شرحه (ج ٣ ص ٥٢٨) .

(٤) ذكر أبو الحسن فى بيان آخر أن ما كان يستهلك فى هذا السباط ٢٦٠٥٥٠ ما بين دجاج وحمام ، هذا ٤٤١

خروفا عمرا (لجنة جوبلر Fayyad ج ٢ ص ٤٧٧) .

(٥) القلقشندي (ج ٣ ص ٥٢٨) .

من هذه المقادير من الأطعمة كان يرسل بعضها الى دور اصحاب الرسوم ، وسائرها يأكله غيرهم
ممن كان يسمح لهم بحضور السباط. بعد فراغ كبار المدعوين (١١) .

ولم يكن هذا كل ما كان يقدم من الأطعمة في الميدين . فقد كان يصحب ذلك سباط آخر يعقد دار
الوزير ، يدعى اليه كثير من رجال الدولة ، ثم يمنح ما يزيد عن حاجتهم من الأطعمة للعامة (١٢) .

(ب) عيد الأضحي

كان الخليفة بعد أن يفرغ من صلاة العيد يركب الى المذبح ، حيث يكون الوزير وقاضى
القضاة والأستاذون وغيرهم في انتظار وصوله . حتى اذا ما وصل ذبح بيده ٣١ مابين الأضرة والنوق .
وفي اليوم الثانى كان يركب للذبح أيضا ويذبح بيده ٢٧ رأسا ، كما كان يذبح في اليوم الثالث ٢٣ (١٣) .

وقد وصف لنا الفقهى شندى ما كان يصنع بلحم أول ذبيحة ، فقال ان لحمها كان يحر ويقدد ،
وتعمل منه شرائح ترسل الى والى المدينة ، فيوزعها على من هناك من الشيعة . أما لحوم سائر
الضحايا ، فكان يفرق بعضها على أرباب الرسوم ، ويوزعها قاضى القضاة على طلبة دار العلم
وغيرهم ممن كانوا يأتون الى مساجد القاهرة (١٤) .

(١١) الفقهى شندى (ج ٣ ص ٥١٤) .

(١٢) القزوينى خطب (ج ١ ص ٢٨٨) .

(١٣) من هذا نرى أن ما كان يذبحه الخليفة هو ٨١ رأسا . وقد ذكر القزوينى في كتابه "المقنى" (مكتبة الجامعة
ببلن ، مخطوط ١٣٦٦ ، المجلد الثانى ، ورقة ٢٠٦ ب) أن ما ذبح في عيد سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) كان ٢٥٦١
رأسا . منها ١١٧ ثاة و ٢٤ بقرة و ٢٠ جاموسة و ٢٤٠ كبش . غير أنه لم يبين لنا عدد الحيوانات التى كان يضربها الخليفة
بيده . ومن المحتمل أن يكون قد سقط من عبارة القزوينى لفظ "هذا" ، وبها تكون العبارة "هذا ما يضربه الخليفة ويذبحه
بيده" . وانما جريا على هذا الزم ، كان ما يذبحه الخليفة بيده يتراوح بين ثمانين وتسعين رأسا ، إذ من المستحيل أن يذبح
بيده عددا كبيرا يبلغ ٢٥٦١ رأسا . وما يجدر ملاحظته أن العدد الذى ذكره القزوينى وهو ٢٥٦١ ، كان يذبح في عيد
الأضحي وعيد النذير (غير نخم) معا ، والى القارى نص عبارة القزوينى : "وبعد ما ذبح ستة وست عشرة وخمسة فى ثلاثة أيام
عيد النحر وعيد النذير أقام خمسة وواحد وستون رأسا ، منها مائة وسبعة وعشرون من الترق ، وأربعة وعشرون بقرة ،
وعشرون جاموسة . وهذا [هذا] ما يضربه الخليفة ويذبحه بيده من ماضى العيد فى المنصر . ومن الكباش أقام وأربعة مائة" .

(١٤) الفقهى شندى (ج ٣ ص ٥١٥ و ٥١٦) .

١٠ - الأسمطة الأخرى

وكان الاحتفال بالأعياد المختلفة يستلزم إعداد الولائم وتوزيع المأكول والحلوى ، والمببات والعطايا والاحسانات ، وضربها بما جرى توزيعه عادة .

فقد كان يصنع في عيد مولد النبي صلى الله عليه وسلم عشرون قنطارا من الحلوى ، توضع على ثمانية خوان (صيلة) ، وتوزع في الأزهري^(١) . وفي الاحتفال بحرب الخليج كان يقام سماط عظيم في سرادق رحب على شاطئ النيل ، على مقربة من المنطرة المعروفة بمنطرة السكرة التي كان يجلس فيها الخليفة ، وكان يأكل على هذا السماط من يدعوهم الخليفة ومن يقبهم وعدد كبير ممن كانوا يسيرين وراء المركب^(٢) .

ومعها كانت مظاهر أوائل الخلفاء الفاطميين الذين كان لهم ولع خاص بالانفاق في هذا السبيل . وقد نبه خلفاؤهم نهجهم وزادوا عليهم في البذخ حتى انتهى حكمهم ؛ وقد كانت القصد من ذلك العمل على نجاح أعمالهم السياسية والدينية . وأن في اشتراك جماعات كبيرة في الاحتفال بتلك الأعياد ، وفي الأبهة والعظمة التي كانت تنطق عن نفسها في مواكبهم الملكية ولأئمتهم الفخمة ، وهباتهم الوفيرة من الملابس والنفود والطعام التي ينال منها كل الأهلين قريبا ، والجماعات الفقيرة التي كانت تجتمع تحت المنطرة وتترقب التيمن بوجه الخليفة المقدس — إن في هذا كله لدليلا محسوسا على مبلغ نجاحهم في سياستهم .

غير أن ذلك النجاح وما يستلزمه صار عبئا ثقيلا على توالي الأيام ، حتى أدى الى سرعة التحلل خلافتهم وسقوطها ؛ وذلك ما سنبينه في الباب التالي . أما تأثير تلك السياسة فقد كان ظاهريا لم ينفذ الى قلوب الناس ، بدليل أنهم لما زالت العولة الفاطمية ، لم يلبثوا أن رجعوا الى مذهبهم السني القديم .

(١) القفطشى (ج ٣ ص ٥٠٢ و ٥٠٣) .

(٢) فرجه (ج ٣ ص ٥٢٠) .

الباب التاسع

مقوط الفاطميين وامبابه

لما ترك الفاطميون حياتهم الفطرية التي كانت شعارهم في أيامهم الأولى عند ما كانوا يمشون البربر في القيروان ، وانغمسوا في الترف فسكنوا القصور الجميلة بالقاهرة وتمتعوا بكل أنواع اللذات في الحياة ، وظلوا أمور الناس وشئون الدولة الى خدامهم كما فعل قبلهم العباسيون مع مواليتهم . فكان من جراء ذلك أن امتاثر الوزراء بمناصب الخلفاء شيئا فشيئا ، حتى كانوا يلقبون بلقب "ملك" ، بينما كان ساداتهم متروكين في بيوتهم وقد أصبحوا العوبة في يدهم ، كما أصبح خلفاء العباسيين مثلهم في بغداد .

ويع أن سلطة الخليفة المستنصر ٤٢٧-٤٨٧هـ (١٠٣٥-١٠٩٤م) امتدت (في الشطر الأول من عهده) حتى شملت شمال إفريقيا والشام ، لما قام به دعاته الجريثون في الأمبراطورية الإسلامية ، حتى كان اسمه يذاع في خطبة الجمعة في الجوامع بين المحيط الأطلسي والبحر الأحمر ، وفي اليمن والجزائر والموصل ، بل وفي حاضرة العباسيين نحو من ستة - مع هذا كله ، فإن قوة الفاطميين كانت قد أخذت في الانحلال ، وأخذ نجم الخلافة الفاطمية في الأفول .

في سنة ٤٤٣هـ رفض أهالي شمال إفريقيا عقائد المذهب الشيعي ورفضوا نهائيا^(١) ، وتلا ذلك عدم الاعتراف بالخلافة الفاطمية في بلاد العرب لما توفي الصليحي سنة ٤٧٣هـ^(٢) .

ولقد تولى الوزارة بعد وفاة الوزير البازودي سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) أربون وزيراً في مدة تسع سنوات ، مما جعل الحروب العنصرية بين الجنود المرتقة من الإغراك والسودانيين أكثر خطراً وشدة في بعض الأحيان تحت هذا الحكم الضعيف ، وإن كان تقيلاً بدواً لجلال الوزارة قد وضع حداً ، ولو إلى حين ، لهذا الاستبداد العسكري .

(١) ابن ميسر (ص ٦٠)

(٢) ذكر ابن خلكان (ج ١ ص ٤٦٥ ٤٦٦) أن الخليفة أقيمت هناك باسم الخليفة المستنصر سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م) . ومن أراد الاستزادة ، فليرجع الى ابن خلكان (ج ١ ص ٤٦٥-٤٦٧)

وتدلنا المباحث التاريخية على أن السبب الحقيقي في سقوط الدولة الفاطمية إنما يرجع إلى الحروب الصليبية . وسليين الآن أنه بالرغم من انحلال قوة الفاطميين في الشطر الثاني من حكمهم ، فإن الحروب الصليبية قد عجلت بزوال دولتهم العظيمة التي سيطرت ردها من الزمن على جميع الولايات القريبة للدولة العباسية الشاسعة الأرجاء . والكلام في هذا الموضوع مبسوط في كتب كثيرة . فقد أمدنا بكثير من المراجع بعض الكتاب الذين عاشوا في أواخر أيام الفاطميين ، أمثال عمارة البيني (+ ٥٦٩ هـ و ١١٧٤ م) وأسامة بن منقذ (+ ٥٨٤ هـ و ١١٨٨ م) اللذين شهدا ما كان يجري في مصر في هذا العصر ، كما اشتركا في أمور البلاد السياسية والحربية .

وبالرغم مما عسى أن تهم به رواية هذين الكتاتين في هذا الموضوع لما كانا يتمتعان به من تعضيد الوزراء في مصر ، فالتا تميل بناء على ما أهدلتنا إليه مباحثنا ، إلى صدق روايتهما في وصف هذه البلاد قبل زوال الخلافة الفاطمية بقليل .

وهناك كتاب آخرون أمثال وليم الصوري William of Tyre (نسبة إلى صور) المتوفى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) ، وأبي صالح الأرمي المتوفى سنة ٦٠٥ - ٦ (١٢٠٨ م) ، وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م) ، وابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) ، وأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) ، وابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧ هـ (١٢٧٨ م) ، وابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) — وطهم من أعلام التاريخ يؤيدون الرواية السابقة .

١ - حالة مصر منذ عزل رضوان

إلى مقتل ابن السلار

لقد أدى انتشار حكومة الأشراف (الحكومة البيروقراطية) في ذلك العصر إلى تأليف مؤامرات سرية وأحزاب سياسية ، ومهد السبيل لسقوط الدولة الفاطمية التي مزقتها الأقسام ، فوشت في أيدي المغيرين عليها .

ويقول ستانلي لين بول : "إن أول تدخل لنور الدين في شؤون مصر بقوة السيف كان من سعى وزير مخولع" (١). غير أن بداية تدخل نور الدين في أمور مصر يرجع عهده إلى أيام الوزير ابن السلار (رمضان سنة ٥٤٤ - محرم سنة ٥٤٨ و ١١٥٠ - ١١٥٣ م). وكان النزاع المتواصل بين الوزراء المتنافسين والحزبية في الجيش ، سببا في وقوع القلاقل من قبل ذلك في أيام الوزير بهرام الأرمني المسيحي ، الذي كانت تعيينه لكثير من بني جلدته في مناصب الدولة سببا في إثارة كراهة الناس له ، حتى انتهى الأمر بعزله وعزل أهله من الأرمين الذين كانوا يستظلون بحمايته ، وقد قضى بقية أيام حياته راهبا (٢).

وقد خلف بهرام في الوزارة رضوان بن الوثليجي ، وكانت شاعرا وجنديا مقدما ، فقب لأول مرة في العهد الفاطمي لقب "ملك" ، وصار ذلك من ألقاب الوزراء الفاطميين الذين أتوا بعده . غير أن رضوان لم يلبث أن عزل من الوزارة ، ففر إلى الشام ، وهناك طلب إلى زكي أتابك الموصل مساعدته .

كان رضوان ينوي غزو مصر ، ولم يثنه من ذلك إلا أسامة بن منقذ الذي أوفد إليه من القاهرة واسترضاه بثلاثين ألف دينار ، فقبل من ذلك (٣) ، وجاء إلى القاهرة بعد أن أمته الخليفة الحافظ على حياته . ولكن ذلك الخليفة لم يف بمعهده ، فقد حسمه عشر سنوات تمسكن في آخرها من الفرار ، ثم جمع له أنصارا كثيرين واستقر في الجامع الأقمر أمام القصر . غير أن جنود الخليفة السودانية هزموا أنصاره ، وشتتوا شملهم ثم ظفروا به ، فقطعت رأسه كما قطع جسمه لإربا ، والتهمة الجند احتقادا منهم أنهم بذلك يمالطونه في رأسه وشجاعته (٤) .

وبعد يومين من مقتل رضوان توفي الخليفة الحافظ ، فغضب النزاع العنيف بين الجند السوداني والجند التركي ، وولى ابنه الظافر - ومنه ست عشرة سنة - الخلافة من بعده ، وقد عادت المنازعات بين الوزراء المتنافسين في هذا العهد سيرتها الأولى .

وقد ابتدأ هذا الشاب الأرعن حكمه بطرد الوزير ابن السلار - الذي كان يلقب بالملك العادل - وجعل في الوزارة نجم الدين بن مصال الذي كان مكروها من الأهليين ، أما ابن السلار ، فصرعان

Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, p. 80. (١)

(٢) أي صريح (ص ٨٤) .

(٣) أسامة بن منقذ (ص ٢٢٢ و ٢٢٣) .

(٤) شرحه (ص ٢٤) .

ما جمع فرقة من أعوانه المسلمين وسار بهم إلى الجيزة في الرابع عشر من رمضان سنة ٤٤٤ هـ (١١٥٠ م) . وفي اليوم التالي تمكن من الحلول على منافسه في الوزارة — وكان ذلك أسرا مألوفاً في ذلك الحين — وقد فرغ عند ما رأى قهلم ابن السلا، ولم يكن قد مضى عليه في الوزارة أكثر من خمسين يوماً^(١) .

وقد التجأ ابن مصال بعد هزيمته إلى كورة الحوف . وهناك تمكن بما جمعه من أموال الخليفة من حشد قوة كبيرة حوله ؛ ثم استقر في الوجه القبلي ، تتبعه العباس ربيب ابن السلا . وفي مدينة دلاص — الواقعة جنوب الواسطي في الوجه القبلي — التقى الجنندان ؛ فدارت الدائرة على ابن مصال ، وتفرق جنده أيدي سبا ؛ أما هو فقد قتل وجعل رأسه إلى القاهرة . وبهذا استراح ابن السلا من يتافسه ، واعترف الخليفة له بالوزارة مرهما ؛ لكنه ما يرح بعمل على الكيد له لطرده من الوزارة^(٢) .

وقد وصف لنا أسامة إحدى المكائد التي كادها له الخليفة الظافر . من ذلك أن جماعة من خزن الخليفة اختبأوا في دار تجار دار الوزير ، وظلوا حتى انصرف أنصار الوزير في منتصف الليل . غير أن ابن السلا علم بذلك ، وكان معه في داره أسامة بن منقذ ؛ ولتلك فشلت المؤامرة وتشتت جمع المتآمرين^(٣) .

أما ابن السلا فقد أرسل أسامة بن منقذ — وهو مرجعنا في هذا الموضوع — في بعثة إلى الشام ليطلب من نور الدين النور في غزو مدينة طبرية ، فيمنع بذلك غزو الصليبيين مصر ؛ وفي تلك الأثناء يسير الوزير بنفسه إلى غزة وصقلان^(٤) .

وقد كان معنى هذا الرجاء طبعاً هو تدخل نور الدين في شئون مصر ، أو على الأقل إقحامه أن مصر لم تعد قادرة على أن تقف وحدها في وجه الصليبيين ؛ وذلك ما أتاح أخيراً الفرصة لنور الدين لغزو هذه البلاد .

(١) ذكر ذلك أسامة بن منقذ (ص ٦) - أما النجدي (مكتبة برديان باكستون ، مخطوطات (Mss) القسم الشرق رقم ٣٠٤ ، ورقة ١١٠٥) وأبو القدا ، (ج ٣ ص ٢٣) فقد ذكرا أنه لم يكن في الوزارة إلا أربعين يوماً .

(٢) أسامة بن منقذ (ص ٦٥٥)

(٣) (فرع ص ٦)

(٤) (فرع ص ٧)

ثم سافر أسامة إلى الشام وتقابل مع أسد الدين شيركوه في بصرى^(١) ، ومبا محبه إلى دمشق .
أما نور الدين فقد أبى امتشاق الحسام لمحاربة الصليبيين ، فقد كانوا هم وأهل دمشق أعداءه
على السواء ، ورأى أنه يغرب بنفسه إذا دخل في حرب مع أحد الفريقين .

ومع هذا فقد أباح لأسامة أن يجند تحت لوائه أكثر ما يمكن تجنيده من المتطوعين . وقد انضم إليه
ثلاثون من حرس نور الدين وأمير من الأكراد ليشترك نور الدين في ذلك اشتراكاً فعلياً ، فينسب
إليه ما قد يحوزه جند أسامة من نصر . وقد حاصر أسامة عسقلان نحواً من أربعة أشهر يجند كبير
من الغز المرتقة . غير أن قواته اندحرت لعدم ثباتها أمام العدو من جهة ، وإهمال قائده تنفيذ أوامره
من جهة أخرى — كما يقول أسامة نفسه .

وسار أسامة بعد ذلك إلى الجنوب ، ثم جاءت أوامر الوزير ابن السلار فساد إلى القاهرة
من غير أن ينال أى نجاح حربى^(٢) . ومع ذلك فقد كان لطلب أسامة المساعدة من نور الدين
تيجتان :

الأولى — ظهور مصر بمظهر الضعف وعدم قدرتها على صد هجمات الصليبيين ، ومن هنا طمع
نور الدين في الاغارة عليها . غير أن عدم اخلاص السوريين له حمله على تأجيل ذلك حتى تتوطد
أقدامه في سورية ويقوى أمره .

الثانية — أن الصليبيين أصبحوا على علم تام بحال البلاد المصرية .
لهذا كله وقف المتنافسان (نور الدين والصليبيون) بعضهما لبعض بالمرصاد ، وأخذ كل فريق
يراقب حركات الفريق الآخر .

أما عن أحوال مصر الداخلية ، فقد كان ابن السلار الذى تلقب بالملك العادل سيف الدين
(ذلك اللقب الذى يدل على انضوائه تحت لواء المذهب الفاطمى) سنياً مغالياً . وربما كان ذلك سبباً
في تدبير الخليفة الممكك له حتى يخلص من شره . غير أن ما كان لابن السلار من أنصار كثيرين قد
أذن بزوال سلطة الفاطميين الدينية . يضاف إلى هذا أن النزاع الذى كان بين ابن السلار ، وهو كما
صلبنا من غلاة السنيين ، وبين ابن مصالى المغربى الأصل ومن أهالى ألك (قرية قريبة من برقة)

(١) يسمى هذا الاسم موضعان : أحدهما ببلاد الشام ، وهى جاشرة إقليم حوران ، والاخرى من أراضى بغداد

(انظر هذا القيد في معجم البلدان لياقوت) .

(٢) أسامة بن مقذ (ص ٧-١٣)

كان في الحقيقة زماما بين السفين والشيخين . وقد كان ابن السلال يطعم في مساعدة نور الدين ، ذلك الرجل السنّي المتعصب لمذهبه ، لنشر مذهب أهل السنة في مصر بل مذهب الشيعة ، كما دللتنا على ذلك مباحثنا المستفيضة في حياة ابن السلال وأبنا ووزرا .

وكان ابن السلال — كما يقول ابن خلكان — من أصل كردى ، ومن قبيلة الزوزرى^(١) . نشأ في قصر القاهرة وشغل مناصب مختلفة في الوجه القبلى ، وتدرج فيها حتى ولى الوزارة في عهد الخليفة الظافر في رجب سنة ٥٤٣ هـ (نوفمبر — ديسمبر سنة ١١٤٨ م) .

وقد أظهر ابن السلال أخيرا اعتناقه للذهب السنّي ، وصار شافى المذهب (وهو المذهب الذى كان يقبّعه أيضا أسد الدين شيركوه وصلاح الدين) . ولما ولى الاسكندرية بعد وصول الحافظ السكّى الفقيه الشافى في ذى القعدة سنة ٥١١ هـ (مارس سنة ١١١٨ م) ، عامله بكل تجلّة وإكرام ، وأنشأ في سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) مدرسة للشافعية أسند إليه إدارتها^(٢) . وبهذا هيا ابن السلال السبيل لرجوع المذهب السنّي إلى مصر .

وقد اعتمد الخليفة الظافر في الكيد لابن السلال واعتباطه على نصر بن عباس^(٣) ، وهو شاب في سن الخليفة ومن أخص خواصه ، وكان من أمره أخيرا أن قتل الخليفة والوزير معا .

(١) انظر "Notices sur les Ordes," in "Notices et Extraits," Vol. XIII, p. 816.

(٢) ابن خلكان (ج ١ ص ٣٧ و ٤٦٧ و ٤٦٨)

(٣) في سنة ٥٠٢ هـ (١١٠٩ — ١١١٠ م) وصلت إلى مصر ثلاثة زوجة أبي الفتح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس مع والدها أبي الفضل عباس بن أبي الفتح ، وكان طفلا إذ ذاك . وقد تزوجت بآلة ابن السلال ، وأقامت معه ودعا من الزمن . وتزوج عباس ، وولد له ولد اسمه نصرا ، قُربى في كشف جدته في دار ابن السلال الذى جامله برعايته وصطفه العظيم . ولما شب عباس ألقاه ابن السلال إلى الشام ليشارك في حرب الصليبيين ، فصبّه أسامة بن منقذ . ولما وصل إلى بلبيس ليول قيادة الجند ، أظهر لأسامة أنه من مناصرة مصر الجيلة ذات المناخ البديع التى تركها لا لشيء إلا لقتال الأعداء ، كما أظهر له أيضا من حبه الحياة العسكرية .

وبالإنسان أسامة أراه حينئذ أنه في مكته أن يحب كل هذا بقتل ابن السلال ، وبقوله الوزارة بده . وقد اتفق بعد ذلك أسامة وعباس فبا بينهما على أن يقوم نصر بتخليد ذلك المشروع الثانى ، ويمكن نصر من قتل ابن السلال وهو قائم في سريره في ٦ رجب سنة ٥٤٨ هـ (أبريل سنة ١١٥٣ م) — جاء في ابن خلكان (ج ١ ص ٤٦٨) والمقرئى (خطوط ج ٢ ص ٤٤٧) أن جدته نصر بآلة (بالواو) انظر أيضا ابن ميسر (ص ٩٢)

ذكر أسامة (ج ١ ص ١٣) أن نصر عاد إلى القاهرة بعد أيام قليلة من سقوه إلى بلبيس مع والده عباس بدون إذن الوزير ابن السلال ، القى أمره بالرجوع فأتيا إلى الجيش والاشتراك في الفتنة .

وكانت الوزير يعتقد أن نصرا إنما عاد إلى القاهرة سعيًا وراء أهوائه ، لكن الحقيقة أنه أرسل باقحاق أبيه لاعتقال الوزير ، فكان له ما أراد بفضل ما تلقى من تعصيد الخليفة . وقد دخل عباس القاهرة غداة مقتل الوزير وقتل الوزارة ، وخلع عليه الخليفة (شرح ص ١٣ و ١٤) .

٢ - مقتل الخليفة الظافر

لقد صدق ابن بول في قوله "أن مقتل ابن السلار بيد حفيد زوجته نصر، وما تبعه من مقتل الخليفة بنفس هذه اليد الأعمى، يستبر من أخى حوادث التاريخ في مصر". وقص علينا ذلك أسامة بن منقذ، ذلك الرجل العظيم الذي اعتاد الصيد مع رجال بلاط الخليفة، وكان صديقا حميا وضييفا لابن السلار. وكان مع هذا من الذين دبروا أمر اغتياله.

وقد وضع الخليفة الذي تملكه الفرح لمقتل ابن السلار، رأس القتيل في بيت المال، ونفع قاتله بعشرين مائة فيها ٢٠,٠٠٠ دينار، وحرّضه على قتل أبيه بعد ذلك. لكن عباسا استشر الخطر، فأعد العدة ليحم ابنه. وقد كان لتدخل أسامة بين نصر وأبيه أثر في اصلاح ما بينهما، اذ وعد نصر بأن يقتل الخليفة اذنا زاره في داره.

وفي اليوم التالي بينما كان أسامة جالسا في الدهليز، اذ سمع صليل السيوف. ذلك أن صديقه عباسا ذهب الى القصر يصحبه ألف سيف من أتباعه متظاهرين بالاستسوار عن الخليفة. ولما علم عباس بمقتله، أخذ في قتل أخوة الخليفة واتهمهم بأن لم يدا في الجريمة^(١).

أما قتل الخليفة أعالى القاهرة؛ فشبت المارك في طرقات المدينة وأخذ النسوة والأطفال يرجون أتباع الوزير بالحجارة من نوافذ دورهم. ولم يلبث هؤلاء الأعداء أن اُعتقلوا. ولم يكن لباس طائفة بمقاومة سحق الأهلين وثورة انتقامهم، ففر هو وابنه الى سورية^(٢). غير أنه لقي حتفه بغتة في طريقه على يد جماعة من الفرنجية أرسلتهم أخت الخليفة الظافر اثره (ربيع الأول سنة ٥٤٩ و١١٥٤م). أما نصر ابنه فقد باعه الفرنجية في حقلان، وأرسل الى القاهرة (ربيع الأول سنة ٥٥٠) في قفص من حديد. فعذب به نساء البلاط وطيف به في المدينة بعد أن جُدع أنفه وصُلِبت أذناه، وصُلب حيا على باب زويلة، وترك معلقا هناك شهورا كثيرة^(٣)؛ ثم أحرقت جثته في العاشر من المحرم سنة ٥٥١ (١١٥٦م)^(٤).

(١) أسامة بن منقذ (ص ١٦ - ١٨)

(٢) من أراد التعميل فليظر أسامة بن منقذ (ص ١٩ وما يليها).

(٣) أسامة بن منقذ (ص ١٩ - ٢٠)

(٤) ابن خلكان (ج ١ ص ٥٠٠)

ترك الخليفة المقتول طفلاً في الرابعة من عمره ، فدعى له بالخلافة وتلقب بالفائز سنة ٥٤٩ هـ .
وكاد هذا الطفل يموت زرعاً يوم استخلافه . وقد قص نساء القصر شعورهن لما راعهن من قتل
الخليفة حناداً عليه ، ثم أرسلوها الى الأمير طلائع بن رزيك وإلى الأشمونين ، «وفلك
أقصى ما يمكن في التوصل عند المرأة المسماة»^(١) ، وتضرعن إليه أن يحيى تخليصهن .

ولما وصل هذا التوصل إلى رزيك سار إلى القاهرة . ولما قاربها جعل الشعور في رأس رعيه
واستولى على دار المأمون (قصر عباس^(٢)) .

وقد دفن جثمان الخليفة المقتول مع آباءه في وسط مظاهر الحداد العام ، وأخذ الوزير
ابن رزيك في إرجاع الأمن إلى نصابه ومعاينة الجناة ، وقتل القواد المناوئين الذين حل النصار
في أيامهم بالقاهرة سنين كثيرة ، وأعاد عصر سيادة القانون^(٣) .

وكان ابن رزيك — الذي تقب بالملك الصالح — قوى الشكيلة ؛ فكان هو الرجل الذي
تحتاج إليه مصر في ذلك الحين . أما تلك المأساة فقد أنقذت الفاطميين حسبقلان آخر
ممتلكاتهم في فلسطين ، التي استولى الصليبيون عليها . وقد دب التنافس بين الأحزاب في مصر ،
إذ تركت من ضربة حامية بعد عودة عباس على أثر مقتل ابن الصلار . وبذلك سقط في أيدي الصليبيين
آخر حصن للفاطميين في هذه الولاية سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٣ م)^(٤) .

أما الصليبيون فلم يستمروا في سيرهم إلى مصر ، إذ فت في عضلهم وزعنزع ملكهم في بيت
القدس ناء قوى البلاد المتناخمة لها ، وفشل الحملة الصليبية الثانية تحت قيادة كُثراد Conrad
ولويس السابع ، واستخلاف نور الدين على عرش الشام واستقرار أمره في حلب شمالاً ودمشق
شرقا ، وقد تقب ببطل الاسلام وقوى أمره بضم دمشق إليه سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٤ م) ، وكان
في حلف دفاعي مع الصليبيين^(٥)

(١) Lane-Poole: History of Egypt in the Middle Ages, p. 172.

(٢) هذا القصر يناء الوزير المأمون ، ويحول فيما بعد على يد صلاح الدين إلى مدرسة للأخفاف ، وتعرف بالمدرسة
السيوفية .

(٣) ابن ميسر (ص ٩٤) وابن خلكان (ج ١ ص ٢٩٨) وما يتبعها .

(٤) ابن ميسر (ص ٨٦)

اتلر (Prof. Maqsooth: Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 38).

(٥) ابن الأثير (ج ١١ ص ٤٦)

وقد قُتل الوزير طلائع بن رزيك (رمضان سنة ٥٥٦ هـ و ١١٦١) بدمية صهره (زوج ابنته) الخليفة العاضد ، الذي زالت الخلافة الفاطمية في أيامه ، وانتقص هذا الوزير سلطته من أطرانها . وقد كان لقتله حجة في القاهرة . وهنا يجمل أن تأتي بما أمدا به عمارة الخيني ، وكان شاهد عيان لما حدث في مصر في عهد الخليفين الأخيرين من الخلفاء الفاطميين .

لقد نصح ابن رزيك وهو على فراش الموت ابنه أبا شجاع العادل أن يحذر شاور ويتجنب خلع من منصبه . وقد دلت الأيام على أن تلك النصيحة كانت خير ابنه . كانت شاور عربي الأصل ، اتصل بابن رزيك ونال حظوة لديه ؛ فولاه الصعيد ، وغدا مركزه من الخطر بحيث لم يجرؤ ابن رزيك على عزله من منصبه . فلما توفي ابن رزيك خلفه ابنه العادل في الوزارة ؛ غير أنه لم يكد يأتي عليه عام في الوزارة حتى خلع شاور وقتله ابنه طلي بن شاور في ٢٢ المحرم سنة ٥٥٨ هـ (يناير سنة ١١٦٣ م) .

وصار شاور بفعلة هذم غير محبوب من الناس ، مما سهل لانصار سلفه الاجتماع على الكيد له وخلعه من الوزارة . وكان من مظاهر ترقق شاور في سياسته أن أطلق لابنه طلي صنان التدخل في شؤون الدولة . ولم تقتصر أعماله السيئة على بني رزيك ، بل تناول أذنا الأهلين عامة ، فاستأثر شاور بذلك — كما يقول عمارة — بنقض الناس^(١) .

و يقول أبو شامة في عرض كلامه على مقتل العادل بن رزيك ، أن طلي بن شاور هو الذي فعل تلك الفعلة دون رضى أبيه . ويقول ابن أبي طلي^(٢) الذي نقل عنه أبو شامة ذلك : "أشار

(١) عمارة الخيني ، كتاب "فتك المصرية" ، (ص ٨٨)

(٢) اسمه يحيى بن حيدة (أو حامد كما في رواية أخرى) ، ويكنى بأبي أبي طلي . وأصله من حلب ، وتوفي — كما يرى حاجي خليفة (رقم ٢٠٢ و ٢٠٧) — سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ — ١٢٣٣ م) . وكان والده أحد أقران بلدته ، وطرده نور الدين ثوريجه في آراءه على الدين . ومن المحتمل أن يكون قد احتسب العقائد الشيعية التي كان الفاطميون يبدون في نشرها في البلاد السورية ؛ وأما ابنه يحيى فقد احتسب تلك العقائد ؛ فريد هذا كتابه "معجم شعراء الشيعة" و"رسالة في فضائل الأئمة الاثني عشرية" . وقد أتى على مؤلفات ابن أبي طلي في السير والقراريخ حاجي خليفة (رقم ٢٠٢ و ٢٠٧ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و ١٢٥٠ و ١٢٥١ و ١٢٥٢ و ١٢٥٣ و ١٢٥٤ و ١٢٥٥ و ١٢٥٦ و ١٢٥٧ و ١٢٥٨ و ١٢٥٩ و ١٢٦٠ و ١٢٦١ و ١٢٦٢ و ١٢٦٣ و ١٢٦٤ و ١٢٦٥ و ١٢٦٦ و ١٢٦٧ و ١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ١٢٧٠ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤ و ١٢٧٥ و ١٢٧٦ و ١٢٧٧ و ١٢٧٨ و ١٢٧٩ و ١٢٨٠ و ١٢٨١ و ١٢٨٢ و ١٢٨٣ و ١٢٨٤ و ١٢٨٥ و ١٢٨٦ و ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٢٩٢ و ١٢٩٣ و ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ١٢٩٩ و ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٢ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٧ و ١٣٠٨ و ١٣٠٩ و ١٣١٠ و ١٣١١ و ١٣١٢ و ١٣١٣ و ١٣١٤ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥ و ١٣٢٦ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ و ١٣٤٤ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠ و ١٣٥١ و ١٣٥٢ و ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥ و ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٦٠ و ١٣٦١ و ١٣٦٢ و ١٣٦٣ و ١٣٦٤ و ١٣٦٥ و ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ و ١٣٧٠ و ١٣٧١ و ١٣٧٢ و ١٣٧٣ و ١٣٧٤ و ١٣٧٥ و ١٣٧٦ و ١٣٧٧ و ١٣٧٨ و ١٣٧٩ و ١٣٨٠ و ١٣٨١ و ١٣٨٢ و ١٣٨٣ و ١٣٨٤ و ١٣٨٥ و ١٣٨٦ و ١٣٨٧ و ١٣٨٨ و ١٣٨٩ و ١٣٩٠ و ١٣٩١ و ١٣٩٢ و ١٣٩٣ و ١٣٩٤ و ١٣٩٥ و ١٣٩٦ و ١٣٩٧ و ١٣٩٨ و ١٣٩٩ و ١٤٠٠ و ١٤٠١ و ١٤٠٢ و ١٤٠٣ و ١٤٠٤ و ١٤٠٥ و ١٤٠٦ و ١٤٠٧ و ١٤٠٨ و ١٤٠٩ و ١٤١٠ و ١٤١١ و ١٤١٢ و ١٤١٣ و ١٤١٤ و ١٤١٥ و ١٤١٦ و ١٤١٧ و ١٤١٨ و ١٤١٩ و ١٤٢٠ و ١٤٢١ و ١٤٢٢ و ١٤٢٣ و ١٤٢٤ و ١٤٢٥ و ١٤٢٦ و ١٤٢٧ و ١٤٢٨ و ١٤٢٩ و ١٤٣٠ و ١٤٣١ و ١٤٣٢ و ١٤٣٣ و ١٤٣٤ و ١٤٣٥ و ١٤٣٦ و ١٤٣٧ و ١٤٣٨ و ١٤٣٩ و ١٤٤٠ و ١٤٤١ و ١٤٤٢ و ١٤٤٣ و ١٤٤٤ و ١٤٤٥ و ١٤٤٦ و ١٤٤٧ و ١٤٤٨ و ١٤٤٩ و ١٤٥٠ و ١٤٥١ و ١٤٥٢ و ١٤٥٣ و ١٤٥٤ و ١٤٥٥ و ١٤٥٦ و ١٤٥٧ و ١٤٥٨ و ١٤٥٩ و ١٤٦٠ و ١٤٦١ و ١٤٦٢ و ١٤٦٣ و ١٤٦٤ و ١٤٦٥ و ١٤٦٦ و ١٤٦٧ و ١٤٦٨ و ١٤٦٩ و ١٤٧٠ و ١٤٧١ و ١٤٧٢ و ١٤٧٣ و ١٤٧٤ و ١٤٧٥ و ١٤٧٦ و ١٤٧٧ و ١٤٧٨ و ١٤٧٩ و ١٤٨٠ و ١٤٨١ و ١٤٨٢ و ١٤٨٣ و ١٤٨٤ و ١٤٨٥ و ١٤٨٦ و ١٤٨٧ و ١٤٨٨ و ١٤٨٩ و ١٤٩٠ و ١٤٩١ و ١٤٩٢ و ١٤٩٣ و ١٤٩٤ و ١٤٩٥ و ١٤٩٦ و ١٤٩٧ و ١٤٩٨ و ١٤٩٩ و ١٥٠٠ و ١٥٠١ و ١٥٠٢ و ١٥٠٣ و ١٥٠٤ و ١٥٠٥ و ١٥٠٦ و ١٥٠٧ و ١٥٠٨ و ١٥٠٩ و ١٥١٠ و ١٥١١ و ١٥١٢ و ١٥١٣ و ١٥١٤ و ١٥١٥ و ١٥١٦ و

بعض أقارب العادل بن رزيك بالتخلص من شاور بعزله ؛ فأبى الوزير ذلك بادئ الأمر ؛ ولكنه عزله أخيرا . فثار عليه ومعه قومه من الأعراب وأهل الصعيد ، تمكن من دخول القاهرة . ثم طرد العادل بن رزيك المدينة واختفى ؛ ولكنه لم يلبث أن قبض عليه جماعة من الأعراب وحملوه الى شاور^{١١} .

وهرب بعد ذلك سائر أسرة ابن رزيك خارج البلاد ؛ وبذلك انفرد شاور بالسلطة المطلقة . بيد أن أفاعيل أولاده مع الأهلين جعلته مكروها عندهم ، حتى أن ضرغام أمين الباب وأمير البرقية (فرقة من الجند من رقة) وأخاه ملهيا ، وهما من خواص طلاب بن رزيك ، تفاوضا مع العادل — وكان محبوسا في ذلك الوقت — في أن يثير ثورة عليهم يتكئون من أرجاءه للوزارة .

ولما اتصل ذلك بطي بن شاور ، حذر أباه حواقب تلك المؤامرة ونصح له بأن يقتل ابن رزيك . فغضب شاور وتذكر ما ناله من حطف طلاب بن رزيك ، فلم ينح ل رأي ابنه .

ذهب طي بن شاور بعد ذلك الى السجن وقتل العادل بن رزيك ، بغلب لنفسه بذلك مخطط أبيه . ولما علم ضرغام أمين الباب وأمير البرقية بهذا الحادث ، أشعل نار الثورة وهزم جند شاور . ففر شاور الى سورية ؛ وبعد فراره قُتل ولده طي وضرغام . أما ابنه الثالث الكامل ، فقد كانت له يد على ملهم أنى ضرغام أمين الباب ، فلم يقتله ، بل أقصر على اعتقاله . وبهذا انتهت وزارة شاور الأولى وحل محله فيها ضرغام ، وذلك في رمضان سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م)^(١١) .

وقد تمخل نور الدين والفريجة بتدخلهما في شئون مصر منذ ذلك الحين . وكان من اغارة هاتين القوتين على مصر وسياسة شاور المزعزعة ، وأسراف ضرغام في قتل قواد مصر — كان من هذه الأحوال مجتمعة ما عجل بسقوط الدولة الفاطمية .

وقد هرب شاور في رمضان من هذا العام الى نور الدين بدمشق وطلب منه النجدة ، وأراه أنه على استعداد لأن يقوم بنفقات الحملة وأن يتزل له إذا تم له الأمر عن ثلث خراج مصر جزية

(١١) أبو شاه : مجموعة تواريخ الحروب الصليبية (ج ٤ ص ١٦٥) .

Recueil des Histoires des Croisés. Historiens orientaux, Tome IV, p. 165

التكت المصرية (ص ٦٧ و ٧٨) ، وابن الأثير (ج ١١ ص ١١٧) .

ستوية^(١) . وكان نور الدين يعلم ما لمصر من المركز السياسي الخصاص ، بمعنى أن من يملكها يمكنه أن يسيطر على غيرها من البلاد ، وأنها معين خصب للفراج .

وهنا قد يكون لين پول مصيبا في ظنه ، وهو أن عدم ثقة نور الدين بشاور ، وتحوفه من الأخطار التي تستهدف لها حملته في اجتيازها الصحراء ومرورها على الصليبيين — كل ذلك جملة يتردد في هذا المشروع . غير أني أميل إلى الظن بأن لين پول تسرع في حكمه ، فاستند عدم ثقة نور الدين بشاور إلى أشياء جلت بعد ، وذلك لعدم فهمه عبارة ابن الأثير (ج ١١ ص ١٢٠) هذه : "وتحوف أن شاور أن استقرت قاعدته ، ربما لا يفي" ، لأنه لم يكن قد ظهر بعد ترعرع أخلاق شاور في الوقت الذي كان يحاول الانسحاق مع هاتين القوتين الأجنبيةتين .

وقد أورد لنا ابن شداد (ص ٤٣) وأبو شامة (ص ١٠٧-١٠٨) وابن خلكان (ج ٢ ص ٤٩٩) وفيهم الأسباب التي جعلت نور الدين يصمم على إرسال هذه الحملة إلى مصر ، هذه الأسباب التي يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولا — رغبته في إجابة شاور إلى طلبه ، وقد تضرع إليه ورغب في الاستعانة به .
ثانيا — شغفه بالأحلام على حقيقة الحال في مصر ، وقد اتصل به أن قواتها الحربية كانت ضعيفة جدا ، وأنها كانت في حالة اضطراب شديد .

٣ — حملة شيركوه الأولى على مصر

هكذا سجلت الحوادث تدخل نور الدين . وذلك أن ضرفام اختطف مع عموري في الجزيرة الستوية التي كان يدغمها إليه : فسار ملك بيت المقدس الجليلي (عموري) إلى مصر سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٣ م) ليعرض عليها الجزيرة كرها . ولحققت الهزيمة المنكرة بضرفام في بليس ، فأراد أن يتجنب

(١) ابن الأثير (ج ١١ ص ١٢١) .

ذكر ابن الأثير عن ابن أبي طيٍّ من جهة أخرى ، أن شاور أرسل إلى شيركوه ثلاثين ألف دينار ، وطلب منه أن يعود إلى الشام . غير أن شيركوه أجابه باتباعه لصلوات نور الدين ، بأنه يجب أن يسلط على تلك الجزر ، وأن يفتح الثكنان على جيش شاور ، ويخصص الثلث الأخير لفقتات القصر . فأنكر شاور اقتضاه على ذلك مع نور الدين ، وذكر له أنه إنما اتفقا على أن يساعده نور الدين ، ثم ترجع الجنود السورية إلى بلادها متى صارت له السلطة ؛ فألح شيركوه في ضرورة تنفيذ أوامر نور الدين ؛ فكان من أثر ذلك أن أمر شاور بإغلاق أبواب القاهرة ، وبدأ في مقاومة الفرنجة (أيوبيين) ، شرعه من ١٢٦٠) .

الجزية النهائية . فأوحى له قصر نظره وغياوته فتح سفود الليل - وكان في إبان فيضانه - فأغرق البلاد . على أنه قد تم له ما أراد من رجوع عموري الى فلسطين .

وعلم ضرغام بالمفاوضات التي دارت بين شاور ونور الدين ؛ فأدرك خطأ في عدم اتفائه مع عموري ، وسارع بمقد حلف معه ، وزاد فيه مقدار الجزية . وسرطان ما ظهر نور الدين في ساحة القتال حين اتصل به ذلك . وقبل أن يتمكن عموري من المسير الى مصر (بحمدى الثانية سنة ٥٥٩ ، أبريل سنة ١١٦٤ م) ، سار شاور اليها مع جند قوى من التركات من دمشق يقوده أسد الدين شيركوه ، وكان صلاح الدين قائد المقدمة . والتقى ذلك الجند مع المصريين في بليس ؛ فانهمز المصريون ، غير أنهم لموا شعهم ثانية واجتمعوا تحت أسوار القاهرة^(١) .

واستمرت الحرب حيا لالين القريتين عدة أيام ، تمكن شاور في أثنائها من الاستيلاء على القسطنطينية ، بينما كان ضرغام يحتل القصر في القاهرة . وأراد ضرغام أن يجمع الأموال ؛ فوضع يده على أموال الأوقاف ، فأخذ الناس ينفضون عنه . وقد امتنع الخليفة والجيش عن مؤازرته ، فتلهو حتى رأى رابكا مخترقا باب زويلة سائرا في طرقات القاهرة يدعو الناس للثورة ونصرة دعوته ، فلم يلق منهم الا صياح الاستهزاء وترويده باللعنات . وقد استمر في سيره حتى جفل حصانه من صياح الناس ، فالتقاء على الأرض في جوار ضريح السيدة فقيصة .

وسرطان ما قطعت رأس ضرغام وطيف بها في الطرقات وسط مظاهر الفرح بهذا النصر^(٢) . وهنا يقول لين پول : "هكذا كانت النهاية المخرقة لذلك السيد الشجاع المقدم ، والشاعر البطل الحسن الخلق والخلق ، الكامل العقل ، الجامع محاسن الرجال ، الذي كانت فارس عصره ، وأحسن من نبيل القوس في مصر"^(٣) .

وقد أدرك شاور غرضه ؛ فعلى الوزارة ، وتوطدت أقدامه وأضحت قوته ثابتة الأساس . ولوثوقه بقوة مكانته وأنه قد أمن ما كان يخوفه ، خان عهده مع أسد الدين شيركوه ، وهزأ بمخالفه ولم يف بمأطه عليه ، وأبى دفع ما فرضه على نفسه من جزية ؛ ومد له الفرجة يد المساعدة

(١) عمارة ، الكت (ص ٦٨ وما يتبعها) ، ابن الأثير (ج ١١ ص ١٢٠ و ١٢١) ، Lane-Poole: History of Egypt in the Middle Ages, p. 177

(٢) الكت (ص ٧٣)

(٣) Stanley Lane-Poole: Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, p. 82 (٢٣)

حين طلب شاور إليهم ذلك ، فحاصروا شيركوه في بليس وحملوه على العودة يمينه إلى الشام (دو الحجة سنة ٥٥٩ هـ نوفمبر سنة ١١٦٤ م) . واتهم نور الدين ذهاب عموري إلى مصر فهزم قواته في فلسطين ، فاضطر إلى العودة لحماية بلاده^(١) .

ولكن شيركوه لم يفشل تماماً في حملته على مصر ، إذ عرف ما كان يسود هذه البلاد من الفوضى ، فأطمعته ذلك في امتلاكها . لذلك بقي في الشام مدة بعد العودة في تجهيز حملة ثانية أصلاً في تأسيس أمبراطورية لنفسه ، واستمر حتى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) يدبر الخطة بالاشتراك مع نور الدين^(٢) .

٤ - حملة شيركوه الثانية على مصر

لقد ظهرت أهواء شاور المضطربة وسياسته الخرقاء واضحة جلية في غضون وزارته الثانية . ويؤخذ من قول عمارة أن شاور لم يلبث أن ظهر فلقه واضطرابه بعد أن استرد قوته واستقر في مركزه . وفي اليوم التالي من وصوله القاهرة ، سار شيركوه إلى بليس حين علم بخيانة شاور له ، وهزم الجيوش المصرية .

ابتدأ نجم شاور في الأول في هذا الحين بسرعة ؛ ففرح أخوه صبح جرحاً بليغاً ، وحاصر الفرنجة بليس ، وأرغموا نور الدين على العودة من فلسطين إلى الشام ، ولم يلبثوا أن عادواهم أيضاً إلى فلسطين .

ولم تكن حالة مصر الداخلية بأقل اضطراباً ؛ فقد كان لزاماً على شاور أن يجمع ثورة يحيى بن الخياط أحد أنصار ابن رزيك^(٣) (عمارة ص ٦٧) ، الذي قام يطلب الوزارة لنفسه ؛ وعلى ذلك الاضطرابات التي أثارها بنو لؤي ومن لف لفهم من العرب . وأدى من هذا كله ما بلغه من إعداد نور الدين الحملة لغزو مصر مرة أخرى^(٤) .

(١) ابن شداد (ص ٤٣)

(٢) شرحه .

(٣) فتح شجاع بن شاور (حياة عمارة ص ٣٤٨) .

(٤) عمارة (ص ٦٧ و ٧٨ - ٧٨) .

طلب شاور مساعدة القرنجية ثانية ووصلهم موطننا ثابتا في مصر ، فأرسل نور الدين جيشا إلى هذه البلاد تحت قيادة شيركوه ، إذ رأى أن اتفاق شاور مع القرنجية من شأنه أن يكسبهم قوة في مصر ، وذلك بعد معركة في الشام . وغادر جيش شيركوه الشام في ربيع الأول سنة ٨٥٧٢ هـ (ديسمبر — يناير ١١٦٦ — ١١٦٧ م) ؛ ووافق ووصلهم إلى مصر وصول القرنجية ، كما يخبرنا بذلك عمارة وابن شداد وغيرهما من المؤرخين . وكان القرنجية — كما ذكر أبو شامة عن ابن أبي طي — قد أحلوا شاور بسر الحملة السورية تحت قيادة شيركوه إلى مصر^(١) .

سار الجيشان بحذاء شاطئ النيل حتى وصلا إلى القاهرة . فحضر عمروى مرادقه قريبا من القسطنطين ، وصكر شيركوه في مواجهته تماما بالجيزة ؛ ووقعت موقعة عنيفة بين جيش شيركوه من جهة ، وجيوش شاور والمصريين الذين اتحدوا مع القرنجية من جهة أخرى . والتقى الفريقان ثانيا في موقعة البابين ، على بعد عشرة أميال في جنوب المنيا ؛ فحضر شيركوه بقوة القليلة نصرا مبيتا ، وبذلك توطدت أقدامه في الصعيد . غير أنه لم يكن من القوة بحيث يمكنه أن يتابع انتصاراته ويسير إلى القاهرة ؛ فاختار أهون الأمور ، وذهب في الصحراء شمالا حتى وصل إلى الاسكندرية فدخلها من غير مقاومة .

أقام شيركوه بعد ذلك صلاح الدين واليا على الاسكندرية ، وجعل معه نصف الجيش ، وماد بالنصف الآخر إلى الجنوب ، وأخذ يبيح الأموال في الصعيد . أما قوى القرنجية والمصريين المتحدون فقد حاصرت الاسكندرية برا ، بينما كان أسطول الصليبيين يحاصرها بحرا . ولم يكن مع صلاح الدين لصده هؤلاء إلا ألف من أنصاره ؛ فأسرع شيركوه السير إليه ، واصطلح الفريقان آخر الأمر على أن يترك شيركوه مصر في مقابل خمسين ألف دينار .

عاد شيركوه إلى الشام ، لأن جيشه — كما يقول ابن شداد — قد ضعف كثيرا في حربه مع القرنجية والمصريين . هنا إلى ما انتابه من البؤس وما حاق به من الأخطار^(٢) . إلا أن شيركوه صار ملما أكثر من قبل بأحوال مصر الداخلية ، ولذلك صمم كل التصميم على امتلاكها قبل أن تقع فريسة في أيدي القرنجية .

(١) أبو شامة : *Reconquête des Croisés*, tom. IV, p. 108.

(٢) ابن شداد (ص ٤٤ و ٤٥) .

٥ - حملة شيركوه الثالثة على مصر

هكذا انتهت حملة الفرنجة والنز على مصر . وقد ارتد الأولون إلى فلسطين والآخرون إلى الشام ، وبذلك زالت مخاوف شاور . غير أن الأيام أظهرت أن أمته هذا لم يكن إلا حلما من الأحلام . فقد ابتدأت حملة شيركوه الثالثة على مصر وانتهت بانتصاره على الفرنجة والمصريين واحتلاله البلاد ، وكان ذلك - كما يذكر عمارة^(١) - تذكيرا بانحدار شاور وقطله .

لقد كان سبب حملة شيركوه الثالثة ما رآه من جمع الفرنجة قواتهم كافة وزحفهم بها على مصر من جديد ، إذ قد حلهم الأمل في امتلاك مصر على قرض ما عاهدوا المصريين وشيركوه عليه . لهذا خشي نورالدين أن تقع البلاد في أيديهم ، فأرسل هذه الحملة تحت قيادة شيركوه ، يصحبه أخواه ، وابن أخيه صلاح الدين العظيم ، وضيهم من ذوى قرباه وجيوشه^(٢) .

وقد تجلّت سياسة شاور المتقلبة ثانيا ، فقد أرسل لأسد الدين شيركوه كتابا يطلب فيه المساعدة . وصانف هذا الرجاء قبولاً من نفس شيركوه ، لأن الصلح مع شاور معناه هزيمة الفرنجة من جهة ، وتخلصه من شاور من جهة أخرى .

سار الفرنجة نحو مصر ، ووصلوا إلى بليس في صفر سنة ٥٦٤ (نوفمبر سنة ١١٦٨ م) . وهناك كانت منجبة عامة ، إذ لم يبقوا - كما يقول المؤرخ اللاتيني وليم الصوري William of Tyre - صل أحد من كان بهذه المدينة من الناس على اختلافهم شيئا وشيئا ، ذكرانا وإنا^(٣) . وقد أسخط عمل عموري هذا جميع المصريين ، فانحازوا إلى شيركوه ، كما بحث فيهم روح البطولة ، وأمر شاور بإحراق مدينة القسطنطين ، حتى يكون ذلك حائلا بينه وبين الفرنجة . وقد استمرت الثيران بها أربعين يوما ، ولا تزال آثار الحريق باقية إلى يومنا هذا في التلال الرملية التي تغطي القمامة المدفونة في القضاة

(١) التكت المصرية (ص ٨١) .

(٢) ابن شداد (ص ٤٦٥) .

(٣) ذكر أبو شامة (ص ١٣٧) ما فعله الفرنجة في حارة أقل مبالغة فقال ، أن عموري قتل حدا كبيرا من الأميين ، وأغلب معظم المدينة ، وأحرق أكثر ما فيها ، وجعل الناس فيها فرجين : قتل أحدا بعد السيد ، واستبق الآخرين فحرقه على ما أتاه من نصر .

المتحدة عدة أميال جنوبي القاهرة . وأسرع الناس بعد هذا لاثنين بالقاهرة التي ساد أهلها الخماس استعدادا لصيد هجوم الفرنجة^(١) .

غير أن الفرنجة لم يهاجموا القاهرة ، وذلك بفضل ما أبداه شاور من الخلق في مقاضاته معهم كي يبعد عمورى عن مصر يئذ مقدار من المال له . لكن سياسته معهم لم يكن يسودها الاخلاص ، فقد راسل نور الدين في دمشق يطلب منه المعونة . وقد كتب الخليفة العاضد الشاب نفسه بذلك إلى نور الدين ، ووضع في رسالته خلاصا من شعور النساء إيمانا في الضراعة ، حتى لا يسمعه أن يرد توسله بعد ذلك^(٢) .

وكان نور الدين قد صمم في هذه الآونة على غزو مصر ، وكان يود أن ينهب بنفسه ، لولا أنه كان مشتغل البال بمحالة بلاد الجزيرة المزعزعة . فأرسل في الحال قوة من ألفين اختارهم من حرسه الخاص وستة آلاف من التركان بقيادة شيركوه ، بينهم عدد كبير من الأمراء ومن أقاربه ، وكذا صلاح الدين ، وكان يدعوه إلى ، الذى قبل تلك المهمة على مضض لما لاقاه من المصاعب في حصار الاسكندرية^(٣) .

رحل شيركوه في آخر صفر من السنة نفسها ، ووصل القاهرة في السابع من جمادى الثانية . وكان عمورى لا يزال أمام أسوارها ينتظر أكثر مما تاله من الأموال المصرية . فباذته شيركوه وانضم إلى المصريين متجنباً جيش الفرنجة ، وقد سار إليه ليحول دون تقدمه . أما عمورى الذى خذعه شاور ، والذى رأى تفوق شيركوه عليه في الحرب ، فقد طرد إلى فلسطين من غير حرب ولا قتال . ودخل شيركوه القاهرة دخول المنتصر ، ورأى الناس فيه بطلا متقدماً لهم ، فقابلوه بالترحاب ، واستقبله الخليفة الذى قد صنيعه وطمع عليه^(٤) .

(١) ابن الأثير (ج ١١ ص ١٣٦) ، أبرشاة (ص ١١٥) .

(٢) شرحه .

ان مراد اللهى (مكتبة يوردليان باكسفورد ، مخطوطات Leese . القسم الشرقى ، رقم ٣٠٥ ، ورقة ١٣٥ — ١٣٥ ب) يحفظ عما رواه ابن الأثير وابن شداد . فقد روى القسبي أن شاور هو الذى كاتب نور الدين وأرسل إليه شيئا من شعور النساء في خطابه ، كما روى أن تآمر نور الدين كان خطيا ، حتى إنه جعل شيركوه يقطع المسافة بين حصن وحلب في ليلة واحدة ، في جند يبلغ سبعين ألفا ساربه إلى مصر . وهناك عبارة اللهى : "وكاتب شاور في غضون ذلك الملك العادل نور الدين يستنجد به ، وسود كتابه ، ورسل في طيه ذوات النساء داخل كتبه يستنجد به . وكان يحلب ، فساق أسد الدين من حصن إلى حلب في ليلة ، فجمع أسد الدين وسار إلى دمشق ... ثم سار إلى مصر في جيش عرمرم ، فقبل كانوا سبعين ألف فارس ورجال" .

(٣) ابن الأثير (ج ١١ ص ١٣٦) .

(٤) شرحه (ص ١٣٦ و ١٣٧) .

٦ - مقتل شاور وتقلد شيركوه الوزارة

لم يكن الغرض الحقيقي من حملة شيركوه الثالثة على مصر مساعدة شاور ، بل كان ذلك تمويها . وفي الواقع أن الغرض الذي اضطر تحت هذه الحملة يتخلف عن ذلك اختلافا تاما ، إذ كان يراد بها القضاء على شاور واحتلال مصر . وقد كان شاور وشيركوه يملكان ذلك حق العلم ، كما كان كل منهما يعرف أيضا أن خصمه يكيد له كي يتخلص منه .

وقد صدق ابن خلكان فيما ذهب إليه من أن شيركوه كان واقفا من أن الفرصة باستلاك مصر لن تاح له ما بقي شاور فيها . لذلك قرر أخيرا أن يقبض عليه في إحدى زياراته له ، واضطلع صلاح الدين بتنفيذ هذه المكيده . فذهب راكبا جواده ، حيث لقي شاور وهو مقبل عليه يدعوه إلى وليمة دبر فيها أسر أضياله ، فأمسك بطوقه ، وقاده إلى فسطاط منزل ، وقطع رأسه بأمر من الخليفة الذي ولي شيركوه الوزارة في ١٧ ربيع الثاني سنة ٥٦٤ (١٨ يناير سنة ١١٦٩) وخلع عليه ، فظل فيها حتى مات في ٢٢ جمادى الثانية من السنة نفسها (٢٣ مارس سنة ١١٦٩)^(١) .

بهذا انتهى أول فصل من فصول مأساة سقوط الخلافة الفاطمية في مصر . وقد أصاب عمارة إذ يقول : " ولم يرب أحد من الوزراء المصريين رجال الدولة مثل ما رباهم الصالح بن رزيق ، ولا أفنى أحياتهم مثل ضربهم ، ولا أطفأ أموالهم مثل آل شاور . وشاور هو الذي أطمع الفرنجة والنز في الدولة حتى انتقلت عن أهلها " ^(٢) .

الآن يجدر بنا أن نبين كيف كان من سياسة نور الدين قطع الخطبة للخليفة الفاطمي ، وكيف سقطت الدولة بعد ذلك على يد صلاح الدين .

(١) ابن شداد (ص ٤٧ و ٤٨) ، وابن خلكان (ج ٢ ص ٥٠١ و ٥٠٢) .

ذكر أبو شامة (ص ١٤٥) أن صلاح الدين قه هراقى قل شاور . وذكر القمي (مكتبة بوديان بكافورود ، خطوطات مصححة ، القسم الشرق رقم ٣٠٤ ، ورقة ١٣٥) أن شيركوه ولي الوزارة قبل مقتل شاور .

(٢) حمارة : الكتك (ص ٨٨) .

٧ - صلاح الدين وسقوط الفاطميين

لقد مهدت الأحوال والحوادث المأساة الطريق لسقوط الفاطميين قبل أن يلى صلاح الدين الوزارة خلفا لعمه. وقد أصبحت البلاد من الضعف بحيث لم تعد تقوى على صد الغزوات الأجنبية ، لما سادها من الأحوال السيئة دهرًا طويلا ، وما مُنيت به من التطاحن الحزبي والمنافسات بين الوزراء المصريين ، حتى غدت في مركز يشابه مركزها حين فتحها الفاطميون على يد جوهر القائد .

وقد أيدت وفاة شريكه مركز صلاح الدين ، فابتدأت منذ ذلك عظمته . فقد وطد العزم في هذه الآونة على تأسيس إمبراطورية واسعة الأرجاء . ولكي يصل الى غايته ، خصص كل مجهوداته لطرده الصليبيين من البلاد . وفي ذلك يقول صلاح الدين : " لما يسراقلى فتح الديار المصرية ، علمت أنه أراد فتح الساحل " (فلسطين) ^(١) . وقد كان لتجاهه في هذا المشروع ما جعله يقبّ بحامى الاسلام .

ولم يجعل صلاح الدين الى تقوية مركزه في مصر ، بل عمل على توطيده تدريجيا ؛ كي لا يفقد ثقة المصريين ولا يثير حسد نور الدين . وكانت هذه هى السياسة الحازمة التى كان لزاما عليه أن ينتهجها . وقد أراد اضعاف حزب الخليفة ، فعزل أولا على اكتساب ثقة الأهلين ؛ وكان له من كرمه — كما يقول ابن شداد — ما أكسبه قلوبهم وما جعل الناس من كل الأرجاء يسارعون الى طاعته . ولم ينجب رجاء قاصده له ، وبذلك نجح في اكتساب محبة الشعب ^(٢) . وأسند مهام الدولة الى أناس من أنصاره ، وما تقيء يعمل على اضعاف نفوذ الخليفة .

وكان رجال القصر من جند وأتباع لا يخفون صلحهم لصلاح الدين ، والخليفة يعلم حق العلم أنه ولئى الوزارة أمانة لا سيدا مستحلا برأيه . لذلك قامت المكائد على قدم وساق للقضاء على هذا الوزير الجديد . وقد ترأس المؤامرة عليه "نجاح" كبير الخصيان السود . وكان من تدبيرهم أن يصلحوا ذات اليل بينهم وبين القرنبة ، فيجئ هؤلاء لغزو مصر ، فاذا ما خرج لهم

(١) ابن شداد (ص ٤٨ و ٤٩)

(٢) شرحه (ص ٤٩) .

صلاح الدين ، هاجمه المتآمرون من مؤخرته ؛ وبذلك يقع بين تارين ، يُقضى عليه وملى جنده من التركان .

وقد علم صلاح الدين بما دبره أعداؤه له ؛ فأمر بمراقبة كبير الخبسيان ، وقبض عليه وقُطعت رأسه (ذو القعدة سنة ٥٦٤ ، بوليه سنة ١١٦٩) كما قتل كثير من بني جلده . فأثار ذلك حق جند الخليفة ، وكان أكثرهم من السوڤانيين ، فثار منهم محسون ألفا للأخذ بثاره . واشتبكوا مع جند صلاح الدين في معركة عنيفة في المكان المعروف بين القصرين ، أحرق فيها كثير من المنازل والشوارع . ودارت الدائرة أخيراً على السوڤانيين ، وأحرق جهم المعروف بالمنصورة ، وطردوا الى الجليزية عن طريق النيل ، ومنها الى الصعيد حيث استمروا في ثورتهم مدة سنوات ، الى أن قُضى عليهم نهائياً سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م)^(١) .

(١) غزو الفرنجة مصر

ولما توطدت أقدام صلاح الدين في مصر ، شرع يرسل الحملات ضد الفرنجة . فبعث فرقاً لغزو ولايتي الكرك والشوبك وضمهما مما أثار مخاوف الفرنجة . ولا غرو فقد كانت ذلك نذيراً بنهاب سلطانهم في فلسطين .

واتحد الفرنجة مع البيزنطيين وساروا بحراً الى مصر ، قتلوا أولاداً لمقرية من دمياط . وقذف بهم جماعة منهم في ذلك الوقت ، فاستولوا في ربيع الثاني سنة ٥٦٥ (١١٦٩ - ١١٧٠ م) على قصر عكا ، وكان يحتمه خُطّانغ نائباً عن نور الدين ، وكان لقبه " علم دار " (أى دار السلطان) . ولما علم نور الدين بمسير الفرنجة الى دمياط ، أسرع بمحاصر الكرك (شبان سنة ٥٦٥ هـ ، ١١٧٠ م)^(٢) .

(١) ابن شداد (ص ٥٢) ، وابن الأثير (ج ١١ ص ١٣٩ و ١٤٠) . ذكر ذلك التاريخ القمي (مكتبة بوديان باسكفورد ، خطوط I. ١٥٤٤ ، القسم الشرق رقم ٣٠٤ ، ورقة ١٤٦ أ) عن سبط بن الجوزي ، الذى أمداً بمعلومات عن ثورة السوڤانيين تحت قيادة زعيمهم الكُكُز ، الذى ثار في الصعيد سنة ٥٧٢ هـ ، ثم سار الى القاهرة لاربعاء الخلافة الفاطمية ؛ فقتل القتال بينهم وبين الأيوبيين ، وانتهى بهزيمة السوڤانيين . وقد قُتل زعيمهم ونحو من ثمانين ألفاً معه في الحرب ، وبذلك ضاعت آمالهم في استرجاع خلافة الفاطميين . وفيما على نص عبارة القمي : " وفيها (سنة ٥٧٢ هـ) كانت وفاة الكُكُز مقدم السوڤان بالصعيد ، جمع خلقاً خلقاً وساروا الى القاهرة ليبيدوا الدولة قتل الكُكُز ، وقتل خلق كثير من جموعه ، حتى قيل انه قتل منهم ثمانون ألفاً . هكذا قال أبو القلندر فزغل " .

ذكر ابن خلكان (ج ٢ ص ٥١٠) وأبو القلندر (ج ٣ ص ٥٩) أن ذلك كان في ٧ مفرسة ٥٧٠

(٢) ابن شداد (ص ٥٠) .

أما صلاح الدين الذي كانت له السلطة المطلقة حينذاك ، فقد اعد جيوشه وملأ دمياط بالخناثر ، ووعده بإرسال المدد الى المدينة ليخلص أهلها مما حاق بهم من هلع ، ووزع عليهم الهدايا والهبات .

وقد نجح نور الدين في احتلاله جزئيا من مملكة النصارى في فلسطين ، وأرسل الأمداد الى صلاح الدين الذي كان يعضده الخليفة العاضد أيضا طول مدة الحصار الذي استمر نحسين يوما ، وأمدته بنحو مليون دينار . وقد جعلت هذه الأمور اغارات الفرنجة صديمة الجلودى ، فاضطروا لرفع الحصار (١١) بعد أن أحرقت مراكبهم ، واستولى المصريون على آلاتهم الحربية وقتلوا عددا عظيما من رجالهم (١٢) .

وبعد انتصار صلاح الدين على الفرنجة ، طلب من نور الدين أن يرسل اليه أباه وأقاربه ، فكان له ما أراد ، ووصلت أسرته في جادى الثانية ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) (١٣) . بقى أباه على بيت المال ، وعضده إخوته باخلاص ، وأقطعهم أملاك المصريين الذين فاقموا الى حيث لا يمكنهم أن يشوروا ضده (١٤) .

(ب) غزو صلاح الدين مملكة الفرنجة في فلسطين

كان فشل الفرنجة في غزوهم دمياط — ذلك الفشل الذى يتمثل فيه ابن الأمير بالمثل المشهور عن النعامه وهو : "نرجعت النعامه تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين" — مشجعا لصلاح الدين على أن يبدأ حياة الفتح بغزوه في دارهم ، وبذلك بدأت سلسلة الاغارات التى لم تنته إلا بمعاهدة الصلح مع ريتشارد ملك إنجلترا بعد اثنين وعشرين سنة .

وقد اعتبر المصريون الشيعة والتركمان السنيون صلاح الدين حاميا لهم ، فاتفقوا معه على عارية الفرنجة أعدائهم جميعا . وشجعهم على ذلك ما شاهدوه في القاهرة من

(١١) ابن الأثير (ج ١١ ص ١٤٢) .

(١٢) ابن شداد (ص ٥٢) .

(١٣) ذكر القس (مكتبة يردليان بكسفورد ، مخطوطات لود ، القسم الشرقى ، رقم ٣٠٤ ، ورقة ١٣٧ ب) أن الخليفة العاضد استقبل بنفسه نجم الدين وأمه صلاح الدين خارج القاهرة . وفى ذلك يقول : "وفى سنة خمس وستين ونسبائة ، دخل نجم الدين أيوب مصر ، فخرج العاضد الى لقاءه .

(١٤) ابن شداد (ص ٥٢) .

الأصلا ب التي غنمها صلاح الدين ^(١) . ولما استقرت سلطة صلاح الدين على أساس متين واتفاق تام بينه وبين المصريين ، أسند المناصب الدينية في مصر إلى الفقهاء المتضلعين في المذهب السني .

(ج) حذف اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة . وفاة العاضد وسقوط الفاطميين

إن ما ذكره ابن الأثير عن سقوط الخلافة الفاطمية وإحلال نفوذ العباسيين محلها في الحرم سنة ٥٩٧ هـ (١١٧١ م) يعتبر مرجعا لما سذكروه عن الخطوات التي اتخذها صلاح الدين لإبراز هذا الانقلاب إلى حيز العمل .

توطدت سلطة صلاح الدين في مصر في ذلك الحين ؛ وانضوى تحت لوائه كل رجالات الدولة ، وسقطت إلى الحضيض سلطة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين ، وأزال من الجيش بعض العناصر التي لم يكن يتفق بأخلاصها . فكان لنور الدين — وهو من غلاء السنة — أن يرغب في إحلال اسم الخليفة العباسي في الخطبة محل الخليفة الفاطمي .

غير أن صلاح الدين تردد في تنفيذ رغبة نور الدين ، لما كان يخشاه من أن يثير هذا العمل ثورة أهالي مصر ، الذين كانوا لا يزالون متعلقين بالفاطميين إلى ذلك الحين . بيد أن هذا العذر لم يرض نور الدين ؛ فكتب إلى صلاح الدين يأمره أمرا لامتصاص لوائه من تنفيذه ^(٢) .

وكان الخليفة العاضد مريضا في ذلك الوقت . فقد صلاح الدين مجلسا من الأمراء واستشارهم في ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة بدل الخليفة الفاطمي . فوافقوه بعضهم وأخفوا على عاقبتهم تعصيده ، ورأى الآخرون خطورة هذا الاقتراح ، غير أن أوامر نور الدين لم تكن بالتي لا تطاع .

وكان في هذا المجلس رجل فارسي يعرف بالأخير ، حل بمصر منذ عهد قريب ؛ فلما رأى ترددهم ، اصترم أن يتولى بنفسه هذا الأمر . فصعد المنبر قبل الخطيب في أول جمعة من الحرم ، ودعا للسنن . العباسي . ولم يمتج أحد على ذلك ، أمر صلاح الدين في الجمعة التالية الخطباء أن يخطبوا باسم

(١) ابن الأثير (ج ١١ ص ١٤٧) .

(٢) شرحه (ج ١ ص ١٤٨ و ١٤٩) .

الخليفة العباسي . وهكذا تم ذلك التغيير بدون أن يلقى أية مقاومة . وفي ذلك يقول ابن الأثير :
 "فلم يتطلع فيها صقران" (١).

لم يخبر العاضد - وكان مريضاً جداً - أحد من أسرته بذلك الحدث وقالوا : "إن عوفي فهو يعلم ، وأن توفي فلا ينبغي أن نخبره بمثل هذه الحادثة قبل موته" . وتوفي في العاشر من المحرم من دون أن يعلم بهذا التغيير العظيم الذي تم ، فجلس صلاح الدين للرزاء ، واستولى على القصر وما احتواه .

وكان صلاح الدين قد أقام قبل وفاة العاضد الطواشي بهاء الدين قراقوش (٢) على القصر ، وأسكن أولاد العاضد وأعمامه وسائر أسرته في جناح منه . أما الموالى من الذكور والإناث فقد أخرجوا من القصر ، وأعطى صلاح الدين بعضهم وأعطى البعض لأتباعه وباع الآخرين .

هكذا سقطت الدولة الفاطمية بموت العاضد ، بعد أن حكمت مصر عصراً طويلاً كان عصر يسر وخطه ، وتسامح ديني وثقافة ، لم تتمتع به مصر من قبل . وإن زوال الدولة الفاطمية الشيعية على يد الأيوبيين السنيين الغلاة ، وإرجاع الخطية الخليفة العباسي ، بعد أن قطعت في مصر كسائر الولايات الفاطمية الأخرى مدة قرنين وثمانين سنوات تقريباً - هو انتصار السنة على الشيعة .

(١) ابن الأثير (ج ١١ ص ١٤٩) .

(٢) متى قراقوش بالغة التركية طائر أسود . وقد تولى بهاء الدين إنشاء عدة من الآثار فخرت معالم القاهرة ، مثل قلعة الجبل ، وقنطرة الجيزة ، وسور القاهرة العظيم . ولما انتزع صلاح الدين حكمه سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) حبه وإياله عليها في السنة التالية . وقد أمر لما استولى عليها القرين في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) ؛ لكنه انتهى نفسه بمبلغ كبير ، ثم عاش في القاهرة حتى توفي سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠١ م) .

انظر عبد الحفيظ الجنادي (طبعة ديساسي ص ١٧١ و ١٧٢ و ٢٠٧ و ٢١٣) ، (طبعة أكسفورد سنة ١٨٠٠ ص ٨٨ و ٩٠) ، وابن الأثير (طبعة القاهرة ص ١٤٨ و ١٤٩) ، وابن شداد (مؤرخو المغرب السلطانية الشرقيون) (Histories orientales des croisés) ج ٣ ص ١٢٠ و ١٣٥ و ١٧٦ و ١٨٣ و ٢٢١ و ٢٣٩ و ٣٠٤ و ٣١٧ و ٣٥٥ و ٣٥٦) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦) ، وابن الأثير (ج ٢ ص ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨) .
 Dorenbourg : Vis d'Ousama, pp. 422, 423, n. 1 و

هذا وينبغي ألا نغفل بين اسم بهاء الدين قراقوش وشرف الدين قراقوش الأيوبي ، الذي خدم الملك المنصور في الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وكانت حياته سلسلة مغامرات وغلاظ ومغامرات ومناجح وصب وذهب ؛ وبذلك ألفت أعماله في قلب الناس الملح الذي لا تزال ذكراه باقية إلى اليوم .

انظر : Dorenbourg : Vis d'Ousama, p. 450, n. 4

الباب العاشر

الخاتمة

مقدار نجاح أعمال الفاطميين السياسية والدينية

يحمل بنا في هذه الخاتمة أن نبين بإيجاز نتائج ما تصدينا لبحثه ، من الوقوف على الأغراض والنظم التي سادت أعمال الفاطميين .

إن فكرة الرحمة التي أدخلها ابن سبأ في الاسلام كان لها شأن عظيم في تاريخ الشيعة الإمامية والاسماعيلية . ذلك أن السبعية — الذين كثيرا ما يرفون بالاسماعيلية — كانوا يعتقدون أن امامهم محمد بن اسماعيل سبيح كالامام المهدي . وهذه هي العقيدة التي أذاعها أبو عبد الله الشيعي أثناء بث دعوته بين البربر .

لقد غلا الاسماعيليون الى حد بعيد في اعتقادهم بسلطة الامام الروحية ، حتى أنهم ذهبوا الى أن الله قد تجسم في شخص على رضى الله عنه وأولاده من بعده ، وذلك رغم انكار على وأولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وانكار معظم المسلمين الذين كانوا من رعايا الفاطميين . وإذا تتبعنا تاريخ الفاطميين وصلنا الى هذه النتيجة وهي : أن دعوتهم هذه إنما كانت تمخض الدين وسيلة لنجاح أغراضهم السياسية .

ولما استقر حكم الفاطميين في شمال افريقية ، فكروا في امتلاك مصر ، اذ رأوا فيها مكانا صالحا لنشر دعوتهم . فقد كان استيلاؤهم عليها يمناه بسط نفوذهم على الشام والحجاز — وكانت تحت حكم مصر — ثم تهديد بغداد نفسها . يضاف الى هذا أن الحالة الداخلية في مصر ، وفي الدولة العباسية التي كانت هدفا للغارات من الشرق ومن اليزنطين في الغرب ، جعلت فتح مصر أمرا ميسورا . ولم يكن اختيار الفاطميين أولا شمال افريقية إلا لبعده عن حاضرة الدولة العباسية ، وليلبرر الى خلق طاعة الأغالية ، ولضعف هذه الدولة الحالية نفسها .

فُتح الفاطميون مصر ، وأخذوا في نشر أغراضهم الدينية . ولم يذنبوا وسعا — منذ استقرت سلطتهم في هذه البلاد — في بث العقائد الاسماعيلية ، حتى أبطلت الخطبة للعباسيين واعترف سلطان الفاطميين ، لا في الخطبة والسكة فحسب ، بل في كافة الأمور الحربية والدينية والمدنية ، وصارت الأحكام تصدر وفق المنهج الاسماعيلي ، وأصبحت الأعمال الحكومية تدار تدريجيا بالأيدي الشيعية ، كما نشطوا في ابقاء المساجد لنشر التعاليم الفاطمية .

كذلك كان من أعمال الفاطميين تأسيس دور الكتب لنشر عقائد مذهبهم وشجيع البحوث في العقائد الاسماعيلية ؛ فأسسوا مجعاً علمياً (أكاديمية) . وكانت المكاتب التي بالقصر ودار العلم بالقاهرة تنفوق في هذه الآونة نظيراتها في بغداد وقرطبة ؛ وأصبح القصر في القاهرة مركزاً للدعوة الفاطمية التي كان يقوم بها داعى البهجة ومساعدوه تحت إشراف الخليفة .

ولم يجهل الفاطميون ما كان للشعراء ورجال الأدب من الأثر في نشر العقائد الاسماعيلية . فقد كان من سياستهم تشجيع الشعراء والأدباء بالمهبات والوافرة والطلع والأعطيات ، كي يشيدوا بذكر هذه الأسرة ويكونوا السنة ناطقة بقوة الفاطميين وعظمتهم ، فيكتسبوا بذلك محبة رعاياهم .

لقد كانت سياسة الفاطميين في جعل مصر دون بلاد المغرب مركزاً لأعمالهم سياسة زشيدة . فقد مكنتهم مصر من كسب ولاء الحكام في كثير من البلاد الاسلامية المختلفة ، كالجزيرة والجزائر والموصل وبلاد ما وراء النهر ، كما أمكنهم بثرة مصر أن يقيموا لأفهمهم حضارة عظيمة ، وأن يكسبوا كثيراً من الأنصار في مصر وغيرها . ولم يكن غرض دعاية الفاطميين ، معتمدين على السيف آناً ومستغلين مطامع الولاة العباسيين آناً آخر ، بأقل أهمية مما قام به غيرهم .

ويظهر أن مصر والشام (إذا استثنينا مدينة حلب) لم تخلا في طاعة الفاطميين الا بقوة السيف ، رغم ما بذله دعاتهم للاعتراف بالمهدى وخلفائه من بعده ، وأنهم الأئمة حقا . ولم تكن تسقط دولتهم حتى عادوا جميعاً الى المنهج السني .

كذلك نرى أنه قد زال نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب — وهي مهد الدولة الفاطمية — لما تجلج للناس انحلال دولتهم ، وأضحى النفوذ الفاطمي في اليمن والموصل والجزائر وبلاد ما وراء النهر وبغداد روحياً فقط ، وصار لا يمثل الا في السكة والخطبة . وكان لهذه السلطة — رغم ضآلتها — قيمة أدبية عظيمة .

يضاف الى ما تقدم ما كان من اعتراف جماعة من رجالات الدولة العباسية بسطة الفاطميين (انظر الباب الثاني) . وفي نجاح البساسيري وقتا ما في تحويل الخطبة من الخليفة العباسي القائم الى المستنصر الفاطمي دليل واضح لذلك . غير ان البساسيري كان يعمل عن بواعث شخصية حين ساعد الملاقة بينه وبين الخليفة العباسي وبعض رجالات بغداد . وعلى كل فقد أقام الخطبة الخليفة الفاطمي في حاضرة العباسيين ، وأدخل في الأذان عبارة "سبح على خير العمل" التي كانت من شعار الفاطميين .

هكذا حاول الفاطميون تأسيس سلطانهم السياسي والديني ، أو أحدهما على الأقل اذا لم يستطيعوا أن يصلوا اليهما معا ، وذلك بالدعاية تارة وبهوة السيف وبذل المال واستغلال مطامع الأفراد تارة أخرى . وقد نجحوا على توالي الأزمان في بسط نفوذهم على شمال افريقية وصقلية ، ومصر والشام وآسيا الصغرى ، وعلى سواحل البحر الأحمر ، كما اعترف بسلطانهم أيضا أئمة اليمن ، وأهراء الموصل وبلاد ما وراء النهر ، ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، بل وبغداد حاضرة العباسيين .

نجح الفاطميون في تأسيس امبراطورية شامسة الأرجاء وحضارة باهرة لم يعرفها الشرق من قبل الا نادرا : تلك الحضارة التي اشتهرت بنظمها الادارية المحكمة ، وفنونها وجيوشها وأساطيلها ، وعدالة عاكها وتسامحها الديني . وأهم من هذا كله ما حُرِفَت به من تشجيع العلم والثقافة .

ولا تزال بعض آثار هذه الحضارة المنظمة باقية الى الآن . فقد خلفوا لمصر تراثا هاما هو الجامعة الأزهرية . ويمكننا أن نهدر المجهودات التي بذلها الفاطميون في أيامهم من نظم التعليم التي ظلت في الأزهر حتى الآن .

حقا لقد فقدت هذه الجامعة الى وقت ما شيئا من أهميتها بسقوط الفاطميين . ولا غرو فقد عني الأيوبيون - وهم السديون الثلاثة - بتخريب ما تركه الفاطميون من آثار لتعلم عقائد الشيعة الفاطمية . وقد مضى على الأزهر نحو من قرن قبل ان يسترد شيئا من عطف الحكومة ورجالات الدولة .

ولما جاء الظاهر بيبرس زاد فيه وشغف بما يدرس هناك من العلوم ، وأعاد اليه الخطبة . ومن هذا الحين ابتدأ الأزهر يدخل في عهد جديد من التقدم والرقى ، حتى صار الطلاب يهرعون اليه الى يومنا هذا من كل أرجاء العالم الاسلامي لاتمام دراساتهم .

أما العلوم التي تدرس في الأزهر ونظم التعليم فيه ، فمن الممكن أن نقول إنها بقيت ههنا كما كانت عليه في عهد الفاطميين . فقد كان يدرس فيه التوحيد والفقه واللغة العربية والرياضة والمنطق والشعر والبيان والطب وغيرها من العلوم ، كما يتنا ذلك أثناء الكلام عن التعاليم الفاطمية في الأزهر وفي مكتبة دار العلم ودار الحكمة . ومع أننا لا نعلم إلا القليل عن نظم التعليم وأكثر المواد التي ذكرناها آنفا ، فما لا شك فيه أن الفاطميين كانوا أول من أدخل ذلك في الأزهر .

أما من الناحية الدينية ، فقد أثار ادعائهم أنهم يتصفون بالصفات الإلهية ، سخط رعاياهم السنيين الذين اعتبروهم لهذا مارقين من الدين . أما بذخهم وامرأهم في الاحتفال بالأعياد الدينية وغيرها ، وولائمهم الفاخرة ، وأعطياتهم وهباتهم وما إلى ذلك ، فلم ينجح إلا في التأثير في الجماهير الذين يهرتهم هذه المظاهر الخلابية ، والقليل من الناس الذين أقادوا لأنفسهم فوائد مادية من ورائهم .

وطالما كانت تتورثرة السنيين إذا ما أراد الفاطميون أن يلزموهم باعتناق عقائدهم البغيضة لهم . لأن هذه العقائد قلما صادفت هوى في القلوب . ومع هذا نرى بعض السنيين قد اعتنقوا تلك العقائد ، إما لمصالح خاصة أو فرارا من حق الفاطميين وحقهم .

وبعد ، فقد كان من بين السوامل التي أسرعت في سقوط الفاطميين ، أقسامُ الإسماعيليين أنفسهم إلى فرق وأحزاب ، كما أن لظهور هذه الفرق الإسماعيلية — كالدروز والحشاشين — أثرًا سيئًا في الحضارة الإسلامية وتقدمها .

مصادر الكتاب

نورد في التبت الآتي المشتمل على مصادر هذا الكتاب مصادر أخرى لم يرد لها ذكر من قبل ؛
وقد رتبته أسماء المؤلفين في جميعها حسب أحرف الهجاء :

- (١) ابن الأثير (+ ٦٣٠ هـ و ١٢٣٨ م) : على بن أحمد بن أبي الكرم .
(أ) " الكامل في التاريخ " ١٢ جزء (يولاق سنة ١٢٧٤ هـ) .
(ب) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ أجزاء (القاهرة سنة ١٢٨٠ هـ) .
- (٢) الإدريسي (+ ٦٤٩ هـ و ١٢٥١ م) : محمد بن عبد العزيز الشريف القاهري .
(أ) " كتاب نزهة المشتاق في ذكر الأوصاف والأقطار والبلدان " وهو مختصر لكتاب الإدريسي " نزهة المشتاق " (روما سنة ١٥٩٢ م) .
(ب) " Mappae Arabicon. Arabische Welt und Länderkarten des 9-13 Jahrhunderts, in Arabischer Urschrift, lateinischer Transkription, und Übertragung in neuzeitliche Kartenskizzen. Mit einleitenden Texten, herausgegeben von Konrad Miller (Stuttgart, 1926). "
- (٣) أرنولد : المرحوم السير توماس و .
Arnold : Prof. Sir Thomas W.
(1) " The Preaching of Islam ", 2nd ed, (London, 1913)
(2) " The Caliphate " (Oxford, 1924).
- (٤) أسامة بن منقذ (+ ٥٨٤ هـ و ١١٨٨ م) : أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الملقب بمؤيد الدولة نجم الدين .
(أ) " كتاب الاعتبار " أو " حياة أسامة " .
Première Partie, ed. by Hartwig Dorenbourg (Paris, 1889).
- (ب) " Anthologie de textes arabes, inédits par Ousâma et sur Ousâma ", ed. (ب)
by H. Dorenbourg (Paris, 1893).
- (٥) الأصبهاني (+ ٣٥٦ هـ و ٩٦٧ م) : أبو الفرج .
(أ) " كتاب الأغانى " ٢١ جزءا (القاهرة سنة ١٢٨٥ هـ) .

(٦) ابن أبي أصيبعة (+ ٦٦٧ هـ و ١٢٧٠ م) : أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة موفق الدين .

”كتاب عيون الأنباء في أخبار الأطباء“ جزيان (القاهرة سنة ١٢٩٩ — ١٣٠٠ هـ) .

(٧) أوتيفيا (+ ٣٢٨ هـ و ٩٤٠ م) : يحيى بن سعيد .

”التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق“ (بيروت سنة ١٩٠٩) .

(٨) أوليري : دي ليسي

O'Leary, de Lacy, "A Short History of the Fatimid Khalifate, (London, 1923).

(٩) ابن لياس (+ ٩٣٠ هـ و ١٥٢٣ م) : أبو البركات محمد بن أحمد .

”كتاب تاريخ مصر“ المعروف ”بينائع الزهور“ ٣ أجزاء (بلاط ١٣١١ — ١٣١٢ هـ) .

(١٠) بدیع الزمان (+ ٣٩٨ هـ و ١٠٠٧ — ١٠٠٨ م) : أحمد بن محمد المعروف ببديع الزمان الهمناني .

”رسائل الهمناني“ (بيروت سنة ١٨٩٠ م) .

(١١) بروكلمان : كارل .

Brockelmann, Carl.

Geschichte der Arabischer Litteratur, 3 vols. (Weimar, 1898-1902).

(١٢) براون : إدوارد ج .

Browne : Edward G.

(1) Literary History of Persia—from the Earliest Times until Firdawsi (London, 1909).

(2) Literary History of Persia—from Firdawsi to Sa'di (London, 1906).

(3) Persian Literature under Tartar Dominion (1265-1502 A.D.) (Cambridge, 1920).

(١٣) ابن بطوطة (+ ٧٧٩ هـ و ١٣٧٧ م) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله .

”تحفة النظار في غرائب الأمصار“ ٤ أجزاء ، طبعه وترجمه إلى الفرنسية ديفريري

(Defrémery) وبسانجيتي (Sanguinetti) (باريس ١٨٥٣ — ١٨٥٨ و ١٨٦٩ — ١٨٧٩ م) .

(١٤) البغدادى (+ ٤٢٩ هـ و ١٠٣٧ م) : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر .

”الفرق بين الفرق“ (القاهرة ١٣٢٨ هـ و ١٩١٠ م) .

(١٥) البكري (٤٨٧ هـ و ١٠٩٧ م) : أبو عبيد الله بن عبد العزيز .

«كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» طبعة دي سلاين (De Slane) ، الطبعة الثانية (باريس سنة ١٩١١) .

(١٦) البيهقي (٤٤٠ هـ و ١٠٤٨ م) : أبو الريحان محمد بن أحمد .

«الآثار الباقية عن القرون الخالية» ، طبعة إدوارد سخالو (Edward Sachau) (لندن سنة ١٨٧٩) .

(١٧) التتويحي (٣٨٤ هـ و ٩٩٤ م) : أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم .

«تنوار الحاضرة وأخبار المذاكرة» ، النسخة العربية (القاهرة سنة ١٩١٨ — ١٩٢١) ، وترجمه إلى الإنجليزية الأستاذ مرجوليوت (Prof. D. S. Margoliouth) (لندن سنة ١٩٢٢) .

(١٨) الثعالي (٤٢٩ هـ و ١٠٣٧ م) : أبو منصور عبد الملك .

«قيمة الدهر» (٤ أجزاء ١٣٠٤ هـ) (دمشق سنة ١٣٠٤ هـ) .

(١٩) جيون : أدوارد .

Gibbon : Edward.

«The History of the Decline and Fall of the Roman Empire», 7 vols ed. by Prof. J. B. Bury.

(٢٠) ابن جبير (٦١٤ هـ و ١٢١٧ م) : أبو الحسن محمد بن أحمد الكاظمي .

«رحلة ابن جبير» ، طبعة و. رايت (W. Wright) (لندن سنة ١٨٥٢ م) .

(٢١) ابن الجوزي (٦٥٤ هـ و ١٢٥٧ م) : أبو المظفر بن قزويني سبط بن الجوزي .

«مرآة الزمان» ، وهو مخطوط :

(أ) بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٥٠٥ و ١٥٠٦ .

(ب) والمكتبة الملكية بالقاهرة تحت رقم ٥٥١ .

(ج) ومكتبة بودليان (Bodleian) بأكسفورد، مجموعة بوكوك (Pocock, Oxford, Or. ٣٧٠) .

(٢٢) جولد زهر : أ .

Goldziher : Ignaz.

«Vorlesungen über den Islam», 2nd ed. (Heidelberg, 1910), translated into French by Felix Arin (Paris, 1920).

(٢٣) جويار : ص .

Guyard, S.

Fragments relatifs à la Doctrine des Ismaélis (Paris, 1874).

(٢٤) حاجي خليفة (+ ١٠٦٧ هـ و ١٦٥٧ م) : مصطفى المسمى كاتب شلي .

”كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون“ .

طبع النسخة العربية وترجمها الى الألمانية ج . فلوجل G. Flügel (ليسك ولندن

١٨٣٥ — ١٨٥٨) .

(٢٥) ابن حجر العسقلاني (+ ٨٥٣ هـ و ١٤٤٩ م) : شهاب الدين بن علي .

(١) ”الإصابة في تمييز الصحابة“ .

طبعة سبرينجر (Sprenger) وغيره (كلكتا سنة ١٨٥٦ — ١٨٧٣) .

(ب) ”رفع الإصر عن قضاة مصر“ .

(مخطوط بالمكتبة الملكية بالقاهرة تحت رقم ٢١١٥) .

(٢٦) ابن خزم (٤٥٦ هـ و ١٠٦٤ م) : أبو محمد علي بن أحمد .

”التفصيل في الملل والأهواء والنحل“ .

٣ أجزاء (القاهرة سنة ١٣١٧ هـ) .

(٢٧) ابن خلدون (+ ٨٠٨ هـ و ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م) : عبد الرحمن بن محمد .

(أ) مقدمة ابن خلدون (بيروت سنة ١٩٠٠) .

(ب) ”المعبر وديوان المبتدا والخبر“ ٧ أجزاء (القاهرة سنة ١٢٨٤ هـ) .

(٢٨) ابن خلكان (+ ٦٨١ هـ و ١٢٨١ م) : شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن

أبي بكر الشافعي .

”وثائق الأعيان“ جزيان (بولاغ سنة ١٢٨٣ هـ) ، ترجمه الى الانجليزية دى سلين De Slane

(باريس ١٨٤٢ — ١٨٤٨) .

(٢٩) الخوارزمي (+ ٣٨٣ هـ و ٩٩٣ م) : أبو بكر محمد بن العباس .

”رسائل الخوارزمي“ (القسطنطينية سنة ١٢٩٧ هـ) .

(٣٠) ابن دُقَسَاق (+ ٨٠٩ هـ ١٤٠٦ - ١٤٠٧ م) : إبراهيم بن محمد المصري .
" الانتصار لواسطة عقد الأمصار " .

لم يظهر منه الا الجزآن الرابع والخامس (القاهرة ١٣٠٩ هـ و ١٨٩٣ م) .

(٣١) دوزى : ر . ب . أ .

Dosy : R. P. A.

(1) Dictionnaire des Noms des Vêtements chez les Arabes (Amsterdam, 1845).

(2) Supplément aux Dictionnaires Arabes, 2 vols. (Leyden, 1881).

(3) Histoire des Musulmans d'Espagne (Leyden, 1861).

(٣٢) ابن أبي دينار (+ ١١١٠ هـ ١٦٩٨ م) : محمد بن أبي القاسم بن عمر القرواني .
" كتاب المونس في أخبار إفريقية وتونس " .

تونس سنة ١٢٨٦ هـ) .

(٣٣) اللبَّيْزُورِي (+ ٢٨٢ هـ ٨٩٥ م) : أحمد بن داود أبو حنيفة .

" الأخبار الطوال " جزآن ، طبعه ج . كراتشوفسكى J. Kratochovsky (لينن
سنة ١٨٩٣) .

(٣٤) ديسو : ريفي .

Dussaud, René,

" Histoire et Religion des Nossairis " (Paris, 1900).

(٣٥) النحوي (+ ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ - ١٣٤٨) : شمس الدين محمد بن أحمد .

" تاريخ الاسلام " ، وهو مخطوط :

(أ) بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٥٨١

(ب) والمكتبة الملكية بالقاهرة تحت رقم ٤٢ (تاريخ) .

(ج) ومكتبة بودليان بأكسفورد (Bodleian, Lond., Or., 304)

(٣٦) الرُّضِّي (+ ٤٠٦ هـ ١٠١٥ م) : الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب .

" ديوان الشريف الرضي " (بيروت سنة ١٣٠٧ هـ) .

(٣٧) رافيس : بول

Ravnisse, Paul

"Essai sur l'histoire, la Topographie du Caire d'après Makrisi, Memoires publiés par les membres de la Mission Archéologique française au Caire", Tome III. (Paris, 1887).

(٣٨) "وسائل الحاكم بأمر الله".

كتبها كثير من الدولة الفاطمية في سنة ٤٠٨ هـ . وهي مخطوطة بالمكتبة الملكية بالقاهرة تحت رقم ٢٠ (مذهب الشيعة) .

(٣٩) ابن زولاق (+ ٣٨٧ هـ ٩٩٧ م) : أبو عبد الحسن بن إبراهيم .

"تخلف فضائل مصر وأخبارها وخواصها" .

(مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٨١٧) .

(٤٠) دى سامى : س .

De Saoy : Silvestre,

- (1) Exposé de la Religion des Druzes.....précédé d'une Introduction et de la Vie du Khalife Hakim—Bismr—allah", 2 vols. (Paris, 1838).
- (2) "Crestomathie Arabe", 3 vols., 2nd ed. (Paris, 1836-1837).

(٤١) ابن سعد (+ ٢٣٠ هـ ٨٤٥ م) : محمد بن سعد كاتب الواقدي .

"كتاب الطبقات الكبير" طبعة إدوارد سخاو (Edward Sachau) ، ٨ أجزاء (لندن سنة ١٣٢٥ هـ) .

(٤٢) ابن سعيد (+ ٦٧٣ هـ ١٢٧٥ م) : علي بن موسى المغربي .

"كتاب المغرب في حلى المغرب" (لندن سنة ١٨٩٨ - ١٨٩٩ م) .

(٤٣) السمعاني (+ ٥٦٢ هـ ١١٦٦ - ١١٦٧ م) : القاضي أبو سعيد عبد الكريم .
"كتاب الأنساب" .

Gibb Memorial Series, No. XX. (London, 1912).

(٤٤) السيوطي (+ ٩١١ هـ ١٥٠٥ م) : عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين .

- (١) "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" جزآن ، (القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ) ترجمه الى الانجليزية الميجره . س . جاريت Major H. S. Jarrott (كلكتا سنة ١٨٨١ م) .
- (ب) "تفسير الجلالين" ، ٨ أجزاء في ٤ مجلدات .

(٤٥) الشافعى (+ ٣٨٨ هـ ٩٩٨ م) : أبو الحسن علي بن محمد .

”كتاب الديارات“ (Berlin, Wa. 1100)

(٤٦) أبو شامة (+ ٦٦٥ هـ ١٢٦٧ - ١٢٦٨ م) : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم

ابن عثمان شهاب الدين الملقب بأبي شامة ، شافعى من أهلى دمشق .

”كتاب الروضتين فى أخبار السلاطين“ .

Recueil des Histoires des Croisades, Historiens Orientaux, Tome IV; another edition, 2 vols. (Cairo, 1287 A. H.)

(٤٧) أبو شجاع (+ ٤٨٨ هـ ١٠٩٥ م) : محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير

الدين أبو شجاع الرؤندارى .

”ذيل كتاب تجارب الأمم“ .

طبعة ه . ف . أملروز (H. F. Amedroz) وترجمه الى الانجليزية الأستاذ مارجوليوت

(Prof. D. S. Margoliouth) (أكسفورد سنة ١٩٢١)

(٤٨) ابن شداد (+ ٦٣٢ هـ ١٢٣٤ م) : القاضى بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم .

”النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية“ .

(Recueil des Histoires des Croisades, Historiens Orientaux, Tome III).

(٤٩) الشهرستانى (+ ٥٤٨ هـ ١١٥٣ م) : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم .

”الملل والنحل“ ه أجزاء (القاهرة سنة ١٣١٧ هـ) .

(٥٠) أبو صالح (+ ٦٠٥ - ٦٠٦ هـ ١٢٠٨ م) : الأرمنى .

”تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى“ المعروف بكتاب كائن وأديرة مصر .

طبعة وترجمة إرفنس (B. T. A. Evetts) (أكسفورد سنة ١٨٩٥ م) .

(٥١) الطبرى (+ ٣١٠ هـ ٩٢٢ م) : أبو جعفر محمد بن جرير .

”تاريخ الأمم والملوك“ :

طبعة دى غويه (De Goeje) ، Series (B) ٧ أجزاء (لندن سنة ١٨٨١ - ١٨٨٣ م)

(٥٢) الطوسى (+ ٤٦٠ هـ ١٠٦٧ - ١٠٦٨ م) : محمد بن الحسن .

”فهرست كتب الشيعة“ (كلكتا سنة ١٨٥٥ م) .

- (٥٣) طيفور (+ ٢٨٠ هـ و ٨٩٣ — ٨٩٤ م) : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر .
 "تاريخ بغداد" الجزء السادس ، طبعة هـ . كثر (H. Keller) ، (لايسك سنة ١٩٠٨ م) .
- (٥٤) ابن عبد ربّه (+ ٣٤٩ هـ و ٩٤٠ م) : شهاب الدين أحمد .
 "العقد الفريد" ٣ أجزاء (يولاق سنة ١٢٩٣ هـ) .
- (٥٥) عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩ هـ و ١٢٣١ م) : موفق الدين عبد اللطيف .
 (١) "مختصر تاريخ مصر" Ed. by J. White (Oxford, 1800)
 Relation de l'Egypte, translated with historical notes by De Saacy (٢)
 (Paris, 1810).
- (٥٦) عريب بن سعد (+ ٣٦٦ هـ و ٩٧٦ — ٩٧٧ م) : القرطبي .
 "صلة تاريخ الطبري" ، طبعة دي غويه De Goeje (لندن سنة ١٨٩٧ م) .
- (٥٧) ابن صاكر (+ ٥٧١ هـ و ١١٧٥ م) : الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن .
 "التاريخ الكبير" ٥ أجزاء (دمشق سنة ١٣٢٩ — ١٣٣٢ هـ) ، ويوجد منه مخطوط بالمكتبة
 الأهلية بباريس تحت رقم ٢١٣٧ .
- (٥٨) علي مبارك باشا :
 "المخطط التوفيقية" ٢٠ جزءا . (يولاق سنة ١٣٠٦ هـ) .
- (٥٩) عماد الدين الأصفهاني (+ ٥٩٧ هـ و ١٢٠١ م) : أبو عبد الله محمد بن أبي الرّعاء .
 "تحريفة القصر وجريرة مصر" (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٣٣٣٦ — ٣٣٣١) .
- (٦٠) عمارة اليمني (+ ٥٦٩ هـ و ١١٧٤ م) : أبو الحسن نجم الدين اليمني .
 (١) "كاتب النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية" طبعة هارتوج ديرنبورج
 (Hartwig Derenbourg) (باريس سنة ١٨٩٧ م) .
- Tome Second (a) partie arabe. Poésies, Épîtres (Tarassulât), Biogra- (٢)
 phies, Notices en arabe par 'Oumâra et sur 'Oumâra. (Paris, 1909).
- De Goeje, M. J. دى غويه : م ج .
 Mémoire sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides (Leyden, 1886).
- Vasil, Ev., A.A. فاسيل إف :
 Cambridge Medieval History, Vol. IV.
- (٦٣) أبو الفدا (+ ٧٣٢ هـ و ١٣٣١ م) : اسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماة .
 المختصر في أخبار البشر ٤ أجزاء (القسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ) .

- (٦٤) أبو الفرج الملقب (+ ٦٨٥ هـ و ١٢٨٦ م) : جريحوى المسمى بار هيريس .
”مختصر الدول“ ٣ أجزاء (أكسفورد سنة ١٦٧٣ م) .
- (٦٥) فريد ليتنر : إسرائيل .
Friedländer, Israël.
”The Heterodoxies of the Shi'ites in the Presentation of Ibn Hazm”,
Journal of the American Oriental Society, vols. 28 and 29 (New
Haven, 1907 and 1909).
- (٦٦) فان فلوتن : ج .
Vloten, J. van.
”Recherches sur La Domination Arabe, Le Chritisme et les Croyances
Messianiques, sous le Khalifat des Omayyades.” (Amsterdam, 1894).
- (٦٧) القضاعى (+ ٤٥٤ هـ و ١٠٦٢ م) : القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن خضر
الشافعى المذهب .
- (٦٨) القفطى (+ ٦٤٦ هـ و ١٢٤٨ م) : جمال الدين طي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الوهاب .
”إخبار العلماء بأخبار الحكماء“ (لايسك ١٣٣٠ هـ ١٩٠٣ م) .
- (٦٩) ابن القلانسى (+ ٥٥٥ و ١١٦٠ م) : أبو يعل حمزة .
”تاريخ ابن القلانسى“ المسمى ”ذيل تاريخ دمشق“ مصحوب بشذرات من تواريخ
ابن الفارق وسبط بن الجوزى والنهجي (بيروت سنة ١٩٠٨ م) .
- (٧٠) القلقشندى (+ ٨٢١ هـ و ١٤١٨ م) : أبو العباس أحمد .
”صبح الأعشى فى صناعة الانشا“ ١٤ جزءاً (القاهرة سنة ١٩١٣-١٩١٧ م) .
- (٧١) الكتبى (+ ٧٦٤ هـ و ١٣٦٢-١٣٦٣ م) : محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي ”فوات الوفيات“ .
جزئان (بولاق سنة ١٢٩٩ هـ) .
- (٧٢) كترمير : إتيين مارك .
Quatremère, Etienne Marc.
”Mémoires Historiques sur la dynastie des Khalifes Fatimites.” (Jour-
nal Asiatique, Août, 1836).
- (٧٣) كرمير : ألفرد فون .
Kremer, Alfred von.
”Culturgeschichte des Orients unter den chalifen.” 3 vols. (Vienna,
1875), translated by Khuda Bukhsh. (Calcutta, 1920-1927).
- (٧٤) الكندى (+ ٣٥٠ هـ و ٩٦١ م) : أبو عمر محمد بن يوسف .
”كتاب الولاة والقضاة“ . به ذيل مأخوذ معظمه من كتاب ”رفع الإصر“ لابن حجر المسقلانى ،
طبعة روفن جست (Ruhvon Guest)
(E. J. W. Gibb Memorial Series, Vol. XIX, 1912).

Lane-Poole, Stanley.

(٧٥) لين پول : سائل .

- (1) "The Story of Cairo" (London, 1913).
- (2) "History of Egypt in the Middle Ages." (London, 1901).
- (3) "Coins and Medals." (London, 1893).
- (4) "Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem." (London, 1893).
- (5) The Muhammadan Dynasties, chronological and genealogical tables with historical introductions. (Paris, 1925).

Mann, J.

(٧٦) مان : ج .

"The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs."
(Oxford, 1920).

(٧٧) الماورنى (+ ٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م) : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى .
"الأحكام السلطانية" (القاهرة سنة ١٢٩٨ هـ ولندن سنة ١٩٠١ م) .

(٧٨) أبو الحسن (+ ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م) : جمال الدين بن يوسف بن تفرى بردى "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" جزء ٢٠ طبعة جوينبول (Juynebol) (لندن سنة ١٨٥١ - ١٨٥٥ م) (William Popper) .

(٧٩) المحلى (+ ٦٥٢ هـ ١٢٥٤ م) : حسام الدين "الحدائق الوردية" (مكتبة المتحف البريطانى القسم الشرقى رقم ٣٧٨٦) .

(٨٠) المراكشى (+ ١٢٧٠ هـ ١٢٧١ م) : محيى الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي .
"كتاب المسجب في تلخيص أخبار المغرب" طبعة ر . دوزى (R. Dozy) الطبعة الثانية (لندن سنة ١٨٨١ م) ، وترجمه وشرحه أ . فانان (E. Fagnan) (الجزائر سنة ١٨٩٣ م) .

(٨١) ابن المرتضى (+ ٣٢٥ هـ ٩٣٦ م - ٩٣٧ م) : المهدي لدين الله أحمد بن يحيى
"المنية والأمل" مكتبة المتحف البريطانى ، القسم الشرقى ، رقم (٣٧٧٢) ؛ وهو أول شرح
لكتاب "غايات الأفكار" (مكتبة المتحف البريطانى القسم الشرقى رقم ٣٩٨٦) . والنسخة
الثانية من الشروح مجموعة تحت عنوان "غايات الأفكار" .

Margoliouth, Prof. D. S.

(٨٢) مارجوليوت : د . س .

"Cairo, Jerusalem and Damascus." (Oxford, 1907).

(٨٣) المسمودى (+ ٣٤٦ هـ ٩٥٦ م) : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .

(١) "كتاب التلخيص والإشراف" طبعة دى غويه (De Goeje)

(Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Vol. VIII. (Leyden, 1893).

(٢) "مروج الذهب ومعادن الجوهر" جزيان (القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ و ١٨٨٥ م) ، ٩ أجزاء

ترجمه الى الفرنسية س . باربيه دى مينار (O. Barbier de Meynard) (باريس

سنة ١٨٦١-١٨٧٧) .

(٨٤) مسكويه (+ ٤٢١ هـ ١٠٣٠ م) : أبو علي أحمد بن محمد ، "كتاب تجارب الأمم"

النسخة العربية جزيان . طبعة ه . ف . أمديروز (H. F. Amédroz) وترجمه الأستاذ

مرجوليوت (Prof. D. S. Margoliouth) (أكسفورد سنة ١٩٢١ م) .

(٨٥) مسلم (+ ٢٦١ هـ ٨٧٥ م) : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري "الجامع الصحيح"

٨ أجزاء في ٤ مجلدات (القاهرة سنة ١٣٢٩-١٣٣٢ هـ) .

(٨٦) المعرى (+ ٤٤٩ هـ ١٠٥٧ م) : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان :

(١) "سقط الزند" (القاهرة ١٣١٩ هـ) .

(٢) "لزوم مالا يلزم" (القاهرة سنة ١٨٩١ م) .

(٨٧) . القفسي (+ ٣٨٧ هـ ٩٩٧ م) : شمس الدين أبو عبد الله محمد .

"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" طبعة دى غويه (De Goeje) Bih. Geog. Amb.

(لندن سنة ١٩٠٦ م) .

(٨٨) المقرئ (+ ١٠٤١ هـ ١٦٣٣ م) : أحمد بن محمد .

"فتح الطيب في ضمن الأتلس الرطب" ٤ أجزاء (بولاق سنة ١٢٧٩ هـ و ١٨٦٢ م) .

(٨٩) المقرئ (+ ٨٤٥ هـ ١٤٤١ م) : تقي الدين أحمد بن علي :

(١) "المواضع والاختيار في ذكر الخطوط والآثار" جزيان (بولاق سنة ١٢٧٠ هـ) .

(٢) "اعطاء الحقا بأخبار الخلفاء" (بيت المقدس سنة ١٩٠٨ م) .

(٣) "السلوك في معرفة دول الملوك" مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٢٠٦٩ .

ترجمه كترميير (Quatremère) الى الفرنسية (Histoire des Sultans Mamluks de l'Egypte)

وذيله بمذكرات فيلولوجية وتاريخية وجغرافية ، وهو جزيان (باريس

سنة ١٨٣٧ م) .

(٤) "التاريخ الكبير المفقى".

(١) مخطوط بمكتبة الجامعة ببلدن رقم ٢٣٦٦ ، ٣ أجزاء .

(ب) مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٢١٤٤

Miller, Konrad von.

(٩٠) ملر : كفراد فون .

Mappae Arabicae, drawn after Idrisi, 4 parts (Stuttgart; 1926-1927).

(٩١) ابن منجب (+ ٥٤٢ هـ ١١٤٧ م) : أمين الدين تاج الرئاسة أبو القاسم علي ، ويسمى أيضا الصيرفي المصري "الإشارة إلى من نال الوزارة" (القاهرة سنة ١٩٢٤ م) .

(٩٢) ابن ميسر (+ ٦٧٧ هـ ١٢٧٨ م) : محمد بن علي بن يوسف بن جلب .

"تاريخ مصر" طبعة هنري ماسيه (Henri Masé) (القاهرة سنة ١٩١٩ م) .

(٩٣) ناصري خسرو (+ ٤٨١ هـ ١٠٨٨ م) :

"سفرنامه".

(Relation du voyage de Nasiri Khoesrou en Syrie, en Palestine, en Egypte, en Arabie et en Perse), Persian Text and Translation by Charles Schefer (Paris, 1881).

(٩٤) ابن التديم (+ ٣٨٣ هـ ٩٩٣ م) : محمد بن أبيحق "كتاب الفهرست" : جزيان (لايسك سنة ١٨٧١ م) .

(٩٥) النويري (+ ٧٣٢ هـ ١٣٣٢ م) : أحمد بن عبد الوهاب .

"نهاية الأرب في فنون الأدب" (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٥٧٦) . نشرت دار الكتب الملكية بالقاهرة ٧ أجزاء من هذا الكتاب .

Nicholson, John.

(٩٦) نيكلسن : جون .

"An Account of the Establishment of the Fatemite Dynasty in Africa."
(Tübingen, 1840).

Nicholson, Prof. Reynold A.

(٩٧) نيكلسن : الأستاذ رينلد أ :

"Literary History of the Arabs." (London, 1914).

(٩٨) ابن هاني (+ ٣٦٢ هـ ٩٧٣ م) : أبو القاسم المكنى بأبي الحسن محمد .

"ديوان ابن هاني" (مروت سنة ١٣٢٦ هـ) .

(٩٩) المدوى (+ ٦٧٠ و ١٢٧١ - ١٢٧٢ م) : الإمام المنصور بالله شرف الدين الحسين ابن يحيى ، "أنوار اليقين في فضائل أمير المؤمنين" ، (مكتبة المتحف البريطاني ، القسم الشرق رقم ٣٨٦٨) .

(١٠٠) ابن هشام (+ ٢١٨ و ٨٣٣ م) : أبو عبد الله الملك .

"كتاب سيرة رسول الله" ، ٥ أجزاء طبعة ف . وستفيلد (F. Wüstenfeld, Göttingen, 1858-1860).

(١٠١) هلال الصائبي (+ ٤٤٨ و ١٠٥٦ م) : أبو الحسن بن الحسن بن أبي إسحق إبراهيم الكاتب .

(١) "تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء" طبعة ه . ف . أمدرود (H. F. Amedros) ،
وذيله الناشر بفهرس ومذكرات .

(٢) الجزء الثامن من تاريخه (٣٨٩-٨٣٩٣) ، طبعة أمدرود (H. F. Amedros) .
وطبعة بعد ذلك وترجمه الأستاذ مرجوليوت (Prof. D. S. Margoliouth)
وذييل به كتاب "تجارب الأمم" لمسكويه (القاهرة سنة ١٩١٩ م) .

(١٠٢) الهنداني (+ ٣٣٤ و ٩٤٦ م) : أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف ابن داود .

"صفة جزيرة العرب" جزان ، طبعة دافيد هيريش ميلر (David Heinrich Müller)
(ليندن سنة ١٨٩١) .

(١٠٣) ابن واصل (+ ٦٩٧ و ١٢٩٧-١٢٩٨ م) : جمال الدين بن واصل الشافعي المذهب
"مفرج الكرب في أخبار بني أيوب" (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٧٠٢) .

(١٠٤) وستفيلد : ف . فون .
Wüstenfeld, F. von.

(1) "Geschichte der Fatimiden Chalifen." (Göttingen, 1881).

(2) "Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke." (Göttingen, 1882).

(١٠٥) ياقوت (+ ٦٢٦ و ١٢٢٩ م) : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي .

(١) "معجم البلدان" ، ١٢ جزء (القاهرة سنة ١٣٢٣ و ١٩٠٦ م) .

(٢) "لرشاد الأريب الى معرفة الأديب".

E. J. W. Gibb Memorial, Series VI. 7 vols. (Cairo, 1907-1911).

(٣) "مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع": اختصره عبد المؤمن بن عبد الحق، ٤ أجزاء، طبعة جوينيل T. G. J. Juynebol (لندن سنة ١٨٥٣م).

(١٠٦) يحيى بن الحسنين (+ ٣٦٠ هـ و ٩٧١ م): الإمام يحيى بن الحسين بن هارون بن زيد بن علي بن أبي طالب "كتاب الإفادة في تاريخ الأئمة السادة على مذهب الزيدية"، مخطوط بمكتبة الجامعة ببلن رقم ١٩٧٤.

(١٠٧) يحيى بن سعيد الأظهاكي (+ ٤٥٨ هـ و ١٠٦٦ م).

"صلة كتاب أوتخا" المسمى "التاريخ للمجموع على التحقيق والتصديق"، جزمان (بيروت سنة ١٩٠٩م).

(١٠٨) اليقوبى (+ ٢٨٣ هـ و ٨٩٥ م): أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.

(١) "تاريخ اليقوبى"، جزمان، طبعة هوتسا (M. Th. Houtsma) (لندن سنة ١٨٨٣م).

(٢) "كتاب البلدان"، طبعة دى غوييه (De Goeje) (Bibl. Geog. Arab.) Vol. VII. (لندن سنة ١٨٩٢م).

فهارس الكتاب

١ - الأعلام

(١) أسماء الرجال :

(١)

أدوك ٢١٧ ٢١٧
أسامة بن مقلد ١٤٠ ١٤٠ ١٣٦ ١٦٤ ١٦٩
٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥
٢٩٧ ٢٩٦
أسامة بن زيد ٢٩
ابن إسحق ٦
إسحق بن جعفر الصادق ١٨٧
أبو إسحق الصافي ٧
ابن أسد - المجلد ١٧٠ ١٧١
إسماعيل بن جعفر الصادق ٤٥ ٤٥ ٤٦ ٤٦ ٤٧ ٤٧
٤٨ ٤٨ ٤٨ ٤٨ ٤٨ ٤٨
إسماعيل بن المصور ١١٥
ابن الأثر - حيداه ٣٤
أشاس ٤٨
الاصطري ٤٧
ابن أبي أصيبعة ١٦ ١٦ ١٦ ١٦ ١٦ ١٦
الأصغر أمير المؤمنين ٧٣
الأصفهاني - أبو الفرج صاحب الأغني ٣١٧
أطاخان ٥٥
أبيك ٢٤٧
إبراهيم - الطريق ١٩٩
الأفضل بن بدر الجبال ١٣ ١٣ ١٣ ١٣ ١٣ ١٣
١٤ ١٤ ١٤ ١٤ ١٤ ١٤
٢٥٣ ٢٥٣ ٢٥٣ ٢٥٣ ٢٥٣ ٢٥٣
٢٨١ ٢٨١ ٢٨١ ٢٨١ ٢٨١ ٢٨١
أبيك ٩٨
أملون ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠
أمر القيس ١٦٢

إبراهيم بن الأظف ٩٧ ٩٧ ٩٧ ٩٧ ٩٧ ٩٧
إبراهيم المولى ٨٣
إبراهيم بن حيداه بن الحسن ٤٥
إبراهيم بن عبد المباسي ٤١ ٤١ ٤١ ٤١ ٤١ ٤١
ابن الأثير ٥٣ ٥٣ ٥٣ ٥٣ ٥٣ ٥٣
٨٣ ٨٣ ٨٣ ٨٣ ٨٣ ٨٣
١١٤ ١١٤ ١١٤ ١١٤ ١١٤ ١١٤
٢٩٢ ٢٩٢ ٢٩٢ ٢٩٢ ٢٩٢ ٢٩٢
٣٠٩ ٣٠٩ ٣٠٩ ٣٠٩ ٣٠٩ ٣٠٩
٣١٧ ٣١٧ ٣١٧ ٣١٧ ٣١٧ ٣١٧
أحمد بن حيداه بن مير ٦٨ ٦٨ ٦٨ ٦٨ ٦٨ ٦٨
أحمد بن علي بن الأشيد ٩٦ ٩٦ ٩٦ ٩٦ ٩٦ ٩٦
الأخضر بن قيس ٤٧
الانعم ٢٧٧ ٢٧٧ ٢٧٧ ٢٧٧ ٢٧٧ ٢٧٧
الأخيد - عبد بن طنج ٨٧ ٨٧ ٨٧ ٨٧ ٨٧ ٨٧
٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥ ٢٥٥
ابن الأنف ١٦٥
أدريس بن حيداه ٩٧ ٩٧ ٩٧ ٩٧ ٩٧ ٩٧
الإدريسي ٣١٧ ٣١٧ ٣١٧ ٣١٧ ٣١٧ ٣١٧
الآمر ١٦٠ ١٦٠ ١٦٠ ١٦٠ ١٦٠ ١٦٠
٢٤٤ ٢٤٤ ٢٤٤ ٢٤٤ ٢٤٤ ٢٤٤
٢٨٠ ٢٨٠ ٢٨٠ ٢٨٠ ٢٨٠ ٢٨٠
٣٦٤ ٣٦٤ ٣٦٤ ٣٦٤ ٣٦٤ ٣٦٤
أدركن ٢١٢
ابن الأرقم ٤٧

الكرى — أوريد ١١٥٠٨٦٧٢٠٥٩٠٥٥٠١٢
٣١٩٠

مكة
بكرين ماطن ٤٠

البلادي ١٣٢

بلال مؤذن رسول الله ١٣٢

بكرين ١١٤

برام الأرض ٢٩٣٠٢١٧٠٢١٦٠٢١٥٠٢١٤

برام مول عيان ٦٠

ابن الوهاب المصطفى ١٣٨٠١٣٥

ابن الوهاب الشاعر ٢٥٩٠٢١١

ابن الدين الشاعر ١٦٤

يونس الماشقور ٣٦٤٠١٢٩

اليوسف ٣١٩٠٢٨٥٠١١

البياني — أنظر القاضي الفاضل

يغان ٤٢

(ت)

التسوي — الوزير أبو طه ٢١٨

التسوي — أبو سعيد ٢١٢٠٢١١٠٢١٠

التسوي — أبو نصر ٢١١

تكين ٩٤

التنزي ش ٣١٩٠٨٨٠٥٣٠٩٠٤٤

(ث)

الثالي ف ٣١٩٠١٥٩٠٦٩٠١٠٠٤٤

ابن أبي ثوبان ١٩٤٠١٩٢٠١٩٠

(ج)

جبر صاحب الشرطة ١٨٢

جون ٣١٩٠٩٩٠٩٨

ابن جيب ٣١٩

الجبرائي — الوزير أبو القاسم ٢١٠٠١٢

ابن أبي الجرح الشاعر ١٥٧

ابن الجصاص ٨٨

أبو جعفر أحمد بن نصر ١٠٧

بجفر بن الحسن الحنفي الخطيب ١٩٣٠١٢٢

الأطاعي — أبو بكر ٢٢٣

الأنطلي — ابن عبد العزيز ٢٥٦

أنور الدين الأشيد ٩٢ — ٩٤

أرجحاع ٣١٨٠٨٤٠٨٣٠٨٢٠٨١

أولي — دي لبي ٥٩٠٥٥٠١٣٠١٢٠١١

٢١٨٠٢٠٠٠١٩٧

ابن إياس ٢٠٩٠٢٠٨٠٢٠٦٠٢٠٠٠٢٠٠

٢١٨٠٢٢٩٠٢٣٣

لمقتس ٢٣٣

(ب)

ابن باديس — أبو الفتح ٢٩٦

الباساك آخر بمرام ٢١٥

باسيل الأول ١٠٠٠٩٩

البائلي — أبو بكر ٦٨

البخاري ٢٧٦٠٢١

بدراجل — أمير الجيوش ١١٢٠١٢٩٠١٤١٠١٤١

٢٥٣٠٢٤٠٠٢٣٠٠٢٢٩٠٢١٤٠١٩٥

٢٩١٠٢٧٩٠٢٦٣٠٢٥٨

بدع الزمان المصطفى ش ٣١٨٠٩٠٤٤

البدع الباطن ٢٨١٠٢٨٠

براون ٢٨٥٠٢٧١٠٢٧٠٢٧٢٠٢٦٠٢٦٠

٣١٨

بريوان ٢٣٩٠٢٢٦٠٢٢٠٤٤٢٠٢٤٢٠١٤١٠

بروكلان — كرك ٣١٨٠١٢٠٤

البراسي ٣١٥٠٢٥٣٠٢٣٠

ابن بام ١٦١٠١٦٠

ابن بسلام ٨٤

ابن البصري ٥٤

ابن البطاني — الوزير المؤمن ٢٨١٠٢٨٠٠٢١٣

٢٩٨

ابن بطرقة ٣١٨٠٢٣٥

بها ٤٨

البدادي — أبو بكر ٣١٨٠١٦٠٠٣٩٠٣٦٠٣٤٠٣٣٠٣٢٠٣١٠

ابن أبي بكر — جد ٢٨٠٢٨٠

أبو بكر الصديق ٢٤٠٢٣٠٢٢٠٢١٠٢٠٢٠٢٠٢٠٢٠

٢٧٤٠٢٢٤٠٢٢٢٠٢٢١٠٢٢٠٢٢٠٢٢٠

(د)

داود الذي ١٣٢
ابن درياس — صدر الدين عبد الملك ٢٣١
الفرزي ٩٨ ٢٠٩ ٢٦٧ ٢٧٧ ٢٧٨
ابن دريد ٤٢
ابن دقاق ١٨ ٨٨ ١٢٠ ١٢٢ ١٣٠ ١٧٤
١٧٧ ١٨٢ ١٩٣ ٢٤٩ ٢٦١ ٣٢٠

دكا ٨٢

أبر دقواد — عبد بن المسيب ١١٦
دمزي ٤ ٦٦ ٢٤٢ ٣٢١
ديسو — ربي س ٣٢١
ابن أبي دينار ٨٦ ٨٧ ١٠٢ ٢٧٤ ٣٢١
الديتوي ١ ٣٤ ٤٠ ٣٢١

(ذ)

أبو ذر الغفاري ٢٤ ٢٥ ٢٦
ذكا الرزي ٨٢
الجبلي ف ٤ ص ٤ ش ٤ ١٦ ٣ ٦٨
١٠٠ ٢٠٣ ٢١٩ ٢٢٧ ٢٥٩ ٢٧٣
٢٧٤ ٢٧٥ ٢٩٤ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٩
٣٢١ ٣٢٥

(ز)

راشد الخطاط ٢٥٩
الرازي السياسي ٩٠ ٩١ ٩٣ ٩٤ ٩٥
زالين — برك ٢٤٠ ٣٢٢
ابن زاتي — محمد ٩٠ ٩١ ٩٨
زشارد طب الأسد ٣١٠
ابن زقار ٤ ٦٣ ٦٤
ابن زقار — الوزير الصباح ١٦٩ ١٦٦ ١٦٩
١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥
١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ٢٠٧ ٢٠٨
الري — أبو اسحاق ١٠٧
الرشيد السياسي — غارون ٤٤ ٥٠ ٨٣ ٢٥٤
٢٨٥ ٢٨٥
رضوان ابن الزيتي — الوزير ١٤ ١٧٠ ١٧٣
٢١٥ ٢١٧ ٢٤٠ ٢٩٣ ٢٩٣

ابن الحنفية ٢٣ ٢٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨
٣١٣
أبو حنيفة الأمام ٢٢ ٤٥ ٢١٤
أبو حنيفة الصان المغربي ٧٦ ٧٧ ٧٨ ١٤٣
٢٢٥
ابن حوشب داعي الشيعة ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨
٧٨
حمزة آخر المعز ٢٤٧

(ح)

حنكين الداعي ١٤٦ ٢٢٣ ٢٢٤
ابن حنضل المسقلل الشاعر ١٦٤
حمرو شاه ملك القرص ٢٥٣
خطط ٣٠٩
الخططين المرق في الدين ١٣٩
ابن خلدون ١٨ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩
٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩
٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩
٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩
٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩
١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩
١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩
١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩
١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩
١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩
١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩
١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩
١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩
١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩
١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩
٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩
٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩
٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩
٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩
٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩
٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩
٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩
٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩
٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩
٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩
٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩
٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩
٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩
٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩
٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩
٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩
٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩
٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩
٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩
٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩
٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩
٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩
٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩
٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩
٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩
٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩
٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩
٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩
٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩
٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩
٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩
٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩
٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩
٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩
٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩
٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩
٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩
٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩
٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩
٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩
٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩
٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩
٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩
٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩
٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩
٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩
٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩
٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩
٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩
٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩
٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩
٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩
٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩
٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩
٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩
٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩
٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩
٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩
٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩
٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩
٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩
٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩
٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩
٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩
٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩
٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩
٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩
٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩
٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩
٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩
٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩
٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩
٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩
٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩
٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩
٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩
٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩
٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩
٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩
٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩
١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩
١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩
١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩
١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩
١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩
١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩
١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩
١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩
١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩
١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩
١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩
١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩
١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩
١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩
١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩
١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩
١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩
١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩
١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩
١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩
١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩
١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩
١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩
١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩
١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩
١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩
١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩
١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩
١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩
١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩
١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩
١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩
١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩
١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩
١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩
١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩
١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩
١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩
١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩
١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩
١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩
١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩
١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩
١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩
١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩
١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩
١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢

(1)

25. April

97 مچھلی

الأربعاء ٨٦

الأردن • ١٤

أدمنه ٤٩٩

19. 3.000

اسماء بنت ابی بکر

الإبستولية ٧٦، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٩٠.
١٠٦، ١١٠، ١١٥، ١٣٩، ١٦٧، ١٦٨
١٧٢، ١٨٤، ١٩١، ١٩٥، ١٩٩، ٢٢٢
٢٥١، ٢٧٧، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٠٦

أسوان ٢١٦

آسيا الصغرى ٢٥٠ : ٣١٥

اشيلة ١٥٣

٢٩٨ ٢٧٣ ١٨٣ ٤٦ ٤٣ : الأ

أما ان ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨

۱۹۱۱

١٩٢٥
١٩٢٦

الأستاذ / الدكتور / الأستاذ المساعد /

الامثلة - ١

1906195

اختلاف ۱۰۸۶۱۰۰

الاهواز ٤٥٠٠ ٤٧٠ ٤٨٠

(پ)

الباب ٢٠٠

٤٥١

۱۶۰. ۱۶۱۶

ماگسا

A 7 2/3%

المسألة ٢٨

المجلة ١٤٤٤ هـ

٧٤٠٥٥٥

(ب)

تاریخ: ۸۶۶۰

٢٢ ك

۲۵۰ ۶۵۵ پاکستان

1986-1987

2007

104

تینیس ۱۱۲ ۱۱۴ ۱۸۳ ۲۳۳ ۲۳۹
۲۴۱ ۲۴۲ ۲۵۱ ۲۵۶ ۲۵۷

۸۶ قون

فون: ۶۵۹ ۶۰ ۶۷۶ ۱۵۲

194 6 25 24

(د)

دقيق ٢٥٠ ٢٣٩ ٢٩٩
 دجلة ٢٥٥ ٢٦٠ ٢١٠ ٢٧٧
 الذك ١١٣
 دلاس ٢٩٤
 دمايط ٢٥٧ ٢٥٦ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٣٣ ١٨٣
 ٣١٠ ٣٠٩
 دمشق ٢١٠ ٢٩٣ ٢٨١ ٢٣٨ ٢٤٢ ٢٦٢ ٢١٣
 ٢١٦ ٢٢٠ ٢١٦ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٣
 ٣٠٢ ٢٢٠ ٢٢٩ ٢٢٥ ٢٤٨ ٢٢٠
 ٣٠٦
 دهل ٢٥٠
 ديار بكر ١٠١
 بلاد القلم ٤٧

(ز)

الزينة ٢٦
 رقادة ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٠ ٢٥٩ ٢٥٧ ٢٥٤
 الزينة ٢٥١ ٢١٣ ١١٢ ٢٩٣
 روثبار ٢٠٥
 الروميا ٩٩
 الروميا ٢٧١ ١٩٢
 الزها ١٠١
 الزى ٧٣ ٧٢ ٢٤٧ ٢٩

(ز)

الزباب ١٥٣ ٨٦
 زنجيان ٤٧

(س)

سامرا ٤٩
 سبينة ٨٦
 سبينة ٨٦ ٢٦٨ ٢٦٠ ٢٥٩ ٢٥٨ ٢٥٧
 ١٣٣
 سبينة ٢١٥
 سبينة ١٣٣ ٢٦٨ ٢٦٧ ٢٥٨ ٢٥٧ ٢٥٥ ٢٤٩
 ٥٥
 السودان ٢٥٠ ٢٤٦ ٢٨٦
 سورية ٢٢٩٥ ٢١٩ ١٥٦ ١٠٤ ١٠٠
 ٣٠٠ ٢٩٧
 سوطاج ٩٦
 السويش ١١٣

(ج)

الجبل ٤٧
 جرجان ٢٥٠
 بلاد الجريد ٨٦ ٢٧٢
 الجزائر ٥٥
 الجزيرة ٣٠٦ ٢٦٠ ٢٩٩ ٢٩٩
 الجزيرة ١١٥ ٢١٠ ٢١٦ ٢٨٥ ٢٨٣ ٢٨٣
 ٣٠٩ ٢٣٠ ٢٩٤ ٢٩٤ ٢١٧

(ح)

الحشة ٢٥٠ ٢٠٩
 الحجاز ٢٥٠ ٢٥٠ ٢٥٠ ٢٥٠ ٢٥٠ ٢٥٠
 ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠
 ٢٩١ ٢٥٠ ٢٣٣ ٢٠٤ ٢١٩ ٢١٦
 ٣١٤ ٣١٣
 الحزة ٤٤
 حمدا ٣٩
 حضرموت ٤١
 حلب ٤١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠ ٢٠٩
 ٢٩٩ ٢٩٨ ٢٩٣ ٢٩٢ ٢٩١ ٢٩٠
 ٣١٤ ٣٠٦
 حماد ١٢٢ ٢٩٩ ٢٩٩ ٢٩٨
 حص ٣٠٦ ٢٧١ ٢٧٠ ٢٦٢ ٢٦١ ٢٦٠
 الحمية ٤٠ ٢٣٨
 حوران ٢٩٥ ٢١٦ ٢١٥ ٢١٤
 الحوف ٢٩٤

(خ)

خراسان ٤٧ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤
 ٢٤٨ ٢٩٧ ٢٤٤ ٢٤٤
 الخليل القاصي ١٥
 خوارزم ١١
 خوزستان ٢٥٧
 خير ١٩٥

القنفريه — ابن عبدو ٣١٠ ٣١٤ ٣٢٤
العين — لخليل بن أحمد ١٣٦
عين الأنبا في أخبار الأطباء — ابن أبي أصحية ١٧
٣١٨

العين المصع في حل دلة بن طليح — ابن زلاق ٦٥
عين للماروف وفنون أخبار الخلائف — القضاي ١٢ ٣٢٥

(غ)

غاية الأفكار — ابن المرتضى ابن الله أحمد ٣٤ ٣٢٦

(ف)

الفتح القديم — عماد الدين الأصفهاني ١٧
فروع البلدان — البلاذري ١٣٢
الفتوى في الآداب السلطانية — ابن طباطبا ١١
الفتيل في الخلق والأحوال — ابن حزم ٢ ٣١
٣٢٤ ٣٢٠

فضائل مصر وأخبارها ونحوها — ابن زولا ٢٧٥
٣٢٢

الفرق بين الفرق — البندادي ٢ ٣٤ ٣٦ ٣٩
٣١٨

فهرست كتب الشيعة — الطوسي ٢٢٢
الفهرست لأبي التميم ١ ٤٤ ٩٣ ٢٢٨
فوات الوفيات — ابن شاذان الكشي ٥ ١٧ ١٨ ٢٢٥

(ق)

قاموس الملايس عند العرب — دندى ٢٤٢ ٣٢١
القاهرة ريت المقدس دمشق — مرجوليوت ١١١
٢٢٨ ٢٩٨ ٣٢٦
كتاب الولاية والقضاة — أبو عمر الكشي ٢٠ ٢٧٥
٣٢٥

(ك)

الكمال في التاريخ — لابن الأثير ١٥ ٣١٧
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون —
١٥ ١٦ ٢١٢ ٣٢٠
كتابخه راديرة مصر — أبو صالح الأديني ٧ ٢٢٣ ٣٢٤
كثرة المرحلين في سيرة صلاح الدين — يحيى بن أبي علي ١٦

(ل)

لامية العرب للشجري ٢٩٩
الخرديات لأبي القلاء المعري ١٠ ٣٢٧

(س)

سراج الملك — محمد بن الوليد الطرطوشي ١٩٥
سراج الهدى — محمد بن الوليد الطرطوشي ١٩٥
سفرنامه — تاصري خسرو ١٣ ٧٠ ٢٤٨ ٣٢٨
سقط الزند — لأن البلاد المعري ١٠ ١٦٢ ٣٢٧
السلوك في سيرة ديد الملك — تقي الدين المقرئ ١٩
٣٢٥ ٣٢٧

سيرة أسامة بن منقذ ١٦٩
سيرة ابن هشام (سيرة النبي عليه الصلاة والسلام) ٢٢
٣٢٦ ٣٢٩ ٣٢٠

سيرة عمارة البيني ١٧٧
سيرة القاهرة — ستانلي لين هول ٢٠ ٢٥٠ ٢٥١
٣٢٦

(ش)

الشريعة الإسلامية — جوك زير ٣ ٣١٩
شع الشيعة على ما جاء في كتاب ابن حزم — فريد ليدر
٣٢٥ ٣٤ ٣

(ص)

صبح الأمشا في صناعة الإنشا — أبو العباس أحمد
القنفذ ١٩ ١٥١ ٣٢٧

صحيح البخاري ٢٧٦
صحيح مسلم ٢٤ ٢٠٦
صفة جزيرة العرب — الهمداني ٢٥٨ ٣٢٩
صلاح الدين وسقوط ملكية بيت المقدس — ستانلي لين هول
٢٠ ٢٢٦ ٣٢٢

صلة تاريخ أوتينا — يحيى بن محمد الأطاكي ٣٢٠
صلة تاريخ العلوي — عريب بن سعد ٤٤ ٥٣ ٥٩
٨١ ٨٢ ٩٠ ٣٢٤

(ط)

الطبقات الكبير — ابن سعد ١ ٣٤ ٣٦ ٣٢٤

(ع)

العبر وديوان المبتدا والتأخير — ابن خلدون ١٨ ٢٣٥
٣٢٠

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب — ابن واصل ١٨٠ ٦٨٠

٣٢٧٠

مقدمة ابن خلدون ١٨٠ ٥٣٠ ١٣٢٠ ٣٢٠

الحق الكبير — تقي الدين المقرئ ج ٥ ص ٥ ش ٥

١٩٠ ٢٨٠ ٢٩٠ ٣٤٠ ٣٥٠ ٣٨٠ ٦٨٠

٣٧٠ ٣٧٤ ٣٧٦ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٣ ١٣٣٠

١٨٩٠ ١٩٢٠ ١٩٦٠ ٣٨٨٠ ٣٢٨٠

الحل والنحل — الشهرستاني ٢٠٢ ٣٤٠ ٣٢٣٠

الموطأ — لمالك بن أنس ٢١٩

الحرس في أخبار إفريقية وتونس — ابن أبي دينار ٣٢١

ن

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — لأبي الحامد ٢٠٠

٣٢٦٠

نزهة المشتاق في ذكر الأسماء والألقاب والبلدان —

الإدريسي ٣١٧

نشوار الحاضرة وأخبار المذاكرة — الشنترسي ٤٠٤ ٩٠٤

٣١٩٠ ٥٣٠

فتح الطيب — القرطبي ٢٠٢ ١٧٠ ٢٠٠ ١٤٢٠

١٥٣٠ ٢٢٠ ٢٣٥٠ ٣٢٧٠

النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية — حمارة البني

١٤٠ ١٦٧٠ ١٦٩٠ ١٧٤٠ ١٧٦٠ ١٧٠

٢٩٩٠ ٣٠٠ ٣٠٢٠ ٣٠٥٠ ٣٠٧٠ ٣٢٤٠

نهاية الأرب في فنون الأدب — النويري ١٨٠ ٦٤٠

٣٢٨٠

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية — ابن شداد ١٥٠

٣٢٣٠

و

وفايات الأعيان — لابن خلكان ٢٠٢ ١٧٠ ١٨٠

٣٢٠

الولادة والنقاة — لأبي عمر الكندي ٥٠ ٥٧٠ ٩٢٠

٣٢٥٠

ي

يتبه الشعر — لعمالي ٤٠ ٤٠ ٦٩٠ ١٥٩٠ ٣١٩٠

اليهود في مصر وعظماء في عهد الفاطميين — مان ٢١٧

٣٢٦٠

(م)

مجلة الجمعية السورية للقرن سبعة ١٩٠٠ ٧١٠ ٧٧٠ ٣٢٦٠

مجلة الجمعية الاسيوية الملكية بانجلترا ١٩٠٣ ٣٢٦٠

مجلة الجمعية الأمريكية الشرقية ٤٣ ٣٢٥٠

مختصر تاريخ الدولة الفاطمية — أولهي دي ليس ٥٠

٣١٨٠

مختصر تاريخ مصر — لبيد الطيف البندادي ١٥٠ ٣٢٤٠

مختصر القول — لأبي الفرج الحلبي ٣٢٥٠

المختصر في أخبار البشر — لأبي القدا ٣٢٤٠

مذكرات تاريخية وبغرافية — كترير ٣٢٧٠

مذكرات تاريخية عن أسرة الظفراء الفاطميين — لكتومير ٧٠

مذكرات عن رقعة البحرين والفاطميين — دي غوير ٥٠

٣٢٤٠

مذكرات لغوية من العرب — دي ساسي ٤٠ ١٤٤٠

١٤٥٠ ١٤٦٠ ٣٢٢٠

مراکش وفاس — تمست ٢٣٥٠

مراة الزمان — سيدي بن الجوزي ١٦٠ ٣١٩٠

مراصد الاطلاع — ياقوت ١٥٠ ٣٣٠

مروج الذهب — المسعودي ٣١٠ ٣٢٠ ٣٤٠

٣٢٦٠ ٤٢٠ ٤١٠

المسالك والممالك لأبي عبد البر ١٣٠

المشاهد والأسرار الوحيدة لمولاتا الحاكم ١٤٤٠

المعجب في تلخيص أخبار إفريقية والمغرب — عبد الواحد

المراكشي ١٧٠ ٨٦٠ ٣٢٦٠

معجم البلدان — ياقوت ٢٠٢ ١٥٠ ١٠٠ ٣٦٠ ٣٣٠

٣٩٠ ٤٥٠ ٤٦٠ ٤٧٠ ٤٨٠ ٥٧٠ ٧٢٠

١١٣٠ ١٦٠ ١٦١٠ ١٩٥٠ ٢١٦٠ ٢٣٩٠

٢٥٥٠ ٢٥٦٠ ٢٥٧٠ ٢٩٥٠ ٣٢٩٠

معجم شعراء الشيعة — ابن أبي طي ٢٩٩٠

المغرب في حل المغرب — ابن سعيد ٥٠ ٦٠ ١٧٠

١٨١٠ ٣٢٢٠

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب — ابن عبد البر ١٣٠

٥٧٠ ٩٠٠ ٩١٠ ٩٢٠ ٩٣٠ ٩٤٠ ٢٥٥٠

٣١٩٠

جامع القرقاة ٢٤٦٠٢٤٥
 جامع قرطبة ٢٣٥
 جامع القدس ١٣١٠١٣٠
 جبر الخليلج ٢٤٩ ٢٦٤ ٢٨١ ٢٨٩٢٨٥
 جبل القلعة ١٢٠ ٣٦١ ٣٦٥
 جبل بشكر ١٢٠
 الجرجير ٢٢١
 الجند — الجيش ٨٤ ٨٥ ٩٣ ٩٦ ٩٧
 ٢٩٣ ٢٤٩ ٢١٦ ٢١١ ١١٥ ٩٨
 ٣٠٨ ٢٩٦
 الجوال ١٨٣ ١٩٥
 جوهر — جواهر ٨٨ ٢٣٤
 الجهاد ١٠٩ ١١٥ ١٢٠ ١٢١ ٢١٥
 ٢٧٢ ٢٦٢ ٢٢٥

(ح)

حارات القاهرة ٢٠٨ ٢٣٧ ٢٤٩
 الحج ٣٧ ١٠٩ ١٢٠ ٢٣٥
 الحردية ٣٩
 الحسبة — الحسب ٥٣ ٥٤ ٩٤ ١١٨
 ١٨٢ — ١٨٣ ١٨٦ ٢٢٧
 الحشاشون ١١٧ ٣١٦
 الحشاشيون ٩٩
 الحنابلة ١٢٣
 الحنفية ١٢٣

(خ)

خان الخليلي ١١١
 الخراج ٨٤ ٩٤ ١١٥ ١١٦ ١٨١ ١٨٢
 ١٨٤ ١٨٣ ١٨٦ ٢٣٧ ٢٨٥ ٣٠١
 الخراسانيون ٤٠ ١٧٩ ٢٨٥
 الخزانة السلطنة ٢٦٦
 » الخزوف ٢٥٦
 » السروج ٢٦٦
 » القروش ٢٥٦ ٢٦٦
 » القصر ٢٦٦
 » الخزوبات ٢٦٦

بيت المال ١٤٣ ٢٢٨ ٢٦١ ٢٦٩ ٢٧٣
 ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٧ ٢٩٧ ٣١٠
 البيضاويون ١٠ ٢٨ ٥٢ ٨٥ ٨٨ ٨٩ ٩٩
 ١٠٠ ١٠١ ١٠٨ ١٣٢ ١٣٧ ١٥٥
 ٣١٣ ٣٠٩
 بين القصرين ١١١ ١١٢ ٣٠٩

(ت)

الترابيح ٢١٩ ٢٢٣ ٢٢٤
 التركان ٣٠٢ ٣٠٦ ٣٠٩ ٣١٠
 التسبيح ١٢٥
 بنو تغلب ٤٢
 التكري ٢٨ ١٢٥
 تناسخ الأرواح ٢٧ ١١٧
 التوابين ٢٣
 التوقف ٣١

(ث)

ثالب ١٠
 الثوبية ٦٥

(ج)

جامع — مسجد ٢١٩ ٢٢٠ ٢٦٠ ٢٧١
 ٢٨٢ ٢٨٦ ٢٨٨
 الجامع الأزهر ١١٥ ١٢٠ ١٢٢ ١٢٤
 ١٢٨ ١٣٠ ١٣٢ ١٣٧ ١٤٢ ١٤٢
 ١٩٢ ١٩٣ ٢٨٣ ٢٨١ ٢٧٢ ٢٦٠ ١٩٦
 ٢٨٩ ٣١٦ ٣١٨ ٣٦١ ٣٦٣
 جامع الأنور ٢٧٢
 جامع الأقر ٢٩٣ ٣٦٤
 جامع الحاكم ١١٢ ١٢٤ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠
 ٢٠٥ ٢٧٢ ٢٨١ ٣٦٤ ٣٦١
 جامع دمشق ٢٣٥
 جامع رافدة ١٢٨ ١٣٠ ١٣٠ ٢٠٥
 جامع ابن طولون ٩٠ ٩١ ٩٩ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٠
 ٢٧٦ ٣٦١ ٣٦٣
 جامع المسكر ١٢٠
 جامع عمرو — الشقي ٩١ ١١٩ ١٢٣ ١٢٤
 ١٢٥ ١٢٨ ١٣٥ ١٨٢ ١٨٩ ١٩١
 ١٩٢ ١٩٣ ١٩٦ ٢٠٩ ٢١٣ ٢٢٠
 ٢٨١ ٣٦١ ٣٦٣

(ذ)

أهل القصة ١٠٩ ١١١ ١١٧ ٢١٢ ٢١٨ ٢٨٥
القب ٨٨ ٢٣٤ ٢٤١ ٢٤٥ ٢٤٧
٢٥٨ ٢٥٧ ٢٥٦ ٢٥٥ ٢٥٣ ٢٤٩
٢٧٣ ٢٧٠ ٢٦٤ ٢٦٠

(د)

راضة ٤٣ ٤٤ ٧٤
راضى ٤٣
الرجة ٢٧ ١١٧ ٢١٣
رد ٣٧
رضوى — جبل ٣٦ ٣٧
بروسم ٦٠
رضى ٤٣
الرومان، الروم — انظر البيزنطيون

(ز)

الزبيب ٢٢٨
الزكاة ١٠٩
زكاة — قبيلة بالمغرب ٨٦
الزئار ٢٠٥
الزنج ٥٠
الزبدية ١ ٢ ١٧ ٤٣ ٤٤ ٤٥
١٠٥ ٥٠ ٤٧

(ص)

برساسان ٢٨ ٦٦ ٦٧
السامانية ٩٨
السبئية ٣١ ٣٥ ٣٦ ٣٧
سبط — أسباط ٣٧
سج — سياح ٣٧
السبئية ٤٥ ٦٦
سقيفة بنى حاطة ٢٤
السكة ٩٨ ١٠٨ ١١١ ١١٨ ١٧٩ ٢١٨
٣١٤
سباط — أسبقة ص ٢٤٠ ٢٤٤ ٢٦٤ ٢٨٤ ٢٨٦
٢٨٩

الخطبة ٥٠ ٩٣ ٩٨ ١١٠ ١١٣ ١١٤
١١٨ ١١٦ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣
١٢٤ ١٢٦ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١
١٩٣ ٢٠٩ ٢٣٠ ٢٣٢ ٢٨٣ ٢٩١
٣١٥ ٣١٤ ٣١١ ٣٣٠
الخلافة ٢٣ ٢٤ ٢٦ ٢٧ ٢٧ ٢٨٠ ٢٨٠
١٥٤ ١١٥ ٨٠
الحواج ٣٩ ٤١ ٥٢ ٨٥ ٨٦ ٢٧٤

(د)

دار الحكمة ١٢٧ ١٣٧ ٢٦١ ٣١٦
دار السلاح ٢٦٩
دار الضرب ١٩١
دار الضيافة ١٧٥
دار العلم ١٢٧ ١٢٨ ١٣٠ ١٣٧ ١٤٢
١٥١ ١٩١ ٢٢٨ ٢٦١ ٢٨٨ ٣١٦
دار الملك ٢٤٠ ٢٤٢ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٨١
دار الهجرة ٤٧ ٥٦
دار الوزارة ٢٥٣
داهى القطة ٧٧ ٧٨ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٥
١٩٣ ٢٢٥ ٢٥١ ٢٦٣ ٢٨٤ ٣١٥
البروز ١١٧ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ٢٠٨ ٣١٤
الديلم ٤٦ ٢٥٠
الديلمس — نوع من السمك ٢٢١
دير — أديرة ٢١٤ ٢١٧
الأديرة البيضاء ٣١٦
دير الخلق ٢١٧
دير نيا ٢١٧
دينار ٢٣٨ ٢٤٨
ديوان — دواوين ٨٤ ١١٦ ١٣٤ ١٨١
٢٠٠ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢١١ ٢١٧
ديوان الانشاء ١٤٠ ١٨٢ ٢٨٣
ديوان الرسائل ١٣ ٢٠٣
ديوان مر الخليفة ١٥١
ديوان العزيزية ٢٣٧
ديوان السلا ٢٥٠

٥ - الآيات القرآنية

آية	سورة	صفحة	آية	سورة	صفحة
٧٦	٨	١٩٦	١٠	٤٩	٢٣
٩٥	٣	٢٣٥	٣٥٣٤	٩	٢٥
٢	٩	٢٣٥	٨٥	٢٧	٢٧
٩٦	١٦	٢٦٥	٣٨	١٣	٧٤
٩	٧٦	٢٦٥	—	١٨	٧٧
٦٨	٤	٢٧٧	١٠٥	٢١	١٢٠
٧٤, ٧٣	٢٢٠	٢٧٨	—	٦٣, ٦٢	١٢٣
—	٦٣, ٦٢	٢٧٨	—	٩٣	١٢٦
١٩	٢٧	٢٨٣	—	١١٣	١٣١
١٨٨	٧	٢٨٣	٢٤	٥٥	١٥٤
٣٧	٩	٢٨٥	٣٦	٣٧	١٥٤
١٨	٧٢	٣٦٦	٣٦	٤١	١٩٠
١٠٩	٩	٣٦٦			

٦- التخرائط الجغرافية

مقابل صفحة	
٤٣	انتشار الدعوة الشيعية .
٥٣	بلاد المغرب ، توضيح الفتح القاطم .
٨٠	أسواق الدولة العباسية .
٩٧	احتلال الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري .
٩٩	الحروب بين العباسيين والبيزنطيين في القرن الرابع الهجري
١٠٥	فتح القاطمين لمصر
	أسواق الدولة الفاطمية .
١١٢	القاهرة في عهد الفاطميين .
١١٣	مدينة القاهرة ، سنة ٥٩٧ هـ - سنة ١٢٠٠ م
	أسواق مدينة القاهرة .
٢٩٢	احتلال الدولة الفاطمية
	سودان وروب صلاح الدين .

٧ - الصور

رقم	مقابل صفحة
	في مقدمة الكتاب
١	١١٩
٢	١٢٣
٣	١٢٤
٤	١٢٦
٥	١٢٧
٦	١٢٩
٧	١٨٧
٨	٢٣٦
٩	٢٤٢
١٠	٢٤٦
١١	٢٤٩
١٢	٢٥٣
١٣	٢٥٣
١٤	٢٥٤

تعال للصفاة من الشبان (الموزر)

جامع صروين الناص

منظر طام لليونان الشرقى

جامع ابن طولون

ليونان الجامع وصحة ، تلوه المارة وتظهر فيه قبة المضاء

الجامع الأزهر

الباب الخارجى للجامع

الجامع الأزهر

صحن الجامع وجه القبلة الوسطى

الجامع الأزهر

بعض عقود الجامع ، وهي من عهد إنشاءه

(أ) جامع الحاكم

مارة الجامع

(ب) جامع الأفر

واجهة الجامع الذى بناه الأمر بإحكام سنة ١٠١٩ هـ

(أ) محراب من خشب ، أصله من مشهد السيدة قيسة

(ب) محراب من خشب ، أصله من مشهد السيدة رقية

(أ) لوح من الرخام ، مزين بصور الأسماك والحمام ، وهو من العهد الفاطمى

(ب) شاهد من الرخام ، عليه كتابة بالخط الكوفى من أوائل القرن السادس الهجرى

(أ) قطعة منسجج من كتان أبيض مزين بشريط به صور متفانجة

(ب) قطعة منسجج من كتان مزينة بمجاهات على أرضية حمراء

(أ) مناظر مثل الرقص والسيد والموسيق

(ب) مناظر منقوشة تمثل طيوراً ونباتاً وماءاً يقتبس منها مع جوة من الموسيقين

باب ذومصرامين ، أصله من طرستان السلطان قلاوون - وكان مزجاً على أحد أبواب القصر

الفاطمى الشرقى

(أ) باب النصر - بنى سنة ٤٨٠ هـ

(ب) باب الفتوح - بنى سنة ٤٨٠ هـ

جامع الجيوشى

منظر خارجى للجامع على سفح جبل المقطم

(أ) طبق من خزف فى برتنى ذهبى

(ب) شاييك كالل من فلان مزينة بزخارف تشبه "الهتل"

رقم	مقابل صفحة
(أ) قلدون من نيف ذى برىق ذهبي ، مزينة من الخساج بثلاث دوائر ، بكل منها صورة طائر قى مقاره فرح ياقى	٢٥٤
(ب) قطتان من نيف ذى برىق ذهبي ، على الأول رسم المسيح طيه السلام ، وعلى الثانية صور ثلاثة أشخاص مكتوب فوق أو سطها "أبو طالب"	
(أ) ظهر مرآة من الشبان	٢٥٥
(ب) شمدان من الشبان	
(أ) حشوة من خشب تشبه محراباً صغيراً يرتكز على عمودين حطريين	٢٥٦
(ب) قطعة من الباج مقفوش عليها بين الأضراف النباتية صوراً أشخاص وسيرافات	
(أ) قطعة نسيج من حرير أرضيتها صفراء وبها صور طيور	٢٥٧
(ب) قطعة نسيج من تكان وحرير متهبة من أسفل بإشرايرب	
(أ) إبريق من البيلور الصغرى مزين سطحه بصور طيور وفروع نباتية وكتابات قوفية	٢٥٩
(ب) إبريق من البيلور الصغرى مزين سطحه بصور طيور وسيرافات يتخللها فروع نباتية	

ذيل بوصف صور الكتاب

صورة المقدمة :

تمثال للمقهاء من الشهبان :

طوله ١٠٥ سم وارتفاعه ٨٥ سم . وحفوظ في متحف كامپوسانتو (Campo Santo) بمدينة بيزا في إيطاليا . ويقال إن عمروى ملك بيت المقدس هو الذى أحضره إلى إيطاليا بعد انتصاره في إحدى الحروب الصليبية . وجسم هذه المقهاء على شكل أسد ، ورأسها كراس للنسر ، يخرج من كفتها جناحان صغيران . وجسمها عليه قعرش أسود ونسور وكأيات كوفية تتضمن أدعية التبرك . ومظهر هذه المقهاء يسترعى النظر .

Migoon, 2nd ed. Tome I. p. 374, fig. 182

رقم ١ :

جامع عمرو بن العاص :

منظر دمام لإيران الشرق الذى يظهر كآفة قوامها أعمدة من الرخام .

رقم ٢ :

جامع ابن طولون :

إيران الجامع التبرق وصحة ، تملوه المنارة ، وتظهر بالصورة قبة البيضاء إلى وسط الصحن .

رقم ٣ :

الجامع الأزهر :

الباب الخارجى للجامع .

رقم ٤ :

الجامع الأزهر :

صحن الجامع وبه القبة الوسطى .

مجموعة ممرض المساحة ٢٩/٦٥١ .

رقم ٥ :

الجامع الأزهر :

بعض عقود الجامع ، محجلة بالحصص ومعدلة بزخارف وكأيات كوفية . وعلى من عهد إنشائه

رقم ٦

(١) جامع الحاكم :

مئارة الحاكم

(ب) جامع الأقمر :

واجهة الجامع الذى بناه الأمر بإحكام الله سنة ٥١٩ هـ .

رقم ٧

(١) عراب كان بمشهد السيدة قبيصة ، إطاره من خشب بنى وهو مكون من مجمع حشوات صغيرة من البقس (نوع من الخشب) والساج المسمى . وهذه الحشوات زخارف دقيقة الصنع ، تخص بالذكر منها القواكة العينية . وكانت هذه الزخرفة رائعة في القرنين الخامس والسادس الهجرى .

دار الآثار العربية رقم ٤٢١

(ب) عراب من خشب قتل من مشهد السيدة رقية ابنة حل بن أبى طالب كرم الله وجهه . عمل بأمر فدوة الخليفة الفاطمى الأمر بإحكام الله سنة ٥٥٦ هـ . وهو تحفة فنية فريدة ؛ وواجهته مكوة من حشوات مجمعة على شكل نجرم ورسوم هندسية ، وبنائه وظهره مكوة من حشوات كبيرة تغطيها زخارف متناسقة وأوراق يساسح دقيقة .

دار الآثار العربية رقم ٤٤٦

رقم ٨

(١) لوح من الرخام وجد بمقاهة السلطان بيرس الثانى (الباشنكير) ، منحوت الجوانب . وجد مغلوبا على وجهه حيث كان مستعملا في تليط الأرضية . وبنيت هذه اللقطة في مكان دار الوزارة الفاطمية المشيدة في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) . وبجانبى الفرج كتابة كوفية تهتم نصفها العلوى عند ما أعيد استعمال الفرج في اللقطة . ولترزين بصور الأسماك والهام يوضح أن الزخرفة من العهد الفاطمى .

دار الآثار العربية رقم ٦٩٥٠

(ب) شاهد من الرخام عليه كتابة بالخط الكوفى البارز الجليل الذى بلغ التباية في الجملة والإيمان في عهد الدولة الفاطمية . وهو باسم أى الحكام بن أبى القاسم المصرى بن حاشور المتوفى في أوائل القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) . ونص الكتابة كما يأتى :

- ١ — رب اخضر وارحم .
- ٢ — بسم الله الرحمن الرحيم .
- ٣ — يحضرهم ويهم برحمته .
- ٤ — ورضوان ورحمات لهم .
- ٥ — فيها نسم مقبر خالدين فيها .
- ٦ — أيدى إن الله عنده أجر عظيم .
- ٧ — توثا (كذا) أبو الحكام بن أبى (كذا) القاسم .

- ٨ — المهرى بن ماثود (٩) في يوم السبت
٩ — الخامس عشر من صفر سنة
١٠ — وثلاثين وخمسة مائة ورحمة الله عليه .

رقم ٩ :

- (أ) قطعة نسج من تكان أبيض مزين بشرائط به صور طيور متقابلة . وهي من حرير أبيض على أرضية من حرير أزرق .
ويحيط بهذه الزخارف طرمان من كتابة كوفية منسوجة بخيوط بيضاء على أرضية من حرير حرار . تنم عن اسم
الخلقة الحاكم بأمر الله وابن عمه عبد الرسيم بن الياس الذي ولاء هذه في سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ ميلادية) .
دار الآثار العربية رقم ٨٢٦٤

(ب) قطعة نسج من تكان مزينة بجمادات على أرضية حرار . وصور الطيور التي بالجمادات مقوشة بألوان مختلفة : أحمر
وأزرق وأصفر وأخضر . وشكل الحروف التي في سطرى الكتابة يحمل على القرن بأنها ترجع إلى القرن السادس
المجهرى (الثاني عشر الميلادي) .

دار الآثار العربية رقم ٥٢٦١

رقم ١٠ :

- أجزاء من أربعة ألواح من الخشب ، أصلها من أحد قصور الخلفاء الفاطميين ، منقوش عليها :
(أ) مناظر تمثل الرقص والصيد والموسيقى . وبها صور طيور أحدها له رأس آدمي .

دار الآثار العربية رقم ٣٤٦٥ ٣٤٦٦

(ب) مناظر منقوشة قشاً متقنة تمثل طيوراً وتربوا وصائدات يقتنص سبباً ، مع جولة من الموسيقى .

دار الآثار العربية رقم ٣٤٧١ ٤٠٦٣

ويرجع ذلك كله إلى القرن الرابع المجهرى (العاشر الميلادي) .

رقم ١١ :

باب ذو مصراعين ، أخذ من مارتنان السلطان ثلاثين . وبالرغم من وجوده في هذا المكان ، فإن مصدره الحقيقي
يتبين من صور الأشخاص والحيوانات المنقوشة حفراً دليلاً ظاهراً ، وذلك خاص بزخارف الفاطميين . ويضاف إلى ذلك أنه
حشواته العلوية مقطوعة لتجسه موافقاً لارتفاع الفتحة التي ركب عليها أخيراً . وهذا يبين بجلاء أنه كان مركباً على أحد أبواب
القصر الفاطمي القرن الذي بنى مكانه مارتنان وقبة ومسجد ثلاثين .

دار الآثار العربية رقم ٥٥٤

رقم ١٢ :

- (أ) باب النصر - بنى سنة ٤٨٠ هـ .
(ب) باب الفتوح - بنى سنة ٤٨٠ هـ .

رقم ١٣ :

جامع الجيوشي :

منظر خارجي للجامع المجهري على سطح المقطم . تظهر على يمينه قبة الحبل ، وعلى يساره قبة صلاح الدين الأيوبي ، وعليها
جامع محمد بن عثمان بن علي بن علي .

وقد تم بناء هذا المجمع في سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥) ، كما يستدل على ذلك من لوحة الرستم في أعلى الباب العام ، عليها بالخط الكوفي : " بسم الله الرحمن الرحيم ! وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (١) . لا يزال بقياتهم القدي بنوا ردية في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم " (٢) .

عما أمر بهارة هذا الشهيد المبارك في مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعمل آباءه الأئمة الطاهرين وأبائنا الأكرمين . وسلم إلى يوم الدين ، السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاء المسلمين وحادي دماء المؤمنين . ضد الله به الدين وأمنع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدره وأعل كفته وكبت عدوه وحسدته ابتداء مرضاة الله . في المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

رقم ١٤ :

(١) طبق من الخزف ذي برقي ذهبي وسطه من الفاخيل بصورة ديك في فوه فرع بناتي . أما جدران الطابق فمغطاة بخزاف بناتية . ويرجع هذه الى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) .

دار الآثار العربية رقم ٥٥٠٢

(ب) شيا بك قل من نفا منزية بخزاف متعة الصنع تشبه " الله تبارك " . والذبابك الأوسط مزين بصورة طاووس نافرا ذيله مختالا . أما الأربعة الأخرى فخلاصة منها منزية بخزاف هندسية ، والرابع بتكيات كوفية .

دار الآثار العربية رقم ٣ - ٦٥٣١ - ٤٢ - ٦٥٣١ - ٧١٠٢ - ٨٥٧٦ - ٨٥٧٧

رقم ١٥ :

(١) قدر من خزف ذي برقي ذهبي ، منزية من الخارج بثلاث دوائر ، بكل منها صورة طائر من مقاره فرع بناتي . وهي من المتحف المحفوظة في متحف فكتوريو وأبورت بلندن .

Victoria and Albert Museum (London).

Sir E. Denison Ross. The Art of Egypt Through the Ages, p. 336.

(ب) قطعتان من خزف ذي برقي ذهبي . على الأولى رسم المسيح عليه السلام يحيط برأسه إكليل من نور ، وقد رفع يده اليسرى بعلامة التبريك . وعلى الثانية صورة ثلاثة أشخاص مكتوب فوق أرسطها أبو طالب (م النبي صلى الله عليه وسلم) وقد قبض بيده اليمنى على سيف وأمسك بيده اليسرى كعبا به دراهم . ولعلها رمز لسيف المعز وذهبه .

دار الآثار العربية رقم ١ - ٥٣٩٧ - ٢٠ - ٥٣٩٧

رقم ١٦ :

(١) ظهر مرآة من الشبان ، مقوش عليها نقشاً يارزا صورة حيوانين خرافيين ، جسم كل منهما على شكل أسد بوجه إنسان ويصاح طائر ، تحيط بهما كتابة كوفية تتضمن أدعية لصاحبا . شر عليها أثناء التفتيح على أطلال مدينة القسطنطينة .

دار الآثار العربية رقم ٣٩١٥

(ب) شصدان من الشبان ، له ثلاثة أرجل تحمل قرصا مسدسا مزينا سطحه بالخزاف النباتية والكتابات الكوفية المشجعة المنتمية بعض الأدعية . ومقوش على القرص العلوي للشصدان إحصاء صانعه ابن الحكيم . ويرجع هذه الى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) .

دار الآثار العربية رقم ٨٤٨٣

(١) القرآن الكريم سورة ٧٢ آية ١٨

(٢) شرحه ٩ > ١٠٩

رقم ١٧ :

(أ) حثوة من خشب تشبه محراباً صغيراً يرتكن حقهقه المذهب على محمودين حلزونيين . وتضمن الكتابة الكوفية القليلة التشجير اسم النبي صلى الله عليه وسلم وحل كرم الله وجهه والسبطين (الحسن والحسين) والأئمة من ذريتهم . ويرجع ههنا الى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) .

دار الآثار العربية رقم ٨٤٦٤

(ب) قطع من العاج عرطها أثناء الكشف عن أطلال القسلاط . منقوش عليها بقعة فائقة بين الزخارف النباتية صود أخضاس وإزادار (المائدة بالباز) ويطلق (عسكرى) سلع برع ، وصور حيوانات وجل يحمل هودجا ، وصور أوتب وخزاة وطاووس ، صناعتها من عهد الفاطميين من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

دار الآثار العربية رقم ٥٠١٠ ، ٥٠٢٣ ، ٥٠٢٤ ، ٥٠٢٦ ، ٥٠٢٧

رقم ١٨ :

(أ) قطعة نسيج من حرير أرضيتها صفراء فائقة مزينة بشرائط متعرج لونه أخضر فاتح ، فئاس من تعرجه جامات بيضية الشكل مديئة الأطراف . وبداخل هذه الجامات مسووطيون جامئة متعاجة ، ظهور بعضها الى بعض ، ووروسها متعاجة . وهى من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) .

دار الآثار العربية رقم ٢١٣٧

(ب) قطعة نسيج من تكان وحرير مئبة من أسفل بشرابرب لونها أصفر ذهبي ، مزينة بزخارف على شكل مئبات تتخلها كتابة حرولها نارة حمراء ونارة بيضاء على أرضية حمراء أو زرقاء . وهذه الكتابات حارة من دهاء بالمادة . وهى من صناعة مصر فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) .

دار الآثار العربية رقم ٣٣١١

رقم ١٩ :

(أ) إبريق من البلور الصخرى مزين سطحه بصوطة وود وفروع نباتية وكقبات كوفية تتضمن أدعية لصاحبه . وهو محفوظ بمتحف اللوفر بباريس

Musé du Louvre (Paris)

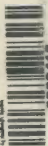
Migeon, 2me édition, Tome II. p. 108.

(ب) إبريق من البلور الصخرى مزين سطحه بصوطة وود وحيوانات تتخلها فروع نباتية . وهو محفوظ بمتحف فنكروبا وألبرت بلندن .

Migeon, 2me édition, Tome II. p. 110.

الطبعة الأولى: ١٩٩١م - ١٤١٢هـ

Publicis Alexandrina



0288416